



مصدر الفرعونية

تأليف: أحمد فخري

**\*\* معرفتي \*\***

**[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)**

**منتديات مجلة الإبتسام**



الهيئة العامة للكتاب

**\*\* معرفتي \*\***  
**[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**

**\*\* معرفتي \*\***  
**[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)**  
**منتديات مجلة الابتسامة**

**مصر الفرغونية**  
**موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور**  
**حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد**

**مصر الفرعونية**  
**موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور**  
**حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد**

تأليف  
**أحمد فخرى**







المشرف العام

١. أحمد مجاهد

اللجنة العليا

أ. إبراهيم أصلان

د. أحمد زكريا الشلق

د. أحمد شوقي

أ. طلعت الشايب

أ. عبلة الرويني

أ. علاء خالد

أ. كمال رمزي

د. محمد بدوي

د. وحيد عبد المجيد

تصميم الغلاف

وليد طاهر

الإشراف الفني

على أبو الخير

صبري عبد الواحد

تنفيذ

الميلة المصرية العامة للكتاب

**مصر الفرعونية – موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد**

---

فخرى، أحمد

مصر الفرعونية موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور  
حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد / تأليف أحمد فخرى -

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢

٤٠٠ ص ٢٤٠ سم (مكتبة الأسرة - سلسلة إنسانيات)

تدمك ٣ - ١٧٥ - ٢٠٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١- مصر القديمة - تاريخ

أ. العنوان

رقم الإيداع ٢٠١٢/٧١٠٦

I.S.B.N 978- 977- 207-175-3

ديوى ٩٣٢

## توطئة

### مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم إذاً هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو، جرياً على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام، تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعاً من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفياً بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، ساهمت فيه، ضمن من ساهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه، للحقيقة ليس غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم إن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحياناً.

وبعد ثورة ٢٥ يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين. سواء كانت هذه الجهات من هنا، أو كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس  
الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارًا موجزًا:  
جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيتها، أولاً أيضاً، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف،  
ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.  
واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبداً، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى  
نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق  
ذات اليد.

لقد انشغلنا طيلة الوقت بهذا القارئ الذى انشغل به قديماً، مولانا الحكيم.  
لا نزعم، طبعاً، أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيداً يعنى أنك تركت  
آخر هو الأفضل دائماً، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبداً. لماذا؟  
لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة، ميراث البشرية العظيم، والباقي.

رئيس اللجنة

إبراهيم أصلان

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المحتويات

٧	..... مقدمة الطبعة الأولى
١١	..... مقدمة الطبعة الثانية
١٣	..... الأسرات المصرية
٥٩-٢٧	<b>الفصل الأول</b>

#### مولد الحضارة ونشأتها

طبيعة أرض مصر (٢٧) العصور الجيولوجية (٢٩) عصر ما قبل التاريخ (٣٠) حضارة الخرطوم (٣١) حضارة مرمدة (٣٢) حضارة البدارى (٣٣) نظرة عامة فى عصر ما قبل الأسرات (٣٥) قبيل الأسرات (٤٠) أهم مصادر التاريخ المصرى (٤٧) حجر بالرمو (٥٠) بردية تورين (٥٢) تاريخ مانيتون (٥٣) ثبت الكرنك (٥٤) ثبت أبيدوس (٥٤) ثبت سقارة (٥٥) .

٧٢-٦١

#### الفصل الثانى

#### عصر الأسرات المبكر

#### أو العصر العتيق

ملوك الأسرة الأولى (٦٥) ملوك الأسرة الثانية (٦٨) نهاية عصر الأسرات المبكر (٧٠)

١٢٦-٧٣

### الفصل الثالث

#### الدولة القديمة

الأسرة الثالثة (٧٣) إيمحوتب (٧٤) خلفاء زوسر (٧٨) الأسرة الرابعة (٨٠) هرما سنفرو في دهشور (٨١) الملكة حتب حرس (٨٤) خوفو (٨٦) هرم الجيزة الأكبر (٨٧) النزاع بين أفراد العائلة المالكة (٩٢) خفرع وهرمه (٩٤) أبو الهول (٩٦) منكاورع (٩٧) خنتكاوس (٩٩) الأسرة الخامسة (١٠١) بردية خوفو والسحرة (١٠٢) أوسركاف (١٠٣) ساحورع (١٠٣) نفر إركارع (١٠٥) نى وسررع (١٠٧) جد كارع - إسيى (١٠٨) أوناس (١٠٩) الأسرة السادسة (١١٤) پيى الأول (١١٥) خلفاء پيى الأول (١١٥) القائد ونى (١١٧) الرحالة المصريون يرتادون الجنوب (١١٩) الثورة الاجتماعية (١٢٤)

١٤٤-١٢٧

### الفصل الرابع

#### عصر الفترة الأولى

الأسرتان السابعة والثامنة (١٢٧) الأسرتان التاسعة والعاشر (١٣٠) ملوك إهناسيا (١٣٠) وصية الملك أختوى لابنه مريكارع (١٣٣) بردية القروى الفصيح (١٣٧) أهم آثار عصر الفترة الأولى (١٤٢)

١٨٤-١٤٥

### الفصل الخامس

#### الدولة الوسطى

نشأة حكام طيبة وتأسيس الأسرة (١٤٥) إنيوتف الثانى (١٤٦) منتوحوتب الأول (١٤٨) منتوحوتب الثانى (١٤٨) مقبرته ومعبد الجنائى (١٥١) رسائل حقا نخت (١٦١) خلفاء منتوحوتب الثانى (١٦٥) الأسرة الثانية عشرة (١٦٨) أمنمحات الأول (١٦٨) خلفاء أمنمحات الأول (١٧٢) نظرة عامة فى الحياة الاجتماعية (١٧٦) الصلة بين مصر وغيرها من البلاد فى الدولة الوسطى (١٧٩) العناية بالرى والتوسع فى الزراعة (١٨٢)



٢٠٤-١٨٥

## الفصل السادس

## عصر الفترة الثانية

ملوك الأسرة الثالثة عشر وآثارهم (١٨٧) الأسرة الرابعة  
عشر (١٨٩) الهكسوس (١٩١) حكمهم (١٩٥) ملوكهم (١٩٧) طردهم من  
مصر (١٩٨)

٣٠٤-٢٠٥

## الفصل السابع

## الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشر (٢٠٥) أحمس الأول (٢٠٥) أمنحوتب الأول  
(٢٠٨) الشرق الأدنى في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (٢١٠)  
تحوتمس الأول (٢١٢) تحوتمس الثاني (٢١٣) النزاع بين حتشبسوت  
وتحوتمس الثالث (٢١٤) تحوتمس الثالث (٢١٧) كبار رجال عهده  
(٢٢٣) السنوات الأخيرة من حياته (٢٢٤) أمنحوتب الثاني (٢٢٥)  
تحوتمس الرابع (٢٢٩) أمنحوتب الثالث (٢٣٢) أمنحوتب الرابع (٢٣٧)  
ديانة أتون (٢٤٠) نشيد إخناتون (٢٤٣) عائلة إخناتون (٢٤٨) رسائل تل  
العمارنة (٢٥٢) نهاية ديانة أتون (٢٥٤) توت عنخ آمون (٢٥٩) حور  
محب (٢٦٣) الأسرة التاسعة عشر (٢٦٧) سيتي الأول (٢٦٨) رمسيس  
الثاني (٢٧١) معركة قادش (٢٧٢) عائلة رمسيس الثاني وآثاره (٢٨٠)  
مرنپتاح (منفتاح) (٢٨٢) الأسرة العشرون (٢٩٣) رمسيس الثالث  
(٢٩٣) حرويه (٢٩٤) نظرة عامة في أيام حكمه (٢٩٦) خلفاء رمسيس  
الثالث (٢٩٩) .

٣١٨-٣٠٥

## الفصل الثامن

## العصر المتأخر

الأسرة الحادية والعشرون (٣٠٥) حريحور وعائلته (٣٠٥) رحلة  
ون آمون إلى لبنان (٣٠٦) مقابر صان الحجر (٣٠٩) الأسرة الثانية  
والعشرون (٣١١) أصل ملوكها (٣١١) شاشانق الأول (٣١٣) خلفاء

شاشانق الأول (٣١٥) الأسرة الثالثة والعشرون (٣١٦) الأسرة الرابعة  
والعشرون (٣١٨) .

٣٣٩-٣١٩

### الفصل التاسع

#### اليقظة

الأسرة الخامسة والعشرون (٣١٩) مملكة نيتا وحملة يعنخي  
(٣١٩) بين تاف نخت ويعنخي (٣٢١) خلفاء يعنخي (٣٢٤) الأسرة  
السادسة والعشرون (٣٢٩) طرد الآشوريين من مصر (٣٣٠) نكاو  
الثاني (٣٣٣) خلفاء نكاو الثاني (٣٣٥) واح إب رع (٣٣٥) أحمس  
الثاني (٣٣٧) پسمتيك الثالث (٣٣٨) .

٣٥٠-٣٤١

### الفصل العاشر

#### مد وجنر

الأسرة السابعة والعشرون (٣٤١) دارا بن قمبيز (٣٤٣) خلفاء دارا  
وجهاد المصريين ضد الفرس (٣٤٤) الأسرة الثامنة والعشرون (٣٤٥)  
استقلال مصر (٣٤٥) الملك أمون حر (٣٤٥) الأسرة التاسعة  
والعشرون (٣٤٦) الملك هكر (أكوريس) (٣٤٦) الأسرة الثلاثون (٣٤٧)  
نختنبو الثاني (٣٤٨) الفرس للمرة الثانية في مصر (٣٤٨) الإسكندر  
الأكبر (٣٤٩)

٣٥١	..... خاتمة
٣٥٧	..... بعض المراجع المهمة
٣٧٥	..... فهارس الكتاب

## مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله والحمد لله وبعد :

فهذا كتاب عن مصر الفرعونية ، أحسست منذ وقت غير قصير بالحاجة إليه ،  
وها قد انتهيت منه ، وأقدمه إلى القارئ راجياً أن أكون قد قمت بعملى هذا بأداء جزء  
مما يفرضه على واجبى .

وربما سأل سائل أليست هناك كتب عن تاريخ مصر فى العهد الفرعونى باللغة  
العربية ، وإذا كان هناك شىء منها فما الذى دعا إلى كتابة مؤلف جديد ؟ .. وجوابى  
على ذلك أن هناك أكثر من كتاب واحد ، كتبها أصحابها مشكورين أو قاموا بترجمتها  
عن اللغات الأجنبية مشكورين أيضاً . ولكن القارئ العربى مازال فى حاجة إلى كتب  
أخرى كثيرة تتناول مختلف نواحي الحضارة المصرية وتقدم نتائج أحدث الاكتشافات  
والأبحاث ، وتجلى بعض النقاط الغامضة فى التاريخ المصرى قدر المستطاع .

ويعلم كل مشتغل بالتاريخ أن كتابة تاريخ مطول وجمع كل الوثائق ووضعها  
فى صلب الكتاب ، أسهل كثيراً من كتابة تاريخ مختصر يحوى خلاصة تلك الوثائق  
ويحسن استخدامها . وكان الهدف هو كتابة مؤلف لا يزيد فى حجمه عن أربعمائة  
صفحة من القطع المتوسط يجمع بين دفتيه أهم حوادث التاريخ ويسردها متمشياً مع  
العصور ، وفى الوقت ذاته لا يغفل ذكر الآثار المهمة أو مظاهر الحضارة فى مصر .  
وإنى أعترف أن ذلك لم يكن سهلاً على ، كما أعترف أيضاً بأننى ضحيت بذكر  
الكثير من المعلومات طالما أنها لم تكن ذات أثر جوهري على سير الحضارة أو  
التاريخ .

إنى مدين ، دون شك ، لأساتذتى الذين درست عليهم ومدين لمئات من علماء  
الآثار من جميع الجنسيات الذين نشروا آلاف الكتب والأبحاث فى المائة والخمسين  
سنة الأخيرة ، ومدين لزملائى الذين أمدونى بنصائحهم ، ولكنى مدين أيضاً ، ولأبعد  
الحدود ، لتلاميذى الذين سعدت بإلقاء محاضراتى عليهم ، فإن مناقشاتهم لى ، وفى  
بعض الأحيان اعتراضاتهم أو إقبالهم على معرفة المزيد من بعض النقاط ، كانت دائماً  
خير عون لى ، فإليهم جميعاً أقدم الشكر والاعتراف بالجميل . وإذا كان قارئ هذا  
الكتاب لا يجد بين دفتيه كل ما يريد الوقوف عليه والإلمام به فأرجوه ألا ينسى أن  
لكل كتاب هدفاً ، وأن جوانب الحضارة المصرية متعددة ، وعسى أن يجد ما يبغيه فى

المؤلفات الأخرى التي أشرت إليها أو في المراجع المهمة التي ذكرتها .

وهناك كلمة أخيرة . إن تاريخ مصر طويل ومتشعب ، وكتب فيه الكثيرون ، وبخاصة من غير المصريين ، وكان كل كاتب ينظر إليه من زاوية خاصة متأثراً بثقافته الخاصة ، وشعوره الشخصي . وكثيراً ما نجد في كتابات بعض المؤرخين تحاملاً ليس له ما يبرره على شعوب الشرق وحضارتها ، ومن بينها مصر ، ويذهبون إلى القول بأن تلك الحضارات القديمة قد ، تحجرت ، وانتهت أيامها منذ آلاف السنين ، وأن تلك الأمم قد ضعفت وفقدت استقلالها منذ أن فقدت تلك الحضارات قواها الدافعة ، وأصبحت من نصيب الغزاة الأجانب ، بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فيشكك في أن ساكني هذه البلاد في الوقت الحالي لا ينتمون بأى صلة إلى القدماء . ولست أريد أن أرميهم كلهم بسوء القصد أو التعصب الأعمى ، والتمهيد للاستعمار بإضعاف الروح القومية بين تلك الشعوب ، فربما كان بعضهم مقلداً لغيره دون وعى أو قصد ، ولكن الحقيقة هي غير ما يقولون . وقد آن الأوان لكتابة تاريخ مصر من زاوية أخرى تتفق مع الحق وتتفق مع وجهة النظر المصرية ويجب أن يعرف أبناؤنا تاريخ بلادهم على حقيقته ، ولكن دون تنميق رخيص أو اندفاع مع الشعور .

لقد كانت لمصر حضارة ومدنية منذ فجر التاريخ ، وكان لغيرها من شعوب الشرق حضارات ومدنيات ، وكما أعطت مصر لغيرها أخذت منهم أيضاً ، ولكن بقي لمصر دائماً طابعها الشخصي وبقيت لها مميزات لأنها نشأت وترعرعت في ثرى هذا الوادى الكريم ، وكان لنيلها الفضل الأول عليها . والمصريون اليوم ، وإن اختلفت لغتهم وديانتهم عن لغة وديانة أجدادهم الذين عاشوا في أيام الفراعنة ، أو وفدت عليهم شعوب أخرى امتزجت بهم وتمصرت وأصبحت جزءاً من سكان البلاد ، مازالوا يعيشون حيث عاش أجدادهم وما زالت تجرى في عروقهم دماء الأقدمين .

إن روح مصر لم تمت في يوم من الأيام ، وإن خبت شعلتها يوماً فقد كانت تعود ساطعة مضيئة يوماً آخر .

لقد أثبت المصريون في كل زمان أنهم يدركون قدر أنفسهم ويدركون التبعات التي ألقاها على كاهلهم مركزهم الجغرافى في هذا الجزء من العالم ، وسيرى قارئ هذا الكتاب قصة تاريخ هذا الشعب منذ أقدم عصوره ، وسيدرك من تلقاء نفسه أن مصر لم تخضع يوماً من الأيام لغزو أو استعمار أجنبي وترتضيه ، وإن غلبت على أمرها يوماً من الأيام فلا تلبث إلا حيناً حتى تجد الزعيم الوطنى المخلص الذى يدعوها إلى العمل ويتقدم الصفوف ، فتلبى دعوته وتبدأ عهداً من عهودها

الزاهرة .

وسيرى القارىء أيضاً أنه مهما تقلبت على مصر الأحداث ، أو تعرضت لحلو  
الأيام ومرها فقد ظلت دائماً سليمة العنصر ، وبقي شعبها حياً لأنه جدير بالحياة .  
والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق ،،

**أحمد فخرى**

أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

القاهرة فى ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٥٧

**محرقيان**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**



## مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله وبعد . فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب مصر الفرعونية ، إذ نفذت نسخ الطبعة الأولى منذ عام - أو يزيد - وإنى إذ أقدم لهذه الطبعة الجديدة أرى واجباً على أن أسدى الشكر للكثيرين من تلاميذى الذين أسدوا إلى أياد كثيرة فى نقد بعض ما فيه أو الاستفسار عن نقطة غمض عليهم فهمها أو تنبيهى إلى خطأ مطبعى . لقد أفادنى هؤلاء جميعاً فغيرت فى بعض المواضع بالزيادة أو بالحذف كما أضفت بعض المراجع الجديدة والخرائط ، ولكنى أبقى على أصل الكتاب واتجاهه فى تفسير الحوادث السياسية التى مرت على البلاد دون الدخول فى تفاصيل مطولة عن الآثار أو عن الحضارة فهذه مؤلفاتها الخاصة بها ، كما انتهزت هذه الفرصة فعدلت فى تاريخ بعض الملوك والأسرات حسب ما ظهر من أبحاث جديدة .

وإنى أحمد الله وأشكره على حسن استقبال القراء لهذا الكتاب وأسأله جل شأنه أن يعيننى على القيام بواجبى نحو تاريخ بلادى ، فهو نعم المولى ونعم النصير ،،

**أحمد فخرى**

أستاذ تاريخ مصر الفرعونية والشرق القديم  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

القاهرة فى ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٦٠

**محرقيان**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الابتسامه**

## الأسرات المصرية

عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق :

٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م.

الأسرة الأولى : ٣٢٠٠ - ٢٩٨٠ ق.م.

- ( الملك ) منا - ( حورس ) نعرمر .
- ( الملك ) إتي الأول - ( حورس ) عحا .
- ( الملك ) إتي الثاني - ( حورس ) جر - أكثر من ١٩ سنة .
- ( الملك ) إتي الثالث - ( حورس ) واجيت .
- ( الملك خاستي ) - ( حورس ) دن .
- ( الملك ) مريى با - ( حورس ) عج - إب - أكثر من ٢٠ سنة .
- ( الملك ) إرى - نتر - ( حورس ) سمرخت - ٩ سنوات .
- ( الملك ) قاع سنى - ( حورس ) قا - ع .
- الأسرة الثانية : ٢٩٨٠ - ٢٨٨٠ ق.م.

- ( الملك ) حوتپ - ( حورس ) حتپ - سخموى .
- ( الملك ) نوب - نفر - ( حورس ) رع . نب .
- ( الملك ) نى - نتر - ( حورس ) نى - نتر أكثر من ٢٢ سنة
- ( الملك ) ونج ١٩ سنة .
- ( الملك ) پرى - إب - سن ( ست ) پرى - إب - سن
- ( حورس ) خع سخم .
- ( الملك ) حتپ - نبوى - إمف ( حورس وست ) خع سخموى .
- ١٧ سنة .

الدولة القديمة : ( الأسرات ٣ - ٦ )

٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م.

### الأسرة الثالثة : ٢٧٨٠ - ٢٦٨٠ ق.م.

- ( الملك ) زوسر الأول - ( حورس ) إرى خت نتر - ١٩ سنة .
- ( حورس ) سخم خت .
- ( الملك ) زوسر الثانى - ( حورس ) سانخت .
- ( الملك ) تتى ( ؟ ) - ( حورس ) خع با .
- ( الملك ) نب كاوو
- ( الملك ) حونى

حكم ٢٤ سنة

### الأسرة الرابعة : ٢٦٨٠ - ٢٦٥٠ ق.م.

- سنفرو
- خوفو ، خنوم خوفوى ، ( كيوبس ) ٢٣ سنة .
- جدف - رع
- خفرع ( خفرن )
- ..... ( حور ددف ؟ )
- ..... ( با - أف - رع ؟ )
- منكاورع
- شيسكاف
- ..... ( جدف - بتاح ؟ )
- سنتان ( ؟ )

٨ سنوات .

٢٥ - ٢٩ سنة .

١ - ٥ سنوات .

١ - ٥ سنوات .

٢١ - ٢٨ سنة .

٤ سنوات

### الأسرة الخامسة : ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق.م.

- أوسركاف
- ساحورع
- نفر إركارع
- شيسكارع
- نفر - رع
- نى - وسر - رع
- ٧ سنوات .
- ١٤ سنة .
- ١٢ ( ؟ ) سنة .
- ٧ سنوات .
- ٤ ( ؟ ) سنوات
- أكثر من ٣٠ سنة - ٣٢ ( ؟ )

منكاو حور ٨ سنوات .  
جد كارع ( إسيى ) ٢٨ سنة .  
أوناس ( ون - إس ) ٣٠ سنة .  
الأسرة السادسة : ٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق.م .

تتى ١٢ (؟) سنة .  
أوسر كارع ٤ (؟) سنوات .  
پى الأول ٢٥ سنة .  
مرنرع (مرى - إن - رع ) الأول ١٠ سنوات .  
پى الثانى ٩٤ سنة .  
مرنرع الثانى سنة واحدة .  
منكاورع - نيت إقرتى ( نيتو كريس ) سنتان .

عصر الفترة الأولى : ( الأسرات ٧ - ١٠ ) :  
٢٢٨٠ - ٢٠٥٢ ق.م .

الأسرة السابعة : ٢٢٨٠ ق.م . سبعون ملكاً حكموا سبعين يوماً حسب رواية  
مانيتون .

الأسرة الثامنة : ٢٢٨٠ - ٢٢٤٢ ق.م . ( حسب ترتيب هيز لملوك هذه الأسرة )  
نفر كارع ( الأصغر ) ٤ سنوات وشهران

نفر كارع - نبى  
جد كارع - شماى  
نفر كارع - خندو  
مرى - ان - حور  
نفر - كا - مين  
نى - كا - رع  
نفر - كا - رع - تررو

سنتان وشهر

- نفر - كا - حور  
 نفر كارع - ببي سنب  
 نفر - كا - مين - عنو  
 قا كارع - إبي  
 واچ - كا - رع  
 نفر كا حور ( حورس ) نترى - باوو  
 نفر إر كا رع ( حورس ) دمچ - إب - تاوى  
 الأسرة التاسعة : ٢٢٤٢ - ٢١٣٣ ق.م.  
 أختوى الأول - مرى - إب - رع  
 .....  
 نفر كا رع  
 أختوى الثانى  
 ستوت  
 أختوى الثالث  
 مرى .....  
 شد .....  
 ح .....  
 .....  
 الأسرة العاشرة : ٢١٣٣ - ٢٠٥٢ ق.م.  
 مرى حتحور (؟)



نفر كا رع  
أختوى الرابع - واح كا رع  
مرى كا رع  
أختوى الخامس - نب كا رع

وهناك أربعة ملوك آخرون لا يمكن التأكد من مكان أى واحد منهم فى أى أسرة من هذه الأسرات الثلاث وهم ، إتى ، وقد عثر على نقش له فى وادى الحمامات و ، إيمحوتب ، وعثر على اسمه فى وادى الحمامات أيضاً و ، سخم كارع ، وقد ورد اسمه فى بردية عثر عليها فى ألفنتين وملك رابع وهو جسر - نوب (؟) وقد ورد اسمه فى نقش من عصر الرعامسة عثر عليه فى سقارة .

### الدولة الوسطى - ( الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة )

٢١٣٤ - ١٧٧٨ ق.م.

الأسرة الحادية عشرة : ٢١٣٤ - ١٩٩١ ق.م.

- إنيوتف ( أنتف ) الأول ( سهر تاوى ) ( ٢١٣٤ - ٢١٣١ ) .
- إنيوتف الثانى ( واح - عنخ ) ( ٢١٣١ - ٢٠٨٢ ) .
- إنيوتف الثالث ( نخت نب تپى نفر ) ( ٢٠٨٢ - ٢٠٧٩ ) .
- مونتوحتب الأول ( سعنخ - إب - تاوى ) ( ٢٠٧٩ - ٢٠٦١ ) .
- مونتوحتب الثانى ( نب - حپت - رع ) ( ٢٠٦١ - ٢٠١٠ ) .
- مونتوحتب الثالث ( سعنخ - كارع ) ( ٢٠١٠ - ١٩٩٨ ) .
- سنوسرت وآخرون ( ١٩٩٨ - ١٩٩٣ ) .
- مونتوحتب الرابع ( ١٩٩٣ - ١٩٩١ ) .

الأسرة الثانية عشرة : ١٩٩١ - ١٧٧٨ ق.م.

- أمنمحات الأول ( سحتب - إب - رع ) ( ١٩٩١ - ١٩٦٢ ) .
- سنوسرت الأول ( خپر - كا - رع ) ( ١٩٧٢ - ١٩٢٨ ) .
- ( منها ١٠ سنوات حكمها شريكاً فى الملك مع أبيه ) .

( ١٨٩٥ - ١٩٣٠ )	أمنمحات الثانى ( نوب - كارع )
( ١٨٧٩ - ١٨٩٨ )	سنوسرت الثانى ( خع - خپر - رع )
( ١٨٤١ - ١٨٧٩ )	سنوسرت الثالث ( خع - كا - رع )
( ١٧٩٢ - ١٨٤١ )	أمنمحات الثالث ( نى - ماعت - رع )
( ١٧٨٢ - ١٧٩٢ )	أمنمحات الرابع ( ماعت - خرو - رع )
( ١٧٧٨ - ١٧٨٢ )	سويك نفرو ( سويك - كا - رع )

### عصر الفترة الثانية - ( الأسرات ١٣ - ١٧ )

١٧٧٨ - ١٥٧٠ ق.م.

الأسرة الثالثة عشرة : ١٧٧٨ - ١٦٢٥ ق.م. عاصمتها طيبة ويعرف من أسماء ملوكها ما يقرب من ستين ملكاً اختار منهم هيز الملوك الآتية أسماؤهم من حكم منهم:

- (١) سويك حوتب الأول ( سخم - رع ، خوتاوى أمنمحات )  
وقد حكم أكثر من خمس سنوات .
- (٢) أمنمحات سنبف ( سخم كارع ) حكم أكثر من ٣ سنوات .
- (٤) أمنمحات ( سحتب إب رع ) سنة واحدة .
- (٦) أمنمحات ( سعنخ إب - رع ، أمونى إنيوتف ) .
- (١١) سويك حوتب الثانى بن منتوحوتب أكثر من سنتين .
- (١٣) حور ( إوا - إب - رع ) ٩ شهور .
- (١٤) أمنمحات ( سچفا - كا - رع - كاي ) .
- (١٥) وجاف ( خو - تاوى - رع ) سنتان وأربعة شهور .
- سنوسرت الرابع ( سنفر - إب - رع ) .
- (١٦) خنچر الأول ( وسر - كا - رع ) أكثر من ٤ سنوات .
- (١٧) سمنخ كارع أكثر من ٣ سنوات .
- (١٨) نقر كارع

- (١٩) ؟ خنجر الثاني ( نى خع نى ماعت رع ) .  
 (٢٠) سوبك حوتب الثالث ( سخم - رع - سواز - تاوى )  
 ٣ سنوات وشهرين .  
 (٢١) نفر حوتب ( خع - سخم - رع ) ١١ سنة .  
 ( حوالى ١٧٤٠ - ١٧٢٩ ق.م. ) .  
 (٢٣) سوبك حوتب الرابع ( خع - نفر - رع ) .  
 (٢٤) سوبك حوتب الخامس ( خع - حوتب - رع ) ٥ سنوات وتسعة شهور .  
 (٢٥) أيع - إيبى ( واح - إب - رع ) ١٠ سنوات وتسعة شهور .  
 (٢٦) إيبى ( مر - نفر - رع ) ١٣ سنة وتسعة شهور .  
 (٣٦) دودى - مس الأول ( جد - نفر - رع ) حوالى عام ١٦٧٥ ق.م.

نب جد رع

نفر عنخ رع

نفر خپر رع

(٥٢) نحسى

(٥٤) نب - فاو - رع سنة وخمسة شهور .

الأسرة الرابعة عشرة : ( عاصمتها فى سخا ) ١٧٧٨ - ١٩٥٤ ق.م. وعدد ملوكها ٧٦ ملكاً حكموا ١٨٤ سنة كما ذكر الأفريقى فيما نقله عن تاريخ مانيتون وذكرت بردية تورين ٧٢ من أسمائهم .

الأسرة الخامسة عشرة : ١٦٧٥ - ١٥٦٧ ق.م. الهكسوس

ششى ( مع - إب - رع ) ٣ سنوات .

يعقوب - هر ( مر - وسر - رع ) ٨ سنوات .

خيان ( سا - أوسر - ان - رع ) .

إيبى الأول ، أبو فيس ، ( عا - أوسر - رع ) أكثر من أربعين سنة .

إيبى الثانى ( عا - قنن - رع ) .

خامودى ( عا - سح - رع ) .

الأسرة السادسة عشرة : ١٦٧٠ (؟) - ١٥٦٧ ق.م. الهكسوس .

عنت - هر

سمقن

خع - أوسر - رع

عا - حوتب - رع

سخم - أن - رع

عامو

إيبى الثالث (؟) ( نب - خبش - رع ) .

الأسرة السابعة عشرة : ١٦٦٠ (؟) - ١٩٥٧ ق.م. الأسرة الطيبة

رع - حوتب ( سخم رع - واح - خاعو ) .

إنيوتف الخامس ( سخم رع - وب - ماعت ) ٣ سنوات .

إنيوتف السادس ( سخم رع - حرو - حر - ماعت ) أقل من سنة .

سوبك أم ساف الثانى ( سخم رع - شد تاوى ) ١٦ سنة .

تحتى ( سخم رع - سمن - تاوى ) سنة واحدة .

مونتوحتب الخامس ( سعنخ - إن - رع ) سنة واحدة .

نب - إرى - إر - أوت الأول ( سواچ - إن - رع ) ٦ سنوات .

نب - إرى - إر - أوت الثانى ( نفر كارع ) (؟) أقل من سنة .

سمن - نفر - رع

سا - أوسر - إن - رع ١٢ سنة .

شد واست ( سخم رع )

(ربما كان حكمهم بين ١٦١٠ - ١٥٦٧ ق.م. ) .

إنيوتف السابع أكثر من ٣ سنوات .

سنخت - إن - رع

سقننرع ( تاعا الأول - الأكبر ، )

سقننرع ( تاعا الثاني - الشجاع ، )

كامس ( واچ - خپر - رع )

### الدولة الحديثة : (الأسرات ١٨ - ٢٠ )

١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م.

#### الأسرة الثامنة عشرة : ١٥٧٠ - ١٣٠٤ ق.م.

أحمس الأول ( نب - پحتى - رع ) ( ١٥٧٠ - ١٥٤٦ )

أمنحوتب الأول ( چسر - كا - رع ) ( ١٥٤٦ - ١٥٢٥ )

تحوتمس الأول ( عا - خپر - كا - رع ) ( ١٥٢٥ - ١٤٩٥ )

تحوتمس الثاني ( عا - خپر - إن - رع ) ( ١٤٩٥ - ١٤٩٠ )

حتشپسوت ( ماعت - كا - رع ) ( ١٤٩٠ - ١٤٦٩ )

تحوتمس الثالث ( من - خپر - رع ) ( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ )

أمنحوتب الثاني ( عا - خپرو - رع ) ( ١٤٣٦ - ١٤١١ )

تحوتمس الرابع ( من - خپرو - رع ) ( ١٤١١ - ١٣٩٧ )

أمنحوتب الثالث ( نب - ماعت - رع ) ( ١٣٩٧ - ١٣٦٠ )

أمنحوتب الرابع - إخناتون ( نفر - خپرو - رع ) ( ١٣٧٠ - ١٣٤٩ )

سمنخ كارع ( عنخ - خپرو - رع ) ( ١٣٥١ - ١٣٤٨ )

توت عنخ أمون ( نب - خپرو - رع ) ( ١٣٤٨ - ١٣٣٧ )

آى ( خپر - خپرو - رع ) ( ١٣٣٧ - ١٣٣٤ )

حور محب ( چسر - خپرو - رع ) ( ١٣٣٤ - ١٣٠٤ )

#### الأسرة التاسعة عشرة : ١٣٠٤ - ١٣٠٣ ق.م.

رمسيس الأول ( من - پحتى - رع ) ( ١٣٠٤ - ١٣٠٣ )

- سبتي الأول ( من - ماعت - رع ) ( ١٢٩٠ - ١٣٠٣ )  
 رمسيس الثاني ( أوسر - ماعت - رع ) ( ١٢٢٣ - ١٢٩٠ )  
 منفتاح ، مري - إن - پتاح ، ( با - إن - رع ) ( ١٢١١ - ١٢٢٣ )  
 أمون مس - سي ( من - مي - رع ) ( ١٢٠٧ - ١٢١١ )  
 سبتي الثاني ( أوسر خپرو - رع ) ( ١٢٠٢ - ١٢٠٧ )  
 تا - وسرت ( سبت - رع ، مريت - أمون ) ( ١١٩٥ - ١٢٠٢ )  
 سي - پتاح ( آخ - ان - رع ، مري - إن پتاح ) ( ١١٩٥ - ١٢٠٢ )  
**الأسرة العشرون : ١١٩٥ - ١٠٨٠ ق.م.**  
 ست نخت ( أوسر - خعو - رع ) ( ١١٩٢ - ١١٩٥ )  
 رمسيس الثالث ( أوسر - ماعت - رع : مري - أمون )  
 ( ١١٦٠ - ١١٩٢ )  
 رمسيس الرابع ( خف - ماعت - رع ) ( ١١٤٥ - ١١٦٠ )  
 رمسيس الخامس ( أوسر - ماعت - رع : سخپر - إن - رع )  
 ( ١١٥٠ - ١١٥٤ )  
 رمسيس السادس ( نب - ماعت - رع ) ( ١١٤٥ - ١١٥٠ )  
 رمسيس السابع ( أوسر - ماعت - رع : آخ - إن - أمون )  
 ( ١١٤٤ - ١١٤٥ )  
 رمسيس الثامن ( أوسر - ماعت - رع : مري - أمون )  
 ( ١١٣٧ - ١١٤٤ )  
 رمسيس التاسع ( نفر - كا - رع ) ( ١١١٨ - ١١٣٧ )  
 رمسيس العاشر ( خپر - ماعت - رع ) ( ١١١٠ - ١١١٨ )  
 رمسيس الحادي عشر ( من - ماعت - رع : ستپ - ان - پتاح )  
 ( ١٠٨٠ - ١١١٠ )



العصر المتأخر : ( الأسرات ٢١ - ٣٠ )

١٠٨٥ - ٣٣٢ ق.م.

الأسرة الواحدة والعشرون : ١٠٨٥ - ٩٥٠ ق.م.

سمندس ( نسو بانب جدت ) فى تانىس حريحور ..... فى طيبة

( ١٠٨٥ - ١٠٥٤ )

بسوسينيس ( پاسبا خع ان نيوت ) فى تانىس بينزم .... فى طيبة

( ١٠٥٤ - ١٠٠٩ )

أمنماؤيت ( فى تانىس )

( ١٠٠٩ - ١٠٠٠ )

س - أمون ( فى تانىس )

( ١٠٠٠ - ٩٨٤ )

بسوسينيس الثانى ( فى تانىس )

( ٩٨٤ - ٩٥٠ )

الأسرة الثانية والعشرون : ٩٥٠ - ٧٣٠ ق.م.

شاشانق الأول

( ٩٥٠ - ٩٢٩ )

أوسوركون الأول

( ٩٢٩ - ٨٩٣ )

تكوت الأول

( ٨٩٣ - ٨٧٠ )

أوسوركون الثانى

( ٨٧٠ - ٨٤١ )

شاشانق الثانى

( ٨٤١ - ٨٤٧ )

شاشانق الثالث

( ٨٢٣ - ٧٧٢ )

پامو

( ٧٧٢ - ٧٦٧ )

شاشانق الخامس

( ٧٦٧ - ٧٣٠ )

الأسرة الثالثة والعشرون : ٨١٧ (؟) - ٧٣٠ ق.م. ( تن بسطة )

پدى باست

( ٨١٧ (؟) - ٨٦٣ (؟) )

شاشانق الرابع

( ٧٦٣ (؟) - ٧٥٧ (؟) )

أوسوركون الثالث

( ٧٥٧ (؟) - ٧٤٨ (؟) )

تكوت الثالث

( ٧٤٨ (؟) - ٧٣٠ )

- أمون رود ( ٧٤٨ (؟) - ٧٣٠ )
- أوسوركون الرابع ( ٧٤٨ (؟) - ٧٣٠ )
- الأسرة الرابعة والعشرون : ٧٣٠ - ٧١٥ ق.م. ( صا الحجر )
- تف نخت ( ٧٣٠ - ٧٢٠ )
- بكوريس ( باك إن رنف ) ( ٧٢٠ - ٧١٥ )
- الأسرة الخامسة والعشرون : ٧٥١ - ٦٥٦ ق.م. ( الأسرة الكوشية )
- بعنخى ( ٧٥١ - ٧١٦ )
- شاباكا ( ٧١٦ - ٧٠١ )
- طهرقا ( ٦٨٩ - ٦٦٣ )
- شبتاكا ( ٧٠١ - ٦٨٩ )
- تانوت أمانى ( ٦٦٣ - ٦٥٦ )
- الأسرة السادسة والعشرون : ٦٥٦ - ٥٢٥ ق.م.
- پسمتك الأول ( ٦٦٣ - ٦٠٩ )
- نكاو ( ٦٠٩ - ٥٩٤ )
- پسمتك الثانى ( ٥٩٤ - ٥٨٨ )
- پوريس ( واح إب رع ) ( ٥٨٨ - ٥٦٨ )
- أحمس الثانى ( أمازيس ) ( ٥٦٨ - ٥٢٦ )
- پسمتك الثالث ( ٥٢٦ - ٥٢٥ )
- الأسرة السابعة والعشرون : ٥٢٥ - ٤٠٤ ق.م.
- قمبیز ( ٥٢٥ - ٥٢٢ )
- دارا الأول ( داريوس ) ( ٥٢٢ - ٤٨٥ )
- خشیارشا ( كسرکسیس ) ( ٤٨٥ - ٤٦٤ )
- أرتخشاشا ( ارتکسرکسیس ) ( ٤٦٤ - ٤٢٤ )
- دارا الثانى ( ٤٢٤ - ٤٠٤ )

الأسرة الثامنة والعشرون : ٤٠٤ - ٣٩٨ ق.م.

أمون حر ( أميرتايوس ) ( ٣٩٨ - ٤٠٤ )

الأسرة التاسعة والعشرون : ٣٩٨ - ٣٧٨ ق.م.

نفريتس الأول ( نايف عارود ) ( ٣٩٨ - ٣٩٢ )

هكر ( أكوريس ) ( ٣٩٢ - ٣٨٠ )

پى ساموت ( پساموتيس ) ( ٣٨٠ - ٣٧٩ )

نفريتس الثانى ( نايف عارود ) ( ٣٧٩ - ٣٧٨ )

الأسرة الثلاثون : ٣٧٨ - ٣٤١ ق.م.

نختنبو الثانى ( نخت حر حب ) ( ٣٥٩ - ٣٤١ )

الغزو الفارسى الثانى : ٣٤١ - ٣٣٢ ق.م.

( ويطلق بعض المؤرخين على هذه الفترة اسم الأسرة الحادية والثلاثين )

أرتخشاشا ( أرتكسر كسيس ) الثالث ، أوخوس ، ( ٣٤١ - ٣٣٨ )

أرسيس ( ٣٣٨ - ٣٣٥ )

دارا الثالث فى مصر ( ٣٣٥ - ٣٣٢ )

الإسكندر الأكبر فى مصر : ٣٣٢

العصر البطلمى : ٣٣٢ - ٣٠ ق.م.

العصر الرومانى : ٣٠ ق.م. - ٣٩٥ ميلادية

العصر البيزنطى : ٣٩٥ - ٦٣٨ ميلادية

الفتح العربى : ٦٤٠ ميلادية

**محرقات**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**

### \*\*\* الفصل الأول \*\*\*

## مولد الحضارة ونشأتها

طبيعة أرض مصر - أقدم العصور والحضارات - أهم المصادر

لدراسة تاريخ مصر الفرعونية

( منذ أقدم العصور حتى بدء الأسرة الأولى حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م. )

عند ملتقى آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وحيث يتصل البحران الأبيض والأحمر  
يجرى نهر النيل ، ذلك النهر الكريم الوهاب ، وعلى شاطئيه يعيش المصريون منذ  
آلاف السنين يزرعون الأرض الخصبة المباركة .

ومن آلاف السنين أيضاً بدأ المصريون يخطون نحو المدنية ، وكانت خطاهم  
وثيدة في البداية ، ثم أخذوا يسرعون في تلك الخطى وكونوا حضارة هي ما نسميه  
الحضارة المصرية التى نشأت وترعرعت في وادى النيل ، ولم يقتصر خيرها على  
المصريين وحدهم بل كان لها فضل غير قليل على من اتصل بالمصريين من  
الشعوب . ومن الخطأ أن يعتقد إنسان أن المصريين عاشوا في وحدة ولم يتصلوا  
بغيرهم ، أو أنهم لم يتأثروا بمن كان يعيش في ذلك الحين من شعوب الشرق القديم ،  
ولكن ذلك الاتصال كان محدود الأثر . ويمكننا أن نتتبع تطور تلك الحضارة على  
مدى الأجيال ، ولكن قبل أن نتكلم عن تاريخ مصر الفرعونية وحضارة المصريين  
القدماء منذ أقدم العصور يحسن بنا أن نقف قليلاً لنلم ببعض ما يجب الإلمام به عن  
طبيعة وادى النيل ، وبخاصة الجزء الأسفل منه ، وهو ما يسمى بأرض مصر .

**طبيعة أرض مصر :**

يرتبط تاريخ أى شعب إرتباطاً كبيراً بطبيعة أرضه ، ولهذا وجب علينا أن نلقى  
نظرة على طبيعة الأرض المصرية لنعرف مدى أثرها على حضارة تلك البلاد ، إذ  
أن لطبيعة الأرض أثراً عظيماً على تطور حضارتها ، بل أن هذا الأثر ما زال مستمراً  
إلى يومنا هذا ، وله وزن كبير في تطور أحداثها التاريخية .

وإذا ألقينا نظرة على خريطة الإقليم المصرى في الجمهورية العربية المتحدة  
لوجدنا أن مصر تتكون من سبع مناطق جغرافية وهي (١) :

---

(١) كان تأليف هذا الكتاب في فترة قيام الجمهورية العربية المتحدة وهذه البيانات تعبر عن هذه الفترة .

- ١ - وادى النيل ، بما فيه الدلتا والصعيد .
- ٢ - محافظة الفيوم .
- ٣ - منطقة قنال السويس .
- ٤ - الصحراء الغربية
- ٥ - الصحراء الشرقية .
- ٦ - شبه جزيرة سيناء
- ٧ - جزر البحر الأحمر .

ومجموع مساحتها كلها حوالى مليون كيلو متر مربع ، منها ٣٧,٠٠٠ كيلو متر مربع تقريباً ، هى الوادى الأهل بالسكان ، أما الباقي فهو صحارى ، وبعبارة أخرى لا تزيد مساحة الجزء العامر من الأراضى المصرية عن ٤٪ من مساحة مصر ، أما الباقي فهو صحارى تكاد تكون خالية من الزراعة .

ويسكن ٩٩٪ من المصريين الذين يبلغ عددهم زهاء خمسة وعشرين مليوناً فى هذا الجزء البسيط من الجمهورية أى بمعدل أكثر من ٧٠٠ شخص للكيلو متر المربع الواحد بينما لا يسكن فى الجزء الباقي وهو ٩٦٪ من مجموعة المساحة أكثر من ١٣٠,٠٠٠ أى أن متوسط السكان فى الصحراء هو أكثر من سبعة كيلو مترات مربعة للشخص الواحد .

ولهذا يسهل علينا أن نفهم قيمة نهر النيل لمصر ، إذ لولا وجوده لكانت تلك الأراضى المزروعة التى يعيش فيها أكثر السكان ، صحراء مثل تلك التى على يمينها وعلى يسارها ، والتى تمتد من المحيط الأطلسى حتى بلاد العرب ؛ لأن هذه المنطقة أصبحت الآن ( أى خلال الستة آلاف سنة الأخيرة ) قليلة الأمطار ولا يزيد متوسط كمية الأمطار فى بعض جهات شاطئ البحر الأبيض عن ٢٠ سنتيمتراً فى السنة ، وفى القاهرة ٣ سم وفى أسيوط نصف سنتيمتر ، أى أنه لا يمكن أن تكفى لزراعة أى محصول بعيداً عن الشاطئ ، إذا كان الاعتماد على المطر وحده .

وطول الإقليم المصرى من الشمال إلى الجنوب ١٠٧٣ كيلو متراً ، وعرضه ١٢٢٦ كيلو متراً ، أى أن مساحة مصر تزيد على مساحة أى دولة فى أوربا ما عدا الاتحاد السوفيتى ، ولكن الصحراء تكون الجزء الأكبر منها كما سبق القول .

ويشق النيل طريقه فى واديه ، فيسير بين هضبتين يختلف اتساع الوادى بينهما من آن لآخر ( طول وادى النيل بأكمله ٦٦٧١ كيلو متراً منها ١٥٣٠ فى الأراضى المصرية ) ، وهذا الوادى ضيق جداً بين الشلال الثانى وأسوان وعلى جانبيه بعض الصخور الجرانيتية ، ولكنه يبدأ فى الاتساع بعد ذلك . ويضيق أحياناً أخرى ، هو فى المتوسط ١٠ كيلو مترات منها ٤/٣ كيلو متر للنيل نفسه ، أما الدلتا فهى مكونة من

طمي النيل ، وتخلو من الجبال ومسطحها نحو ٢٢,٠٠٠ كيلو متر مربع ولا تزيد مساحة المزروع منها عن النصف إلا قليلا .

### العصور الجيولوجية :

ومرت على مصر عصور جيولوجية متعددة قبل أن تصبح أهلة بسكانها . ففي عصر الإيوسين (Eocene) كانت تصل مياه البحر الأبيض المتوسط إلى جنوبى إسنا ، ثم حدث ارتفاع فى الأرضى فى عصر الأوليجوسين (Oligocene) أدى الى ظهور أكثر القطر المصرى .

وفى عصر الميوسين (Miocene) كان النيل قد إتخذ مجراه الحالى تقريبا واتصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر ، ولكن لم يأت آخر هذا العصر حتى انفصل البحران مرة أخرى عن بعضهما .

كان اتصال النيل بالبحر الأبيض المتوسط عند موقع القاهرة تقريبا ، وكانت له عدة روافد فى الصحراء الشرقية لم يبق منها غير أثر مجاريها فى الوديان هناك .

وفى عصر البليوسين (Pliocene) حدثت هزة أرضية كبرى أعادت اتصال البحر الأحمر بالبحر الأبيض . ولكن هذا الاتصال كان بوساطة جزء ضيق وهو الذىبقى منه فى العصور التاريخية خليج السويس . وبعض البحيرات .

وأخذ النيل يلقي برواسبه فى الفجوة التى كان يصب فيها ، وكون لنفسه فى تلك الأرضى الجديدة نحو عشرة فروع .

لم يأت العصر الباليوليتى على مصر (Paleolithic) حتى كانت روافد النيل فى الصحراء الشرقية قد جفت ، وانفصم خليج السويس عن البحر الأبيض وانكمش خليج العقبة إلى ما يقرب من شكله الحالى ، مع أن نهايته كانت عند منخفض البحر الميت فى فلسطين ، وظهرت أيضاً محافظة الفيوم إذ سار فرع من النيل إلى ذلك المنخفض الشبيه بالواحة ، وعادت عوامل الطبيعة فجفت فرعا للنيل كان يسير فى الصحراء الغربية منذ عصر الميوسين وبقي حتى نهاية عصر البليوسين .

أما النيل بنفسه ، فكان فى البداية سريع المجرى ويملاً الوادى أثناء الفيضان ولكنه أخذ يعمق مجراه مع مرور الزمن ، كما أخذت تقل كمية الأمطار ، فأخذ عرضه يقل تبعا لذلك وكون مدرجات على مدى العصور . وعاش الإنسان القديم فوق تلك المدرجات ، وترك بعض أدواته الظرائية ( الصوانية ) فوق الهضاب ثم أخذ ينزل تدريجياً ليكون على مقربة من النهر كلما تقدم به الزمن وعمق النهر مجراه .

### عصر ما قبل التاريخ :

كان السكان الذين يعيشون على مقربة من نهر النيل يعتمدون على الصيد ، وكذلك فعل الذين كانوا يعيشون في الصحراء معتمدين على نزول الأمطار التي كانت تملأ بعض المنخفضات فتحيلها إلى بحيرات ، تنبت حولها الأشجار والأحراش ، وتغذيها مياه الأمطار التي تنزل فيها ومجاري الوديان المختلفة التي تصب في تلك المنخفضات .

وكثيراً ما يعثر الباحثون على أدوات ظرانية وأخشاب متحجرة داخل الصحراء ، ولكن لم يصل إلى أيدي العلماء حتى الآن أى عظام أو بقايا أخرى من ذلك الإنسان الذي عاش في العصر الحجري في تلك المناطق أو على جانبي النيل . ولهذا نعتمد فقط على تلك الأدوات الحجرية عند الكتابة عن هؤلاء السكان ومقارنة حضارتهم بحضارة غيرهم من الشعوب .

كان المصري في ذلك الوقت جامعاً للقوت يحصل على حاجته مما يجده من ثمار الأشجار ومما يستطيع أن يصطاده من أسماك النهر والبحيرات ، أو من الطيور وصغار الحيوانات . ومثل هذه الحياة تستلزم التنقل الدائم ، ولا تحتاج إلى ضرورة إقامة العائلات على مقربة من بعضها ، كما أنها لا تحتاج إلى أثاث ثقيل يحمله الإنسان معه .

وجاء اليوم الذى عرف فيه الإنسان أنه يستطيع أن يستنبت بعض حبوب النباتات البرية ويحصل منها على كميات كبيرة بعد زرعها ، وبعبارة أخرى أخذ المصري يتحول تدريجياً من جامع للقوت إلى منتج له ، فأجبرته الزراعة على الإقامة في مكان معين ليرعى حقله وليحصل على ثماره ، كما بدأ الإنسان يستأنس الحيوانات أيضاً ، ويبنى له مستقراً يأوى إليه ويضع فيه محصوله ، كما بدأ أيضاً يصنع من بعض النباتات ومن الطين أوان لحفظ حاجياته . وعندما وصل الإنسان إلى هذه المرحلة ، أى بعد ترك اعتماده على حياة الصيد وجمع القوت اعتماداً كاملاً ، أخذ يودع حياة العصر الحجري القديم ، وأخذ يبدأ العصر الحجري المتوسط الذى حسن فيه الإنسان بعض أدواته وأخذ يرتقى قليلاً قليلاً في مدارج المدنية ، وبدأ يتحلى ببعض أدوات الزينة ، وما جاء العصر النيوليتى أو العصر الحجري الحديث حتى كان هذا الإنسان يعيش في قرى صغيرة ، وعرف الملابس وبدأ يدفن موتاه في قبور ، وبدأ يصنع بعض التماثيل وأدوات الزينة .

ومن بين أقدم الحضارات التي عثر عليها العلماء في وادي النيل بوجه عام



حضارة الخرطوم التي يرجع تاريخها إلى ما بين عامي ٥٠٠٠ ، ٤٧٠٠ ق.م. وقد ظهرت بقاياها أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهي حضارة لا شك في صلتها بحضارة شمال الوادي ولكنها كانت متأثرة بطابع محلي أملت صلة السكان بغيرهم ممن كانوا يعيشون إلى الجنوب منهم . وكان سكان الخرطوم القدماء على درجة من التقدم جعلتهم يصنعون أدوات مختلفة من الحجر ومن العظم ، ويتحلون بالخرز والعقود المصنوعة من بيض النعام . وعرفوا صناعة الفخار وزخرفته بوساطة أجزاء من السلسلة الفقرية لبعض الأسماك تشبه المشط يديرونه حول الإناء قبل أن يجف ، كما كانوا يزخرفون الأواني بوساطة الحبال أو أصابع اليد ، وكان هؤلاء السكان يعيشون على مرتفع غير بعيد من النهر يقضون فيه جزءاً من السنة فقط .

وليس لدينا دليل قاطع على أنهم مارسوا الزراعة رغم معرفتهم للفخار الذي يلزم الناس عندما يتحولون إلى الزراعة ويصبحون منتجين للقوت .

وهناك وجوه شبه عدة بين فخار الخرطوم وفخار البداري وما عثر عليه المنقبون في النوبة وفي غربي السودان مما يدل على انتشار ثقافة واحدة في جزء كبير من هذا الجزء من العالم في ذلك العهد .<sup>(١)</sup>

وتسمى الفترة بين بداية العصر النيوليتي ( أي العصر الحجري الحديث ) وبين ظهور الأسرات في مصر ، وتقرب من ألفي سنة ، العصر الحجري النحاسي ( Chal- lithic Period ) أحياناً ، ويعنيها منها في هذه المرحلة ما كان في مصر قبل عام ٤٠٠٠ ق.م. ونستطيع أن نقول إنه كان لكل من حضارتى الدلتا والصعيد مميزات خاصة ، ففي الدلتا تأثرت الحضارة بما كان في شرقي مصر وغربها لاتصالها بأهل فلسطين وسورية وجزر البحر الأبيض المتوسط من ناحية وبشمالي إفريقيا من ناحية أخرى . أما في الصعيد فقد اتصلت عن طريق الشرق أي عن طريق البحر الأحمر ببعض الثقافات الأخرى الحامية والسامية كما اتصلت أيضاً بالشعوب التي كانت إلى جنوبي مصر .

وأقدم حضارات الشمال ( أي الدلتا ) هي حضارة الفيوم التي كانت لقوم ربما نزحوا من الغرب واستقروا على حافة البحيرة ، ثم تليها حضارة مرمدة وكلاهما كان قبل عام ٤٠٠٠ ق.م. ثم تلتها بعد ذلك حضارة جرزة ثم المعادي ، أما الصعيد فإن

ARKELL. Early Khartoum (Oxford, 1919)

(١)

وانظر أيضاً تلخيصاً ونقداً لهذا المؤلف نشره مؤلف هذا الكتاب في المجلة التاريخية المصرية

عدد مايو ١٩٤٩ ص ٢٠٧ - ٢١٥ .

أقدم الحضارات هي حضارة تاسا ثم البدارى وبعدها حضارة العمرة (١) . وكفىنا أن نتكلم على مميزات حضارتى مرمدة فى غربى الدلتا والبدارى فى محافظة أسيوط لأنهما تمثلان بوجه عام مصر وجنوبيها .

### حضارة مرمدة :

عثر الأستاذ هرمان يونكر على هذه الحضارة فى عام ١٩٢٨ ، ولم ينشر حتى الآن مؤلفه الكامل عنها ، وكل ما نعرفه مستمد من تقاريره السنوية التى نشرها بين أعوام ١٩٢٩ ، ١٩٤٠ وهذه المنطقة هي بقايا قرية نيوليتية على حافة الدلتا الغربية ، لا يزيد حجمها على ستة أفدنة (٦٠٠ × ٤٠٠ متر) ، شيد أهلها أكواخهم المبنية بالطين على جانبى طريق رئيسى مستقيم .

وقد ثبت أن سكان مرمدة كانوا يعرفون الزراعة وكانوا متعاونين فيما بينهم ويخزنون غلاتهم فى صوامع مشتركة لهم جميعاً ، وكان لديهم قطعان من الماشية والخنازير وقليل من الماعز والخراف .

واستعملوا فى الزراعة شرشرة مستقيمة من الخشب ثبتوا فى حافتها قطعاً من الطران ليقطعوا بها أعواد القمح التى كانوا يخزنونها فى صوامعهم التى صنعوها من الخوص ، وكانوا يضعونها فى حفر عميقة تحت مستوى سطح الأرض . وعرف أهل مرمدة فأس القتال كما عرفوا استعمال السهام وكان لديهم دبابيس للحرب وسكاكين من الطران .

ولا يخال لنا شك فى أن سكان مرمدة كانوا يلبسون الكتان بعد غزله ، وأن نساءهم كن يتحلين بعقود من المحار أو أسنان الخنزير البرى ، ويخواتم من العظم وحلقان من العاج . وكان لكل امرأة لوح من حجر الإردواز تصحن عليه التوتية الخضراء لتكحيل عينيها لأجل التجميل ولوقايتها من أشعة الشمس ، وربما أيضاً ضد بعض أمراض العيون . وفخارهم أسود خشن ، وشكله على هيئة قرب الماء ، ومنه بعض أنواع ذات قواعد ، وأوان صغيرة على شكل فناجين ذات أرجل ، وأحياناً يتصل اثنان منها ببعضهما . وكان لديهم أوان طويلة العنق تشبه القلة الحديثة ، كما صنعوا أيضاً صوان صغيرة من الفخار . ولم يزخرف سكان مرمدة أوانيهم ولم يصنعوا لها أيادٍ على جانبيها ولكنهم كانوا يعملون ثقوباً فى جوانبها لتعليقها .

(١) هذا هو الترتيب الذى إتفق عليه أكثر العلماء حديثاً ، أما قبل الآن فكانوا يضعون حضارة نقادة الأولى فى العصر الذى تشغله العمرة ، ونقادة ثانية فى العصر الذى تشغله حضارة جرزة أى حوالى عام ٣٥٠٠ ق.م . انظر

FRANKFORT, The Birth of Cyilization in near East p.42 Footnotes, 3 and 5.

ومن أهم ما عثر عليه يونكر في منازل تلك القرية وجود أعمدة في بعض المنازل لحمل السقف . أقاموها في وسط الحجرة . كما عثر في ركن إحدى الحجرات على عظمة كبيرة من عظام فرس البحر كانت مثبتة لاستعمالها سلماً للصعود إلى السطح . وكانوا يدفنون موتاهم تحت أرضية أكواخهم كما فعل كثيرون من سكان الشرق القديم دون أن يضعوا معهم أوان أو أسلحة .

وقد ثبت من فحص بقايا الهياكل العظمية لهؤلاء السكان أنهم كانوا فرعاً من جنس سكان البحر الأبيض المتوسط ذوى رؤوس تميل الى الاستطالة وجباههم عريضة ، وهم فرع من حضارة انتشرت على شاطئ إفريقيا الشمالى ووصلت إلى أوروبا حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م.

ولم تتصل حضارة مرمدة بحضارة البدارى إتصلاً مباشراً أو كان لها أثر مهم عليها ، بل إستمرت فى الدلتا .

#### حضارة البدارى :

لم يكن سكان الصعيد ، فى ذلك الوقت ، قد إستقروا فى مدن أو قرى كبيرة ثابتة ، بل كانوا يسكنون فى محلات أو نجوع متنقلة ، ولكنهم إختاروا أماكن يدفنون فيها موتاهم وهى الجبانات . وإذا درسنا حضارة البدارى لرأينا فيها شبيهاً كبيراً بحضارة سكان الصحراء الغربية القدماء وبخاصة أهل العرينات ولرأينا أنها لم تخل من التأثير بالحاميين . ولسنا نعرف حتى الآن أى مكان شمالى محافظة أسيوط تأثر بهذه الحضارة ، بل كان إنتشارها إلى الجنوب ، ونراها فى بلاد النوبة أيضاً بل وأبعد من ذلك .

كان الجو فى ذلك العهد أكثر أمطاراً ودفناً عما هو عليه الآن ، وكان السكان يعيشون فوق المرتفعات التى تشرف على المساحات الواسعة من الأحراش والمستنقعات الملأى بالنباتات المختلفة وبخاصة نبات البردى . ولم يبق إلا القليل من القرية أو القرى التى عاشوا فيها ، وأكثر ما وصلنا من معلومات عن أهلها إنما جاء من حفائر الجبانات الكثيرة . وكان البداريون أقرب إلى القصر منهم إلى الطول إذ لم يزدوا فى المتوسط عن ١٦٠ سنتيمتراً . وكانوا نحاف الجسم ، وتقطاع وجوههم دقيقة ، وشعرهم متموج أسود ، وفى بعض الحالات القليلة كان لون شعورهم كستنائياً . وكان الرجال يرسلون شعورهم على أكتافهم ، بينما كان شعر النساء أقصر من شعر الرجال ولم يزد طول شعر امرأة فيهم عن ٢٠ سنتيمتراً يصفرنه فى غدائر ، وكان رجال البدارى يعنون بمظهرهم الخارجى ، فيحلقون لحاهم ، ويضعون طاقيّة فوق رؤوسهم . وعرف

البداريون الملابس الكتانية ، كانوا يلبسونها رجالاً ونساء وأطفالاً ، وعند اشتداد البرد كانوا يلبسون الجلود وصوفها إلى الداخل ، كما عرفوا أيضاً دبغ الجلود .

وكانوا يحلون أعناقهم وأذرعهم بالعقود والأساور المصنوعة غالباً من حبات مزججة ، وكانوا يزينون شعورهم بوضع الريش فيها ، وأحياناً بوضع أمشاط طويلة من العاج زينت رؤوسها بأشكال الحيوانات ، كما كان يضع بعضهم حول شعورهم عصابات زاهية اللون محلاة بأصداف البحر الأحمر .

ومن أهم ما عثر عليه فى مقابرهم بعض حبات من النحاس المطروق ، كما استخدموا فى حلبيهم حبات من الفيروز والعقيق والكوارتز ، وحبات مصنوعة من قشر بيض النعام . وكان بعض النساء يحلين أنوفهم بوضع زر صغير ، يثبتون نتوءاً صغيراً فى أحد طرفيه فى ثقب داخل الأنف ، وعرفت النساء استعمال الكحل للعيون واللون الأحمر للشفاه .

أما مساكنهم فكانت بسيطة بدائية ، وضعوا فيها الأثاث البسيط ، منها أسرة خشبية قليلة الارتفاع ، كما كانوا يستعملون وسادات من الجلد أو الكتان المحشو بالتبن .

ومن بين أدواتهم عثر على عصى للرماية وخصوص لصيد السمك ، والحراب والسهام ، كما عثر أيضاً على نماذج للقوارب .

ووضعوا موتاهم فى قبورهم أحياناً فوق الأسرة ، أو ملفوفة فى حصير ، ولم يقتصر الدفن على البشر بل أن بعضهم دفن معه غزلانا وقططا ، وكانوا يضعون رؤوس الموتى فوق وسائد ، ويحرصون على أن تكون وجوها نحو مطلع الشمس مهما كان مكان القبر أو اتجاهه فى الجبانة .

ويمتاز فخار البدارى بإتقانه وجمال زخارفه وصلابة مادته ، ورقة جدران أوانيهِ ، ولا شك أن البداريين آمنوا بالبعث ، وكانوا يضعون معهم فى قبورهم بعض تماثيل قليلة للحيوانات وبخاصة فرس النهر ، وهناك تماثيل أخرى للنساء وللطيور ، ولكن ذلك لا يعنى أنهم كانوا حتماً يعبدون تلك الحيوانات .

ولو أمعنا النظر فى هذه الحضارات لوجدنا أنها تشبه فى كثير من مظاهرها حياة بعض سكان شرقى إفريقيا اليوم وبخاصة قبائل البشارية والهادندوة وبعض قبائل الصومال وكلهم من الجنس الحامى الأصل .

ولا تقتصر المقارنة على إفريقيا فقط بل إنها تمتد إلى جنوبى الجزيرة العربية ، ومتى أمكننا دراسة تلك الشعوب المختلفة دراسة كاملة أمكننا أن نحدد ما يربطها

بالمصريين القدماء من صلات ، ولكن هذه الدراسات ما زالت في بدايتها حتى الآن (١) .

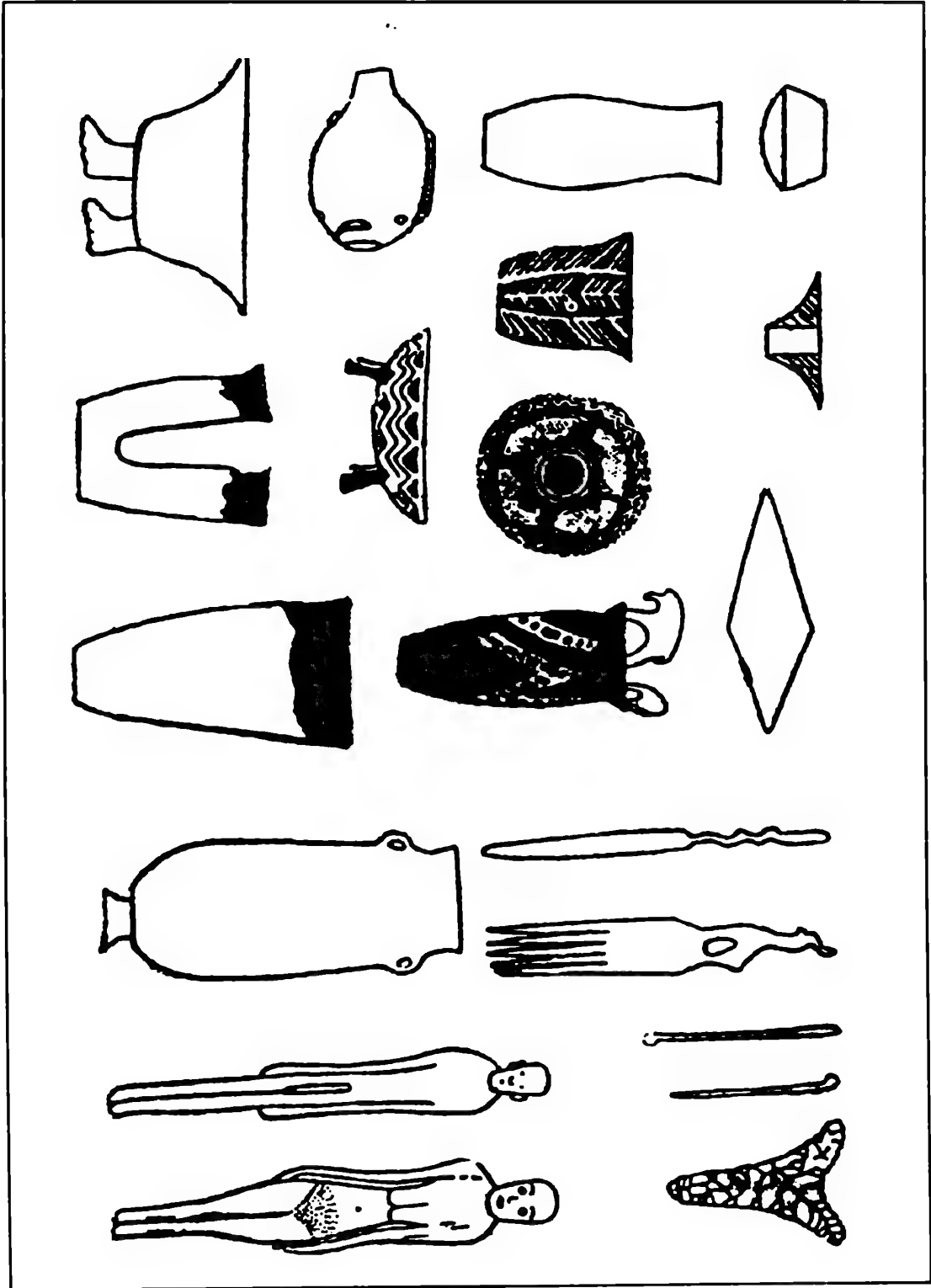
### نظرة عامة في عصر ما قبل الأسرات

والآن وقد عرفنا شيئا عن حضارتى مرمدة والبدارى ، كلاهما يرجع تاريخه إلى حوالى عام ٤٤٠٠ ق.م. يمكننا أن نلخص حياة المصريين القدماء فى ذلك العهد بأنهم كانوا قد عرفوا الزراعة واستخدام معدن النحاس ، ولو فى نطاق ضيق ، كما بدأوا حياة متحضرة بعض الشيء . وتقدمت الأيام ، وتقدم معها إرتقاء السكان ، واضطرتهم حياة الاستقرار إلى التعاون فيما بينهم ، فقد كان لزاماً عليهم أن يشقوا القنوات ليوصلوا مياه النيل إلى الأماكن البعيدة عن النهر ، كما اضطروا أيضاً إلى تجفيف بعض المستنقعات وإخلاؤها من الأشجار ، كما اضطروا للتعاون على حماية أنفسهم وقراهم ومحاصيلهم من أخطار فيضان النيل . كانت هذه الأعمال جميعاً تستلزم تعاون عدد كبير من الناس ، وتستلزم أيضاً وجود زعيم يحترم الجميع وأوامره فينفذوها ويخاف الناس عقابه إذا لزم الأمر . وفرضت طبيعة أرض مصر أن يتجمع عدد كبير من السكان فى قرى قريبة من بعضها فى الأماكن التى يتسع فيها الوادى ، فلم يمض وقت طويل حتى تكونت وحدات إقليمية كان لكل منها زعيم له السلطة على من حوله .

وحدث مثل ذلك فى الدلتا أيضاً ، وكان العامل الأساسى فى تحديد أقاليمها المختلفة هو مجارى الأنهار . أو بعض المظاهر الجغرافية الأخرى ، وانتهى الأمر بتقسيم كل من الدلتا والصعيد إلى أقاليم محددة لكل منها اسم يطلق عليه ، ولكن حدود هذا التقسيم لم تكن ثابتة على الدوام . فمن حين لآخر كان يظهر زعيم قوى فى أحد الأقاليم يضم إليه شيئاً مما جاوره ، وأخيراً تجمعت أقاليم الدلتا تحت سلطة حاكم واحد وحدث الشيء نفسه فى أقاليم الصعيد ، وأصبح هناك ملكان أحدهما للشمال وكان يتخذ النحلة شعاراً له ويلبس تاجاً أحمر اللون ، والآخر للجنوب ويتخذ نباتا يسمى « سوت » شعاراً له ويلبس تاجاً أبيض اللون .

وفى وقت من الأوقات ، وربما كان ذلك حوالى عام ٣٤٠٠ ق.م. ، تغلبت الدلتا على الصعيد وتوحدت مصر تحت حكم الشمال ، ولكن لم يستمر هذا الاتحاد الأول ، وعاد كل من الشمال والجنوب إلى استقلاله . وحوالى عام ٣٢٠٠ ق.م. تقريباً أغار ملك الصعيد فأخضع الدلتا ووحد البلاد وأسس الأسرة الأولى المصرية . ولكن

(١) اقرأ عن هذا الموضوع ما كتبته فى كتابى « اليمن ، ماضيها وحاضرها » . ( القاهرة ١٩٥٧ - مطبوعات المعهد العالى للدراسات العربية ) ص - ٦٣ وما بعدها .



أواني وأدوات مختلفة من عصر ما قبل الأسرات المبكر

هناك رأى آخر وهو أن الاتحاد الأول قد استمر إلى قبيل ظهور الأسرة الأولى وأن أهل الصعيد ثاروا وأرادوا الإستقلال بإقليمهم فحاربوا وانتصروا وقضوا على سلطان الشماليين وأصبحوا هم سادة البلاد كلها وكونوا الاتحاد الثانى .

كانت القرون القليلة السابقة على الأسرة الأولى ، هى الفترة التى وضعت فيها مصر أسس حضارتها التى ظلت بعد ذلك آلاف السنين ، ووضعت فيها أصول دياناتها، ووضعت أسس نظمها المحلية ، ووضعت تقاليد الملكية ، وتفاعلت فيها الثقافات المختلفة . ولم تكن عزلة مصر الجغرافية مانعة لها من الاتصال بغيرها من أمم الشرق القديم وبخاصة بلاد الرافدين ، لأن تلك الفترة من تاريخ العالم القديم كانت فترة إتصالات تجارية واسعة ، ولم تر مصر غضاضة فى أن تنقل من حضارة بلاد الرافدين بعض مظاهرها ، وموضوعات الفن السومرى وبخاصة فى رسم الحيوانات.

ولا شك أن تلك المؤثرات وصلت عن طريق التجارة فى البحر الأحمر وجاءت إلى الصعيد عن طريق وادى الحمامات ، ولهذا نجد أثرها واضحاً هناك وقد أمدتنا جبانات الصعيد بأكثر معلوماتنا عن ذلك العصر مما احتفظت به آلاف القبور التى كشفت عنها الحفائر فى محافظتى قنا وجرجا ؛ لأن تلك القبور كانت فى جبانات أحطاط القدماء فى اختيار أمكنتها وجعلوها على حافة الصحراء فوق أعلى ما يمكن أن تصل إليه مياه الفيضان ، وكانوا يختارون أمكنتها بعيدة عن الأراضى المزروعة فلا تصل إليها الرطوبة . وساعد جفاف الجو وندرة نزول الأمطار على بقائها سليمة حتى الآن ، وكانت الرمال الجافة خير حام لها خلال تلك الآلاف من السنين .

أما آثار ذلك العصر فى مدن الدلتا ، وهى دون شك لا تقل فى أهميتها عن آثار الصعيد ، فقد غطاها الطمى منذ زمن بعيد وأصبحت الآن تحت مستوى الزراعة اللهم إلا ما كان منها على حافة الدلتا أو فى أماكن مرتفعة فى وسطها ، ولهذا أثرت فيها الرطوبة ولم يعد لنا أمل كبير فى العثور على شىء فى حالة جيدة تحت الأراضى المزروعة اللهم إلا إذا كان من الفخار أو من بعض أنواع الحجر التى لا تتأثر كثيراً بالرطوبة ، أو من معدن الذهب .

ولا شك أن فقد آثار الدلتا التى كانت متصلة بالبلاد التى على الناحيتين الشرقية والغربية من مصر ، ومتصلة كذلك بالبحر الأبيض قد تسبب فى ضياع كثير مما يهمنى الوقوف عليه سواء عن صلة مصر بغيرها من الشعوب أو عن أصل الحضارة المصرية نفسها .

د:



ولهذا لم يبق لدينا إلا آثار الصعيد فقط لتحدث عنها كآثار مصر بصفة عامة في ذلك العصر ، ونعم ما وقفنا عليه من مظاهر الحضارة في الصعيد كأنه يمثل حضارة مصر كلها وهو أمر لا شك في أنه عرضة للنقد . وقد سبق أن رأينا وجوه الاختلاف الجوهرية بين حضارتى مرمدة والبدارى ، ولا جدال في أنه كانت هناك اختلافات جوهرية بين مظاهر حضارتى الشمال والجنوب فيما تلا ذلك من عصور قبل أن تزداد الصلة بينهما ، وتعم البلاد كلها حضارة ذات طابع عام بعد إتحاد الشمال والجنوب ، ذلك الاتحاد السياسى والاجتماعى تحت حكم ملك واحد في عصر الأسرات .

وعثر الباحثون على مئات الآلاف من الأواني والآثار الصغيرة المختلفة وأكثرها في قبور الجبانات وقليل منها في منازل بعض القرى مثل قرية العمرى التى كانت على مقربة من حلوان والمعادى والهمامية والمحاسنة ، وهى كلها منازل بسيطة أقرب إلى الأكواخ ، بعضها مستدير أو بيضاوى وجدرانها من أعواد بعض النباتات بعد ضمها لبعضها وتثبيتها ثم لطسها بالطين ، أما السقف فكان أيضاً من أعواد النباتات الجافة ومغطى بالقش .

ولدينا فى المعادى خير الأمثلة على منازل ذلك العصر ، فقد عثرت بعثة جامعة القاهرة التى بدأت حفائرها فى تلك المنطقة عام ١٩٢٨ ، وما زالت تعمل حتى الآن ، على آثار من أهم ما وصل إلى أيدينا حتى الآن ، وألقت ضوءاً كبيراً على حضارة مصر فى الوقت الذى أخذت تودع فيه عصر ما قبل الأسرات القديم والمتوسط وتدخل فيما نسميه عصر قبيل الأسرات .

عثر الحفاريون هناك على قرية كبيرة فيها المنازل التى سكنها هؤلاء القوم ، ويمكننا أن نقول إنه يمكن تمييز نوعين من المنازل ، أقدمها كان مستديراً أو بيضاوياً ، وكانت له قوائم مغروسة فى الأرض ، يملأون المسافات التى بينها بأغصان مضفورة ويلطسونها بعد ذلك بالطين . وفى داخل تلك المنازل البسيطة ، التى كانت على الأرجح غير مسقوفة ، كانوا يضعون المصطفى الذى يطهون فيه طعامهم ويمدهم بالدفع إذا ما اشتد عليهم البرد .

أما النوع الآخر من المنازل ، وهو أحدث عهداً من النوع السابق ، فكان مستطيلاً ، وكان مشيداً بطريقة القوائم المغروسة كالنوع الأقدم ، أما بابه فكان يفتح فى منتصف الواجهة التى كانت فى إحدى الجهات الطولية ، وقد زادوا على هذا النوع



من المنازل جداراً أمام المدخل يحمى من فى داخل المنزل من الريح ومن نظرات المارين فى الطريق .

وليست بقايا منازل القرى ، وهى لا تزيد فى الغالب عن الأساسات التى لا تعطينا أكثر من رسمها التخطيطى العام ، هى كل مصدرنا عن معرفة منازل ذلك العهد ، فلدينا مصدران آخران وهما بعض نماذج المنازل المصنوعة من الطين أو الفخار ورسوم بعضها على أيادى السكاكين كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

ولا يستطيع إنسان أن يضع تواريخاً ثابتة معروفة لما نعثر عليه من آثار عصر ما قبل الأسرات ، ولكننا نعرف على وجه تقريبي أن بعضها أقدم من البعض الآخر ، ولكن لا يمكن أن نقول شيئاً محدداً أو على وجه الدقة عن الفرق فى التاريخ بين الاثنين .

وأكثر العلماء نشاطاً فى حفائر ذلك العصر كان فلندرز پترى الذى حفر جبانات متعددة تعد بالآلاف فى ، نقادة ، وفى ، هو ، ( وكلاهما فى محافظة قنا ) وغيرهما ووضع لها ترتيباً لم يبدؤه من ١ بل من رقم ٣٠ لعله تظهر حضارات أقدم مما عثر عليه . وانتهى عند ٨٠ ، وجعل پترى ظهور الملك ، منا ، عند رقم ٧٧ ولكن الأبحاث الحديثة تميل الآن إلى جعل بداية الأسرة الأولى عند رقم ٦٠ فقط .

فلما عثر برنتون على حضارة البدارى وضعها بين ٢٠ ، ٢٩ إذ يبدأ عصر ما قبل الأسرات بحضارة العمرة برقم ٣٠ .

وعلى أى حال فهناك مأخذ كثيرة على هذا الترتيب ، ولكنه مهما قيل فيه فإنه خير من لا شيء ، ولم يقد أحد بعد پترى بوضع نظام آخر يحل مكانه إذا قررنا إهماله وعدم الأخذ به .

وأحدث الأبحاث تفضل التواريخ الآتية :

حاضرة حلوان ( العمرى )	حوالى	٥٠٠٠ ق.م
حاضرة تاسا	حوالى	٤٨٠٠ ق.م
حاضرة البدارى	حوالى	٤٥٠٠ ق.م
حاضرة مرمدة	حوالى	٤٤٠٠ ق.م
حاضرة العمرة	بين	٤٤٠٠ ، ٣٩٥٠ ق.م
حاضرة جرزة وهى معاصرة تقريباً للمعادي	بين	٣٩٥٠ ، ٣٤٠٠ ق.م

## بدء الأسرة الأولى حوالى ٣٢٠٠ ق.م (١)

ويكفي هذا القدر من الحديث على الحضارات القديمة فى عصر ما قبل الأسرات ولننتقل الآن الى قبيل عصر الأسرات أو عصر ما قبل الأسرات المتأخر الذى هيا مصر لبدء عصرها التاريخى .

### قبيل الأسرات

حوالى عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد كانت الحضارة المصرية قد وصلت إلى درجة متقدمة إلى حد ما ، وقد أشرنا إلى هذا التقدم وأشرنا إلى الأوانى الفخارية المزخرفة ذات الأشكال المتعددة التى ظهرت قبل ذلك الوقت ، كما أشرنا أيضاً إلى وجود بعض تماثيل إنسانية وبخاصة للنساء وبعض أدوات الزينة وأهمها أمشاط الشعر المصنوعة من العاج والتى صنعوا الجزء الأعلى منها على هيئة حيوانات مختلفة ، كما أشرنا أيضاً إلى الألواح المصنوعة من الإردواز على هيئة الحيوانات أيضاً ، والتى كانت تستخدم لصحن الكحل . والمفهوم أن الدلتا فى ذلك الوقت البعيد كانت أكثر تقدماً من الصعيد ، وأن مصر كانت قد وصلت إلى تكوين مجموعتين من الأقاليم إحداهما فى الشمال وأصبح لها ملك ، وأخرى فى الجنوب وكانت أيضاً تحت حكم ملك آخر .

وكان لملك الدلتا تاج خاص به ذو لون أحمر وربما كان مضافاً من بعض النباتات ، وملك الصعيد تاج مختلف قمعى الشكل تقريباً وربما كان من الجلد أو اللباد . وكان مركز عبادة الإله حورس ( الصقر ) فى أول الأمر فى غربى الدلتا ، وكان هناك إله آخر فى شرقى الدلتا وهو الإله ، عنجتى ، ولكن لم يلبث حورس حتى تغلب عليه وأصبح إلهاً للدلتا كلها عند توحيدها . أما فى الصعيد فكان الإله ، ست ، هو الإله الذى يتغلب نفوذه على ما عداه من الآلهة ، وكان مركز عبادته فى مدينة ، نويت ، فى محافظة قنا عند بلدة طوخ الحالية شمالى نقادة .

وفى وقت من الأوقات تغلبت الدلتا على الصعيد وكونت مملكة واحدة وأصبح للإله ، حورس ، مركز أهم من مركز : ست ، وأصبحت مدينة ، هيراقونبوليس ،

(١) هناك إختلاف بين علماء الدراسات المصرية القديمة فى تحديد بدء الأسرة الأولى ، وإنى شخصياً أفضّل عام ٣٢٠٠ ق.م. ولو أن بعض الزملاء يفضل تاريخاً آخر . فقد كان بورخارت يعتقد أن ذلك يقع بين عامى ٤٠٥٠ ، ٣٨٥٠ ق.م. ، وما زالت مرجريت مرى تؤمن برأى بترى فى أن الأسرة الأولى تبدأ عام ٤٧٧٧ ق.م. ، ولكن أبحاث إدوارد ماير نزلت بهذه التواريخ المرتفعة وتبعه فى ذلك أكثر العلماء . وما زلنا حتى الآن نرى بعض الباحثين يميلون إلى تواريخ أخرى مثل ٣٤٠٠ ، ٣٣١٥ ، ٣١٨٠ ، ٣١٠٠ ، ٣٠٠٠ بل أن بعض المؤرخين قد نزل ببدء الأسرة الأولى إلى عام ٢٨٥٠ ق.م.

ومكانها الآن الكوم الأحمر ( وكانت تسمى نخن ) شمالى إدفو مركزا رئيسيا لعبادته فى العصر الذى نسميه أواخر عصر ما قبل الأسرات أو قبيل عصر الأسرات .

ولم يعد أمر الاتحاد الأول فى مصر فرضا من الفروض كما كان من قبل ، بل أصبح الآن حقيقة مقررة بعد دراسة حجر بالرمو وبخاصة إحدى قطعه الموجودة الآن فى متحف القاهرة وغيره من آثار ذلك العهد . وليس لدينا أى معلومات مؤكدة عن مكان عاصمة تلك المملكة الموحدة وإن كانت هليوبوليس ( على مقربة من القاهرة الحالية ) هى المدينة التى يكاد يجمع الباحثون على أنها كانت عاصمة تلك المملكة .

ولكن قبل ذلك الاتحاد كانت مدينة ، بوتو ، فى غرب الدلتا ( ومكانها الآن تل الفراعين ) ، هى عاصمة مملكة الدلتا وكانت الهتها تسمى ، واجيت ، ، ويرمز لها بثعبان الكوبرا ، وكان ملكها يلبس التاج الأحمر وهو الذى كان فى أصله رمزا للإلهة ، نيت ، إلهة مدينة سا ( سايس - صا الحجر ) ، واتخذ له شعارا نبات البردى وكان ملكه يشمل الدلتا وجزءا قليلا من مدخل الصعيد ، أما ملك الصعيد فقد كانت عاصمته فى الكاب وهى أمام الكوم الأحمر ( نخن - هيراقونبوليس ) التى كانت قبل ذلك مقر عبادة الإلهة ، نخبت ، ويرمز له بالرحمة ويلبس ملكها التاج الأبيض واتخذ شعارا له نباتا آخر يسمى ، سوت ، <sup>(١)</sup> ووصلت حدود هذه المملكة جنوبا الى الشلال .

وأصبح الإله حورس هو الإله الرئيسى فى كل من المملكتين ، بل أصبح الملك فى كل منهما هو الممثل لحورس على الأرض أثناء حياته ، وكانوا يعطون للملك اسما آخر الى جانب اسمه الأصلى عند توليه العرش وهذا الاسم الجديد يسمى الاسم الحورى وكان يكتب فى مستطيل يعلوه الإله حورس ، وكان يستخدم كلا الاسمين أو واحدا منهم ، فلما توحد الشمال والجنوب كان الملك يلبس تاجا يجمع بين التاجين وهو التاج المزدوج واحتفظ بلقب حورس كما كان يفعل الملوك من قبل <sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن حضارة الدلتا خلفت وراءها آثارا ، وبخاصة فى العاصمة وفى المدن الرئيسية ، ولكن تلك المدن أصبحت الآن تحت مستوى الأراضى المزروعة كما قلنا ، ولم تقم أى حفائر على نطاق واسع فى مدن الدلتا حتى الآن ، ولهذا لم يكد يصل إلى أيدينا شيء من آثار ذلك العصر بينما وصلت إلى أيدينا آثار كثيرة من

---

(١) اختلفت الآراء فى هذا النبات ففى رأى البعض أنه فى الأصل نبات الحلفا وفى رأى البعض الآخر نبات الزنبق .

(٢) كان المصريون فيما بعد يشيرون إلى هؤلاء الملوك سواء الذين حكموا فى الدلتا أو حكموا فى الصعيد بأنهم أتباع أو عبدة حورس وكانوا ينظرون إليهم نظرة تقديس خاصة .

الصعيد وبخاصة حول العاصمة القديمة فى هيراقونبوليس وفى بعض المناطق الأخرى .

ولا تقتصر آثار تلك الفترة على الأشياء التى عرفناها من قبل مثل الفخار وأدوات الزينة بل نرى تطوراً ظاهراً ، فلم تعد الأجزاء العليا من الأمشاط العاجية على هيئة حيوانات بل أصبحت تزخرف على وجهيها برسوم مختلفة لحيوانات متعددة ترسم صفوفاً تحت بعضها البعض ، نعرف من بينها الفيل الإفريقى والبجع والزرافة والأسد والضبع والغزال والثور الإفريقى والخنزير البرى ، كما نرى أيضاً أيادٍ للسكاكين الطرانية صنعت هى الأخرى من العاج أو صفائح الذهب وزخرفوا وجهيها إما برسوم حيوانات تشير إلى حوادث معينة وبخاصة ما يتعلق بالانتصار على الأعداء .

أما ألواح الإردواز التى تستخدم لصحن الكحل فقد تطورت هى الأخرى وأصبحت الألواح التى تصنع للملوك تزخرف برسوم حيوانات مختلفة ، بعضها فى صفوف متراصة والبعض الآخر يمثلها أثناء الصيد ، وصارت ألواح الملوك أكبر حجماً وعلى صورة درع الحرب . وعثر أيضاً على عدد غير قليل من دبابيس القتال وهى مزخرفة بمناظر تمثل الحروف التى انتصر فيها أصحابها على أعدائهم ، ويظهر فيها الملك على هيئة ثور يقضى على أعدائه أو كأسد ينهش أجسادهم . وكثيراً ما نرى الأسرى مكبلين بالأغلال ، أو نرى الحصون التى إستولوا عليها وقد كتبت أسماؤهم فى داخلها . وهناك أيضاً تماثيل وأدوات منزلية ، بعضها من العاج ، ونماذج من الطين أو العاج لبعض الزوارق أو المنازل .

وإذا أمعنا النظر فى هذه الآثار المختلفة نرى أن المصريين بدأوا فى ذلك العهد البعيد يستقرون على الأوضاع الفنية الخاصة بهم فى الرسم وفى عمل التماثيل ، ونرى تقدماً كبيراً فى جميع النواحي . ولا شك أيضاً أن تلك النهضة جاءت على أثر التقدم فى الزراعة وعناية الناس بحفر القنوات والترع إذ قلما نجد أثراً ملكياً دون أن نرى عليه صورة الملك وهو يقوم بالتقليد المعروف وهو إمساكه بالفأس يضرب به الأرض إيذاناً بالبداية فى مثل ذلك العمل ، كما نرى أيضاً على بعض أيادى السكاكين رسوماً تمثل قصوراً أو منازل مرتفعة ذات طابقيين على الأقل .

ولم يكن مصر بمعزل عن غيرها من الأمم فقد وصلتها أيضاً فى تلك الفترة المهمة فى تاريخها مؤثرات من بلاد الرافدين ومن الفن السومرى كما سبق القول ، ولكنها لم تلبث حتى تركت ذلك وعادت إلى فنها الأصيل فى زخرفة الأشياء .. وربما



كان أهم تأثيرين جاء إلى مصر من حضارة سومر هما بعض مظاهر البناء بالطوب واستخدام الأختام الاسطوانية لأنهما كانا قبل ذلك العهد مستخدمين في سومر وتطورت صناعاتهما هناك بينما ظهرا في مصر فجأة وقد استكملا تطورها .

ووصلت مصر في ذلك العهد إلى اختراع مهم أحدث تطورا كبيرا في حضارتها وذلك هو اختراع الكتابة واستخدامها على بعض الآثار . حقيقة أن بلاد سومر كانت هي الأخرى قد وصلت إلى ذلك الإختراع آنذاك ، ولكن مصر لم تتأثر ببلاد الرافدين في هذا الأمر ، ووجدت طريقته الخاصة دون موثر خارجي بل أن النهضة الشاملة لجميع مرافق الحياة في تلك الفترة جعلتها تصل في وقت سريع إلى استكمال هذا الاختراع وذلك بما كان كامنا فيها من قوة وفتوة (١) .

توصلت مصر إلى الكتابة في فترة قبيل عصر الأسرات وأدى استخدامها إلى معرفتنا الآن لبعض الحوادث التي جرت قبل الأسرة الأولى .

لقد أشرنا قبل الآن إلى انفصام عرى الاتحاد الأول واستقلال كل من الدلتا والصعيد عن بعضهما ولكن إتصالهما ببعضهما لم يتأثر كثيراً بذلك إذ كان النيل يسهل التجارة بين البلاد وكانت التجارة بدورها تساعد على نشر الثقافة ، ولكن لا نملك من الوثائق التي يرجع تاريخها إلى ذلك العصر ما يمكننا من تحديد تلك الروابط أو تحديد أثر ذلك التبادل .

ويظهر أن الصعيد بدأ يرمى بناظره نحو الشمال وأخذ حكامه يحاولون الاستيلاء على الدلتا ، ومن العبث أن نقول إن الاتحاد الذي تم عند ظهور الأسرة الأولى كان من تفكير أو عمل ملك واحد بل من المرجح جدا أن يكون غيره قد سبقه ممهدا لذلك ، كما تدلنا مناظر الحروب الكثيرة على آثار ذلك العهد (٢) .

ولسنا نعرف أسماء أولئك الملوك المحاربين على وجه التحديد ولكن واحدا منهم وهو الملك ، العقرب ، - ربما كان آخر الملوك قبل الملك ( نعرمر - منا ) مؤسس

(١) عن الصلة بين حضارتى مصر والعراق وأيهما أقدم ، أنظر مقالا للمؤلف عنوانه ، الإتجاهات الحديثة في المباحث التاريخية والأثرية الخاصة بالشرق القديم ، في المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الثاني في أكتوبر ١٩٥٠ ص ٦ - ١١ من ذلك البحث ، وما ذكره من مراجع .

(٢) نستطيع أن نقرأ عن حوادث الحروب في تلك الفترة فيما بقى من أناشيد عن ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة بتسجيلها ضمن نصوص الأهرام ، وفي بعضها إشارات إلى تلك الحروب وإلى سكان الوجه البحري وإلى ملوكهم الذين قاوموا ذلك الغزو ، وكان ينعتهم الجنوبيون بألفاظ قاسية .

الأسرة الأولى - خلف لنا بعض آثاره في هيراقونبوليس ، عثر عليها في عام ١٨٩٨ ونرى فيها هذا الملك <sup>(١)</sup> مرسوماً على دبوس للقتال وهو يمسك الفأس يضرب بها الأرض وذلك إما قياماً بأحد المراسيم الدينية الخاصة بأحد الأعياد الزراعية أو تسجيلاً لشق ترعة من الترع . ونرى في أعلى الدبوس أعلاماً تقف فوقها رموز بعض أقاليم الوجه القبلي تتدلى من بعضها طيور الزقزاق ، ويتدلى من البعض الآخر أقواس وهذا تعبير عن إنتصاره على أهل الدلتا وعلى بدو الصحراء . وعثر أيضاً على أثر آخر لهذا الملك وهو إناء من الحجر الجيري ، عثر عليه في هيراقونبوليس كما عثر أيضاً على آثار باسمه في أبيدوس ، كما وجد اسمه مكتوباً على جزء من إناء من الفخار في منطقة طرة على مقربة من القاهرة .

ونصل الآن إلى نقطة مهمة . هل كانت حروب الملك العقرب ومن سبقه من الملوك ضد الدلتا عندما كان الصعيد خاضعاً للشمال فأرادوا التخلص من نيره فحاربوا وانتصروا واستقلوا بالصعيد كله ، أم أن الاتحاد الأول الذي تم حوالي عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد لم يدم طويلاً وسرعان ما تفكك وعاد كل من شقى الوادي إلى استقلاله حتى بدأ ملوك الصعيد في غزو الشمال وإخضاعه ؟ والجواب على هذا التساؤل لا يمكن إلا أن يكون اجتهادياً إذ لا يوجد دليل قاطع تحت أيدينا يساعدنا على إعطاء الجواب الحقيقي الذي لا يقبل الشك .

على أى حال فإن هذا الموضوع لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً كبيراً ، ولدينا الآن من الأدلة ما يكفي للقول بأن أقاليم الصعيد بدأت حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب تكون بينها اتحاداً ، وأنها كانت تحارب وكانت تستولى على مدن وحصون وأن آخر ملك من هؤلاء الملوك كان نشيطاً وتمكن من إخضاع بعض سكان الدلتا وأهل الصحراء لسلطانه كما ذكر على دبوس قتاله . وهنا نقف قليلاً للتساءل عن الدور الذي لعبه هذا الملك في إخضاع الدلتا ، فهل نعتبره ، كما أراد أن يثبت بعض الأثريين <sup>(٢)</sup> ، إنه هو الذى تمكن من إخضاع الدلتا قبل ، نعرمر - منا ، وأنه هو صاحب الفضل في توحيد مصر ؟ والجواب على ذلك هو أن هناك أكثر من عقبة واحدة تحول دون قبول مثل هذا الرأي قبولاً نهائياً . فربما انتصر الملك العقرب على

(١) يسمى هذا الملك ، العقرب ، لأننا غير متأكدين من نطق اسمه الحورى الذى كان يكتب برسم هذه الحشرة فقط . أما اسمه الشخصى فقد وجد مسطراً على قطعة من إناء وينطق ، بى .

VANDIER. Manuel d'Archeologie, T. I. ( 1952 ) p. 600

SCHOTT. Hieroglyphen ( 1952 ) p. 14 .

(٢) وكذلك



جزء من الدلتا فقط ، وربما انتصر أيضاً على بعض قبائل البدو في الصحراء ، إنما النصر الكامل جاء على يد ، نعرمر ، الذي سمته النصوص المصرية فيما بعد باسم ، منا ، والذي اعتبرته المصادر المصرية القديمة أيضاً مؤسس الأسرة الأولى المصرية ، التي يبدأ بها عصر الأسرات المصرية أو عصرها التاريخي كما يسميه بعض الأثريين ؛ لأن مصر كانت قد عرفت الكتابة وأخذت تسجل حوادثها المختلفة على آثارها ، وأصبح اعتمادنا الأكبر منذ ذلك الوقت على ما خلفه المصريون أنفسهم مسطراً على آثارهم .

ولكن قبل أن نتحدث عن الأسرة الأولى يحسن بنا أن نلقى نظرة عابرة على أهم مصادر التاريخ المصري التي نستمد منها معلوماتنا التي تكونت منها عناصر التاريخ الفرعوني منذ بدايته .



## أهم مصادر التاريخ المصري القديم

استكملت مصر إلى حد كبير ، كثيرا من مقومات حضارتها قبل ظهور الأسرة الأولى إذ كانت قد تقدمت في أساليب الزراعة وعرفت الكثير من نظم الري ، وبخاصة في شق الترع ، وانتصرت على الصحراء والمستنقعات فاستقطعت الكثير منها وحولته إلى أرض زراعية .

وعرفت أيضاً استخراج بعض المعادن وبخاصة الذهب والنحاس من مناجم الصحراء الشرقية وأتقنت الإتقان كله قطع الأحجار الصلبة وصنعت منها الأواني والقدر ، وعرفت صناعة التماثيل منذ عصر البدارى . وكانت التجارة رائجة ليس بين المدن والأقاليم المصرية بواسطة النيل فحسب ، ولكنها عرفت أيضاً التجارة مع آسيا بواسطة السفن التي كانت تسير على مقربة من الساحل فتصل إلى موانئ الشاطئ الفينيقي وبخاصة ميناء جبيل ، كما كانت هناك أيضاً حركة ملاحية في البحر الأحمر ، وكانت القوافل البرية تحمل منها وإليها السلع التجارية من جميع البلاد المجاورة حتى إيران والأناضول .

وأهم من هذا كله كانت قد توصلت إلى نظام إدارى مناسب وحددت اختصاصات بعض الوظائف وكبار الموظفين وكانت لها بعض تقاليد خاصة في الفن وفي الدين .

ولا شك في أن مصر بلد حبته الطبيعة بشبه عزلة عما جاوره من البلاد ، فالبحر في شماله ، وإلى الشرق والغرب منه صحراء موحشة ، أما في الجنوب فهناك شلالات في النهر ، ولم تكن هناك ، أى في الجنوب ، دولة قوية تخشى منها على نفسها ، ولكن رغم ذلك كله اتصلت تجارتها بما جاورها من بلاد كما كانت دروب الصحراء تحمل إليها كثيراً من المهاجرين الذين يأتون فرادى أو جماعات ليستقروا فيها .

وإذا أردنا التدقيق في معرفة أصل المصريين أو أصل حضارتهم لما أمكننا الوصول إلا إلى نتيجة واحدة ، وهي أنها حضارة أصيلة دخلت عليها مؤثرات من الساميين الذين في الشرق والحاميين الذين في الغرب والجنوب الشرقي ، كما دخلت عليها أيضاً مؤثرات إفريقية من الجنوب . لقد أشرنا قبل الآن إلى حضارة بلاد الرافدين ورأينا أنه جاءت إلى مصر بعض مظاهرها في العصر السابق للأسرة الأولى

مباشرة ، ولكن كل هذه المؤثرات كانت تنصهر في بوتقة التجربة في مصر في ذلك العهد ، وسرعان ما يأخذ منها السكان ما يوافق حضارتهم فيمزجونه بما لديهم من ثقافة أو يعرضون عنه بعد حين لعدم ملاءمته لذوقهم . كانت لمصر في ذلك العهد - أى عهد ما قبل الأسرات - تقاليد وطنية خاصة في إختيار ملوكها كما كانت قد انتهت من وضع الأسس المختلفة في الديانة وفي الإدارة ، ودانت بعقيدة ألوهية الجالس على عرشها ، ولكنها كانت قد توصلت أيضا إلى معرفة اختراع عظيم لا يمكن أن تتقدم الحضارة بدونه ، وهو اختراع الكتابة .

كان المصريون يعيشون آنذاك في منازل مبنية بالطين أو من أغصان الأشجار أو النباتات كما عرفوا استخدام الحجر وإن لم يستعملوه على نطاق واسع ، وتقدموا في كثير من نواحي الفن وأتقنوا حسن استخدام مياه النيل وعمل الجسور التي تحميهم من عدوانه ، واستأنسوا بعض الحيوانات النافعة لهم ، وبعبارة أخرى كانت الحضارة المصرية قد استكملت كل ما يلزمها ولم يكن ينقصها غير القوة الدافعة فتتقدم وتسير نحو الأمام ، وتحققت هذه الأمنية عندما ظهر زعيم قوى في جنوبي مصر ، زعيم إقيم ، ثنى ، بين جرجا والبلينا الذى وحد البلاد كلها وأصبح أول ملوك مصر في عهد الاتحاد الثانى ومؤسس الأسرة الأولى .

#### المصادر

يمكننا القول بوجه عام إن اعتمادنا الأساسى لدراسة تاريخ مصر وحضارتها على المصادر الثلاثة الآتية :

١ - الآثار المصرية وما تمدنا به من معلومات ، ويستوى في ذلك ما هو مسطر على جدران المعابد والمقابر أو على التماثيل ولوحات القبور ، أو على قراطيس البردى أو التوابيت أو أى نوع من أنواع الآثار الأخرى سواء أكانت صغيرة أو كبيرة ، مكتوبة أو غير مكتوبة ، أى كل ما خلفه المصريون من معلومات ويشمل ذلك أيضاً ما كتبه المؤرخ المصرى مانيتون .

٢ - ما ورد في بعض المصادر الأجنبية المعاصرة لفترات من الحضارة المصرية مثل ما جاء في بعض المصادر البابلية أو الحيثية ( الخيتية ) أو الآشورية وغيرها .

٣ - ما كتبه رحالة اليونان والرومان الذين زاروا مصر ، وكتبوا وصفا لها وضمنوا كتاباتهم شيئا من تاريخها .

ولكن كلا من هذه المصادر الثلاثة فى حاجة إلى كثير من التحليل والتدقيق قبل الاعتماد عليها أو اتخاذ ما جاء بها كحقيقة تاريخية . ففى النوع الأول من المصادر ، وهو المصادر المصرية الواردة على الآثار وهى أهم المصادر ، كثير من الأمور التى لا يمكن الاعتماد عليها كوقائع ثابتة لأنها كتبت لغرض معين وفى وقت معين ، وإذا لم تويدها مصادر أخرى لا يمكننا أن نقبلها إلا كقرينة من القرائن أو كمادة علمية تدخل فى مناقشة الموضوع .

لم يكتب قدماء المصريين قبل عهد مانتيتون بقصد تسجيل الحوادث التاريخية كما نفهم التاريخ الآن ، ولكنهم كتبوا ما كتبوه لغرض آخر وهو تسجيل حوادث معينة لغرض خاص ، وسنعود إلى هذا الموضوع بعد قليل عند الحديث على إثبات أسماء الملوك .

أما ثانى المصادر وهو ما نجده فى المصادر الأجنبية المعاصرة ، فإنه بدوره يمثل وجهة نظر معينة وبخاصة إذا كان ذلك تسجيلا لنتائج معارك حربية على آثار أقامها أولئك الملوك . فمثل هذه النقوش سواء فى مصر أو فى غيرها تقام للإعلاء من شأن الملوك فتخفى الهزائم أو تحيلها إلى نصر ، وتبالغ فى نصر ضئيل فتجعل منه عملا عظيما جبارا ، ولهذا يجب أن نحتاط الحيطه التامة فى اعتمادنا عليها ، ويجب أن نقابلها ونقارنها بما جاء فى المصادر التى كتبها الجانب الآخر ، وعلى المؤرخ أن يوازن بين هذا وذلك ويحاول الوصول إلى ما عساه أن يكون أقرب إلى الحق . فقد جرت العادة مثلا فى بعض الممالك مثل الصين إلى ما قبل عصرنا الحاضر بقليل ، وفى أوائل هذا القرن ، على اعتبار ما يأتى إليهم من هدايا من أى مملكة أخرى أنه جزية يرسلها ذلك الشعب ، واعتبار أى خطاب من خطابات المودة التى يرسلها رؤساء الدولة الأخرى أنه تقديم للطاعة والخضوع .

أما ثالث المصادر وهو ما كتبه رحالة اليونان والرومان فيجب ألا نثق فيه الثقة كلها لأن الغالبية العظمى من هؤلاء لم يزوروا مصر إلا وهى فى أيام ضعفها . وكانوا يحكمون على ما يرونه أو ما يسمعون من وجهة نظرهم هم ، وحسب عقليتهم وإدراكهم ، وتأثرهم بعادات بلادهم وديانتهما ، فضلا عن أنهم لم يعرفوا اللغة المصرية ونقلوا ما سمعوه من أفواه محدثيهم وبعضهم من صغار الكهنة أو عامة الناس الذين يقبلون على مرافقة الزوار الأجانب كمحترفين أو متطوعين .

ولا شك أن كثيرا منهم تحروا الصدق فيما قالوا أنهم رأوه بأنفسهم مثل المؤرخ هيرودوت ، ولكن هناك أيضا كثيرين أساءوا فهم ما رأوه أو ذهب بهم خيالهم كل مذهب فى تفسير أو تعليل ما سمعوه أو وقعت عليه أبصارهم .

وعلى من يريد الاعتماد على ما جاء فى بعض تلك المصادر خاصاً بمصر ، أن يضع فى ذهنه أن بعضهم كتب ما كتبه من وجهة النظر اليونانية ، وكثيراً ما كانت كتاباتهم فى أوقات اختلفت فيها مصالح بلادهم مع مصالح مصر أو كانت الثورات أو أسباب العداوة بين المصريين وغيرهم موعرة لصدور هؤلاء الناس ، فضلاً عن أن بعض هؤلاء الكتاب نقل ما كتبه عن غيره ممن كانوا فى مصر أو ادعوا زيارتها . ولهذا يتحتم على المؤرخ ألا يقبل ما فيها من معلومات إلا بعد الحيلة الشديدة ليستخدمها قرينة أو قرائن عن حوادث معينة . وسيأتى ذكر هذه المصادر المختلفة فى كثير من المواضع عند الحديث على بعض حوادث التاريخ .

ويجب علينا أن نوضح فى هذه المرحلة من البحث أن مصدرنا الأكبر فى كتابة تاريخ مصر هو ما خلفه المصريون أنفسهم ، وإذا كانت بعض الوثائق ناقصة أو غير وافية فعلياً أن نسعى لإكمالها سواء من الوثائق الأخرى أو مما يستطيع المؤرخ أن يتصوره بعد دراساته المستفيضة لكل ما لديه من وثائق ومصادر ومعلومات تجعله يحس بإحساس العصر الذى جرت فيه تلك الحوادث .

وربما سأل سائل هل عرف قدماء المصريين فكرة التاريخ ، وهل خلفوا لنا وراءهم وثائق دونوا فيها تاريخهم الصحيح ؟ والجواب على الشطر الأول من السؤال أن المصريين كغيرهم من شعوب العالم لم يفهموا التاريخ كما نفهمه الآن أو حتى كما فهمه اليونان ، وإذا كانت فكرة التاريخ كما نعرفها الآن لم يكن لها وجود فى تلك العصور القديمة فلا شك أنه كان لديهم ما يمكن أن نسميه إحساساً بالتاريخ فإنهم لم يفهموا حاضرتهم إلا فى ضوء ماضيتهم كما انتشرت بينهم فكرة عامة وهى الإعلاء من شأن ما مضى من أيام واستلهاهم حضارتهم منها ومحاولة إحياء تقاليدها من آن لآخر .

وجوابنا على الشطر الثانى من السؤال أنهم خلفوا وراءهم وثائق بتاريخهم كما كانوا يتصورون التاريخ . فمنذ الأسرة الأولى نرى آثاراً يسجلون عليها بعض أعمال الملوك كما تركوا لنا أيضاً أكثر من وثيقة واحدة عليها إثبات بأسماء الملوك مرتبة ترتيباً زمنياً ، ووصلت بهم الدقة فى بعضها أنهم لم يرتبوا الملوك فحسب بل ذكروا مدة حكمهم بالسنة والشهر واليوم .

ولنذكر الآن أهم المصادر المصرية عن أسماء الملوك وترتيبهم :

١ - حجر بالرمو : فى أواخر أيام الأسرة الخامسة المصرية أو ربما فى أوائل الأسرة

السادسة (١) ، كان يقوم في معبد من معابد العاصمة في منف حجر لا يقل طوله عن مترين ويزيد ارتفاعه عن سبعين سنتيمتراً نقش وجهه بنقوش في سطور رأسية كتبت فيها أسماء جميع من حكموا مصر منذ أيام ما قبل الأسرة الأولى ، مع مدة حكم كل منهم ، مقسماً إلى سنوات وأهم ما حدث في كل سنة . ولأمر ما حطم هذا الحجر إلى قطع صغيرة عثر حتى الآن على ست منها أكبرها وأهمها موجودة في صقلية منذ ١٨٥٩ ونقلت إلى متحف مدينة بالرمو في عام ١٨٧٧ وما زالت هناك حتى الآن ( انظر شكل رقم ١٢ ) . ويوجد في المتحف المصري بالقاهرة أربع قطع صغيرة اشترت مصلحة الآثار ثلاثاً منها في عام ١٩١٠ وعثر أحد خفراء المصلحة فيما بعد على القطعة الرابعة ملقاة بين الخرائب في منف ، أما القطعة السادسة فقد اشتراها العالم الأثري فلندرز پترى من أحد تجار الآثار في القاهرة حوالي عام ١٩١٠ أيضاً وهي الآن في لندن في متحف الجامعة . وسواء أكانت هذه القطع الست من حجر واحد ، أو أنها من أكثر من حجر واحد - إذا كانت هناك حقيقة بضع نسخ متماثلة من حجر الديوريت أقيم كل منها في أحد المعابد المهمة - فإن هذا الأثر كان يحوى أسماء الملوك مبتدئاً في الصف الأعلى بجدول أسماء الملوك الذين كانوا يحكمون كلا من شطرى مصر أى الدلتا والصعيد ، وتحت كل منهم رسم ملك جالس وعلى رأسه تاج أحد البلدين ، وربما كان في هذا الصف ١٤٠ منهم أو أكثر من ذلك (٢) . وآخر اسم

(١) تقسيم التاريخ المصرى إلى أسرات ليس من عمل المؤرخين المحدثين بل يرجع إلى العصور القديمة وربما كان متداولاً بين المصريين أنفسهم قبل عهد الكاهن المصرى مانيتون الذى كتب تاريخاً لمصر فى عهد بطليموس الثانى فى القرن الثالث قبل الميلاد وذكر فيه تلك الأسرات وملوكها وأهم أعمالهم . ومما يؤسف له أن النص الأصيل لتاريخه الذى كتب باليونانية فقد فى حريق الإسكندرية ولم يبق منه إلا ما نقله بعض الكتاب القدماء سواء من اليونان أو من اليهود . بالرغم من أن بعض المؤرخين المحدثين ينقدون تقسيم مانيتون فى بعض المواضع إلا أن تقسيم الأسرات صالح بوجه عام وأصبح متأسلاً فى الدراسات كلها منذ كتب مانيتون كتابه ولا يوجد تقسيم آخر أصلح منه .

(٢) كان حجر بالرمو الأصيل مقسماً إلى صفوف ونرى فى القطع المحفوظة أن عصر كل ملك كان يقسم إلى سنوات ويكتب فى خانة كل سنة أهم ما حدث فيها سواء من الحروب أو إقامة المعابد أو الأعياد الدينية أو التعداد أو عمل بعض الأشياء الهامة مثل بناء السفن أو إقامة التماثيل الكبيرة ذات الأهمية الخاصة . وأهم مؤلف عن القطعة الكبيرة الهامة فى بالرمو هو بحث شيفر H. SCHAEFER Ein Bruchstück altägyptischer Annalen (Anh. d. Kgl. preuss. Akad. der Wissenschaften. 1902) . ونشر جونييه القطع الأربع التى فى متحف القاهرة H. GAUHIER. Quatre nouveaux fragments de la pierre de pa-lerme-Musee Egyptien 111. p. +29-35PI,24-31 أما مجلة لندن فقد نشرها پترى فى مجلة Ancient Egypt, 1916 p. 114 ff.

محفوظ على تلك القطع هو اسم الملك ، نفر إر كارع ، من الأسرة الخامسة . ونرى على إحدى القطع التي في متحف القاهرة أن بعضهم يضع التاج المزدوج فوق رأسه مما جعل الباحثين في التاريخ المصري يؤمنون الآن بأنه كانت هناك مملكتا الدلتا والصعيد ، عاشتا مستقلتين فترة طويلة من الزمن إلى أن تمكن أحد ملوك الدلتا من إخضاع الصعيد وتوحيد مصر ، ولكن هذا الإتحاد وهو الإتحاد الأول أصابه الوهن واستقل كل بنفسه ، أو ربما كان الملك الذي عرف فيما بعد باسم ، منا ، حاكما لأحد أقاليم الصعيد وثار على الدلتا وحاربها واستقل بالصعيد ثم هجم على الدلتا فيما بعد وأصبح أول ملك لمصر الموحدة في عهدها الجديد وهو الإتحاد الثاني . ولكن ليس لدينا ما يثبت هذا أو ذاك ، وعلينا أن ننتظر حتى تصل إلينا معلومات أخرى . وعلى أي حال فإن المصريين إعتبروا أن أولئك الذين حكموا قبل الأسرة الأولى أنصاف آلهة ، وأتباع حورس (١) وأحيانا يسميهم المصريون ، المجلون ، كما جاء في بردية تورين أو أنصاف الآلهة كما سماهم مانيتون ، وقد سبقهم حكم الآلهة على الأرض .

٢ - بردية تورين : حصل على هذه البردية الرحالة الإيطالي دروفتي Dro-vetti في أوائل القرن التاسع عشر وقيل إنه عثر عليها في منف . وكانت البردية في حالة جيدة عندما تسلمها دروفتي ولكنها تهشمت بعد ذلك (٢) ونقلت إلى إيطاليا عقب الحصول عليها ووضعت في متحف تورين منذ ذلك الوقت .

وكانت تحتوى هذه البردية على أكثر من ثلاثمائة اسم من أسماء الملوك وتحت اسم كل منهم عدد سنوات حكمه . وهى تبدأ بالآلهة الذين حكموا مصر وتستمر حتى نهاية عصر الفترة الثانية بما في ذلك ملوك الهكسوس ، وتنتهى أسماء الملوك قبيل الأسرة الثامنة عشرة . وقد نشرت محتويات هذه البردية أكثر من مرة ولكن تعديلات كثيرة فى ترتيب أجزائها جاءت عقب ترميمها بواسطة الدكتور ، إيشر ، مرمم متحف برلين ، ونشرها الأثرى فارينا بعد الترميم عام ١٩٣٨ ولكن الأثرين جاردينر ( A. H. Gardiner ) وشرنى ( Jaroslav Cerny ) راجعا الأصل وأصلحا بعض قراءات فارينا ونشرا نتيجة أبحاثهما فى

(١) نشر فرنر كيزر بحثا عن الشمس وحور جمع فيه آراء من سبقوه وتطور معنى أتباع حورس على ممر العصور ، WERNER KAISER, Einige Bemerkungen Zur. Egyptischen Frühzeit : Zu der Smsw Hrln ZAS, 84 (1959) p. 119 ff.

(٢) ينكر الإثرى الإيطالى فارينا قصة تهشيم هذه البردية بعد حصول دروفتى عليها وتحطيمها إلى قطع صغيرها عند ركوبه إلى القاهرة ويدعى أنها كانت مهشمة عند حصوله عليها .



نشرة خاصة وزعاها على بعض المتاحف والمكتبات والعلماء<sup>(١)</sup> . وهذه البردية هي دون شك من خير المصادر وأدقها ويعتمد عليها المؤرخون كثيراً في ترتيب أسماء الملوك وعدد سنوات حكمهم ، وقد كتبت في عهد الأسرة التاسعة عشرة وإن كان لا يمكننا معرفة السبب الحقيقي الذي دعا إلى كتابتها .

٣ - تاريخ مانيتون : وإذا كنا لا نستطيع أن نذكر السبب في إعداد كل من حجر بالرمو وبردية تورين أو وقت كتابتها بالضبط فإن هنا مصدراً آخر في المرتبة الأولى من الأهمية نعرف اسم مؤلفه واسم الملك الذي طلب منه كتابته والسبب في ذلك . كان مانيتون ( وورد اسمه في إحدى البرديات مانيثوس ) كاهناً مصرياً في معبد في سمند في محافظة الغربية واشتهر بعلمه ومعرفته لتاريخ مصر ولغتها . وأراد بطليموس الثاني ( حوالي ٢٨٠ ق.م . ) أن يستفيد من علمه وذلك بتكليفه بكتابة تاريخ لمصر إستقى مصادره مما كان في المعابد ومكاتب الحكومة من وثائق . ومما يبعث على الحزن أن تاريخ مانيتون الأصلي فقد في حريق مكتبة الإسكندرية ولم يعثر حتى الآن على أي نسخة كاملة أو ناقصة منه ، وكل ما وصل إلى أيدينا ليس إلا مقتطفات من ذلك التاريخ نقلها المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابه الذي سماه الرد على إبيون ( Against Apion ) مدافعاً فيه عن اليهود ضد ما كتبه إبيون الكاتب الإسكندري ، والذي رمى فيه اليهود بكل شائنة ونقيصة ، فحاول يوسيفوس أن يمجّد بني جنسه فقال إن الهكسوس هم اليهود ونقل كثيراً من كتاب مانيتون مما إعتقد أنه يؤيد حجته .

ووصل إلينا أيضاً من تاريخ مانيتون جداول بأسماء الأسرات والملوك وعدد سنوات حكمهم في مؤلفات بعض الكتاب المسيحيين وخاصة جوليوس الإفريقي Juluis Africanus ( ٢١٧ ميلادية ) الذي نقل عنه الكاتب يوسيبوس ( ٣٢٧ ميلادية ) ، ولكن أفضل النصوص وأدقها هو ما جاء في الكتاب المسمى Chronographia الذي قام بجمعه جيورجيوس سينكلوس Georgius Syncellus . وبالرغم من جميع الأخطاء التي حدثت في النقل وما أصاب أسماء الملوك من تحريف ، وما سقط دون شك من بعض النصوص ، فإن ما وصل إلينا من تاريخ مانيتون مصدر من أهم المصادر لتاريخ مصر ولا يمكن الاستغناء عنه .

(١) كتاب فارينا هو G. FARINA, Il papiro del re restaurato. pubblicazioni egittologiche del R. Museo di Torino, Roma

أما ما نشره جاردنر وشرني في مطبعة فورتوسات خاصة وزعاها على بعض الزملاء والمكتبات تحت عنوان The Turin Canon of kings, 1952

وهناك عدة مؤلفات عن تاريخ مانيتون وأحدثها هو مؤلف

W.G. WADDELL. Manetho (The Loeb Classical Library, Cambridge Mass. 1940 )

٤ - ثبت الكرنك : ولا تقتصر معلوماتنا عن ترتيب ملوك مصر على حجر بالرمو ويردية تورين وتاريخ مانيتون ، بل لدينا أربعة أثبات مختلفة أولاها ثبت الكرنك الذى أقامه تحوتمس الثالث فى إحدى الحجرات الصغيرة إلى جانب بهو الأعياد فى معبد الكرنك ويوجد الآن فى متحف اللوفر ، نقله إلى فرنسا الأثرى الفرنسى بريس دافن Prisse d'Avennes عام ١٨٤٤ . وليس هذا الثبوت جامعاً لأسماء جميع الملوك بل يحوى مجموعة مختارة منهم عددهم ٦١ ملكاً . وقد تحطم أول اسم فى الثبوت ولكن الاسم الذى يليه هو اسم الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ثم يليه بعض ملوك هذه الأسرة ثم الأسرات الخامسة والسادسة ، ثم أسقط الكاتب الأصلى ملوك عصر الفترة الأولى وعاد إلى ذكر بعض ملوك الأسرات الحادية عشرة ثم الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة ثم السابعة عشرة .

ولسنا نعرف السبب المقصود من إقامة هذا الثبوت . فإن تحوتمس الثالث أقامه دون شك لغرض خاص ولهذا لم يذكر ، أو لم يذكر الكهنة الذين أقاموه باسمه ، ملوك الأسرات الثلاث الأولى ، وأغضى عن ذكر ملوك عصر الفترة الأولى وملوك الهكسوس ، ولكنه ذكر بالتفصيل إثني عشر اسماً من ملوك الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة ممن لم يشتهر اسمهم فى التاريخ . ومن المحتمل أن يكون للملوك المذكورين فى هذا الثبوت دون سواهم صلة مباشرة بتحوتمس الثالث ، وربما كانوا من أجداده الذين تتسبب إليهم عائلته (١) .

٥ - ثبت أبيدوس : وإذا كان ثبت الكرنك غير كامل وفيه بعض الاضطراب فإن هناك ثبناً ملكياً آخر فى معبد أبيدوس يزيد كثيراً فى أهميته عن ثبت الكرنك . فعلى أحد جدران معبد الملك سيتى الأول فى أبيدوس ( حوالى عام ١٣٠٠ ق.م ) . نرى هذا الثبوت وقد وقف أمامه الملك رمسيس الثانى يقدم القرابين للملوك المذكورة أسماؤهم عليه وعددهم ستة وسبعون ملكاً .

وتبدأ الأسماء بملوك الأسرة الأولى فتذكر ثمانية ، ويتلوهم سبعة من الملوك الثمانية المعروفين لنا من الأسرة الثانية . فإذا ما وصلنا إلى الأسرة الثالثة نراه

(١) يسمى هذا الثبوت أحياناً ، حجرة الأجداد ، وقد نشر عدة مرات . نشره ليسيوس ونشره بريس دافن ولكن أفضل النصوص هو ما نشره زيته K. SETHE, Urkunden IV, 608 - 610



يذكر خمسة من ملوكها ثم يذكر بعد ذلك ستة من الملوك المعروفين في الأسرة الرابعة ، ثم ثمانية من الملوك التسعة المعروفين في الأسرة الخامسة ، يليهم ملوك الأسرة السادسة . ولم يفعل الملك رمسيس الثاني ما فعله تحوتمس الثالث الذى أسقف ملوك الأسرتين السابعة والثامنة بل نرى أسماء خمسة عشر ملكا منهم ، لم ترد أسماء بعضهم على أى أثر آخر ، ولكنه أهمل ملوك إهناسيا (الأسرتين التاسعة والعاشر ) ولم يذكر إلا ملكين فقط من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، ولكنه ذكر جميع ملوك الأسرة الثانية عشرة وما عدا الملكة ، سوبك - نفرو ، آخر حكام هذه الأسرة .

ولم يذكر ثبت أبيدوس أى ملك من ملوك عصر الفترة الثانية بما فى ذلك ملوك الهكسوس الذين كانوا فى نظر ملوك مصر أجانب مغتصبين لحرية البلاد ، وبالتالي أنجاساً غير شرعيين . ويبدأ بعد ذلك بملوك الأسرة الثامنة عشرة فيسميهم جميعاً إلى أن يصل إلى الملك أمنحوتب الثالث فيتبعه بحور محب آخر ملوك الأسرة وأسقط ، إخناتون ، و ، سمنخ كارع ، و ، توت عنخ آمون ، و ، آى ؛ لأنهم كانوا فى رأيه ملوكا مارقين وخارجين على ديانة آمون ، وكذلك فعل بالملكة ، حتشبسوت ، إذ أسقط اسمها هى الأخرى لأن خروجها على التقاليد وأغتصابها العرش لنفسها جعلها ملكة غير شرعية فى نظر الأجيال التالية . ولم تقف أسماء الملوك عند حور محب بل ذكرت أيضاً الملكين اللذين سبقا سيتى الأول فى الأسرة التاسعة عشرة ، وينتهى الثبت باسم سيتى نفسه (١) .

٦ - ثبت سقارة : عثر على هذا الثبت فى مقبرة أحد الكهنة فى سقارة واسمه «تندى» الذى عاش فى أيام رمسيس الثانى ، وهو الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة .

وهذا الثبت مكتوب على الجانبين وكان عليه أسماء ثمانية وخمسين ملكا يبدأون بالملك « مر - پى - با ، سادس ملوك الأسرة الأولى وينتهون بالملك رمسيس الثانى .

(١) هذا الثبت منشور فى مؤلفات عدة ويمكن فحص أسماء الملوك فى بحث MEYER. Aegyptische Chronologie, 1904 وأنظر أهم المؤلفات عنه فى كتاب PORTERMOSSE. Biliog- raphy, Vol. VI. p. 25 وكان هناك ثبت آخر بأسماء الملوك فى معبد الملك رمسيس الثانى فى أبيدوس أيضاً ولكنه تحطم وتوجد أجزاء منه الآن فى المتحف البريطانى . أنظر كتاب پورتر - موس السالف الذكر صفحة ٣٥ حيث تذكر مؤلفنا الكتاب جميع المراجع التى بحثت هذا الموضوع .

فسر بعض الباحثين وجود هذا الثبوت وترتيب أسمائه على أساس صلة أصحابها بمدينة منف وأنهم الملوك الذين شيدوا في معابد تلك العاصمة أو قدموا هبات لآلهتها . وربما كان الملك « مر - بي - با » هو أول ملوك الأسرة الأولى الذين أقاموا في العاصمة الجديدة . وعلى أى حال فقد ورد اسم ملكين آخرين من ملوك الأسرة الأولى وثمانية من ملوك الأسرة الثانية وأربعة من الملوك الخمسة الذين حكموا في الأسرة الثالثة . ومما يسترعى النظر أنه من المرجح جداً أنه كان مذكوراً على هذا الثبوت تسعة ملوك للأسرة الرابعة ولكن مما يدعو إلى الأسف أن الأربعة الأخيرة قد تحطمت أسماؤهم . فإذا ما وصلنا إلى الأسرة الخامسة نرى أسماء ثمانية من ملوكها التسعة ولكننا لا نرى إلا أربعة فقط من ملوك الأسرة السادسة .

ولا يوجد على هذا الثبوت أثر لملوك الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرية ، ولا نجد فيه من ملوك الأسرة الحادية عشرة إلا إسمى الملكين اللذين وردا في ثبوت أبيدوس ، ولكننا نرى أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة كاملة بما في ذلك الملكة التي حكمت في آخر الأسرة ، وقد كتبوها هنا باسم العرش الخاص بها وهو « سويك - كا - رع » .

ولا شك أن الشخص الذى اختار أسماء ملوك هذا الثبوت كان متأثراً بما تأثر به زميله الذى إختار أسماء ثبوت أبيدوس فإنهما معاصران لبعضهما .

ولهذا نجد أنهم أسقطوا جميع ملوك عصر الفترة الثانية كما أسقطوا إسم حتشپسوت وإخناتون ومن تلاه من عائلته ، وينتهى الثبوت بأسماء الملوك الثلاثة الأول من الأسرة التاسعة عشرة وهم رمسيس الأول وسيتى الأول ورمسيس الثانى (١) .

٧ - نصوص الأنساب : وكثيراً ما تساعدنا النصوص التى يكتبها بعض الأفراد عن تاريخ حياتهم فى معرفة تتابع بعض الملوك فى العصور المختلفة ، ولكن هناك نوعاً خاصاً من النصوص أخذ يظهر فى العصر المتأخر من التاريخ المصرى .

ولدينا عدد غير قليل من هذه النصوص ولها كلها شىء من الأهمية ولكن أهمها جميعاً ذلك النص الذى خلفه وراءه الكاهن « عنخف - إن - سخمت » الذى

(١) نشر دى روجيه هذه اللوحة أو الثبوت فى مؤلفه DEROUGE, Recherches sur les monuments des six premières dynasties de Manethon, Pl. 11.

وهى منشورة أيضاً فى كتاب MEYER, Aegyptische Chronologie. Pl. 1. وفى كثير من المؤلفات

كان كاهنا لكل من الإله پتاح وزوجته الإلهة صخمت فى الأسرة الثانية والعشرين أى حوالى عام ٧٥٠ قبل الميلاد .

كتب هذا الكاهن نسبا طويلا لعائلته على لوح من الحجر الجيرى كان فى متحف برلين ( رقم ٣٣٦٧٣ ) ذكر عليه ستين جدأ له ، وكتب أمام الكثيرين منهم أسماء الملوك الذين عاشوا فى أيامهم ، وقد ثبتت صحة وجود الكثيرين منهم من مصادر أخرى . عاش ذلك الكاهن حوالى عام ٧٥٠ قبل الميلاد ولكنه رجع بأجداده إلى الأسرة الحادية عشرة حوالى عام ٢١٠٠ قبل الميلاد أى خلال فترة لا تقل عن ١٣٥٠ سنة . وقد فقد اسما أقدم جدين لهذا الكاهن مع النقوش الأخرى الخاصة بهما ، ولكن إسم الجد الثالث محفوظ وعاش فى عهد الملك منتوحوتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة . وتستمر الأجيال واحداً بعد آخر ، ويذكر بعض أسماء ملوك الهكسوس ولم يحذف عصر العمارنة الذى قامت فيه ثورة دينية على عبادة أمون وغيره من الآلهة إذ عاش له جدان فى عهد ، أمنحوتب الثالث ، وتلاههم آخر فى عهد الملك ، آى ، الذى عبر صاحب النص عن عدم رضاه عنه بكتابة إسمه دون وضعه فى خانة ملكية . إذ جرت العادة منذ الدولة الحديثة على حذف إختاتون ومن جاء بعده من العائلة بما فيهم الملك آى نفسه من الأثبات الملكية لأنهم إعتبروهم مارقين عن دين البلاد .

ولا يخلو هذا النص من كثير من المآخذ . فقد أخطأ صاحبه فى أكثر من وضع كما ترك فجوات كثيرة فى بعض العصور ، ولكن ذلك كله لا يقلل من أهميته كمصدر تاريخى مهم هو وغيره من نصوص الأنساب (١) .

تلك هى أهم المصادر المصرية لدراسة تتابع الملوك على العرش خلال آلاف السنين التى جمعها قدماء المصريين فى صورة إثبات بأسمائهم ، ولكن الآثار المختلفة التى أقامها الملوك والأفراد الذين عاشوا فى أيامهم ، تمدنا بالكثير من المعلومات عن تعاقب الملوك وسنى حكمهم وصلة بعضهم ببعض .

ولا شك فى أهمية جميع هذه المصادر لدراسة التاريخ السياسى للبلاد ولكنها قلما تساعدنا على معرفة ما كان عليه الشعب أو ما كان يحدث من تطورات فى المجتمع أو فى الفنون المختلفة ، أو فى المظاهر الثقافية والدينية بوجه عام ، وهى كلها على أكبر جانب من الأهمية لفهم الحضارة المصرية . ولدينا ولله الحمد مصادر

---

(١) جمع بورخارت عددا من هذه النصوص ونشرها فى كتابه LUDWIG BORCHARDT, Mittel Zur Zeitlichen Festlegung von punkten der aegyptischen geschichte and ihre Anwendung (Cairo) 1935 . pp. 92 - 114 .

لا حصر لها تساعدنا فى تلك الدراسة وتمدنا بالكثير من المعلومات . فالمتحف فى جميع أرجاء العالم ملأى بما خلفته الحضارة المصرية فى جميع العصور من تماثيل ، ولوحات ، وتوابيت ، وحلى ، وأوان ، وأدوات منزلية ، وأدوات الصناعات وذوى الحرف المختلفة . ولدينا التماثيل والتعاويذ وقراطيس البردى وغيرها وعليها الكتابات المختلفة ، بعضها قطع أدبية والبعض الآخر نصوص دينية أو سحرية ، وبعضها يحتوى على نصوص طبية أو رياضية .. إلخ .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل أن المصريين ، فى جميع العصور ، أبوا إلا أن يسجلوا مظاهر حياتهم على جدران قبورهم أيضا . فأينما ذهب الإنسان فى مصر سواء على مقربة من العاصمة القديمة منف ، أى فى سقارة والجيزة وما جاورهما ، أو ذهب إلى بلاد مصر الوسطى أو فى الصعيد ، وبخاصة فى طيبة عاصمة مصر فى عهد الإمبراطورية ، وجد مقابر عنى المصريون بتغطية جدرانها بمناظر الحياة اليومية حينما والحياة الأخرى حينما آخر ولم يقتصر الأمر على مصر وحدها بل كثيراً ما نرى فى تلك المقابر أو على جدران المعابد مناظر أو نصوصا تتعلق بشعوب البلاد الأجنبية الذين إتصلت بهم مصر فنرى أصحابها يلبسون ملابسهم الوطنية ، وقد رسمت فى أيديهم أو على مقربة منهم مصنوعات بلادهم المختلفة مما كانوا يحضرونه إلى مصر كجزية أو هدية يقدمونها إلى الجالس على العرش أو للإتجار بها مع أفراد الشعب .

وهذه الملايين من الآثار الصغيرة ومئات الآلاف من التماثيل واللوحات والتوابيت وقراطيس البردى والأوستراكا (الخفاف) وآلاف المقابر من جميع العصور هى مصادرنا الأصلية لدراسة الحضارة المصرية . وقد إهتمت المتاحف المختلفة بنشر المهم من مجموعاتها كما إستطاع العلماء ترجمة أكثر النقوش المعروفة وأصبح كل ذلك تحت تصرف الباحثين فى تاريخ المصريين وحضارتهم (١) .

ومهما قيل عن نتائج الحفائر وما ظهر منها حتى الآن فلا يزال أمامنا الكثير من المناطق الأثرية لم يكدمس أحد وبخاصة فى الدلتا وفى الصحراء ، كما أن أكثر المناطق الأثرية فى مصر الوسطى ما زالت تحتفظ بأكثر ما أبقى عليه الزمن من مخلفاتها ، حتى طيبة نفسها عاصمة الإمبراطورية فإنه لم يتم حفرها أو بحثها البحث العلمى الكافى ، ولهذا يمكننا القول بأنه ما زال أمام علم الآثار المصرية وقت طويل ربما إمتد إلى أكثر من بضع قرون قبل أن يستطيع علماء الآثار أن يقولوا بأنه لم يعد

(١) أنظر المؤلفات والمراجع المذكورة فى آخر الكتاب .

هناك مزيد من البحث ، وقبل أن يقول المؤرخون إنهم قد قالوا كلمتهم النهائية في تاريخ مصر ، وأنه لم تعد هناك فجوات في ذلك التاريخ .

يكفي هذا القدر من الإشارة إلى مصادر التاريخ السياسي للعصر الفرعوني ، ومصادر التاريخ والحضارة بوجه عام ، ولنتقل الآن للحديث عن أقدم العصور التاريخية في مصر وهو عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق .

**محرقات**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**

### \*\*\* الفصل الثانى \*\*\*

## عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق

الأسرتان الأولى والثانية ( ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ قبل الميلاد )

لم تمدنا الوثائق المصرية حتى الآن بما يكفى من أدلة لمعرفة ما حدث فى تلك الحروب التى كانت بين الجنوب والشمال وأدت إلى إعادة توحيد مصر ، فإن كل معلوماتنا مستمدة فقط من تلك الآثار القليلة للملك العقرب وما ماثلها من آثار ذلك العصر.

وكان المصريون منذ أيام الدولة الحديثة يذكرون على آثارهم اسم ملك يسمى ، منا ، كأول ملوكهم ، وذكروا ذلك أيضا لهيرودوت ونص عليه مانيتون فى تاريخه ، كما كان المصريون أيضا يكتبون اسمه على جعارينهم تيمناً به ، ولكننا لم نعثر على مثل هذا الاسم على آثار الملوك الأوائل (١) ؛ وكل ما يمكننا تقديمه من فروض هو أنه ربما كان إسماً آخر للملك المعروف لنا باسم ، نعرمر ، (٢) الذى عثر له على بعض الآثار المهمة فى هيراقونبوليس ( الكوم الأحمر شمال أدفو ) وفى أبيدوس ، وأشهرها لوحته الشهيرة التى توجد الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة . ويكاد يتفق جميع المؤرخين الآن على إعتبار ، نعرمر ، أول ملك فى الأسرة الأولى ، وأن ، منا ، ليس إلا إسماً آخر لم نعثر عليه حتى الآن . ونرى على وجهى لوحته منظرين يختلفان فى تفصيلهما ولكنهما يتفقان فى الهدف ، وهو تسجيل إنتصار هذا الملك على أعدائه . ففى أعلى اللوحة - فى كل من الوجهين - نرى اسمه ، نعرمر ، مكتوباً داخل

---

(١) ظن واحد من الأثريين فى وقت من الأوقات أنه عثر على اسم ، من ، على إحدى اللوحات العاجية الصغيرة الخاصة بالملك ، عجا ، ثانى ملوك الأسرة الأولى ، ولكن إعادة فحص هذه اللوحة أثبت أن تلك القراءة لا تخلو مما يدعو إلى الاعتراض ، وأن تلك العلامة التى قرئت كاسم الملك ، منا ، ليست إلا رسم قاعدة التتويج فى أحد الاحتفالات المعروفة أنظر - VIKEN-TIEV, Annales du Service , XXXIII (1933), p. 208-234, XXXIV (1934), p. 28-35.

(٢) ورد اسمه على بعض آثاره مكتوباً ، نعر ، فقط ولهذا يتردد بعض المؤرخين فى نطق اسمه ، هل ينطقونه ، نعر ، فقط أم يتبعون النطق الأكمل والأشهر - وأيضاً الأصح - ، نعرمر ، .

مستطيل يمثل واجهة القصر وعلى يمين الاسم ويساره رسم لرأس المعبودة حتحور بوجه إنسانى وأذنى وقرنى البقرة . وعلى أحد الوجهين ، وهو الخلفى منهما ، نرى الملك واقفاً وعلى رأسه تاج الجنوب يقبض على ناصية عدو راكم أمامه اسمه ، واع - شى ، ، وقد رفع فى يده اليمنى دبوس قتاله ليهوى به على رأسه . وأمام الملك ، نرى المعبود حورس على شكل صقر يقبض بيده على حبل يجرب به رأس عدو له يعلوه ستة أعواد من نبات البردى يمثل كل منها عدد ألف أى أن المعبود حورس مكته من أعدائه وسلم إليه ستة آلاف أسير من بينهم . ويمشى خلف ، نعرمر ، أحد أتباعه وقد حمل فى يده اليمنى إناء ، وفى يده اليسرى يحمل خفى الملك . وفى أسفل اللوحة نرى اثنين من أعدائه وفوق كل منهما اسمه . أما الوجه الآخر فيختلف إذ يحتل الجزء الأوسط منه رسم حيوانين إستطالت أعناقهما وإلتفت حول بعضهما فتركت دائرة بينهما ، وقد أمسك بمقود كلا من الحيوانين أحد الأتباع ليجذبه بعيداً عن الآخر . وفى الجزء الأسفل من اللوحة نرى ثوراً - وهو تمثيل أيضاً للملك - يحطم بقرنيه أحد الحصون وقد إرتمى شخص يمثل أصحاب هذا الحصن تحت قدمى الثور . أما الثلث الأعلى من اللوحة فيملاً فراغه منظر آخر نرى فيه نعرمر وقد إرتدى تاج الشمال ويمشى وراءه ذات الموظف الذى نراه على الوجه الآخر ، ونرى موظفاً ثانياً يسير أمامه وقد تقدمه أربعة من الأتباع يحملون أعلام أربعة من الآلهة ، وأمام تلك الأعلام خمسة صفوف فى كل واحد منها جئتان لشخصين قطعت رؤوسهما .

ولا شك فى أن المناظر التى على هذه اللوحة تسجل إنتصار ، نعرمر ، فى الحرب ، وتسجل أيضاً إحتفاله بذلك النصر وقد وضع على رأسه تاج الشمال . وبالرغم من أن اسمه مكتوب فى أعلى هذا الوجه فإن الفنان أراد أن يؤكد لنا مرة أخرى أن ذلك الذى يلبس تاج الشمال ليس إلا ، نعرمر ، فكتب اسمه مرة أخرى أمام وجهه .

لقد أشرنا إلى المناظر التى على رأس دبوس الملك العقرب ، وهى تسجل أيضاً إنتصاره فى حرب ضد أهل الدلتا وسكان الصحراء ، ولكننا رأينا يلبس تاج الصعيد فقط ، فلعل ، نعرمر ، هو الذى أتم ما بدأه غيره من جهد وأنه أخضع الدلتا إخضاعاً تاماً ، وكان بذلك أول من توج من ملوك الصعيد ملكاً أيضاً على الدلتا ، ومما يرجح هذا الفرض أن الرسوم التى على دبوس قتاله ، الذى عثر عليه أيضاً فى هيراقونبوليس ، ترينا مناظر الإحتفال بتتويجه ملكاً على الدلتا إذ نراه يلبس تاج الشمال ويجلس على العرش وقد اصطف وراءه كبار الموظفين ، وتحلق فوق رأسه الرخمة وهى إلهة الكاب لحمايته ، ووقف أمامه حملة أعلام الآلهة الأربعة كما نقرأ أيضاً



أعداد مئات الآلاف التى استولى عليها من الماشية والماعز ، وكذلك الأسرى من الناس .

وعثر على آثار أخرى لهذا الملك عند حفر مقابر أبيدوس فى أواخر القرن الماضى ، ويثير هذا الأمر نقطة مهمة فى التاريخ المصرى . فليس قبر نعرمر هو القبر الأوحى فى أبيدوس ، بل هناك مقابر أخرى لملوك الأسرة الأولى وبعض ملوك الأسرة الثانية مما يثبت لنا أن تلك العائلة التى نشأ منها ، نعرمر ، إتخذت عاصمة لها على مقربة من ذلك المكان ، وأن العاصمة القديمة ، نخن ، ( الكوم الأحمر شمالى أدفو ) أصبحت عاصمة دينية فقط . كانت العاصمة الجديدة على مقربة من أبيدوس وتسمى ، ثنى ، ومكانها يجب ألا يكون بعيداً عن الجبانة الملكية ولكننا لا نعرفه على وجه التحقيق حتى الآن (١) .

كانت ، ثنى ، هى أول العواصم المصرية فى عهدها الجديد ، وظلت طيلة أيام الأسرتين الأولى والثانية عاصمة للبلاد والمقر الرسمى للملوك ولو أن ملوك هاتين الأسرتين كانوا يقيمون من آن لآخر فى الشمال ، فى مدينة كانت تسمى ، القلعة البيضاء ، نسبوا إنشاءها فيما بعد إلى الملك ، منا ، وهى التى سماها المصريون فيما بعد مدينة ، منف ، .

وسواء أكانت تلك المدينة الشمالية قد أنشئت حقاً فى عهد ، منا ، أو أنها أنشئت فى عهد أحد خلفائه ، وسواء أصبح ما زعمه المتأخرون من أن منا حول مجرى لنيل لينشئ هذه العاصمة الجديدة أو أن الأمر لم يعد حفر ترعة أو عمل مشروع صغير من مشروعات الرى ، فإن إختيار الموقع كان ذا أهمية كبرى لحكم الشمال والجنوب إذ أن المكان الطبيعى لعاصمة مصر يجب أن يكون على مقربة من المكان الذى تلتقى فيه الدلتا بالصعيد ، وهو موقع أكثر عواصم مصر المهمة فى جميع العصور منذ عهد ، منا ، حتى الآن .

ومنذ حفر أميلينو (Amélineau) وپترى (Petrie) فى أبيدوس فى أواخر القرن الماضى ووجدوا فى مقابرها كثيراً من الآثار المهمة تحمل أسماء ملوك الأسرة الأولى

---

(١) أراد بعض الأثريين منذ زمن بعيد أن يرى مكانها حيث توجد الآن قرية الطينة على مقربة من برديس ، ولكن هذا رأى لم يلق قبولا من الأثريين الذين يميلون إلى الأخذ بما قاله دارسى من أن مكانها يجب أن يكون فى مكان القرية المعروفة باسم البريا الآن DARRESS. Recueil des Trav. XVI (1894) p. 124 ولكن مكان البريا بعيد نسبياً عن أبيدوس ولم يعثر فيها على آثار هامة تؤيد مثل هذا رأى ، وهناك أيضاً رأى آخر يفضل وضع مكان تلك العاصمة القديمة قريباً من مدينة جرجا الحالية .

كان الاعتقاد السائد حتى عام ١٩٢١ أن مقابر أولئك الملوك كانت هناك . ولكن حدث بعد ذلك أن عثر الأثريون على أسماء بعض أولئك الملوك أيضا في مقابر في طرخان (جنوبى كفر عمار) وفي سقارة ، ثم أخذت مصلحة الآثار منذ عام ١٩٣٠ تحفر بانتظام فى المنطقة البحرية من سقارة فوجد فيرث (W.C.Firth) بعض المقابر ثم تولى إمري (W.B.Emery) إتمام حفر تلك المنطقة منذ عام ١٩٣٥ حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ووجد عددا من مقابر الأسرة الأولى هناك ، وعثر فيها على أسماء جميع ملوك الأسرة ابتداء من ، عجا ، ما عدا مقابر ، جت ، و ، قا - ع ، و ، سمرخت ، ، كما عثر على مقابر بعض كبار الموظفين مثل ، حما كا ، . وهنا ظهرت المشكلة الرئيسية التي لم نصل إلى حل لها حتى الآن . لم يعثر پتري أو أميلينو على أى شىء فى أبيدوس يثبت أن ملوك الأسرة الأولى دفنوا حقا فى تلك المقابر كما اتضح أيضا أن مقابر سقارة أكبر وأفخم من مقابر أبيدوس ، ففى أى المنطقتين دفن هؤلاء الملوك إن كانت مقابر سقارة قد أقيمت حقا لأولئك الملوك وليس لوزرائهم الذين كانوا يقيمون فى العاصمة الجديدة فى الشمال ؟ .

وأراد كثير من الأثريين وعلى رأسهم إمري أن يرى فى مقابر سقارة المدافن الحقيقية لأولئك الملوك وأن مقابر أبيدوس لم تكن إلا أضرحة أو نوعا من المدافن التى تقام لتخليد الذكرى فقط فى جبانة عاصمة إقليمهم الذى نشأوا فيه .

وعاد إمري مرة ثانية لاستئناف حفائره فى عام ١٩٥٣ وعثر على مقبرتين ملكيتين إحداهما فيها أشياء كثيرة من عصر الملك ، جت ، والأخرى فيها أشياء أخرى من عهد الملك ، قا - ع ، وكلاهما أكبر كثيرا من مقبرتيهما فى أبيدوس .

واستمرت حفائر إمري حتى عام ١٩٥٥ وأمدتنا بالكثير من آثار الأسرة الأولى ، وألقت كثيرا من الضوء على تاريخ ذلك العصر وحضارته ، وجلت كثيرا من النقاط الغامضة ، ولكن رغم كل هذا فإن إمري لم يجد سواء فى حفائره قبل عام ١٩٣٩ أو بين ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ أى دليل قاطع على أن ملوك الأسرة الأولى كانوا يدفنون فى سقارة ، وفى بحث ظهر له فى عام ١٩٥٥ نراه يفضل ترك الباب مفتوحا ويختم مقاله بقوله ، ولكننا لم نجد حتى الآن الدليل النهائى على أنها ( أى المقابر ) هى المدافن الحقيقية للملوك ولا بد من عمل حفائر أخرى قبل أن نتمكن من الوصول إلى التأكد الكامل ، (١) .

(١) بحثه الذى نشره فى كتاب Les grandes découvertes archéologiques de 1954 الذى نشرته مجلة Revue du Caire عام ١٩٥٥ . ولكنه عاد فى عام ١٩٥٨ فأكد أن بعض مقابر -

وقبل أن نتحدث على ما ظهر من آثار لملوك الأسرتين الأولى والثانية وما وصلت إليه حضارة مصر في ذلك العهد البعيد يحسن بنا أن نلقى نظرة عابرة على أهم ما نعرفه عنهم . فقد كان ، نعرمر - منا ، أول ملوك هذه الأسرة ، وقد عثر على قبر له في أبيدوس ، وجاءت أهم آثاره من معبد نخن في هيراقونبوليس (الكوم الأحمر) كما ذكرنا ثم تلاه على العرش الملك ، عحا ، ( معناها المحارب ) ، وقد عثر له على قبر في أبيدوس وعلى آثار باسمه في قبر آخر أكبر منه في سقارة ونرى على آثاره إشارات كثيرة إلى حروب ضد الليبيين والنوبيين ، وإلى احتفالات دينية وبخاصة ما يتعلق منها بمراسيم تتويجه ، وتشير كذلك إلى تشييد بعض المعابد للمعبودات وبخاصة للمعبودة ، نيت ، التي كان مقر عيادتها في مدينة صا الحجر في غربي الدلتا ، وكانت زوجته تسمى ، نيت - حتب ، وربما كانت من أهل تلك المدينة .

وجاء من بعد ، عحا ، ملك آخر وهو الملك ، چر ، وتمتاز آثاره بكثير من التقدم الفني ، ولأمر ما اعتقد المصريون القدماء في العصور التالية أن قبره في أبيدوس هو قبر المعبود أوزيريس وكانوا يحجون إليه ويقدمون القرابين له حتى كشفت عن حقيقته حفائر أميلينو في أواخر القرن الماضي .

ويظهر أن ، چر ، لم يكن أقل من سلفه ، عحا ، في نشاطه الحربي ، فقد عثر في عام ١٩٤٩ على اسمه مكتوباً على صخور جبل الشيخ سليمان على مقربة من بوهن أمام وادي حلفا وهو يسجل هناك انتصاره على أهل النوبة ، ويدل ذلك على اهتمام ملوك الأسرة الأولى بتأمين حدود مصر الجنوبية وفتحهم المنطقة الواقعة جنوبي الشلال الأول لأجل التجارة مع السودان (١) .

وفي عهد خلفه الملك ، واچيت ، أو ، چت ، نرى أن سياسة التوسع التجاري ، وربما أيضاً استغلال المناجم لم تقل ، وأن أولئك الملوك اهتموا بدروب الصحراء وتأمين التجارة فيها إذ عثر على اسم هذا الملك مكتوباً على صخور أحد تلك الدروب

---

= مقابر سقارة هي مقابر لبعض ملوك الأسرة الأولى واعترف بأنه لم يكن على صواب في ترده - أنظر كتابه W.B. EMERY, Great tombs of the First Dynasty (London 1957, p.4)

(1) AJ. ARKELL. Varia Sudanica in JEA. Vol 36 (1950), p.27-30 .

(2) JJ. CLERE, Un Graffito du roi djed dans le désert arabe, Annales du Service, XXXVIII, p. 85-94 .

التي كانت تربط بين إدفو والبحر الأحمر<sup>(٢)</sup> وهو الدرب المار بوادي مياه ، والذي ظل مستخدماً في جميع العصور سواء للتجارة أو الحصول على بعض معادن تلك المنطقة وبخاصة الذهب .

كانت مصر قد وصلت إلى حد غير قليل في مضمار التقدم في عهد الملك 'جت' ، ولو دققنا في فحص مخلفات عصره نرى أن كثيراً منها قد بلغ فيه الإتقان حداً يجعل منها تحفاً فنية مثل لوحته التي توجد الآن في متحف اللوفر . وقد عثر على قبر له في أبيدوس وعلى قبر آخر في سقارة ، أما المقبرة التي عثر عليها في نزلة البطران على مقربة من أهرام الجيزة والتي ظهر فيها اسمه مكتوباً على بعض مافيها من قطع أثرية فربما كانت لأحد أفراد عائلته أو كبار موظفيه .

أما خامس الملوك وهو الملك ' دن ' ، (١) قد عرفنا عنه الكثير ، ليس من مقابره أو مقابر معاصريه فحسب بل من حجر بالرمو أيضاً ، ونرى أنه قد اتخذ لنفسه لقباً جديداً باستخدام نبات السبوت رمزاً للصعيد والنحلة رمزاً للدلتا . كما نعرف أيضاً أنه حارب البدو الذين في شرقى مصر ، كما نرى بعض تفاصيل احتفاله بعيد يسمى عيد ' السد ' أو الاحتفال الثلاثيني الذي لعب دوراً كبيراً في حياة الملوك المصريين ، وعقيدة الألوهية الملكية .

كان هذا الاحتفال معروفاً في مصر دون شك قبل الأسرة بزمان كبير ، ويرجع أصله إلى عادة ما زالت تمارسها بعض الشعوب الإفريقية حتى الآن ، وهي تحديد ثلاثين سنة لحكم أى زعيم ؛ لأن رخاء الناس يتوقف على قوة ذلك الزعيم . فإذا امتد عمره أكثر من ذلك قضوا عليه في حفل ديني . وما زلنا نرى حتى اليوم بعض القبائل الإفريقية تضع حداً لحياة زعمائها ، كما تقدم البعض الآخر في تفكيره وقبل من الزعيم أن يثبت قوته باصطياد أسد أو قتل عدو فيشتري بذلك سنوات أخرى من الحياة . وتقدم آخرون أكثر من ذلك فجعلوا الزعيم يحصل على سنوات أخرى باسترضائه للإله بتشييد معبد جديد ، أو تقديم قرابين خاصة في حفل خاص يثبت

(١) كان اسمه ينطق دن ثم أراد العالم زينة الأثرى الكبير أن ينطق ' أوديمو ' وظل هذا النطق الثانى معترفاً به أكثر من عشرين عاماً إلى أن ظهرت أبحاث جديدة تفضل العودة إلى النطق القديم .

(٢) كتب سيلجمان عدة أبحاث عن مشاهداته بين القبائل الإفريقية لبعض العادات التي كانت معروفة في مصر القديمة في أقدم عهودها ، ويوجد له بحث خاص بنتيجة تلك المشاهدات وهو:

C.G. SELIGMAN, Egypt and Negro Africa (1934) .

فيها هذا الزعيم استمتعاه بالصحة الوفيرة (٢) .

ويظهر أن هذه العادة كانت معروفة ومتبعة في مصر في وقت مبكر قبل عصر الأسرات ، ووصلت إلى مرحلتها الأخيرة وهي تجديد الحق في البقاء في الحكم قبل أن تنتهي فترة الثلاثين سنة ويكون ذلك في احتفال وفق مراسيم خاصة يثبت فيها الزعيم قوته ، ويشيد لهذه المناسبة بعض المباني الخاصة ويقام لبعض المعابد أو هياكل . وظل ملوك مصر منذ الأسرة الأولى حتى آخر أيام حضارتها مخلصين لهذا التقليد وكثيراً ما نرى الإشارة إليه ، ونرى بعض مناظر طقوسه ، على جدران المعابد في جميع العصور حتى ما شيد منها في أيام الرومان .

وأهم الآثار من عهد الملك ، دن ، هي مقبرة ، حماكا ، في سقارة ومقبرة زوجته ، مريت - نيت ، في أبيدوس . وخلفه على العرش ابنه ، عج - إب ، الذي احتفظ لنا حجر بالرمو بالشئ الكثير عن حوادث عصره ومنها حروبه وأحتفاله بعيد ، السد ، ثم أمره بعمل إحصاء شامل في البلاد كان يتكرر كل عامين .

ونعرف أيضاً من حجر بالرمو ومن الآثار الأخرى شيئاً غير قليل عن ، سمرخت ، ، وأهم شئ يتصل باسم هذا الملك هو بدء المنازعات واغتصاب العرش بين أفراد البيت المالك مما كان سبباً لقرب إنتهاء حكم هذه العائلة ، والأمر الثاني هو ترديد إسمه في المؤلفات الأثرية على أنه صاحب النقش الكبير في وادي المغارة بسيناء (١) . ولكنى أعتقد أن ذلك النقش لا يمكن أن يكون من عهد الأسرة الأولى وإنما هو للملك ، سخم - خت ، الذي تولى الملك بعد زوسر في الأسرة الثالثة والذي أراد تشييد هرم مدرج آخر في سقارة عثر عليه عام ١٩٥٤ .

وآخر ملوك هذه الأسرة هو الملك ، قا - ع ، وقد عثر له أيضاً على آثار في قبر أبيدوس ، وكذلك في مقبرة كبيرة في سقارة كتب اسمه على كثير مما بقى من محتوياتها ، وتمدنا تلك الآثار بعدد وافر من أسماء موظفيه والوظائف التي كانوا يتولونها ، ونعرف من هذه الوظائف شيئاً غير قليل عن تنظيم إدارة البلاد في ذلك العهد إذ كان بعض أولئك الموظفين مشرفاً على أعمال الري أو جباية الضرائب أو حفظ السجلات وغير ذلك .

---

(١) هناك احتمال كبير بأن هذا النقش وبعض نقوش شرابيط الخادم في سيناء قد قطعت من أماكنها أثناء العدوان على شبه جزيرة سيناء في شهر نوفمبر ١٩٥٦ .

### ملوك الأسرة الثانية - ( ٢٩٨٠ - ٢٧٨٠ ق. م . )

ونحن نجهل تماماً الأسباب التى دعت إلى تغيير هذه العائلة أو الحوادث التى جرت فى أيام ، قا - ع ، وانتهت باعتلاء أسرة أخرى على العرش ، كما نجهل أيضاً الصلة بين العائلتين إذا كان هناك حقيقة انتقال للملك من عائلة إلى أخرى ، ونحن نتبع مانيتون فى تقسيمه للأسرات ، ولا ريب أنه كانت لديه الوثائق الكافية التى تبرر ذلك التقسيم .

وفى الواقع لا نرى أى تغيير ، ولا نحس بأى أثر لانتقال فجائى ، فإن كل شئ استمر فى سيره الطبيعى سواء من ناحية التطور الفنى أو فى تنظيم الحكومة بوجه عام .

وهناك اختلاف كبير بين المصادر القديمة فى ترتيب ملوك هذه الأسرة ، كما أن الأسماء التى وردت نقلاً عن مانيتون فى صيغها المكتوبة باليونانية يصعب إرجاع بعضها إلى أصله المصرى .

وعلى أى حال فلم يعثر أحد فى أبيدوس على مقابر بعض ملوك تلك الأسرة مما يرجح أنهم كانوا يفضلون العاصمة الشمالية الجديدة ، وهى القلعة البيضاء ، لتكون مقاماً لهم أثناء حياتهم ، وفضلوا أيضاً تشييد مقابرهم على مقربة منها وربما عثر عليها فى سقارة فى المستقبل .

ونرى فيما تركه أولئك الملوك إشارات لقصور يشيدها الملوك بعد العام الرابع من حكمهم ، ومعابد يقيمونها للمعبودات المختلفة وبخاصة ، سوكر ، وهو من أعظم معبودات العاصمة الجديدة شأناً ، كما نرى أيضاً من أختام موظفيهم إطراد تقدم التنظيم الحكومى ووجود الإدارات المختلفة . ونرى من دراسة جداول أسماء الملوك أننا نعرف منهم ثمانية على الأقل ، ولا شك فى ترتيب الثلاثة الأول منهم وهم ، حتب سخموى ، و ، رع نب ، و ، نى نتر ، كما أننا متأكدون من ترتيب آخر ثلاثة منهم وهم ، پرى إب سن ، و ، خع سخم ، و ، خع سخموى . ونعرف أيضاً أن الأمور فى تلك الأسرة لم تسر فى يسر وهدوء وإنما كانت مقترنة بالكثير من المتاعب ولكننا لا نستطيع تحديد تلك المتاعب أو أن نذكر أشياء معينة اللهم إلا عندما وصلت الأمور إلى درجة محاولة التغيير فى نظام الدولة العام ، والثورة على عبادة حورس .

فقد سبق أن أشرنا إلى أنه كان للمعبود ، ست ، مركز رئيسى فى الصعيد ولكن انتشار عبادة حورس كادت تطيح به وينفوذ كهنته ، وبخاصة عندما أصبح الملوك قبل بداية الأسرة الأولى يمثلون حورس ويعيشون فى ظله ، وأصبح كل منهم ينسب نفسه

إليه . وزاد الطين بلة - بالنسبة للصعيد - أن الملوك فضلوا العاصمة الجديدة عند ملتقى الدلتا بالصعيد ، ومن المحتمل أيضاً أنهم أخذوا يتأثرون بثقافة أهل الشمال ويظهرون الاهتمام بمعبوداتهم .

وفى كل زمان توجد فئة من المحافظين الذين يتطلعون إلى القديم ويرون فيه المثل الأعلى ، وفى كل زمان أيضاً يوجد الرجعيون الذين يعز عليهم إدخال أى تغيير طالما يؤثر ذلك على مصالحهم الشخصية ، ويوجد كذلك فى كل زمان ومكان بعض رجال الدين الذين يابون أن يروا انصراف الناس عنهم ويحاولون استثارة كامن العواطف بين مختلف طوائف الشعب ليبقى لهم نفوذهم وثراؤهم وسيطرتهم .

ومهما قلت معلوماتنا عن النصف الثانى من الأسرة الثانية فإننا نجزم بحدوث رد فعل شديد ضد المعبود حورس وضد نفوذ العاصمة الجديدة . ونرى الملك ، پرى - إب - سن ، يعلنها حرباً صريحة على حورس فيحذف اسمه من ألقابه ويضع بدلاً منه منافسه القديم المعبود ، ست ، . بل يذهب إلى أبعد من ذلك ويفعل ما لم يفعله أحد من قبله أو من بعده وهو وضع رمز ، ست ، فوق اسمه المكتوب داخل رسم يمثل واجهة القصر ويعلن أنه هو رمزه وأنه تمثل فيه ويذكر فى بعض آثاره أن ست معبود نوبت ( مدينة أومبوس فى محافظة قنا ) هو الذى سلم إليه البلاد .

ولم يقف ، پرى - إب - سن ، عند ذلك الحد بل عاد مرة أخرى إلى الصعيد ، وأبى إلا أن يعود إلى التقليد القديم وهو تشييد قبره فى أبيدوس ، وليس فى سقارة . ومن الأسف أننا لا نعرف رد الفعل الذى حدث فى الشمال فإن ذلك العمل كان خروجاً قوياً على ما سارت عليه مصر من تقاليد منذ بداية الأسرة الأولى على الأقل ، فإن تمثيل الملك بحورس أصبح متأصلاً منذ أجيال ، خصوصاً وأن حجر الزاوية فى استمرار الحضارة المصرية كان قائماً على ألوهية الملك الذى أصبح منذ توليه أمر البلد هو حورس ، وكان يعبد من شعبه على هذا الأساس ، وأصبح واحداً من الآلهة لا يختلف عن غيره من إخوانه ، بل ويمتاز عليهم بأنه كان يحكم الناس على الأرض ويقوم بحفظ النظام وإقامة العدل ويساعد الناس فى مصر على قيامهم بواجبهم لعبادته وعبادة إخوانه من المعبودات .

ثار ، پرى - إب - سن ، على حورس وعلى القلعة البيضاء ، وما من شك فى أن الكثيرين من أهل الصعيد ، وكهنة ست خاصة ، رحبوا بهذا التغيير ولكننا لا ندرى شيئاً عن حرب أو ثورة ضد ذلك الملك ، بل إن ما وصل من آثاره إلى أيدينا لا يكاد يوضح لنا شيئاً اللهم إلا حذف اسمه من بعض أثبات أسماء الملوك باعتباره خارجاً



على عبادة حورس ، كما فعل الكهنة بعد ذلك بمدة تزيد على ألف وثلاثمائة عام باخناتون ومن حكم بعده من أهله لمحاولته تغيير عبادة آمون في البلاد ، وتمجيد أتون بدلا منه ومن المعبودات الأخرى .

ولسنا نعرف أيضاً على وجه اليقين كم بقى من سنين على العرش ، وكيف انتهت أيامه ، ولكننا نعرف أن ذلك التغيير لم يدم بعد وفاته وأن الملك الذى خلفه على العرش وهو ، خع سخم ، عاد إلى عبادة حورس وتمجيده ، وعاد أيضاً إلى النشاط المعتاد وذلك بالقيام بحملات لإخماد ما عساه أن يكون قد قام من فتن في الشمال لأننا نقرأ على قاعدة كل من تمثاليه في متحفى القاهرة وأوكسفورد نقشاً ينبئنا فيه عن انتصاره على أعدائه وقتله ٤٧٢٠٩ من الأعداء الشماليين الذين ربما يكونون قد هجموا على الصعيد ، كما نعرف من النقوش التى على بعض أوانيه .

ويحق لنا أن نتساءل بعد ذلك كله عن صلة ، خع سخم ، بالملك ، پرى - إب - سن ، وهل كان ابنه أو أنه كان أميراً من الأمراء أو كان زعيماً من الزعماء ، اضطر لمواجهة ثورة عاتية في الشمال ضد ما قام به ، پرى - إب - سن ، ؟ والجواب على هذه الأسئلة لا يعدو حد التخمين ؛ لأن ما لدينا من وثائق من ذلك العصر لا يساعدنا مطلقاً على الإجابة ، وإذا رجعنا إلى مانيتون لا نجد فيه إلا قبساً ضئيلاً ، فإذا صح أن ، خع سخم ، هو الذى سماه مانيتون ، سيسو خريس ، فإنه كان فارع الطول إلى حد كبير <sup>(١)</sup> ، وربما كان طول قامته مصحوباً بقوة بدنية ، ساعدته في زعامته وفي حروبه التى شنها لإعادة النظام إلى البلاد ، وحرره ضد سكان ليبيا إلى الغرب من مصر .

ومن الجائز أن ما قام به من أعمال أحدث رد فعل جديد ، وشاءت الظروف أن يلى عرش مصر بعد ، خع - سخم ، ملك قوى حازم أراد أن يرضى كلا من الشمال والجنوب ويضع حداً لتلك الفتنة فاتخذ لنفسه شعاراً ، المعبودين حورس وست مجتمعين ، وكان يضعهما سوياً فوق اسمه ، ذلك هو الملك ، خع سخموى ، الذى تقدمت مصر في عهده تقديم كبيراً زاد فيه استعمال الحجر في المباني ، وأستقرت

(١) ذكر مانيتون أن طوله كان خمسة أقدام مصرية وثلاثة قبضات ، فلو كان القدم في ذلك العهد ٤٣ سنتيمتراً فقط لكان طول ، خع سخم ، أكثر من مترين وربع ، والقدم المصرى المعتاد هو ٥٢ سنتيمتراً وكان يقسم إلى سبع قبضات وكل قبضة إلى أربع أصابع ، ولكن كان هناك أيضاً قدم آخر أصغر منه استخدمه المصريون بكثرة في أوائل أيام حضارتهم ، وربما كان هو المذكور في الوثائق القديمة التى كانت تحت يدى مانيتون .



مصر على أوضاعها الفنية الخاصة بها ، واستكملت أكثر مقوماتها .

امتاز عهده بالهدوء والتقدم فى جميع مرافق الحياة وكانت زوجته تسمى « نى - ماعت - حب » ، وهى أم الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ، ولكن قبل أن ننتقل إلى زوسر وإلى الأسرة الثالثة يحسن بنا أن نقف قليلا لنعرف مدى ما أحرزته مصر فى ذلك العهد من تقدم ، وإلى أى حد وصلت .

كشفت حفائر أبدوس وهيراقونبوليس وسقارة وحلوان وطرخان وغيرها ، (١) عن كثير من آثار ذلك العهد ولهذا لا تعوزنا الآن المادة العلمية اللازمة لدراسة مدى تقدم فنون المصريين وصناعاتهم فى تلك الأيام ، كما وصلت إلينا أيضاً بعض الآثار التى تحوى كتابات ، وأكثرها أختام أسطوانية أو طبعات أختام فوق سدادات الأوانى المصنوعة من الطين ، وهى لا تحتوى عادة إلا على أسماء أصحابها ووظائفهم ، وفى حالات قليلة تشير إلى بعض الضياع أو المباني ، وغير ذلك من الأعمال التى تتصل بأعمال الموظفين أصحاب تلك الأختام . وهناك أيضاً كمية كبرى من النقوش على تلك اللوحات الصغيرة المصنوعة من العاج والتى توجد إلى جانب بعض الأوانى فى مقابر الأسرة الأولى سواء فى أبيدوس أو فى سقارة ، وكذلك بعض الألواح الأردوازية الكبيرة ورؤوس الدبابيس الخاصة بهؤلاء الملوك ، وكذلك بعض الأوانى الحجرية وما هو مسطر على حجر بالرمو من معلومات عما أبقي عليه الزمن من أسماء هؤلاء الملوك .

ويمكننا من دراسة تلك الأشياء معرفة أسماء الملوك وأسماء بعض موظفيهم ووظائفهم ، ويمكننا أيضاً معرفة أسماء بعض القصور والمعابد والآلهة الذين شيدت لأجلهم ، ومعرفة ما قام به بعض الملوك من أعمال خاصة مثل شق الترع أو إنشاء السفن أو الاستيلاء على بعض المدن ، والإحتفال ببعض الأعياد . كما نرى فيها أيضاً رسم بعض المعابد أو الهياكل التى أقامها الملوك فى ذلك العهد المبكر . وإذا أردنا الوقوف على مظاهر الفن أو الحضارة فى مصر ، أو أردنا الإلمام ببعض نواحي الحياة بين الشعب ، فإن هناك من القطع الأثرية مما ظهر فى حفائر حلوان وسقارة وأبيدوس ما يكفى لإعطاء صورة عن مدى التقدم الذى أحرزه الفنان المصرى منذ الأيام السابقة على ظهور الأسرة الأولى . فتلك الحلى وتلك الأوانى الجميلة الصنع ، وتلك الأدوات المنزلية المصنوعة من العاج أو قطع ألعاب التسلية أو الصناديق المزخرفة ، تثبت كلها ذلك التقدم فى الفن وفى مظاهر الحياة الخاصة .

(١) أنظر المراجع العلمية الخاصة بهذا الفصل فى آخر الكتاب .

وإذا درسنا مخلفات ذلك العصر نستطيع أن نعرف شيئاً غير قليل عن بعض أعيادهم وطقوسهم في بعض الاحتفالات ، كما نستطيع أن نعرف أيضاً ، ولو إلى مدى محدود ، شيئاً عن دياناتهم . ونعرف أيضاً الكثير عن تنظيم إدارات الحكومة ، وإذا درسنا بعض المصادر التي كتبت في عصور متأخرة نرى قدماء المصريين يشيرون إلى بعض ملوك الأسرتين الأولى والثانية ويربطون بين أسمائهم وبين القيام بكتابة بعض البرديات المهمة في الطب أو في الحكمة .

كانت الأجيال القليلة السابقة على بدء الأسرة الأولى ، وتلك القرون الأربعة التي حكم أثناءها ملوك الأسرتين الأولى والثانية هي الفترة التي تفاعلت فيها جميع عناصر الحضارة في مصر ، كانت هي فترة التجارب والمحاولات التي قضاها شعب فتى في مستهل أيام حضارته حتى استقر أخيراً على أوضاع خاصة ارتضاها لنفسه ووجد أنها تعبر تمام التعبير عما يريده ، سواء في الدين أو في الفن أو في الحياة بوجه عام ، فاستمسك بها وحافظ عليها ؛ لأن أساسها كان قويا متينا ثابت الأركان . فلما تقدمت به مدنيته استطاع أن يرتفع بالبناء فوق ذلك الأساس فلم يخب ظنه فيه ، وعندما اتصل بغيره من الحضارات فيما بعد لم يجد من بينها ما يلائم حياته أو ذوقه خيراً مما كان لديه فزاده ذلك استمسكاً به .

### \*\*\* الفصل الثالث \*\*\*

## الدولة القديمة

### من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة

( ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م. )

كان لإضطراب الأمور فى النصف الثانى من أيام الأسرة الثانية أثر مباشر على مستقبل مصر . فلا جدال فى أن ثورة « پرى إب سن » على عبادة حورس أثرت على سير الأمور ، ولا جدال أيضاً فى أن ما تبع ذلك من تطاحن فى البلاد كان ذا أثر سىء على تقدمها ، ولكن لم يمض إلا وقت قليل بعد أن انكشفت تلك الغمة حتى نرى مصر وقد بدأت تعوض ما فاتها ، وكأنما كان ذلك التطاحن وعدم الاستقرار دافعاً لها فيما بعد ، فتقدمت فى شتى النواحي واستكملت مقومات مدينتها التى أصبحت مميزاً لها على مر العصور ، كما أوضحنا فى نهاية الفصل السابق .

وفى هذا الوقت الحاسم فى التاريخ الحضارى للبلاد ، ذلك الوقت الذى كانت فيه مصر تتدفق شباباً وحيوية ، جلس على عرشها ملك قوى حازم ، فكان ذلك إيذاناً ببدء عصر جديد .

### الأسرة الثالثة

( ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق.م. )

وبالرغم من أن أول ملوك هذه الأسرة وهو الملك زوسر كان على الأرجح ابناً لآخر ملوك الأسرة الثانية فقد اعتبره القدماء مؤسساً لأسرة مالكة جديدة .

بدأ زوسر (١) حياته كغيره ممن سبقه من الملوك وبنى لنفسه مثلهم قبراً على شكل مصطبة كبيرة من الطوب اللبن ( ٩٥ متراً فى الطول x ٥٠ متراً فى العرض ، وارتفاع ١٠ أمتار ) ، ولكنه لم يشيدها فى أبيدوس بل شيدها فى المنطقة المعروفة الآن باسم بيت خلاف جنوبى قنا ، عثر فيها على كثير من الأوانى وعليها أختام تحمل اسم الملك وتحمل أسماء بعض موظفيه والإدارات المختلفة التى كانوا يتولون شئونها (٢) .

(١) لم يرد اسم « زوسر » على أى أثر لهذا الملك قبل الأسرة الثانية عشرة ، أما اسمه المذكور داخل هرمه وعلى آثاره المعاصرة الأخرى مثل تماثيله ونقوشه ، فهو اسمه الآخر « إرى خت نثر » .

(٢) ربما كان هذا القبر هو القبر الأول لزوسر ، وربما كان أيضاً قبراً لزوجته أو غيرها من أهله .

وشاء حسن حظ مصر أن يظهر فيها فى ذلك الوقت أحد النوابغ الذين تركوا أثراً واضحاً فى تاريخ البشرية ، وقضت عناية الله أن يكون على عرشها ملك حصيف الرأى عرف قيمة نبوغ ذلك الشخص فمد له يد العون ومكنه من تحقيق آرائه ، فخلد إسم الملك زوسر وخلدت أعماله ، وتقدمت مصر فى عهده تقدماً كبيراً فى جميع النواحي .

**إيمحوتب :** لسنا نعرف على وجه اليقين إن كان ، إيمحوتب ، بدأ حياته فى عهد الملك ، خع سخموى ، وكان من بين موظفيه ، أو أنه ظهر فقط فى أيام زوسر ، وعلى أى حال فإن اسمه قد ارتبط باسم ذلك الملك الأخير وحده ، سواء أثناء حياته أو فيما تلا ذلك من أجيال ، فإن المصريين خلدوا اسميهما معا وظل الناس يذكرونهما حتى آخر أيام التاريخ المصرى . واعتبر الكتاب المصريون فى الدولة الحديثة ، إيمحوتب ، إماماً وحامياً لهم ، وكان يحرص كل كاتب قبل بدء عمله على إراقة بضع قطرات من الماء قربانا له .

كان الملوك حتى ذلك العهد يدفنون فى قبور على هيئة مصاطب لا تمتاز فى شكلها العام عن قبور رعاياهم إلا بعظم حجمها وفخامتها ، وكانت تبنى من الطوب اللبن ، وإن كانت بعض أجزائها الداخلية ، وعلى الأخص حجرة الدفن ، تبنى من الحجر .

وبنى زوسر قبره الملكى فى الجنوب على نمط من سبقه من الملوك، إن صحت نسبة قبر بيت خلاف إليه ، ولكن إيمحوتب فكر فى تشييد قبر آخر لسيدة فى جبانة العاصمة الشمالية ، ووضع تصميمه ليكون أفخم من أى قبر شيد قبل ذلك الوقت لأى ملك قبله ، وكانت الفكرة الجريئة الأولى فى تشييد ذلك القبر هى أن يكون مبنيا بكتل من الحجر بدلا من الطوب اللبن فشيد مصطبة كبيرة من الحجر الجيري الذى قطعه من المحاجر القريبة ثم كسا جدرانها الخارجية بأحجار جيرية من النوع الأبيض الممتاز الذى كانوا يحصلون عليه من محاجر طرة فى الناحية الشرقية من النيل .

كانت تلك المصطبة دون شك أفخم وأعظم من أى قبر ملكى آخر فى المنطقة ، وقطع تحت تلك المصطبة ممرات وحجرات جانبية تتوسطها حجرة كبيرة استخدم فى تشييدها أحجار الجرانيت لتكون حجرة دفن الملك .

ولم يقنع إيمحوتب بذلك ، فعدل فى تصميمه الأول وفكر فى شىء جديد . إن سيده زوسر إله معبود من شعبه فيجب أن يمتاز قبره عن غيره ، ويجب أن يرتفع ويعلو ، ولهذا أخذ يبنى مصطبة فوق أخرى ، وكل منها يقل فى الحجم عما تحتها

حتى أصبح الشكل النهائي لقبر زوسر هرما مدرجا ذات درجات ، كانت كلها مكسوة من الخارج بالحجر الجيري الأبيض ، وبذلك كان إيمحوتب أول مهندس معمارى فى تاريخ مصر شيد قبرا يشبه الهرم فى شكله العام . ولم يكتف بذلك بل أحاط الهرم بسور كبير مشيد كله من الحجر الجيري المقطوع من طره ارتفاعه عشرة أمتار وشيد داخل هذا السور مبان عدة كان بعضها لأجل إقامة العيد الثلاثينى والبعض الآخر كان قبرا رمزيا فى الناحية الجنوبية أو معابد تتصل أيضا بالأعياد كما شيد فى الناحية الشمالية من الهرم معبدا قامت فيه تماثيل للملك .

وليس من شأن مثل هذا الكتاب أن يصف تلك المباني أو يسهب فى الحديث عنها ، وكفىنا أن نذكر أن مجموعة الهرم المدرج تعتبر من أهم ما أبقت عليه الأيام من آثار مصر ، نرى فى مبانيه الخطوات الأولى للمصريين عندما انتقلوا من البناء بالطوب إلى البناء بالحجر . فكثيرا ما نرى المهندس القديم يبذل جهده لجعل مبانيه شبيهة بمباني الطوب مثل حجم الأحجار ( ٥٢ سم فى الطول مثل حجم الطوب فى ذلك العهد ، وهو الذراع المصرى ) أو فى تشكيل السقف الحجرى ليكون شبيها بالسقف الذى كانوا يستخدمون فيه فروع الأشجار ، ومثل الأبواب التى تظهر كأنها نصف مفتوحة والأعمدة الحجرية التى تمثل تلك الأعمدة التى كانت تصنع من أعواد النباتات وقد ضمت إلى بعضها .

ويميل أكثر الأثريين إلى قبول رأى القائل بأن السور الخارجى الكبير الذى رسموا فى جوانبه شكل البوابات الثلاث عشرة فى جهاته الأربع ليس إلا صورة من السور الذى كان حول قصر الملك فى الوادى على مقربة من العاصمة وأن المدخل الرئيسى فى الركن الشرقى الجنوبى (البوابة الرابعة عشرة) شبيه بمدخل القصر الملكى بأعمدته وأماكن حراسه ، وأن تلك المباني المشيدة بالحجر قد أقيمت بمناسبة الاحتفال بالعيد الثلاثينى للملك زوسر ، إذ أن هذا الملك قد نقل عاصمة الملك بصفة نهائية إلى الشمال . فى تلك المدينة التى أصبحت تسمى منف فيما بعد (١) . ودفن زوسر فى هرمه هذا ، وفى الممرات المحيطة بحجرة الدفن كدسوا آلاف من الأواني المصنوعة من المرمر وبعضها من الديوريت أو البرشيا أو الجرانيت أو البازلت وغير ذلك من الأحجار ، وبعضها صغير والبعض الآخر يزيد ارتفاعه عن متر ، وقد أمكن حتى الآن

---

(١) أصبح إسمها منف فى الأسرة السادسة عندما شيد فيها الملك ( بى - من نفر ) حيا أطلقوا إسمه عليه فأصبح إسم ذلك : الحى ( من نفر ) مع مرور الزمن يطلق على المدينة بأكملها وصار إسمها فى اليونانية ، ممفيس ، وذكرها العرب فى كتاباتهم باسم منف .

استخراج عدد من تلك الأواني لا يقل عن عشرين ألفا ، وما زال الكثير منها باقيا في الممرات وقد حطمه إلى أجزاء صغيرة سقوط الصخر فوقه .

عرف زوسر قدر مهندسه فكرمه وأراد أن يخلده معه فسمح بأن يكتب اسمه على تماثيله وهذا تقدير كريم لم نعرف له شبيها ؛ لأن الملك كان إلها معبودا من شعبه ، وأراد أن يخلد معه إيمحوتب الذى عرف له مكانه فى دنيا النبوغ . ونعرف من ألقابه أنه كان يتولى وظائف عدة فقد كان مشرفا على الأعمال الإنشائية للملك ، وكان مشرفا أيضاً على إدارة قصره وكان حائزا على لقب رئيس المثالين ، ولكن أهم من ذلك كله فقد كان من ألقابه أنه الرجل الأول بعد الملك أى أنه كان حاكما لأحد الأقاليم وكان كبيرا لكهنة الشمس فى مدينة إيون ، هليو - پوليس . وربما تولى فيما بعد ( أى بعد عمل تلك التماثيل ) وظيفة الوزير لأنها أصبحت لقبه الرئيسى فى العصور التالية (١) .

وقد ذكر المؤرخ المصرى مانيتون أ زوسر حكم تسعة وعشرين عاما ولكن بعض المصادر الأخرى تكتفى بتسعة عشر عاما فقط . أضاف على ذلك قوله ، عاش فى أيام حكمه ( أى إيمحوتب ) الذى يعتقد الإغريق أنه اسكليوبس ( إله الطب ) وذلك لمهارته فى الطب . وقد اكتشف هذا الشخص فن البناء والأحجار المنحوتة وكان يقبل إقبالا كبيرا وبحماس شديد على التأليف .

كان إيمحوتب واحدا من أولئك النوابغ الذين تظهر عبقريتهم فى أكثر من ميدان واحد فلم يقتصر نبوغه على فن العمارة والنحت فأحدث التطور الأكبر فى الفن المصرى بل نبغ أيضاً فى الطب وألف فيه ، كما ألف فى الحكمة . وألهه المصريون بعد وفاته وعبدوه وشيدوا له المعابد فى أواخر أيام حضارتهم وبخاصة فى العصر الفارسى أى فى القرن السادس قبل الميلاد وفى أيام البطالمة بعد ذلك ) ، وأطلقوا عليه ، ابن الإله پتاح ، (٢) . ومن المحتمل أن يكون المصريون قد ألوهوا إيمحوتب فى عصر

(١) من المرجح إن وظيفة الوزير عرفت منذ الأسرة الأولى على الأقل وأن أحد الموظفين اللذين يلازمان نعرمر على لوحته كان وزيرا له وكان اسم الوظيفة يكتب ، ثت ، فى ذلك الوقت ولكننا فقط فى عهد سنفرى أول ملوك الأسرة الرابعة نرى أول وزير يحمل اللقب المعروف ، ناتى ، وكان الأمير نفر ماعت .

(٢) هناك أبحاث كثيرة عن إيمحوتب ولكن أهمها هو البحث الذى كتبه زينه SETHE, Imho- tep, in Untersuchungen, IV وباللغة الإنجليزية إقرأ J.B. HURRY, Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser (Oxford, 1926) أما عن وصف مجموعة الهرم المدرج فقد كتب عنها فيرث وكوبيل ولاور وريكه وغيرهم أنظر المراجع المهمة فى آخر هذا الكتاب .

مبكر (١) ولكنهم لم يشيدوا له المعابد الكثيرة في جميع أرجاء البلاد إلا في العصر المتأخر عندما رأى المصريون أن حضارات أخرى مثل حضارات الإغريق والفرس أخذت تغزو البلاد وتبهر أنظهار بعض أبنائها فكان ردهم على ذلك شدة استمساكهم بحضارتهم القديمة التي كانت أصل المدنيات جميعا ، وأنهم كانوا المعلمين الأول للبشرية .

كان المتبع في مصر حتى ذلك العهد ، وبعد ذلك العهد أيضاً حتى الأسرة الخامسة ، أن جميع الوظائف الكبرى لا يتولى أمورها في أكثر الحالات إلا أفراد من البيت المالِك وبخاصة أولاد الملك نفسه ، فهل كان إيمحوتب ممن لهم صلة بذلك البيت حتى وصل إلى ما وصل إليه ، وما الذي جعل الملك يكتب اسمه على تمثاله وهو تكريم لم ينله أحد من أفراد الشعب قبله أو بعده في وقت سطوة ملوك الدولة القديمة ؟ لم يكن إيمحوتب إلا فرداً من أبناء الشعب وكان مولده على الأرجح في بلدة الجبلين بين الأقصر وإسنا في مديرية قنا ، أما أبوه فكان مثل ابنه مشرفاً على الأعمال ويسمى « كانفر » (٢) وإنما الذي أوصله إلى ذلك المركز العظيم مواهبه وحسن استعداداته .

لقد أطلت في حديثي عن « إيمحوتب » حتى كدنا ننسى الملك « زوسر » ولكن الرجل يستحق أكثر من ذلك فقد كان المحرك للنهضة التي شملت مصر كلها . ولكن مهما قلنا عن نبوغه وعبقريته ، فيجب ألا ننسى أنه لولا أنه وجد من يقدره ويشد أزره ويدفع به إلى الأمام لصناع ذلك النبوغ سدى ، إذ كثيراً ما ييأس النابغون عندما يهملهم الناس أو يحاربونهم أو ينسبون إليهم الجنون . فلو لم يكن زوسر عظيماً واسع التفكير لما تمكن إيمحوتب من تحقيق كل ما حققه .

وحكم زوسر أعواماً طويلة رأت فيها البلاد نهضة عامة ، ولم تقتصر آثاره على سفارة فقط بل شيد معابد أخرى عثر على بقايا من واحد منها كان على مقربة من هريبط في مديرية الشرقية ، كما نعرف أنه أرسل حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة

---

(١) جاء في بعض النصوص المتأخرة أن الملك منكورع من ملوك الأسرة الرابعة بنى معابد باسمه وأوقف عليها أرضاً ، ولكننا لم نعثر في الوثائق المعاصرة على ما يؤيد ذلك .

(٢) عرفنا اسم أبيه وكذلك اسم أمه « خردوعنخ » واسم زوجته « نفر رنبت » من نقش على صخور وادي الحمامات كتبه مدير الأعمال ( حوالي ٤٩٥ - ٤٩١ ق.م. ) اسمه « خنوم اب رع » عندما كان مكلفاً بقطع أحجار من ذلك الوادي وذكر فيه خمسة وعشرين جداً له عاشوا في عصور مصر المختلفة ، وأقدمهم جميعاً « كانفر » وكان التالي له « إيمحوتب نفسه » الذي كان حفيده يعتز بالانتساب إليه .



سينا الذين كانوا يتعرضون للحمولات التي كان يرسلها ملوك مصر لإحضار النحاس من المناجم التي على مقربة من جبل المغارة هناك :

**خلفاء زوسر :**

كانت فترة حكم زوسر لمصر فترة زاهرة ولكن منذ وفاته حتى آخر أيام الأسرة لم يخلفه على العرش من نستطيع أن نقارنه به .

ويذكر مانيتون أسماء ثمانية ملوك حكموا في هذه الأسرة بينما لا نجد في ثبت أبيدوس إلا أسماء ستة ملوك فقط ، أما بردية تورين المهشمة فلم تحفظ لنا غير خمسة أسماء .

وجاء بعد زوسر ابنه وكان اسمه ينطق حتى عهد قريب ، سمرخت ، ولكن بعد اكتشاف هرمه المدرج في سقارة في صيف عام ١٩٥٤ صار نطقه ، سخم خت ، أكثر احتمالاً ويسمى أحياناً زوسر الثاني .

أراد ، سخم خت ، أن يشيد بناء شبيهاً ببناء أبيه فاختر له مكاناً قريباً منه ، ولكنه مات دون أن يتمه ، وبدلاً من أن نرى تقدماً في العمارة عما بدأه إيمحوتب نرى أنهم كانوا يقلدون ماشيده تقليداً أعمى ، ونرى أيضاً من الشواهد ما يدل على أن خزانة الملك لم تعد تحتل الإنفاق الكثير . لم يتم ذلك الملك هرمه لا في تشييد المصاطب التي فوق بعضها ولا في داخل الهرم ، كما عثر على تابوته فارغاً عند الكشف عنه ، ولكن مهما كانت نتيجة الحفائر حتى الآن فإن هذا الهرم أضاف إلى معلوماتنا شيئاً غير قليل عن طريق تشييد الهرم ، وتأكد لدينا الآن كيف كان المصريون منذ ذلك العهد البعيد يشيدون أهرامهم بواسطة عمل طريق صاعد طويل يجرون فوقه الأحجار اللازمة للبناء وأن ذلك الطريق الصاعد كان يطول ويرتفع كلما تقدم البناء ، فإذا ما تم كل شيء أزالوه من مكانه .

وبالرغم من أنه لم يعثر على جثة مشيدة في التابوت فإن الأمل مازال باقياً في العثور عليه في المستقبل ، ومع ذلك فقد عثر على عدد كبير من الأواني الحجرية بعضها قد تم صنعه وأكثره لم يتم ، كما عثر أيضاً على بعض الحلى الذهبية القليلة التي ربما كانت من الأسرة الثالثة (١) .

(١) يمكن الرجوع إلى ما كتبه المرحوم الأستاذ محمد زكريا غنيم في بعض الصحف أو المجلات وبخاصة مقاله La Nouvelle Pyramide a Degres a Sappara المنشور في مجلة Reveue du Caire, Febr. 1955 ص ١٨ - ٣١ وما كتبه بالإنجليزية ، الهرم الناقص ، وقد صدر الجزء الأول عنه نتيجة هذه الحفائر

Mohamad Zakaria Ghoneim Sekhem Khet Vol. 1 (1957) .



لم يحكم ، سخم خت ، إلا سنوات قليلة ، وربما كان أهم أثر معروف له قبل العثور على هرمه فى سقارة هو ذلك النقش الذى تركه فى وادى المغارة على مقربة من نقش أبيه زوسر والذى كان يعتقد بعض الأثريين خطأ أن صاحبه هو الملك «سمرخت» من ملوك الأسرة الأولى .

ونعرف من أسماء الملوك الذين حكموا فى الأسرة الثالثة اسم حورس ، سانخت ، وحورس ، خع با ، واسم الملك ، نب كاو ، أو ، نب كاو ورع ، وثانيهما مشيد الهرم المعروف باسم الهرم ذى الطبقات فى منطقة زاوية العريان بين أهرام الجيزة وأبو صير ، أما ثالثهما فقد أراد أن يشيد هرمًا على مقربة من هرم من سبقه أى فى منطقة زاوية العريان أيضاً ولكن العمل لم يتقدم أكثر من الإنتهاء من الجزء الأسفل المحفور فى الصخر تحت الأرض ، وفيه التابوت المنحوت من الجرانيت .

وآخر ملوك تلك الأسرة هو الملك ، حونى ، ( وينطقه بعض الأثريين ، حو ، فقط ) الذى حكم أربعة وعشرين عاماً وقد تكرر ذكر اسمه فى أثبات أسماء الملوك ونعرف من إحدى البرديات التى كتبت فى الدولة الوسطى أنه جاء إلى العرش بعد الملك ، نب كاو ، وأن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد تولى الحكم بعده .

وربما كان الملك ، حونى ، هو الذى بدأ هرم ميدوم ، ولكنه مات دون أن يتمه فأتته الملك سنفرو بعد ذلك ، وربما كان ذلك أيضاً هو السبب فى صلة اسم سنفرو بذلك الهرم ، والذى جعل كثيراً من المصريين القدماء فى أيام الدولة الحديثة ينسبون هذا الهرم إليه فى كتاباتهم التى دونوها على أحجاره عندما كانوا يأتون لزيارته .

ومن الشخصيات المهمة التى عاشت فى أيام الأسرة الثالثة وأمتد به العمر إلى أوائل أيام الأسرة الرابعة أحد كبار الموظفين ويسمى ، متن ، ومن نقوش مقبرته التى نقلت بأكملها إلى متحف برلين نعرف الشئ الكثير عن التنظيم الإدارى للبلاد فى ذلك العهد ، والوظائف التى تدرج فيها والأقاليم المختلفة التى كان يشرف على إدارتها .

## الأسرة الرابعة ( ٢٦٨٠ - ٢٥٦٠ قبل الميلاد )

كانت مدة حكم الأسرة الثالثة مائة سنة على الأرجح ، وقد بدأت بعهد زاهر وهو عهد زوسر ولكن سرعان ما توقفت تلك النهضة ولم تتابع تقدمها على الصورة التي كنا نتوقعها . فقد رأينا كيف عرفت مصر تشييد الهرم المدرج ، ومضت عليها عشرات السنين بعد ذلك فلم تخط الخطوة التالية وهي معرفة بناء الهرم الكامل .

ظلت مصر نحو أربعمائة سنة وهي تبني مقابر ملوكها في الأسرتين الأولى والثانية على شكل مصاطب مستطيلة الشكل حتى ولد معمارى نابغ وهو إيمحوتب فارتفع بقبر الملك وجعل منه هرما مدرجا . وظل تجديد إيمحوتب مثلاً أعلى مدة تقرب من قرن كامل حتى انتهت أيام الأسرة الثالثة وبدأت الأسرة الرابعة .

وليس في استطاعتنا حتى الآن معرفة العوامل أو الظروف التي أدت إلى ظروف الأسرة الرابعة ، كما تعوزنا أيضاً المعلومات الضرورية لتجديد صلة مؤسس الأسرة الرابعة آخر ملوك الأسرة الثالثة بالرغم من أننا متأكدون أنها لم تكن صلة عداء بل ربما كانت صلة مودة وقربى لاعتناء سنفرو بإتمام هرمه ومعبدته في ميدوم . وكما رأينا تلك الوثبة الكبيرة في جميع النواحي الحضارية عند ظهور الأسرة الثالثة ، فإننا نرى أيضاً وثبة أخرى عند ظهور الأسرة الرابعة ، ولنتحدث الآن عن مؤسسها .

**سنفرو : ( ٢٦٨٠ - ٢٦٥٦ ق.م. )**

تزوج سنفرو من الأميرة ، حتب حرس ، ( ومن المحتمل جداً أنها ابنة حونى ) وهي الأميرة التي كانت تحمل في دمها حق وراثة العرش ، وبذلك أصبح مركزه شرعياً في البلاد . ونحن نعرف أن أمه كانت تسمى ، مرس عنخ ، وأنها كانت مدفونة في ميدوم ولكننا لا نعرف على وجه التأكيد صلته بحونى آخر ملوك تلك الأسرة ، ولو أن بعض الباحثين في التاريخ المصرى يريدون أن يروا بينهما إحدى صلات القرى (١) .

ومن دراسة حجر بالرمو نعرف الكثير عن نشاط هذا الملك ونعرف العدد الكبير

(١) لمعرفة المراجع الخاصة بعائلة سنفرو وعصره إقرأ الفصل الرابع من كتاب  
Ahmed Fakhry, The monuments of Snefru at Dahshur, Vol. 1 (1959) p. 15-23.

من القصور والمعابد التى أقامها فى البلاد ، كما نعرف أيضاً أنه أرسل أسطولاً بحرياً مكوناً من أربعين سفينة لإحضار كتل من أخشاب شجر الأرز من جبال لبنان ، قد بقى حتى الآن كثير من تلك الأخشاب داخل هرمه القبلى فى دهشور ( انظر شكل رقم ٦ ) ، وما زالت تلك الأخشاب فى حالة جيدة حتى الآن ، وما زالت تؤدى المهمة التى أقيمت من أجلها مثل تثبيت بعض الأحجار أو سندها فى أماكنها رغم مضى أكثر من أربعة آلاف وستمئة سنة .

ويشتهر سنفرو أيضاً بحملته التى أرسلها إلى بلاد النوبة فى الجنوب ليعيد الأمن والطمأنينة إلى حدود مصر الجنوبية ، وقد عاد جيشه بسبعة آلاف من الأسرى ومائتى ألف رأس من الثيران والأغنام .

ولم يقف نشاطه عند ذلك الحد بل نراه أيضاً يرسل حملات التعدين إلى شبه جزيرة سينا وقد خلف رجاله ذكرى تلك الحملات على صخور جبل المغارة على مقربة من مناجم النحاس والفيروز فى تلك المنطقة . وبالرغم من أن سنفرو لم يكن أول ملك استغل مناجم سينا أو أرسل حملات لتأديب الخارجين على القانون من البدو ، فإن الأجيال التالية اعتبرته إلهاً حامياً للمنطقة إلى جانب المعبودين «حتحور» والإله «سويد» ؛ لأن أعماله فى تأمين حدود مصر الشرقية وما قام به من تحصينات هناك أصبح المثل الذى يحتذى به . وفى أحد النصوص التى كتبت هناك بعد وفاته بما يقرب من ألف سنة يفتخر أحد الملوك بأعماله هناك ويؤكد لنا بأنه لم يقم أحد بمثل ما قام به منذ أيام سنفرو .

وسرعان ما أنت سياسته فى التوسع التجارى مع الشاطئ السورى والنوبة واستغلال المعادن مع تنظيم الأمور الداخلية فى البلاد بأحسن النتائج وبدأت فى مصر نهضة عامة كان أوضحها أثراً ذلك التقدم الذى نراه ظاهراً فى الحياة الاجتماعية للشعب بوجه عام وفى الفنون بوجه خاص ومن بينها فن العمارة .

### هرما سنفرو فى دهشور :

شيد هذا الملك قبره الملكى على مقربة من العاصمة ، وأراد المشرفون على بناء ذلك القبر أن يجعلوه هرماً كاملاً ، وأن يكون أعظم من أى أثر آخر بنى فى مصر قبل أيامه سواء فى حجم الجزء الظاهر للناس أو فى ممراته الداخلية ودرجاته .

وبدأوا بناء الجزء الأسفل من الهرم ، وأتموا تشييد جميع ممراته الداخلية ، وجعلوا له مدخلاً فى منتصف الواجهة الشمالية كغيره من الأهرام المدرجة التى بنيت قبله ، ويؤدى هذا المدخل إلى دهليز طويل ينحدر إلى أسفل ثم ينتهى بدهليز آخر ثم

حجرة للدفن . وقد تم الكشف فى عام ١٩٥١ أثناء أبحاثى داخل هذا الهرم عن مدخل آخر فى الناحية الغربية وبذلك يتميز هذا الهرم بأنه وحده من بين أهرام مصر جميعاً له مدخلان فى واجهتين مختلفتين له . وارتفع بناء الهرم بزاوية تزيد قليلاً عن أربعة وخمسين درجة حتى وصل ارتفاع البناء إلى ٤٨,٠٧ متراً ، وعند ذلك تغير التصميم الأصلي فنراهم يغيرون زاوية البناء إلى ثلاث وأربعين درجة وواحد وعشرين دقيقة فقط ، فلما تم البناء أصبح شكله غير منتظم لتغيير الزاوية وكأنه هرم كامل فوق هرم ناقص ، إرتفاعه الكلى ١٠١,١٥ متراً أما طول ضلع قاعدته المربعة فهو ١٨٨,٦٠ متراً .

وإذا أردنا البحث عن تفسير عملى معقول لتغيير زاوية بناء هذا الهرم لما وجدنا إلا تفسيراً واحداً ، وهو أن زاوية ٥٤ درجة كانت كبيرة جداً وقدر المهندسون المعماريون ان ارتفاع الهرم سيكون كبيراً وربما سبب ذلك ما يؤثر على سلامة البناء ، خصوصاً وأنه قد بدأت تظهر بعض تشققات عالجوها بملئها بالجبس . كانت هذه المحاولة أولى تجارب المصريين فى بناء الهرم الحقيقى كما نعرفه ، وكان هرم دهشور القبلى ، المدرسة التى درسوا فيها هندسة تشييد هرم آخر لسنفرو على بعد يقل من كيلو مترين إلى الشمال منه ، وجعلوا زاوية ميله مماثلة تقريباً لزاوية ميل الجزء العلوى من الهرم القبلى أى ثلاثة وأربعين درجة ثانية . وأدخلوا أيضاً تحسیناً آخر إذ اقتصروا على المدخل الذى فى الناحية الشمالية فقط ، وبدلاً من أن يودى إلى حجرة واحدة نراه يودى إلى حجرات ثلاث واحدة بعد الأخرى . وارتفاع الهرم البحرى وهو أول هرم حقيقى فى تاريخ العمارة المصرية ٩٩ متراً وطول كل ضلع من قاعدته المربعة ٢٢٠ متراً أى لا يقل إلا نحو عشرة أمتار عن ضلع هرم الجيزة الأكبر .

وهنا يجدر بنا أن نقف لنتساءل فى أى الهرمين دفن الملك سنفرو وأصبح المقر الأبدى لجثمانه ؟ . ولست أريد هنا الدخول فى مناقشة تفصيلية ولكنى أعتقد أنه دفن فى الهرم القبلى إذ نراه قد أتموا جميع الأجزاء المتممة له ، فبنوا فى الناحية الجنوبية منه ذلك الهرم الصغير الذى أراد أن يسميه بعض الأثريين هرم الروح أو هرم الطقوس ، ولكننا لا نعرف تماماً ماذا كانت وظيفته ولسنا متأكدين من شىء يختص به إلا من أنه لم يستخدم للدفن بل ربما كان مقاماً للقيام بشعائر خاصة متصلة بتقديم القرابين . وأقاموا حول الهرم سوراً كبيراً من الحجر وبنوا فى الناحية الشرقية منه معبداً جنازياً صغيراً شبيهاً بمعبد هرم ميدوم ، كما بنوا طريقاً يوصل من الناحية الشمالية من السور إلى الوادى وانحرفوا به نحو الشرق حيث شيّدوا هناك معبداً كبيراً على مسافة تزيد على سبعمائة متر من الهرم غطوا جزءاً كبيراً من جدرانه بنقوش

تمثل الملك سنفرو وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية المعروفة وأهمها مناظر من العيد الثلاثيني ، ومناظر تمثل زيارته للهيكل في عاصمتي الشمال والجنوب ( بوتو ونخن ) ، كما نرى فيه أيضاً مناظر تمثل أقاليم مصر وأهم بلادها في ذلك الوقت التي كان يمتلك فيها سنفرو ضيعة من ضياعه ورمزوا لكل منها بسيدة تحمل القرابين وكتبوا أمامها اسم البلد أو الإقليم مرتبة ترتيباً طوبوغرافياً من الجنوب للشمال مما ساعد على تحديد أمكنتها الحالية . وظهرت في حفائر ذلك المعبد بين أعوام ١٩٥١ ، ١٩٥٣ بعض تماثيل مهشمة للملك سنفرو وعدد كبير من تماثيل كهنة المعبد في أيام الدولتين القديمة والوسطى إذ كان هذا المعبد قائماً ولم تمتد إليه يد التخريب إلا في الدولة الحديثة .

والى الشرق من الهرم البحرى انتشرت مقابر عائلة سنفرو ، ومن بينهم بعض أبنائه وبناته وهى معروفة منذ أكثر من ستين سنة ، كما انتشرت أيضاً مقابر كثيرين من كهنته وموظفيه ، سواء في أيامه أو فيما تلا ذلك من عصور . وما زال عدد كبير من تلك المصاطب والجبانات ينتظر الحفر . ولم نتمكن حتى الآن من حفر المنطقة الواقعة حول الهرم البحرى حتى نستطيع القول إن كان له هو الآخر معبد جنازى إلى الشرق منه ومعبد في الوادى أو أن المصريين القدماء اقتصرُوا على معبدى الهرم القبلى .

على أى حال فهناك حقيقة مهمة وهى أن النصوص القديمة تذكر دائماً هرمى سنفرو (١) ، وتذكر المدينة التى كانت مركزاً لإدارة ممتلكات هذين الهرمين ، كما نعرف أيضاً أن المصريين في الأسرة الثانية عشرة الهوا سنفرو فأصبح واحداً من الآلهة يذكرونه ويقدمون له القرابين جنباً إلى جنب مع الآلهة الأخرى مثل أوزيريس ورع وسوكر وبتاح وغيرهم .

وقبل أن أعود إلى الحديث عن سنفرو أحب أن أذكر شيئاً قليلاً عما بلغه الفن في أيامه ، إذ يكفي أن يلقي الإنسان نظرة على نقوش معبد ه أو على نقوش المقابر التى شيدت في عصره سواء في منطقة دهشور أو في ميدوم ليدرك مدى ما بلغه فن النحت سواء في النقوش البارزة أو في الرسم بالألوان ، إذ وصل الفنان المصرى في عهد سنفرو إلى حد لم يتفوق عليه في العصور التالية إلا في حالات قليلة .

---

(١) لم يعد هناك مجال للقول بأن هرمى سنفرو كان أحدهما في ميدوم والثانى في دهشور فقد ثبت الآن بشكل قاطع أن الهرمين اللذين كان يشار إليهما في الوثائق والنصوص القديمة هما هرما دهشور أما هرم ميدوم فله شأن آخر .

### الملكة حتب حرس :

ويقف زائر المتحف المصرى مذهولاً أمام بعض آثار ميدوم مثل تمثال نفرت ( انظر شكل رقم ٧ ) وزوجها رع حوتب الذى كان أحد أبناء سنفرو ، أو أمام بعض رسوم مقبرة نفر ماعت وخاصة رسم أوز ميدوم ، ولكن إعجابه يتضاعف عندما يقف فى القاعة التى صفت فيها محتويات مقبرة الملكة حتب حرس زوجة سنفرو فى المتحف المصرى ، ويرى فى تلك القاعة حليها وسريرها المصنح بالذهب وكرسيها الكبير وخيمتها المتنقلة ذات الأعمدة المصنحة بالذهب ، ويرى محفتها كما يرى أيضاً بعض أدوات زينتها المصنوعة من الذهب أو النحاس . يقف الزائر حائراً موزع الإحساس ، لا يدري بأيهما يعجب أكثر من الآخر هل يعجب بما وصل إليه المصريون القدماء من حضارة ورفاهية فى حياتهم الشخصية قبل ٤٦٠٠ عام ، أم يعجب بالصانع المصرى وتفوقه فى ذلك العهد البعيد .

ولمحتويات مقبرة ، حتب حرس ، قصة لا تخلو من الطرافة . ففى عام ١٩٢٦ عثرت بعثة هارفارد - بوسطن الأمريكية على فوهة بئر أثناء حفائرها شرقى الهرم الأكبر فى الجيزة ولم يكن لهذا البئر أى هيكل مشيد فوقه ، وكان مملوءاً بالأحجار المرصوفة . فلما وصل المكتشفون إلى نهايته وجدوا مدخل الحجرة الجانبى مسدوداً بالأحجار المبنية وخلفه كدست محتويات المقبرة فوق بعضها ، وكان فيها تابوت من المرمر وضع غطاءه فوق صندوقه .

كان اسم الملكة حتب حرس واسم زوجها سنفرو مكتوباً على الأثاث ولهذا توقع المكتشفون أن يكون جثمانها داخل التابوت ، فلما رفعوا غطاءه لم يجدوا فيه شيئاً . كان داخل الحجرة يدل على أن وضع محتويات القبر تم فى سرعة ودون ترتيب ، بل أن بعض الأشياء كان يرمى رمياً فوق البعض الآخر ، وها هو التابوت خال من الجثة ، وزيادة على ذلك فأين هيكل المقبرة العلوى إن كان هذا المكان قد أعد ليكون المثلوى الأبدى لزوجته سنفرو وأم خوفو ؟ ولم يعد هناك شك فى أن سرّاً قديماً يختفى وراء ذلك ، وتقدم ، ريزنر ، رئيس تلك البعثة بتفسير مقبول .

كانت حتب حرس مدفونة فى دهشور على مقربة من هرم زوجها بالرغم من أنها عاشت إلى أيام ابنها خوفو الذى اختار منطقة الجيزة لتكون جبانة ملكية له ، فقلت العناية بمنطقة دهشور . وبعد دفنها بقليل تمكن بعض اللصوص من الوصول إلى المقبرة وأخذوا ما استطاعوا أخذه من الحلى إن كان هناك شئ آخر غير ما عثر عليه المكتشفون فى أحد الصناديق . وحملوا معهم جثة الملكة بما عليها من حلى أخرى كما



جرت العادة . فلما اكتشف الحراس حقيقة ما حدث رأى المسئولون ألا يتركوا القبر فى مكانه بعد ذلك ونقلوا كل شئ إلى الجيزة وقطعوا إلى جانب طريق المعبد الجنائزى الذى كانوا يعملون فيه إذ ذاك ذلك البئر العميق وكدسوا فيه ما بقى من محتويات المقبرة .

ويعتقد مكتشفو المقبرة أن نقل التابوت ووضع غطائه فوقه دليل على أنهم أخفوا على ، خوفو ، حقيقة ما حدث من أخذ النصوص لجثتها (١) . ولم يعثر حتى الآن فى دهشور أو فى ميدوم أو فى الجيزة على أى قبر أو بقايا من قبر يمكن أن ننسبه إلى هذه الملكة حتى نقول ونحن واثقون إنها كانت مدفونة فيه .

#### ذكرى سنفرو :

لم يكن سنفرو ملكا عظيما محباً للبناء فحسب ، بل كان شخصاً محبوباً ممن حوله ، عادلاً بين رعيته ، وقد رأينا كيف آلهه المصريون بعد وفاته بأكثر من ستمائة عام ، ونعرف أيضاً أن بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة اختاروا منطقة دهشور بالذات ليشيدوا فيها أهرامهم ليكونوا على مقربة منه ، تيمناً بقداسة المنطقة .

ولكن الأمر الذى يستلفت النظر هو ما كانت تكتبه الأجيال التالية عنه ، إذ قلما كان يرد اسمه فى أحد النصوص إلا وكانوا يشفعونه بعض الأوصاف التى لم يكن يستخدمونها عند الإشارة إلى أى ملك آخر من ملوك الدولة القديمة مثل قولهم عنه ، الرحيم ، الملك المحسن المحبوب ، .

ونقرأ عنه فى بردية وستكار التى كتبت بعدما يقرب من سبعمائة سنة بعد وفاته قصة حرص فيها كاتبها على إظهار وداعة أخلاقه وحلمه وعطفه على من حوله ، واستخدامه أرق الألفاظ عند الحديث معهم (٢) .

---

(١) نشر ريزنر (G. REISNER) أكثر من تقرير عند العثور على هذه المقبرة فى عام ١٩٢٦ ؛ ونظرا لوفاة ريزنر فى أوائل سنى الحرب العالمية الثانية فقد أقام مساعده وأتم ستيفنسون سميث عمله ونشر التقرير النهائى الكامل فى عام ١٩٥٥

George Andrew Reisner, The Tomb of hetep heres, Mother of Cheops (1955)

(٢) وردت هذه البردية وستكار ، ويسمىها بعض الكتاب قصة خوفو والسحرة ، بين بعض القصص الشعبية التى كان يتداولها المصريون فى أيام الدولة الوسطى أى فى القرن العشرين قبل الميلاد ، وسنعود إلى ذكر هذه القصة مرة أخرى عند الحديث عن الأسرة الخامسة ، وهى تتلخص فى أن الملك خوفو طلب من أولاده أن يقص عليه كل منهم قصة كل ملك من الملوك ابتداء من الملك زوسر فذكروا بعده ، نيكا ، ثم ، سنفرو ، وأخيراً جاءوا إلى خوفو بساحر كان يعيش فى أيامه فأتى أمامه ببعض المعجزات ثم تنبأ له بما سيحدث فى المستقبل . أنظر ترجمتها العربية الكاملة فى كتاب سليم حسن : الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٧٤ - ٨٧ .

وحكم سنفرو أربعة وعشرين عاما ، وكان أبناؤه يتولون جميع المناصب الهامة في البلاد ، سواء في العاصمة أو في الأقاليم ، فلما جاء اليوم الذى ترك فيه أمور مصر إلى ابنه خوفو ، ترك له عرشا ثابت الأركان ، وبدأ غنياً منظم الإدارة وترك له أيضا موظفين مدربين ، وفنانين اكتملت خبرتهم .

### خوفو : ( ٢٦٥٦ - ٢٦٣٣ ق.م. )

لم يعد لدينا الآن أى شك فى أن خوفو كان أحد أبناء سنفرو من زوجته الأولى الملكة ، حتب حرس ، وبالرغم من ذلك فما زال بعض المشتغلين بالتاريخ يرددون ما كتبه برستد منذ أكثر من خمسين سنة عن اعتقاده بأن خوفو كان زعيماً من إقليم المنيا استناداً إلى وجود بلد باسم « منعت خوفو » ، أى مربية خوفو ، ولكن الحقيقة الثابتة الآن فى ضوء ما جد لدينا من معلومات أن « منعت خوفو » ليست إلا إحدى الضياع التى ورثها عن أبيه وكانت تسمى « منعت سنفرو » فغير إسمها إلى « منعت خوفو »<sup>(١)</sup> أما عن اسمه فقد فضلت اتباع النطق القديم بالرغم من أن نطقه الأصح هو « خوفو وى » وهو اختصار لاسمه الكامل « خنوم خوفو وى » وذلك لاعتیاد قراء العربية عليه منذ أجيال كثيرة .

تولى خولو عرش مصر وجنى ثمار إصلاحات أبيه ، وإذا ألقينا نظرة عن أعماله المختلفة لأدركنا أن السياسة الإنشائية التى وضع سنفرو أساسها قد استمرت ، فقد عثر على اسمه فى كثير من بلاد مصر سواء فى الدلتا أو فى الصعيد ، كما أرسل أيضا حملات إلى جبل المغارة لإحضار الفيروز وربما النحاس من هناك .

وكانت تجارة مصر الخارجية ، وبخاصة مع الشاطئ الفينيقي مزدهرة ، ومن المرجح جداً أنه كانت تقيم فى مدينة جبيل ( إلى الشمال من بيروت الحالية ) جالية مصر للتجارة منذ أيام الأسرة الثانية ، واهتم سنفرو بتشيد سفنه من أخشاب ال « مرو » ومن خشب الأرز ، واستخدمه فى مبانيه ولكن منذ عهد خوفو على الأقل قام فى وسط « جبيل » معبد مصرى أضاف إليه من جاء بعده ، حيث عثر على أحجار منه تحمل اسمه وأسماءهم .

ولكن هذه الأعمال المختلفة لم تكن هى السبب فى تخليد اسمه فى التاريخ على مدى الأجيال بل كان السبب فى ذلك هرمه الذى شيده على هضبة الجيزة ، وهو المعروف باسم الهرم الأكبر ، والذى ما زال شامخاً سليم البنیان يتحدى الزمن ويغالبه ،

(١) وردت بين بلاد الإقليم السادس عشر من أقاليم الصعيد فى جدول الأقاليم والمدن فى معبد الوادى فى دهنشور الذى تم الكشف عنه فى عام ١٩٥١ .



ينتزع إعجابنا اليوم كما انتزع إعجاب الشعوب القديمة جميعاً . ويعترف الناس اليوم كما اعترفوا بالأمس بأنه ليس واحداً من عجائب الدنيا السبع وحسب بل هو عجيبة العجائب؛ لأنها زالت وبقي وحده على مر الأجيال (١) .

### هرم الجيزة الأكبر :

قضى مهندسو سنفرو، ما يقرب من ربع قرن في تشييد أهرامه ومقابر أسرته وكبار موظفيه ، استكملوا خلالها خبرتهم العظيمة في تشييد الأهرام . فلما جاء اليوم الذي بدأوا فيه في تشييد هرم ابنه ، خوفو ، أرادوا أن يجعلوه أعظم من أهرام أبيه ليس في الحجم فقط بل وفي التصميم ، والنسبة بين أجزائه ، وفي الإتقان الكامل لفن البناء .

وإذا أردنا وصف الهرم لطال بنا الأمر ، ويكفى أن نذكر أنه يشغل مساحة لا تقل عن ثلاثة عشر فدانا وأنهم قد استخدموا في بنائه عدداً لا يقل عن ٢,٣٠٠,٠٠٠ كتلة من الحجر قطعوها من محاجر في الهضبة نفسها ، ويزيد وزن بعضها عن ثمانية أطنان ويقل وزن البعض الآخر ( الجزء الأعلى من الهرم ) عن طن واحد . وقد حسب أحد الرياضيين أنه لو تيسر تقطيع الكتلة الكاملة للهرم الأكبر إلى أحجار صغيرة كل منها قدم مكعب واحد ووضعنا هذه الأحجار إلى جانب بعضها لأصبح طول ذلك الخط ثلثي محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء ، كما قدر البعض الآخر أنه لو استخدمت أحجار الهرم في عمل سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وعرضه متر واحد لكفت .

وارتفاع الهرم ١٤٦ متراً وطول ضلع قاعدته ٢٣٠ متراً ولكن هذا كله يتضاءل أمام إعجابنا بدقة المصريين في ذلك العهد البعيد وتفوقهم في فن البناء ووصولها إلى حد الإعجاز في ضبط الزوايا والأبعاد . وسيزداد الزائر إعجاباً إذا زار داخله واتخذ طريقه في تلك الطرقات القليلة الارتفاع ثم وجد نفسه في تلك الردهة المرتفعة ووقف أخيراً يتطلع إلى تابوت الملك خوفو في حجرة الدفن

(١) يرجع ذكر عجائب الدنيا السبع التي اشتهرت عند اليونانيين إلى القرن الثاني قبل الميلاد ذكرها ، إنتيباير الصيداوى ، في كتاباته ، وقد حدث فيها بعض التغيير الطفيف فيما بعد ، وها هي حسب أهميتها كما ذكرها ، فيلو البيزنطى ، :

- ١ - أهرام مصر .
- ٢ - حدائق سيميراميس في بابل .
- ٣ - تمثال الإله زيوس في أوليمبيا
- ٤ - معبد الآلهة أرتميس في أفسوس .
- ٥ - ضريح هاليكارناس
- ٦ - التمثال الكبير في رودس .
- ٧ - منارة الإسكندرية .

وعندما بدأ مهندسو خوفو في تشييد هذا الهرم لم يكن التصميم الأصلي هو البناء الحالي الذي نراه أمامنا بل كان يقل عنه . ولم تكن حجرة دفنه في داخل البناء بل كانت مقطوعة في الصخر ويؤدي إليها ممر منحدر في جوف الأرض وأثناء العمل غيروا التصميم وزادوا من البناء وأصبحت حجرة الدفن في داخل البناء نفسه ، وهي المعروفة الآن خطأ باسم حجرة الملكة ، وللمرة الثانية غيروا التصميم وقام المهندسون بعمل الردهة الكبرى الصاعدة التي توصل إلى حجرة الدفن .

وكان الهرم بأكمله مكسواً من الخارج بكساء من الحجر الجيري الأبيض الذي قطعوه من محاجر طرة في الشاطئ الشرقي للنيل ، وكان له معبد جنازي كبير في الناحية الشرقية منه ما زالت بقاياه موجودة ، وعلى الأخص أرضيته من حجر الدلوريت الأسود المقطوعة من محاجر في شمال بحيرة قارون بالفيوم .

وكانت بعض جدران هذا المعبد منقوشة وقد عثر على بعضها في حفائر مصلحة الآثار عام ١٩٣٨ ، وفي الناحية الشرقية من المعبد بنوا جسراً ضخماً نزل من حافة الهضبة إلى الوادي ، واستخدموا هذا الجسر ليكون الطريق الموصل إلى معبد الوادي الذي لم يكتشف مكانه حتى الآن ، وإن كان من المؤكد أنه تحت منازل بلدة نزلة السمان الحالية .

وكان هناك هرم صغير في الناحية الجنوبية من هرم خوفو هدم وزالت أحجاره منذ عهد بعيد ، كما قطعوا في الصخر أماكن كبيرة الحجم كانوا يضعون فيها سفناً كبيرة من الخشب لتكون تحت تصرف الملك عندما يقوم برحلتى النهار والليل مع إله الشمس رع وفي مختلف الأغراض عند عبور الأنهار والبحيرات في العالم الآخر . وقد كشفت الحفائر منذ وقت بعيد عن ثلاثة من تلك الأماكن المعدة للمراكب في الناحية الشرقية من الهرم ، كما عثر في صيف عام ١٩٥٤ على أماكن اثنتين أخريين في الناحية الجنوبية ، وقد رفعت الأحجار الضخمة التي سقفوا بها مكان واحد منها فكتشفت عن أجراء مركب كبير من خشب الأرز في حالة جيدة ومعه جميع معداته من مجاديف وحبال ومقصورة للجلوس . ونعرف الآن أن طول هذا المركب ثلاثة وأربعون متراً ونصف وأن ارتفاع مقدمتها خمسة أمتار وارتفاع مؤخرتها سبعة أمتار . وليس هذا المركب أكبر ما كان يصنعه المصريون القدماء بل كان هناك ما هو أكبر منها طولاً إذ ورد في حجر بالرمو من عهد سنفرو نفسه ذكر بناء كثير من السفن التي كان طول كل منها مائة ذراع مصري أى أكثر من اثنين وخمسين متراً .

لم تكن فكرة وجود مراكب على مقربة من الأهرام جديدة على الأثريين فقد

كان معروفا لخوفو ، كما قلنا ثلاثة منها من قبل ( إثنيتين فى الناحية الشرقية والثالثة إلى جانب الطريق الموصل إلى معبد الوادى ) . ونعرف أيضاً أمكنة خمسة على الأقل على مقربة من هرم ابنه خفرع . وقد عثر على بعض مراكب خشبية على مقربة من سنوسرت الثالث فى دهشور إثنان منها فى المتحف المصرى بالقاهرة وثالثة فى أحد متاحف شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ولكنها أقل كثيراً فى الحجم وجودة الصناعة ، كما أن مراكب خوفو ليست أقدم ما نعرفه إذ نعرف وجود هذا النوع من المراكب إلى جوار مقابر الأسرة الأولى فى سقارة وحلوان .

ولكن بالرغم من أن الفكرة لم تكن جديدة على الأثريين فإن الاكتشاف الجديدة ذو أهمية لا يمكن التقليل منها ، ولن يزيد هذا الاكتشاف من معلوماتنا عن صناعة السفن والنجارة فى ذلك العهد البعيد فحسب بل ستزداد معلوماتنا كثيراً من دراسة المواد المختلفة التى عثر عليها فى المكان واستخدموها مع السفينة (١) . وكثيراً ما تذكر هذه السفينة على أنها مركب الشمس أو سفينة الشمس ، ولكن يجب الاحتراس من هذه التسمية ؛ لأنه ليس لدينا على الإطلاق ما يثبت أنها كانت إحدى سفينتى رحلة الشمس بل هناك أكثر من قرينة تدل على عكس ذلك القول وأنها كانت واحدة من السفن السبع أو الثمانى التى وردت فى نصوص الأهرام مقترنة برحلة الملك بعد وفاته فى العالم الآخر ، وذلك لأن مخصص سفن الشمس كان ذا شكل خاص كما كان يحتوى على رموز دينية خاصة مقامة فيها وذلك كله لم يتوفر فى السفينة المكتشفة .

أما عن الوقت الذى استغرقه بناء هذا الهرم فنحن لا نعرف إلا ما ذكره المؤرخ اليونانى هيرودوت وقال بأنه سمعه من الكهنة المصريين وهو أن بناء الأجزاء السفلى والممرات الصاعدة قد استغرق عشر سنوات ، وأن بناء الهرم نفسه استغرق عشرين عاماً ، وكان عدد العمال مائة ألف يعملون ثلاثة أشهر فى السنة . وللمؤرخين العذر إذا شكوا فى صحة الرواية ؛ لأن هيرودوت لم يسمعها إلا بعد مضى أكثر من ألفى سنة بعد بناء الهرم ولم يكن محدثوه إلا من صغار الكهنة ، وهم لا يزيدون فى معلوماتهم عن الأدلاء الحاليين الذين نراهم حول الهرم إن لم يقلوا عنهم فى المعرفة . وقد ذكر الكهنة له ما كان يردده الشعب من قصص ، وبعضها لا يمكن أن يصدق العقل ،

---

(١) لم ينشر عن هذا الإكتشاف حتى الآن أى تقرير علمى كامل وكل ما لدينا هى أقوال الصحف عند الإكتشاف وما كتبه الأستاذ كمال الملاخ والأستاذ محمد زكى نور فى مجلة Revue de Cairo عدد فبراير سنة ١٩٥٥ . والتقارير التى نشرها كل من محمد زكى نور وإسكندر ومحمد صلاح عثمان وأحمد يوسف مصطفى فى كتاب

The Cheops Boats, part 1 (Cairo, 1960) .

ولكن بالرغم من ذلك فقد درس المهندسون المعماريون هذا الموضوع وهم مقتنعون بأن بناء الهرم يحتاج على الأقل إلى مثل ذلك الوقت . أما الرقم الذى ذكره عن عدد العمال فربما كان صحيحاً وأنهم كانوا يأتون بهم فى وقت الفيضان بينما كان المختصون من عمال المحاجر والنحاتين يعملون طول العام . وذكر لنا هيرودوت أيضاً أن خوفو كان قاسياً على شعبه وأنه كان يسخر الناس دون رحمة ولهذا كرهوه وحقدوا عليه ، وسواء أكان ذلك صحيحاً أو غير صحيح فإننا لم نعثر فيما كشفت عنه الحفائر من نصوص ما يثبت ذلك . وكثيراً ما نقرأ لبعض الكتاب نقداً لاذعاً من أعمال السحرة أو الرق فى تشييد الهرم ، وعن الحكام الذين يستنزفون دماء الشعب فى سبيل تحقيق أشياء لا فائدة منها للناس بل كل فائدتها تعود إلى الحاكم نفسه ليتباهى بها . وأراد البعض الآخر أن يدافع عن قدماء المصريين فقال بأن خوفو وغيره من الملوك كانوا يشيدون الأهرام ليساعدوا المتعطلين عن العمل فى شهور الفيضان عندما تصبح الحقول مغطاة بالمياه ، فتقل فرص العمل ويندر وجود القوت للفقير الذى لم يستعد لتلك الأيام ، فكان تشييد الأهرام عملاً إنسانياً ؛ لأنه يضمن لهم الطعام والشراب .

وكلا الرأيين بعيد عن الصواب لأننا لا يمكن أن نحكم على الماضى بمنطق العصر الحاضر ، أو بتعاليمه وآرائه . كان الملك فى مصر إلهاً معبوداً من شعبه ، إلهاً كغيره من الآلهة الذين فى السماء ، ولكنه رضى أن يعيش على الأرض لكى يحكمها ويسعد الناس بوجوده بينهم . فإذا وضعنا ذلك فى أذهاننا لأدركنا أنه كان يسر الكثير من الناس وبخاصة الذين يعيشون فى القرى النائية بعيداً عن المدن أن تتاح لهم فرصة فى أيام الفيضان ، وأيام الضيق المادى فى الوقت ذاته ، ليزوروا العاصمة التى طالما سمعوا عن عجائبها والطرف بالنظر إلى معابد الآلهة وقصور العظماء ، وكان يسرهم دون شك أن يساهموا فى عمل شئ لإلههم عسى أن يكون فيه قربى ورحمة لهم ، وكان يسر الفقراء من عامة الشعب أن يضمنوا عدم الحاجة طيلة أيام إقامتهم فى العاصمة .

وربما صعب فهم ذلك على الغربيين الذين طغت على أذهانهم فلسفة المادية ومنطقها ، وربما صعب فهم ذلك أيضاً على بعض أبناء المدن الكبيرة فى الشرق ممن تنقصهم تجارب الحياة ، ولكن ليذهب هذا أو ذاك إلى إحدى القرى الصغيرة فى ريف مصر أو غير مصر ، ويرى الناس وهم يعملون عندما يستقر رأيهم على بناء مسجد صغير أو ضريح لأحد الأولياء ، فيرى أهل القرية جميعاً ، بل وبعض جيرانهم من القرى الأخرى وهم يعملون دون أجر ، ويرى القادرين من بينهم يتنافسون فى تقديم

الطعام لغير القادرين من العاملين ، والنساء يعملن طول اليوم فى حمل الماء اللازم للبناء ، بل ويطغى الحماس على أغنياء القرية فيأبون إلا أن يعملوا بأيديهم مع غيرهم راجين المغفرة والثواب . فليذهب إليهم ويرى البشر يعلو وجوههم وهم يعملون طول اليوم تحت وهج الشمس ، وليتحدث بعد ذلك عن السخرة أو غير السخرة .

وقبل أن أترك موضوع هرم خوفو إلى نقطة أخرى أحب أن أشير إلى ما تطلع به علينا بعض الصحف من أن بعض الباحثين استطاعوا أن يتنبأوا بحوادث مقبلة من دراساتهم لمقاييس الردهات والحجرات الداخلية فى الهرم الأكبر ، ولست أدري لماذا يختصون الهرم الأكبر من بين جميع أهرام مصر فيقولون بأن حكماء المصريين القدماء أو من بنوه هم من بنى إسرائيل كما يقولون - وقد تم تشييد الهرم قبل أن يظهر اسمهم فى التاريخ بقرون طويلة - جعلوه مستودعا لكل تلك الأسرار . ولقد قرأت بعض كتبهم وأكثرها منشور فى انجلترا ، أو فى أمريكا فى المدة الأخيرة ، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن جميع تلك الآراء قائمة على فروض خاطئة ومعلومات مغرضة غير صحيحة ، وأن مقاييسهم التى يبنون عليها نظرياتهم مقاييس أكثرها لا صحة له ، ويكفى أن يتذكر القارىء ما سبق أن ذكرته وهو حدوث تعديلات جوهريّة فى تصميم الهرم أثناء تشييده . كما أرجو ألا ننسى أنه لم يقصد من الهرم عند بنائه إلا أن يكون قبرا ومنزلا أبديا لصاحبه وكان المفروض فيه أن يظل إلى الأبد مغلقا لا يدخله أحد من الناس .

### جبانة الهرم الأكبر :

وسمح خوفو بأن تشيد مقابر المقربين من أهله ورجال بلاطه وكبار موظفيه على مقربة من هرمه ليكونوا حوله فى الحياة الأخرى ، كما كانوا حوله فى دنياهم ، وبذلك يضمّنون لأنفسهم الحياة الخالدة السعيدة . وخصصوا الناحية الشرقية من الهرم لأفراد عائلته فترى فى أول صف قريب من ضلعه الشرقى ثلاثة أهرام صغيرة لثلاثة من زوجاته ثم نرى مقابر أبنائه وإخوته وغيرهم من عائلته فى صفوف متراصة حتى تصل المقابر إلى حافة الهضبة . وكان بعض إخوته ( مثل : حم إيون ، وهو ابن لسنفرو وكان مشرفا على تشييد هرم خوفو فى فترة من فترات تشييده - انظر شكل رقم ٨ ) وغيره مع عدد كبير من رجال البلاط والموظفين مدفونين فى الناحية الغربية من الهرم فى صفوف بينها طرقات مستقيمة . وقد تم فحص الجزء الأكبر من الجبانتين الشرقية والغربية على يدى أعضاء بعثة هارفارد بوسطن وبعثة أكاديمية العلوم فى قينا ، وجاءت تلك الحفائر بنتائج علمية كبيرة جلت لنا كثيرا من النقط

الغامضة فى تاريخ وحضارة هذه الفترة المهمة فى التاريخ المصرى . وقد سطا اللصوص على أكثر هذه المقابر فى العصور القديمة والحديثة ولكن بقى رغم ذلك الكثير من الآثار الهامة وبخاصة النقوش والتماثيل وغيرها . وهناك ما يدل على أن الهرم نفسه قد تعرض لما تعرضت له الجبانة كلها ففتح ونهب فى فترة الضعف الذى أصاب مصر فى عصر الفترة الأولى ، أى فى أعقاب الدولة القديمة .

### النزاع بين أفراد العائلة المالكة :

ونرى فى كل من الجبانتين وبخاصة الشرقية أثر النزاع المرير بين أبناء خوفو، وبينها مقابر كثيرة لم يتم بناؤها أو لم يتم نقش جدرانها وبينها نقوش محيت أسماء أصحابها وصورهم . ويتلخص النزاع فى أن خوفو تزوج أكثر من زوجة وولد له أبناء من كل منها ، وظهر الصراع بين الأبناء تساندتهم أمهاتهم وبعض رجال البلاط لتولى العرش . ومن إحدى مقابر الجبانة الشرقية ، وهى مقبرة الملكة ، مرسنخ الثالثة ، نستطيع أن نلم ببعض نواحي تلك الأسرة .

نرى مرسنخ ووالدتها تلبسان فى رسوم هذه المقبرة ملابس تختلف عن ملابس المصريين كما يختلف أيضا لون شعرها إذ هو أشقر فيه شىء من الحمرة وعيونها زرقاء ، ولهذا أراد ريزنر أن يرى فيها دما شماليا أى أنها ربما كانت سليلة أحد البيوت التى استقرت على الشاطئ الإفريقى الشمالى فى ذلك العهد ( قبائل التمحو ) وكانت قد هاجرت إلى هناك من مواطنها الأصلية فى شمال أوروبا .

وسواء أكان ذلك صحيحاً ، أى أن تلك الملكة كانت من نسل لىبى عن طريق أمها أو لم تكن ، فإننا نعرف أن أمها الأميرة حتب حرس الثانية كانت زوجة لولى العهد الأمير ، كا وعب ، الذى دبر أخ له يسمى ، جدف رع ، أمر قتله ليتولى العرش . وكان ، جدف رع ، ابنا لزوجة ثانوية ( ربما كانت من أصل لىبى من الفرع نفسه الذى ولدت فيه حتب حرس الثانية وابنتها ) . ونجح فى مؤامراته وتولى العرش واتخذ حتب حرس الثانية زوجة ، كا وعب ، لتكون إحدى زوجاته .

ولم تلد حتب حرس ولدا للملك الجديد بينما ولد هذا الولد من زوجة أخرى فارتفع شأنها وأصبحت حتب حرس الثانية واحدة من الزوجات الثانويات .

ولم يكن باقى العائلة راضين عما حدث ، وكانت المؤامرات تحاك حول الملك الجديد ، وأخيرا وبعد مضى سنوات ثمانية يختفى ، جدف رع ، من مسرح الحوادث ويتولى عرش مصر أخ له يسمى ، خفرع ، كان قد تزوج من إبنة ، كا وعب ، و ، حتب حرس الثانية ، وهى مرسنخ الثالثة .



ولكن النزاع بين فرعى العائلة لم ينته عند ذلك الحد إذ ندرك من دراسة بردية تورين ومن تاريخ مانيتون أو ذلك الفرع الآخر تمكن مرتين على الأقل من الإستيلاء على العرش فترة قصيرة إحداهما بعد موت خفرع وقبل أن يتمكن ابنه من كاورع من استعادة عرش أبيه ، والمرة الثانية في أواخر أيام الأسرة بعد وفاة شبسسكاف آخر ملوكها المعترف بهم إذ أن أكثر نصوص تلك الأسرة والوثائق التي كتبت في العصور التالية اعتبرت أولئك الملوك الذين ينتمون إلى الفرع الآخر مغتصبين للعرش فلم تذكر أسماءهم ، واقتصرت فقط على ذكر أسماء خفرع ومنكاورع وشبسسكاف .

وفي عام ١٩٥٠ اكتشف أحد المشتغلين بالآثار على أحد الصخور في وادي الحمامات نقشا فيه بيان بأسماء بعض ملوك الأسرة الرابعة وقد وضع اسم كل منهم في خانة ملكية . وبالرغم من أن تاريخ كتابة هذا النقش لا يمكن أن يكون قبل الأسرة الثانية عشرة فإنه يصور لنا على الأقل ما كان معروفاً من معلومات عن تتابع ملوك الأسرة الرابعة في أيام الدولة الوسطى .

وترتيب أولئك الملوك في نقش وادي الحمامات كما يأتي : خوفو ، رع ددف ، خفرع ، حور ددف ، وأخيرا با - اف - رع (١) . أي أنه في الفترة بعد موت خفرع لم يتول العرش شخص واحد بل اثنان نعرف أولهما وهو حور ددف من كثير من الوثائق إذ كان ابنا لخوفو وكان مشهورا بحكمته وله مقبرة في الجيزة ، أما الثاني فليست له مقبرة معروفة في الجيزة . وهناك احتمال بأن يكون قد غير اسم الإله رع في تركيب اسمه إذ نعرف اثنين من أبناء خوفو أحدهما يسمى با - اف - خنوم ( والإله خنوم شديد الصلة بهذه العائلة واسم خوفو الكامل هو خنوم - خوف - وى كما ذكرنا ) والثاني يسمى با - اف - حور . ونعرف من بردية وستكار ( وهي من الدولة الوسطى مثل نقش الحمامات أن ابن خوفو الذي قص على أبيه قصة كبير المرتلين زازا - إم - عنخ مع الملك سنفرو كان اسمه باو فرع ، وكان ترتيبه في قص القصة بعد خفرع وقبل حور ددف .

يكفينا هذا القدر من قصة النزاع بين أمراء هذه العائلة ، ويكفي أن نعرف أن الملك رع ددف ، حكم ثمانى سنوات فقط وأنه لم يكن قد انتهى من تشييد هرمه

(١) DEBONO, Expedition archéologique Royale au Desert Orientale Annals du Service, Vol. Li (1951) p. 89 .

اقرأ أيضاً عن النزاع بين أمراء العائلة المالكة ما كتبه ريزنر في Mycerinus ص ٢٤٦ وما كتبه فدرن

WALTER FEDERN Zur Familiengeschichte der Dynastie Agyptens, in Wiener Zeitschr. d. Morg. XI III.  
مكتبة الاسرة ٢٠١٣ ٢٠١٢

عند وفاته . ولم يبن ، رع ددف ، هرمه على مقربة من هرم أبيه بل اختار له بقعة إلى الشمال من هضبة الجيزة في موقع ممتاز يشرف على الوادى على مقربة من قرية أبو رواش الحالية ، ولم يكن هرمه أول قبر يبنى هناك بل كانت المنطقة معروفة منذ أيام الأسرة الأولى وفيها جبانات عدة من الأسرتين الأولى والثانية .

وعلى مقربة من مبنى الهرم الذى لم يتم حفره حفرا علميا كاملا حتى الآن قطعت بعض المقابر فى الصخر كما بنى البعض الآخر لعدد من موظفيه .

### خفرع وهرمه :

وليس فى استطاعتنا أن نقول ما إذا كان ، رع - ددف ، قد مات ميتة طبيعية أو أنه كان ضحية مؤامرة من المؤامرات . وتلاه على العرش أخوه خفرع الذى طال حكمه فزاد عن حكم أبيه إذ من الثابت أنه لم يقل عن خمسة وعشرين عاما بل ربما وصل إلى تسعة وعشرين . واختار خفرع لبناء هرمه ربوة خلف هرم أبيه ، ولا شك فى أن مجموعة خفرع الهرمية من أعظم ما تم عمله من مبان فى الدولة القديمة ، ولكننا نلاحظ أن مهندسيه وصناعه لم يصلوا إلى ما وصل إليه زملاؤهم فى عهد خوفو من إتقان .

وهو لا يقل فى ارتفاعه إلا أمتارا قليلة عن هرم أبيه إذ كان ارتفاعه الأصلي ١٤٣,٥ متر وطول ضلع قاعدته المربعة ٢١٥,٥ متر أما داخله فبسيط إذا قيس بالهرم الأكبر ، وله مدخلان من الناحية الشمالية .

وكان هذا الهرم كغيره من الأهرام مكسوا من الخارج بأحجار جيرية من النوع الممتاز نزعته منه ومن غيره فى العصور الوسطى ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى لاستخدامها فى غيرها مما بقى من أحجار المقابر والمعابد فى الجيزة وهليوبوليس ومنف ، وجباناتها وغيرها من الآثار ، لبناء أسوار القاهرة وبعض مساجدها ومنازل عظمائها ، بل إن أخذ الأحجار من الأهرام والمعابد لأجل البناء كان مستمرا حتى القرن التاسع عشر (١) .

---

(١) كان عمال محمد بك الدفتردار صهر الوالى محمد على باشا يحطمون كساء الهرم القبلى لسنفرو فى دهشور ومعبد الوادى هناك للحصول على الأحجار اللازمة لبناء قصره فى القاهرة ، بل ومن المعروف أيضاً أنه كانت هناك فكرة فى عهد محمد على لهدم الهرم الأكبر واستخدام أحجاره فى بناء القناطر الخيرية لولا أنهم وجدوا أن ذلك يكلف حكومة مصر إذ ذاك أكثر من قطع الأحجار اللازمة من محاجرها .



ولم يبق من الكساء الخارجى إلا جزء بسيط فى أعلى الهرم ، أما باقى المجموعة الهرمية فهى لحسن الحظ فى حالة أفضل من مثيلاتها فى هرم خوفو ويستطيع زائر المنطقة أن يرى بقايا معبد الجنازى ، ومعبد الوادى ، وبقايا الطريق الصاعد الموصل بين الإثنىين كما يستطيع أن يرى حول الهرم الأماكن التى كانت توضع فيها المراكب اللازمة لرحلة الشمس ، وقد عثر منها على خمسة على الأقل ، كما يستطيع أيضا أن يرى بقايا مدينة العمال فى الجهة الغربية منه وهى مقسمة إلى ١١٠ قاعات وتتسع لإيواء عدد يتراوح بين ٣٥٠٠ ، ٤٠٠٠ عامل .

ويعطينا المعبد الجنازى لهذا الهرم فكرة عما وصلت إليه هندسة بناء المعابد بوجه عام فى ذلك الوقت كما يعطينا أيضا فكرة عما كان عليه قصر الملك أو غيره من الأثرياء القادرين .

يدخل الزائر من بابه الشرقى عند آخر الطريق الصاعد ، فيمر فى دهليز ضيق يؤدي إلى بهوين كبيرين كان يحمل سقف كل منهما أعمدة من الجرانيت ثم يرى بعد ذلك بهوا كبيرا لاسقف له وعلى جوانبه بواكى محملة على أعمدة كبيرة الحجم ، ويلى ذلك خمس حجرات صغيرة يرجح أن كل واحدة منها أقيمت لأجل اسم من أسماء الملوك الخمسة ، وأن جدرانها كانت مزخرفة برسوم للملك .

ويأتى بعد ذلك جزء خاص من المعبد كان لا يسمح بزيارته إلا للكهنة القائمين على خدمته ، وكان فيه الهيكل والمخازن التى كانوا يضعون فيها الأدوات التى تلزمهم فى تقديم القرابين أو أداء الصلوات للملك - الإله .

وكان الطريق الموصل بين هذا المعبد ومعبد الوادى مسقوفا ، (١) ونرى بعض بقايا جدرانه عند معبد الوادى الذى شيدوا جدرانه وأعمدته من جرانيت أسوان وبنوا بعض حجراته وأرضيته من كتل المرمر التى أتوا بها من محاجر حتنوب فى الجبل الشرقى خلف تل العمارنة .

وكان هذا المعبد يستخدم فى بعض الطقوس الدينية الخاصة بغسل الجثة وتطهيرها ثم تحنيطها وكان فى الوقت ذاته مدخلا للمجموعة الهرمية . وله بابان يوصلان إلى بهو مستطيل ثم إلى قاعة محمولة على أعمدة جرانيتية مربعة تمتد فى

---

(١) أثبتت حفائر هولشر فى هذه المنطقة قبيل الحرب العالمية الأولى أن هذا الممر كان مسقوفاً ، ولكن طريق هرم ميدوم وطريق هرم سنفرى القبلى كانا غير مسقوفين ، أما طريق هرم خوفو فيرجح أنه كان مسقوفاً ؛ لأن هيرودت ذكر عند وصف له أن جدرانه كانت مغطاة بالنقوش .

وسطها فتكون بهوا آخر ( الاثنان يكونان شكل حرف T ) كان يقوم إلى جانب كل عمود في الجزء المستطيل تمثال للملك .

وكانت تماثيل خفرع منتشرة في أرجاء هذا المعبد وبعضها من حجر الديوريت، ومن بينها ذلك التمثال الشهير الذى يعتبر آية من آيات الفن المصرى ويمثل صاحبه وقد جلس على عرشه ووقف الإله حورس على شكل صقر خلف رأسه ليحميه ، وقد نجا هذا التمثال وغيره من تماثيل هذا الملك ؛ لأن كهنة المعبد حفروا فى وقت من الأوقات حفرة عميقة فى البهو الشرقى المستطيل أودعوها تلك التماثيل التى بقيت فى ذلك المكان حتى عثر عليها عند تنظيف مصلحة الآثار لذلك المعبد فى القرن الماضى .

وصل فن النحت إلى قمته فى عهد خفرع وأصبح فى استطاعة الفنان المصرى أن يسيطر سيطرة تامة على أقصى أنواع الحجر ، ويكفى أن يقف الإنسان أمام هذا التمثال المصنوع من الديوريت وهى مادة أصلب من الجرانيت والبازلت (١) ويرى نجاح الفنان فى التعبيرات التى ظهرت على وجهه ودقته فى إظهار عضلات الجسم ، ومظهره بوجه عام ، ليدرك مدى تقدم الفنان المصرى فى فنه ، ذلك التقدم الذى لم يتفوق عليه هو نفسه فى العصور التالية .

### تمثال أبو الهول :

ولا يمكن أن يذكر الإنسان منطقة أهرام الجيزة إلا ويجد نفسه مضطرا لذكر ، أبو الهول ، التمثال الضخم الرابض على حافة الصحراء والذى احتل مكانة كبرى فى آداب العالم ، وكتب عنه الكتاب منذ أيام الرومان كثيرا من القصائد وحاكوا حوله الأساطير ، وطالما تساءلوا عما يخفيه من أسرار .

والحقيقة أنه لم يعد هناك سر يخفيه . فقد كشفت حفائر مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٦ ، ومرة أخرى فى عام ١٩٣٦ ، عن كل ما هناك وأصبحنا متأكدين الآن أن هذا التمثال الكبير المقطوع فى صخر الجبل على هيئة أسد رابض وله رأس إنسان ليس إلا تمثالا للملك خفرع باني الهرم الثانى ، وأن الصخرة التى היאوها كانت جزءاً فى

(١) كان ملوك الدولة القديمة ابتداء من أيام خوفو يجلبون كتل الديوريت من أحد المحاجز فى الصحراء الغربية على مسافة ٤٠ كيلو متراً من النيل جنوب غربى أبو سمبل فى النوبة ؛ وكان هناك طريق خاص بين تلك المحاجر وبين النيل عند بلدة توشكة وكانوا يحضرون حجر المرمر من أيام خوفو أيضاً من محاجر حنتوب فى قلب الصحراء الشرقية خلف تل العمارنة ، أما حجر الجرانيت فكانوا يأتون به من محاجر أسوان فى أغلب الحالات .

محجر من المحاجر التى أخذ منها عمال خوفو بعض الأحجار اللازمة لبناء الهرم الأكبر وتركوا هذه الصخرة لأنها ليست من الحجر الجيد اللهم إلا فى طبقتها العليا .

فلما استقر رأى خفرع على تشييد هرمه على مقربة من هرم أبيه اضطر للانحراف بالطريق الموصل بين المعبدتين ليتفادى هذا المحجر وجعل طريقه يسير على حافته وانتهى أخيراً بمعبد الوادى الذى أشرنا إليه .

ولا شك أن وجود تلك الصخرة كان يشوه المكان ، ولهذا رأى المشرف على العمل أن يستفيد منها لعمل تمثال لسيدته الملك ، جسده على صورة أسد وهو أقوى الحيوانات ورأسه على صورة لرأس خفرع نفسه أى أنه كان جامعاً للقوة والعقل ، ثم أصلح أنحاء المحجر وبنى معبداً أمامه (١) .

#### منكاورع :

استطاع الحزب المعارض فى الأسرة المالكة أن يستولى على السلطة بعد وفاة خفرع وقد تحدثنا عن ذلك النزاع فيما قبل ، ولا تساعدنا معلوماتنا القليلة على الخوض فى هذا الموضوع أو معرفة المدة التى استغرقتها فترة عدم الاستقرار أو القول عن يقين إن كان قد حكم بين خفرع ومنكاورع ملك واحد من إخوة خفرع أو حكم ملكان .

ونرى بعد ذلك ، وقد عادت البلاد إلى حالتها الطبيعية أن الملك منكاورع أخذ يشيد هرمه على مقربة من هرمى أبيه وجده وقد وضع المهندسون تصميمه على أن يكون أقل منهما كثيراً فى الحجم (ارتفاعه ٦٦,٥ متر وطول ضلع قاعدته ١٠٨,٥ متر) ولو أنهم كانوا يقصدون أن يكسوه كله من حجر الجرانيت بدلا من الحجر الجيرى الأبيض ، ولكن لم يتمموا إلا نصفه فقط .

وقد ذكر الكهنة لهيرودوت الشيء الكثير عن ظلم كل من خوفو وخفرع للشعب

---

(١) لم يعتبر المصريون هذا التمثال للإله ، حور إم أخت ، ( حور ماخيس ) إلا فى الأسرة الثامنة عشرة أى بعد عصر خفرع بأكثر من ألف ومائة سنة . غير أن الإهتمام بأبو الهول زاد فى العصور المتأخرة جداً من التاريخ المصرى وكان يقام له فى العهد الرومانى أعياد كانت تمتاز بما يجرى فيها من الرقص والغناء والموسيقى ومواكب السرور ، ويحمل فيها الناس الأزهار وجوید النخل وأمام صدر أبو الهول نرى حتى الآن لوحة تحوتس الرابع المعروفة باسم لوحة الحلم ، كما ظهر فى الحفائر فى عام ١٩٣٦ عدد كبير جداً من اللوحات الصغيرة ، وكانوا يشيرون إلى أبو الهول كباله معبود يسمونه ، بو حول ، وهو على الأرجح أصل الاسم الحالى . كما كانت تقيم على مقربة من المكان فى أيام الدولة الحديثة جاليات أسبوية من أسرى الحروب كانت تقدم له العبادة ، وتقدم له اللوحات قرباناً له ، مثل المصريين .

وكيف كرههما الناس ومقتوهما ، ويذكر أيضاً كيف خالف منكاورع أساليب من سبقه وأبطال الظلم وفتح المعابد فأحبه الناس .

وربما كانت هذه القصة تحمل بين ثناياها شيئا من الصدق ، فلا شك أن تشييد المجموعتين الهرميتين لخوفو وخفرع ومقابر موظفيهما كان عبئا كبيرا على كاهل البلاد والخزانة ، زاد من شدته ذلك التناحر بين فرعى البيت المالكة الذى لم تستطع الأيام أن تخفف من حدته .

وبالرغم من أن منكاورع حكم أكثر من واحد وعشرين عاما ( وربما امتد حكمه إلى ثمانية وعشرين عاما ) فإنه لم يستطع أن يتم تشييد هرمه الصغير أو معبده الجنازى أو معبد الوادى لهذا الهرم مشيد من الطوب اللبن وليس فيه شيء مشيد بالحجر إلا بعض الأرضيات والأعمدة وعتبات الحجرات ، وقد عثر ريزنر فى هذا المعبد عند حفرة له على عدد من مجموعات التماثيل المصنوعة من حجر الشست ( نوع من الإردواز ) يمثل كل منها الملك منكاورع مع رمز لإقليم من الأقاليم وأحد المعبودات المهمة .

وقد نهب هذا الهرم كما نهب غيره فى عصر الفترة الأولى ولكن اللصوص تركوا الكثير مما لم يكونوا فى حاجة إليه ، وقد عثر برنج ( Perring ) عندما فتح هذا الهرم عام ١٨٣٩ على بعض أجزاء من مومياء لرجل وعلى تابوت خشبى مكسور ربما كانا باقيين من الأثاث الجنازى للهرم (١) ، كما عثر أيضاً على تابوت للملك من حجر البازلت زخرفت جوانبه بالكوات الداخلية والخارجية التى تمثل واجهة القصر ، ولكن هذا التابوت غرق مع السفينة التى كانت تحمله إلى إنجلترا عندما هبت عليها عاصفة شديدة أمام شواطئ أسبانيا .

(١) بقايا التابوت الخشبى المكتوب وأجزاء المومياء محفوظة فى المتحف البريطانى وإذا كان العلماء لا يرون ما يحول دون إعتقادهم بأنه من المعقول أن تكون أجزاء المومياء للملك منكاورع فإن هناك شكاً غير قليل فى موضوع التابوت الخشبى إذ ربما كان من عصر بعد عصر منكاورع عندما أعاد الكهنة إغلاق الهرم بعد سرقة ، وربما أمكن تحقيق هذا الموضوع عند فحص كل من بقايا المومياء والتابوت بطريقة راديو كاريون ١٤ ، التى تستطيع أن تحدد لنا كم من السنين قد مرت على العينات التى من مادة عضوية على أساس ما تفقده من إشعاع كلما مر عليه الزمن . وقد نجحت هذه الطريقة فى فحص كثير من الآثار الموثوق من تاريخها وأعطت أرقاما قريبة من الصحة وذلك خلال الإثنى عشر عاماً الأخيرة ، وستكون هذه الطريقة عاملاً مهماً فى فحص كثير من الآثار المشكوك فيها وتقدير تاريخها ، ولو مع خطأ قليل نسبياً إذ كانت تلك العينات قد تلوثت من اتصالها بغيرها من المواد العضوية الأخرى ؛ وتأثرت من إشعاعها .

### السنوات الأخيرة من حكم الأسرة الرابعة :

وتولى ، شبسكاف ، الحكم بعد أبيه ولكنه لم يعيش أكثر من أربع سنوات ، وقد امتازت هذه المدة القصيرة بحادث مهم كان مقدمة لحوادث أخرى ذات أثر كبير .

أخذ نفوذ كهنة الشمس يعظم ويزداد منذ قيام الأسرة الرابعة ، ولكن هذا النفوذ لم يكن ذا خطر في أيام سنفر أو خوفو ولكنه أصبح قوياً منذ عهد خفرع ، ولم يصبح إسم الإله رع جزءاً من أسماء بعض الملوك وأمراء البيت المالك للتيمن به فحسب ، بل أخذ الاسم الخامس للملوك وهو اسم ، ابن رع ، ، يظهر أيضاً ابتداء من عهد الملك خفرع .

ورأى ، شبسكاف أن يضع حدا لهذا النفوذ والسطوة للكهنة فترك بناء قبره على شكل هرم لصلة ذلك بعبادة الشمس ، وأراد إهماله فبنى قبره على شكل تابوت كبير ( ١٠٠ متر × ٧٢ متراً وارتفاع ١٨ متراً ) وهو المعروف باسم ، مصطبة فرعون ، في سقارة القبليّة وبنى في جهته الشرقية معبده الجنائزى كالمعتاد ، وأقام أيضاً معبد الوادى والطريق الموصل بينهما ، إلا أن البناء لم يتم وربما لم يقدر لشبسكاف أن يدفن فيه .

كانت هناك دون شك حركة ضد كهنة رع ، ولكن شبسكاف لم يعمر طويلاً ليحقق ما كان يهدف إليه وسرعان ما عاد التنازع في البيت المالك إلى الظهور وقام واحد منهم ( وربما كان اسمه چاف پتاح ) واستولى على العرش وحكم نحو عامين .

وفى هذه الظروف المضطربة والفترة الدقيقة من تاريخ الأسرة تظهر سيدة من العائلة المالكة اسمها ، خنتكاوس ، فتكون الحلقة بين الأسرتين الرابعة والخامسة .

### خنتكاوس :

في شتاء عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ كشفت حفائر جامعة القاهرة في منطقة أهرام الجيزة عن حقيقة البناء الذي كان يطلق عليه ، لپسيوس ١٠٠ ، الذى كان يظن البعض أنه هرم لم يكمل بناؤه ، فاتضح أنه شبيه في تصميمه بقبر الملك شبسكاف أى على شكل تابوت كبير مشيد فوق صخرة في المكان ، وأنه لم يكن لملك من الملوك وإنما كان لإحدى الملكات واسمها ، خنتكاوس ، . ومنذ هذا الاكتشاف حاول كثير من الأثريين تحديد مركز هذه السيدة من العائلة . وقد اختلفت الآراء في بعض التفاصيل ولكن المرجح الآن هو أنها ابنة للملك منكاورع وإن كانت لم تذكر ذلك على آثارها ، وأنها تزوجت ، شبسكاف ، وإن لم تذكر ذلك أيضاً ، وأنها عاشت خلال السنتين

اللتين حكمهما ، ددف بتاح ، ، ويظن أنها تزوجت من ، وسركاف ، الذى أسس الأسرة الخامسة وأصبحت أما لابنيه اللذين حكما من بعده واحدا بعد الآخر . وهما ، ساحورع ، و ، نفر إر كارع ، أى أنها أصبحت أما لأسرة الخامسة .

ويلوح أن هذه الملكة كانت أصل الأساطير التى كان يرويها المصريون فى أواخر أيام حضارتهم ، فقد ردد هيرودوت ما سمعه فى مصر من أن الذى بنى الهرم الثالث كان امرأة تسمى ، رودوبيس ، ولكنه كان متأكدا من أن بانيه كان منكاورع وأن رودوبيس لم تكن إلا إحدى المحظيات غير المصرىات اللاتى اشتهرن بجمالهن فى القرن السادس قبل الميلاد وكانت لها مغامرات غرامية اشتهر أمرها بين اليونانيين . وقد ذكر مانيتون أن الذى بنى الهرم الثالث ملكة تسمى نيتو كريس وأنها كانت أقوى وأجمل امرأة فى زمانها .

ولكن معنى كلمة رودوبيس هو ، وردية الخدين ، ، وربما كانت الأسطورتان تشيران إلى خنتكاوس التى ربما كانت كبعض نساء أسرتها بيضاء البشرة شقراء الشعر فتحدث بجمالها الناس وأعجبوا بدورها الذى قامت به عندما استعرت نار الفتنة فى أواخر أيام الأسرة الرابعة ثم أصبحت أما لملكين جلسا على العرش .

ولكن كل هذه الآراء تفتقر إلى البرهان والدليل . وكل ما نستطيع أن نقوله هو إن خنتكاوس لم تجلس على العرش وأنها لم تدفن فى هرم وإنما دفنت فى قبر على شكل تابوت ، وأن هذا القبر كان يختلف سواء فى تصميمه أن فى عظمته عن قبور الملكات الأخريات اللاتى عشن فى تلك الأيام .

لقد عجلت ثورة شبسكاف على كهنة رع بنهاية أيام تلك الأسرة التى تطاحن أفرادها منذ وفاة خوفو ، وأخيرا حوالى عام ٢٥٦٠ ق . م . انتهى عهد الأسرة التى أسسها سنفرو وحلت مكانها أسرة أخرى من كهنة الشمس .

### الأسرة الخامسة

( ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق.م. )

نجح كهنة الشمس فى الإستيلاء على الملك وانتهى ذلك الصراع بزوال الأسرة الرابعة وانتقال العرش إلى بيت حاكم آخر .

وفى حقيقة الأمر لا تمدنا الآثار بمعلومات كافية عن هذا التغيير فنرى أن «وسر كاف» أول ملوك هذه الأسرة قد ترك منطقة أبو صير وذهب إلى منطقة سقارة وإختار مكانا قريبا من الهرم المدرج ولكن مجموعته الهرمية وما عثر عليه من نقوش معبده لا تختلف عن أهرام ونقوش الأسرة الرابعة (١) فى شيء ذى أهمية .

ولسنا نعرف شيئا عن أصل « أوسر كاف » أو صلته بكهنة الشمس وإن كان من المحتمل أنه كان يتولى منصباً كبيراً فى معبد الشمس واستطاع بمعونة الكهنة أن يصل إلى العرش ويتزوج « خنتكاوس » ليصبح جلوسه على العرش شرعياً فى نظر الشعب .

وسواء أكان ذلك صحيحاً أو كان رجماً بالغيب فإن الحقيقة التى لا يمكن التشكك فيها هو أن « خنتكاوس » كانت أما لملكين حكم كل منها عرش البلاد واحد بعد الآخر ، وهناك شبه إجماع بين المؤرخين على الرأى القائل بأنهما الملكان اللذان جاءا بعد ( أوسر كاف ) وهما « ساحورع » و « نفرار كارع » .

لم يكن انتقال الملك على هذه الصورة أمراً سهلاً لا يترك أثراً بين المصريين ، بل سببت تلك الحوادث هزة كبرى لم يكن لمصر عهد بها من قبل . إذ كانت بداية لزعزعة سلطة الجالس على العرش ومن السهل علينا أن نتصور أن تلك الحوادث جرت انقساماً فى الآراء ، وأن كلا من الحزبين المتنازعين أخذ يبذل كل ما فى جهده لتأييد وجهة نظره والتغلب على حجج غيره .

وفى هذه الفترة المضطربة روج كهنة الشمس بين الناس قصة طويلة وصلت إلينا فى أحد قراطيس البردى التى كتبت فى الدولة الوسطى ، ألفوها ونسبوا حوادثها إلى عصر خوفو وجعلوها تتضمن أسماء بعض الملوك السابقين الذين لم يكن لهم

---

(١) هرم « أوسر كاف » فى سقارة هو الهرم المعروف باسم الهرم المخريش وقد فحص عام ١٩٢٨ ، وقد اضطرتهم طبيعة الأرض فى تلك المنطقة وعدم وجود المكان الكافى لإقامة معبد جنازى فى الناحية الشرقية إلى الاكتفاء ببناء هيكل صغير فى هذه الجهة وبنوا المعبد الكامل فى الجهة الجنوبية من الهرم .



الشعب احتراماً وتقديراً ، مثل زوسر وسنفر و خوفو ، ليعطوها أهمية خاصة .

تتلخص قصة خوفو والسحرة ( أو بردية وستكار ) فى أن الملك خوفو جمع يوماً من الأيام أولاده وطلب من كل منهم أن يقص عليه قصة عما يستطيع السحرة أن يأتوه من معجزات ، وبدأن أولهم بقصة عن زوسر ( لم يحفظ منها إلا كلمات من خاتمتها ) وتلاه آخر بقصة من عهد الملك نبكا وثالث بقصة عن الملك سنفر . لم تكن تلك القصص إلا مقدمات أو تمهيدا فقط لما سيأتى بعد ذلك ، إذ يقول أحد أبناء خوفو لأبيه إنه يعيش فى أيامه ساحر عظيم يستطيع أن يأتى بالمعجزات ، فيرسله أبوه ليأتى من بلده ويقوم الساحر ببعض المعجزات أمام الملك ومنها إعادة الحياة لبعض الحيوانات بعد ذبحها وفصل رأسها عن جسدها . ثم يطلب خوفو من ذلك الساحر أمراً فيرد عليه بأنه لا يستطيع ولكن الذى يمكنه القيام بذلك هو أكبر أطفال ثلاثة فى بطن زوجة لكاهن حملت بهن من الإله رع نفس وأن الإله رع أخبرها بأنهم سيتولون عرش البلاد وأن أكبرهم سيكون الكاهن الأعظم فى مدينة « إيون » ، أى هليوبوليس . ويضطرب خوفو ولكن الساحر يطمئنه بأن ذلك لن يكون قريباً وأنه لن يحدث فى عهده ، وأن ابنه سيحكم من بعده ثم يحكم ابن ابنه ، ثم يأتى بعد ذلك واحد منهم . وتستمر القصة فتذكر حمل زوجة الكاهن وما تلا ذلك من ظهور عجائب ومعجزات وكيف حضرت آلهات الولادة مولدهن إلى آخر القصة .

وليس فى استطاعتنا أن نقول ما إذا كان النص الذى وصل إلينا ، وهو من عهد الدولة الوسطى ، هو صورة منقولة عن النص القديم الذى وضع فى عهد الأسرة الخامسة كدعاية سياسية لتلك الأسرة ، أم دخل عليه شيء من التغيير مع مرور الزمن ، إذ أننا لم نعثر حتى الآن على أى أثر من عهد الأسرة الخامسة عليه رسم أو كتابة تشير إليها (١) . أما الهدف الذى كان يرمى إليه واضع القصة فهو إقناع الناس بأن استيلاء كهنة الشمس على عرش البلاد إنما كان شيئاً مقدراً منذ عهد بعيد وأن هؤلاء الذين جلسوا على العرش ولم يكن يجرى فيهم الدم الإلهى الملكى ، إنما كانوا خيراً ممن سبقهم من الملوك ؛ لأنهم كانوا أبناء الإله رع من صلبه .

(١) مثلما فعلت الملكة حتشبسوت فى الدولة الحديثة عندما رسمت على جدران معبدها فى الدير البحرى قصة زيارة الإله آمون رع لأمها فى مخدعها وحملها منه ثم ولادتها وكما نرى أيضاً فى معبد الأقصر إذ قص أمنحوتب الثالث قصة شبيهة بقصة حتشبسوت .



### أوسر كاف :

ومما يؤثر عن عهد ، أوسر كاف ، ما ذكره حجر بالرمو من تشييده المعابد في مختلف بلاد مصر مثل بوتو في الدلتا لأجل عبادة الإلهة حاتور وما أوقفه من أرض على معبد الإله رع .

وفي مقابر طهنا الجبل في محافظة المنيا نرى اسمه في مقبرة ، نى - كا - عنخ ، الذى كان كاهنا للإلهة حاتور إذ أو كل إليه هذا الملك حق الإشراف على وقف شخص يدعى ، خنوكا ، مساحة أراضيه ١٢٠ ستاناً ( الستات مساحته نحو ٣/ ٢ أفدنة على وجه التقريب ) وقد ترك ، مى كاعنخ ، وصيته مكتوبة على جدران قبره مقسما هذه المنح الملكية بين أفراد عائلته على أن يقوموا بجميع ما تتطلبه أعمال الإشراف على إدارة الأوقاف والقيام بخدمة معبد حاتور سيدة مدينة القوصية ، إذ أن عمل ، نى كاعنخ ، الرئيسى كان فى ذلك البلد الواقع فى محافظة أسيوط ولكنه دفن فى قبره الذى أعده على مقربة من بلدة الأصل فى طهنا .

أما عن هرم أوسر كاف فهو فى سقارة كما قلنا وقد عثر فى معبده على رأس لتمثال ضخم كبير من الجرانيت لهذا الملك . ونعرف من مصادر كثيرة أنه أول من بنى معبداً للشمس فى أبو صير ، ومن المرجح جداً أن يكون هو المعبد الذى حفرت به بعثة المعهد السويسرى لدراسة العمارة المصرية القديمة بالقاهرة فى السنوات الأخيرة ، وعثرت فيه فى آخر مواسم الحفر عام ١٩٥٧ على رأس من حجر الشست كانت لتمثال وهى على درجة كبيرة من الإتقان تمثل ملكا يحمل التاج على رأسه ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن تخريب المعبد كان كاملا ولم يعثر فيه على أى نقوش أو يعثر فيه على اسم صاحبه مكتوبا على أى أثر حتى يمكن نسبة هذا المعبد وهذا الرأس إلى أوسر كاف دون تردد أو شك .

### ساحورع : ( ٢٥٥٣ - ٢٥٣٩ ق.م. )

حكم أوسر كاف سبع سنوات فقط ثم تلاه على العرش ساحورع الذى حكم أربعة عشر عاما ، وكان أول ملوك الأسرة الخامسة الذين اختاروا منطقة أبو صير ليبنوا فيها أهرامهم <sup>(١)</sup> وعلى مسافة غير كبيرة من معبد أوسر كاف بنى ساحورع

(١) ملوك الأسرة الخامسة تسعة وهم ١ - أوسركاف، ومدة حكمه ٧ سنوات ٢ - ساحورع، ومدة حكمه ١٤ عاما ، ٣ - نفر أركارع ، وربما كانت مدة حكمه ١٢ عاما ، ٤ - سيس كارع، ومدة حكمه ٧ سنوات ، ثم ٥ - نفر إرف رع ، ولم تزد مدة حكمه عن أربع سنوات ، ٦ - ثم الملك ، نى وسر رع، وقد حكم أكثر من إثنين وثلاثين عاما ، ٧ - ويأتى بعد ذلك الملك ، منكرو حور، وقد حكم ثماني سنوات ، ٨ - ثم يأتى بعد ذلك الملك ، جد كارع إيسى ، الذى حكم ٢٨ عاما ، وآخر ملوك الأسرة هو ، ٩ - أوناس ( وينطق أحيانا ونيس ) وقد حكم ٣٠ عاما، أى أن مجموع سنى حكم ملوك هذه الأسرة ١٤٠ عاما .

هرمه على هضبة أبو صير بين أهرام الجيزة وسقارة وتبعه أربعة مما جاءوا بعده وهم  
، نفر إركارع ، و ، شيسسكارع ، و ، نفر رع ، و ، نى وسررع ، فبنوا أهرامهم  
أيضا هناك وشيد أثنان منهم على الأقل معابد للشمس على مقربة من أهرامهم .

ولم يعتن ساحورع بتشديد هرمه إذ نراه فقير البناء صغير الحجم إذا قيس بأهرام  
الأسرة السابقة ، ولكنه استعاض عن ذلك بتشديد معبد فخم استخدم فى بنائه أثمن  
المواد المعمارية وعنى بتزيين قاعاته وأبهائه المحمولة على أعمدة الجرانيت ذى  
التيجان النخلية ( على هيئة جريد النخل فى حزمة مربوطة ) . وبلغ من عناية  
معمارى الأسرة الخامسة بعمارة هذا المعبد وغيره من المعابد حداً كبيراً لم نعرفه من  
قبل إذا لم يهملوا فى شىء واحتاطوا لدرء كل ما عساه أن يؤثر على سلامة البناء فلم  
يسقطوا المطر من حسابهم وجعلوه ينساب من مزاريب كل منها على هيئة رأس أسد  
تسقط المياه من أفواهها إلى قنوات صغيرة عمقوها قليلا فى الأرضية ، ثم تسير المياه  
منحدرة إلى الخارج . أما المياه التى كانت تستخدم داخل حجرات المعبد فى أجزائه  
المختلفة فكانت تسير من مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت هذه المواسير مصنوعة  
من النحاس وملحومة إلى بعضها بالرصاص ، وتسير إلى خارج المعبد حيث تصب  
فى أحد الأماكن المنخفضة فى مكان بعيد عن الأنظار .

ولا جدال فى أن فن عمارة المعابد وتشيدتها قد تقدم كثيراً فى عهد الأسرة  
الخامسة كما زادت النقوش التى على جدران تلك المعابد وتنوعت ، وهذا يعوضنا دون  
شك على انصرافهم عن الاهتمام بالأهرام .

ونعرف من بقايا النقوش التى كانت تغطى جدران معبدى ساحورع والطريق  
الموصل بينهما كثيراً من نشاط هذا الملك وبخاصة فى ميدان الحرب إذ تعرضت مصر  
فى أيامه إلى غزو من ناحية الغرب عندما جاءت بعض القبائل الليبية ومعها زعماءها  
ونسأؤهم وحيواناتهم ليهاجموا الدلتا ويستقروا فى وادى النيل فهزمهم ساحورع .

ونعرف أيضاً من نقوش معبدته فى أبو صير أنه أرسل أسطولاً إلى شواطئ  
فينيقيا ، ولكننا نرى أكثر من إقلاع ذلك الأسطول ثم عوته واستقبال الملك له يحف به  
كبار موظفيه مما حدا ببعض الباحثين فى التاريخ المصرى إلى الاعتقاد بأن ذلك  
الأسطول لم يرسل للحرب أو للتجارة وإنما كان فى رحلة ودية وربما عاد بأميرة من  
أميرات تلك البلاد لتصبح زوجة من زوجات ساحورع .

ولم يقتصر نشاطه على غربى مصر وعلى الساحل الفينيقى بل أرسل أيضاً  
حملة أخرى نحو الجنوب إذ ترك رئيسها اسم ملكة منقوشاً على أحد الصخور التى

على مقربة من شاطئ النيل عند توماس فى بلاد النوبة ، كما نعرف من حجر بالرمو أنه أرسل حملة إلى بلاد بونت ، وهى المنطقة التى حول بوغاز باب المندب وتشمل الشاطئين الإفريقى والأسىوى أى الصومال وارىترىا فى ناحية وجنوبى بلاد الغرب فى الناحية الأخرى . وأن تلك البعثة عادت ومعها مقابر كثيرة من البخور والذهب وعدداً غير قليل من أعواد من الأخشاب التى كان المصريون يهتمون بالحصول عليها ، وربما كان بعضها أو أكثرها من الأبنوس .

وهكذا نرى مصر وقد بدأت صفحة جديدة فى حياتها وأخذت تخرج من عزلتها فتتطلع بعينها نحو الجنوب ونحو الشرق وتعيد إرسال أسطولها التجارى إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتفتح عينها فلا تسمح لبدو الصحراء الغربية بغزو الدلتا ، بل ربما كانت مناظر مهاجمة أحد حصون جنوبى فلسطين الذى تراه مرسوماً فى أحد مقابر دشاشة فى محافظة بنى سويف ترجع أيضاً إلى ذلك العهد الذى أرادت فيه مصر أن تمهد الطريق لإنشاء صلات تجارية مع جيرانها فى الجنوب وفى الشرق براً وبحراً<sup>(١)</sup> .

نفر إر كارع : ( ٢٥٢٩ - ٢٥٢٧ ق . م . )

ولم يكن الملك ، نفر إر كارع ، أقل طموحاً من أخيه ، وقد فكر فى تشييد هرم أكبر من هرم ساحورع ، ولكنه مات قبل أن يتم جميع أجزاء مجموعته الهرمية . ولم يكن هذا الملك يشبه من سبقه على العرش فى نشاطه الحربى بل كان شخصاً طيب القلب محباً لتقديم الهبات للمعابد ، وفى نفسه شعور أصيل بحب من حوله والاعتراف بخطئه إذا أخطأ .

فأما عن حبه للكهنة والمعابد فيكفى أن نلقى نظرة على أعماله المسجلة فى حجر بالرمو فنرى أكثرها فى السنة الأولى من حكمه لا يعدو منح الأوقاف للآلهة يمنحها مرة للناس ومرة أخرى لأرواح هليوبوليس . أو نراه يقدم مذبحاً للآله رع ومذبحاً آخر للآله حتحور ، كما نراه أيضاً يقدم للفلاحين الذين يعملون فى الأراضى التى تملكها المعابد ، بل ويقدم تمثالاً من خليط من معدنى الذهب والفضة .

ومن سوء الحظ أن الجزء المحفوظ من حجر بالرمو ينتهى عند ذلك فلا نعرف ماذا قدمه للكهنة والآلهة فى السنوات التالية ، ولكن هذه البداية كافية لتجعلنا ندرك أن عصر هذا الملك كان بدء ظهور سلطة الكهنة ظهوراً تاماً واستغلالهم لطبيعة نفسه للحصول على كل ما يريدون ، ولا نعجب بعد ذلك إذا رأيناه يصدر فى عهده مرسوماً

(١) هناك رأى آخر يفضل القول بأنها من عهد ببي الأول من الأسرة السادسة .

ملكياً (١) يسجل معافاة رجال الدين وفلاحى المعابد من القيام بأى عمل آخر تتطلبه مشاريع الإصلاح فى أى إقليم من الأقاليم ، ويهدد كل من يخالف ذلك من موظفى الحكومة فساداً ، نفرار كارع ، بهذا العمل على تقوية الكهنة وإثرائهم . فإذا وضعنا فى أذهاننا أن المتريعين فى زعامة مراتب الكهنوت كانوا هم فى الوقت ذاته كبار الموظفين فى البلاد فإننا ندرك بسهولة لماذا أخذت سلطة الملك تضعف مع مرور الزمن ولماذا بدأت السلطة المركزية للحكومة فى التفكك ، ولماذا أخذ شأن كبار الموظفين وحكام الأقاليم يعلو ويزداد . ولنترك الآن هذه النقطة المهمة لنعود إليها مرة أخرى ونذكر بعض ما حفظه لنا تاريخ ذلك العصر عن طيبة قلب ذلك الملك .

كان لهذا الملك وزير يسمى ، واش پتاح ، كان يشغل فى الوقت ذاته وظيفة كبيرة القضاء ، والمشرف على جميع الأعمال الإنشائية للملك . وذهب الملك مع أبنائه ليشاهد العمل فى إحدى المنشآت الملكية فى يوم من الأيام وكان وزيره يسير إلى جواره ويشرح له ما تقع عليه عيناه . وسر الملك ومن معه مما رأوا وأثنى عليه كثيراً ، وبينما كان الملك يتحدث إليه سقط ، واش پتاح ، مغمياً عليه . وعندما رأى أولاد الملك وأفراد عائلته ما حدث أصابهم الهلع وأمر ، نفرار كارع ، أن ينقلوه فى الحال إلى القصر وأخرج جلالته صندوقاً معلوئاً بالقراطيس الطبية لعله يجد فيها علاجاً له ، ولكنه لم يستطع مساعدته واعتكف فى مقصورته ليصلى لأجله ، وعندما أعلنوا للملك وفاته حزن وعاد إلى حجرته ليرفع صلواته إلى الإله رع ثم أمر بأن يصنع له تابوتاً من خشب الأبنوس المطعم كما أمر أن يكون تحنيطه أمامه وقد ذكر ابنه الأكبر ، الذى غمره الملك بإحسانه وأسند إليه بعض الوظائف الكبرى ، تفاصيل هذه القصة على لوحة أقامها فى القبر الذى شيده له فى سقارة .

وهناك قصة أخرى عرفت وقائعها فى عام ١٩٢٩ عندما كانت حفائر جامعة القاهرة تكشف عن آثار المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الطريق الموصل بين معبدى خفرع فى منطقة أهرام الجيزة .

لقد كشفت تلك الحفائر عن مقبرة أحد كبار موظفى ذلك الملك ويسمى ، رع ور ، وكان يحمل بين ألقابه الكثيرة لقب مدير القصر الملكى ، وكانت أسرار الملك . وكان فى الوقت ذاته كاهن آلهة الوجه القبلى وكاهن آلهة الوجه البحرى . وحدث لهذا الموظف حادث بسيط مع الملك . كان ، رع ور يسير ، إلى جوار سيده فى يوم احتفال رسمى بافتتاح عيد خاص وحدث أن الملك كان يحرك عصاه فضربت

(١) أول مرسوم ملكى عرفناه فى الدولة القديمة يرجع إلى أواخر أيام الأسرة الرابعة من عهد الملك شيسسكاف .

دون قصد منه ساق ، رع ور ، فلما أدرك ما فعله استاء استياء شديداً وقال بأنه أحب شخص لديه واعتذر عما بدر منه ، ولم يكتف الملك بذلك بل أراد أن يجعل هذه الحقيقة معروفة للناس جميعاً وأن تنقش على لوحة حجرية ، وقد عثر على هذه اللوحة فى قبر ذلك الموظف .

وعلى ذكر قبر ، رع ور ، يكفيننا أن نذكر أن عدد حجراته وأبهائه وممراته لا يقل عن خمسين ، ولو عددنا ما بقى من أجزاء تماثيله لتأكدنا أنه كان منها أكثر من مائة فى هذه المقبرة ، ولو ألقينا نظرة على الأحجار التى شيدت بها جدرانها ، وعلى الأخص أحجار الواجهة لأدركنا ثراء الكهنة الذى لم يكن يضارعهم فيه إلا الملوك ولو قارنا قبر ، رع ور ، بقبور أبناء سنفر أو خوفو لرأيناها يفوقها فى عدد الحجرات أو الردهات وفخامة المبانى .

وليس قبر ، رع ور ، هو القبر الوحيد الذى تلمح فيه ثراء كبار الكهنة والموظفين بل نجد أمثلة كثيرة بين مقابر أبو صير والجيزة وسقارة . ولقد أصبح كبار الكهنة والموظفين على شئ كبير من الثراء والنفوذ ، وأصبحوا يبنون لأنفسهم مقابر تزيد فى حجمها وفخامتها أضعاف ما كانت عليه مقابر أبناء الملوك فى الأسرة الرابعة .

نى وسر رع ( ٢٥١٦ - ٢٤٨٤ ق . م . )

وهناك مكان آخران حكما بعد ، نفر إر كارع ، وهما ، شپس كارع ، و ، نفر رع ، ولكنهما لم يتركا آثاراً مهمة ، وإن كان قد بدأ ثانيهما على الأقل فى تشييد هرم له فى منطقة أبو صير . ولم يظل حكمهما طويلاً إذ حكم أولهما سبع سنوات والثانى أربع سنوات ، ثم جاء إلى العرش ملك آخر وهو ، نى وسر رع ، الذى طالت أيام جلوسه على العرش فزادت عن اثنين وثلاثين عاماً وبنى له هرماً فى أبو صير ، كما بنى معبداً للشمس فى المنطقة نفسها وحلى جدرانه بمناظر كثيرة ربما كان أهمها تلك المناظر التى تعطينا أهم ما وصل إلى أيدينا من تفاصيل مراسيم العيد الثلاثينى ، ونرى أيضاً بين المناظر التى كانت فى معبده ما يدل على حروب قام بها فى سوريا وحروب أخرى ضد الليبيين ، ولو أن هناك بعض الشك فى أنه لم يقم بمثل تلك الحروب وإنما كان الفنانون يقلدون مناظر معبد ساحورع الذى كان على مقربة منه . وقد عثر على مقابر مهمة كثيرة من عهد هذا الملك ، ربما كانت أهمها جميعاً مقبرة ، نى ، فى سقارة التى قلما لا يذهب لزيارتها شخص يزور تلك المنطقة وهى تعطى بحق فكرة صادقة عن الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد .

جد كارع - إسيسى : ( ٢٤٧٦ - ٢٤٤٨ ق . م . )

وجاء بعد ، نى وسررع ، ملك يسمى ، منكاوو حور ، حكم نحو ثمانية أعوام ولا نعرف عنه إلا القليل (١) . ثم حكم بعد ذلك ملك قوى وهو ، جد كارع - إسيسى ، الذى حكم عهداً طويلاً لم يقل عن ثمانية وعشرين عاماً .

اهتم هذا الملك بتأمين حدوده واستغلال المناجم والمحاجر فأرسل حملة إلى بلاد النوبة وأخرى إلى وادى الحمامات وحملة أو أكثر إلى جبل المغارة فى سيناء حيث تركت أربعة نقوش باسمه .

وقد عرفنا من تاريخ حياة الرحالة ، حر خوف ، الذى قام برحلات عدة إلى جنوبى مصر فى الأسرة السادسة أنه عاش فى عهد الملك إسيسى أحد قادة السفن ويسمى ، باوردد ، استطاع أن يحصل على قزم حى فكافأه الملك وأغدق عليه من الهدايا الشئ الكثير ، ومعنى ذلك أن السياسة التى بدأها ساحورع فى أوائل أيام الأسرة الخامسة وهى الاتصال بالجنوب وفتح الطرق التجارية إليه والحصول على خيرات السودان وبلاد بونت ، لم يهمل أمرها من جاءوا بعده ، بل استمر عليها باقى الملوك وسنرى أنها ستزداد فى الأسرة السادسة .

كان اسم ، إسيسى ، دائماً من الأسماء الشهيرة فى تاريخ الأسرة الخامسة واقترن اسمه بأسماء الكثيرين من كبار الموظفين الذين عثر على مقابرهم ، ومن بينهم الحكيم الشهير ، پتاح حتب ، الذى كان مشرفاً على تربيته . والذى ترك مجموعة نصائحه وإرشاداته ، وهى ذخيرة من الحكمة والإرشاد إلى حسن السلوك اعتر بها المصريون فى جميع عصورهم .

وفى عام ١٩٤٨ كشفت مصلحة الآثار عن المنطقة الواقعة حول هرم يسمى الهرم الشواف فى منطقة سقارة فوق الهضبة التى بنيت أمامها فى الوادى منازل بلدة سقارة ، وظهر فى ذلك المعبد كثير من النقوش الهامة فأصبحنا نعرف الآن أين هرمه وأين معبده ، كما كشفت مصلحة الآثار أيضاً فى عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ عن هرم ومعبد آخرين لزوجته فى المنطقة نفسها .

(١) أرسل هذا الملك حملة إلى سيناء تركت نقشاً بين النقوش التى تركتها الحملات فى تلك المنطقة . وقد أقام منكاوو حور لنفسه هرماً لم يعثر عليه حتى الآن وربما كان فى منطقة سقارة إلى الجنوب من مكاتب مصلحة الآثار ، وإلى الشرق من هرم تبتى ، رأيت فى عام ١٩٣٦ فى مخازن المصلحة كثيراً من سدادات الأوانى المختومة باسم هذا الملك قال لى عنها العمال إنهم عثروا عليها أثناء مجسات قام بها ، فيرت ، فى ذلك المكان .



ولم يعثر داخل هرم إسيسى على أى نقوش، أما المعبد فلم يكن يقل عن أى معبد آخر من معابد الأسرة الخامسة فى فخامته وجمال نقوشه ، وظهرت فيه بعض عناصر معمارية لم يكن لنا بها عهد من قبل مثل تزيين بعض المداخل بأعمدة فى شكل علامة ، جد ، وهى شديدة الصلة بعبادة الإله أوزيريس ، كما ظهر أيضا فى حفائر المعبد تماثيل لأسود وثيران وتماثيل لبعض الأسرى من الأجانب (١) .

### أوناس :

وأخر ملك فى الأسرة الخامسة هو الملك أوناس ( أو ، ونيس ، ) الذى يميل بعض المؤرخين الآن إلى اعتباره أول ملوك الأسرة السادسة ؛ لأن حكمه قد ارتبط ببعض التغييرات الجوهرية ، يضاف إلى ذلك ما نعرفه عن وفاة الملك تنى أول ملوك الأسرة السادسة له وإتمام ما لم يتمه من آثاره . ولكن ذلك لا يكفى لتغيير التقسيم القديم الذى أورده مانيتون ، وإذا كان ، تنى الأول ، قد أتم معبد أوناس فإن اسم أوناس نفسه قد عثر عليه فى معبد زوجة إسيسى ، كما نعرف أيضا أن سنفرو وهو مؤسس الأسرة الرابعة قد أتم تشييد هرم آخر ملوك الأسرة الثالثة . وترجع شهرة أوناس إلى ذلك التجديد الذى أحدثه إذ أن مجموعة النصوص الدينية الشهيرة باسم ، نصوص الأهرام ، لم تكتب على جدران الحجرات الداخلية للأهرام قبل عصر أوناس وأصبحت منذ عهده تكتب داخل أهرام الملوك بل وبعض الملكات ، وقد أمدتنا بالكثير من المعلومات الهامة عن عقائد المصريين القدماء (٢) .

(١) كان أول من قام باكتشاف ذلك المعبد هو المرحوم المهندس عبد السلام محمد حسين بين أعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٩ ، وقد قمت بإتمام حفر الجزء الأمامى من المعبد فى موسم عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ . وعثرت أثناء ذلك على بعض النقوش وعلى مقابر ملونة من أواخر الأسرة السادسة أو بعد ذلك بقليل ، كما كشفت على هرم ومعبد فى الجهة الشمالية الشرقية من معبد إسيسى ، من المرجح جدا أنهما لزوجته وبالرغم من تأكيدنا من أن صاحبتها كانت إحدى الملكات ، إلا أن اسمها لم يرد على ما بقى من النقوش التى عثرنا عليها . ولم ينشر التقرير العلمى عن حفائر المرحوم عبد السلام أو عن حفائر حتى الآن وأرجو أن يتم ذلك فى عام ١٩٦٢ بمشيئة الله .

(٢) كان أول إكتشاف لنصوص الأهرام داخل هرم أوناس عام ١٨٨٠ وقد عثر بعد ذلك على كثير من تلك النصوص فى أهرام ملوك الأسرة السادسة فى سقارة بل وفى بعض أهرام ملكاتها وليست هذه النصوص إلا مجموعة من تعاويذ مختلفة ، تحوى على صلوات وبعض طقوس دينية وغيرها ويرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل أيام الأسرة الأولى ، بل ونجد فيها إشارات إلى تلك الحروب التى استعمر أوارها فى مصر فى أوائل أيامها مشاراً إليها كحروب بين الآلهة المختلفة الذين كانوا معبودين فى ذلك الوقت .

وليست النصوص الواردة فى داخل كل هرم مطابقة لما فى الهرم الآخر بل أن الكهنة الذين أشرفوا على إختيارها لكل ملك كانوا يختارون البعض ويتركون البعض الآخر وقد أمكن جمعها ودراستها ومقارنة ببعضها البعض ومجموعها ٧١٤ تعويذة ، وخير ترجمة لها مع التعقيب والشرح هى ترجمة زيتة باللغة الألمانية ( انظر المراجع الهامة ) وقد ظهرت منذ سنوات قليلة ترجمة بالإنجليزية للعالم الأثرى مرسر وهى تعتمد اعتماداً كاملاً على ترجمة زيتة ولكن قد تسرب إليها لسوء الحظ بعض الأخطاء القليلة . وتمتاز هذه الترجمة الأخيرة بالفصول القيمة التى كتبها فى الجزء الرابع مجموعة من العلماء تناولت كثير من نواحى الموضوع وفسرته وقرنته إلى الأذهان وهذه الترجمة هى :

S.A.B. MERCER. The Pyramid Texts, in Translation and Commentary, 1952

ويرتبط اسم أوناس وهرمه بشيء آخر . فقد أشرنا أكثر من مرة إلى تلك الطرق أو الممرات التي كانت توصل بين معبدى الهرم أو بين الوادى والمعبد الجنائزى المشيد فى الناحية الشرقية من الهرم وقلنا إن تلك الطرق كانت مفتوحة للسماء فى أول عهدها وربما أصبحت مسقوفة منذ عهد خوفو ونقشوا جدرانها الداخلية . وقد عثر على بعض المناظر التي كانت فى يوم من الأيام على جدران طرق خوفو وغيره من الملوك مستخدمة فى تشييد هرم أمنمحات الأول فى اللشت كما عثر أيضا على بعض مناظر تلك الطرق فى منطقة أبو صير ، ولكن لم يحدث من قبل أن وجد جزء كبير من ذلك الطريق محفوظا ومرسوما كما ظهر فى طريق أوناس عام ١٩٣٨ . كان هذا الطريق مسقوفا بالأحجار وسقفه ملون كأنه سماء زرقاء زينتها النجوم ، ويدخل إليه الضوء من كوات فى السقف .

وتجمع نقوش جدرانه بين موضوعات مختلفة . فنرى بينها مناظر تمثل أوناس يؤدى بعض الطقوس الدينية ، بينما نرى مناظر أخرى تمثله وهو يقضى على أعدائه . ومن بين تلك المناظر ما يمثل الزراعة والحصاد فى الفصول المختلفة ، ومن بينهما مناظر الصيد فى الصحراء أو فى الماء أو فى الحقول ، كما نرى فيها أيضاً مناظر تمثل بعض أعمدة المعبد وأعتابه المصنوعة من الجرانيت ، وهى تنقل فوق سفن على صفحة النيل .

ولم تقتصر تلك المناظر على ذلك بل أن من بينها ما يمثل بعض الأجانب الذين جاءوا إلى مصر ، وبعض الذين أضرت بهم المجاعة وكادوا يهلكون جوعاً ، وفى تفاصيل المناظر كثير من المعلومات التى أضافت الكثير على ما نعرفه عن مصر فى ذلك العهد ، ونرجو أن يتم حفره وأن ينشر نشرأ علمياً كاملاً فى وقت قريب (١) .

وبالرغم من أننا نعرف الشيء الكثير عن أيام حكم ، إسيى ، وعن حكم ، أوناس ، الذى بلغ ثلاثين عاماً ونعرف أيضاً الكثير عن حكم الملك ، تنى الأول ، فإننا لا نجد فى تاريخ تلك الحقبة ما يمكن أن نقول عنه إنه كان سبباً لتغيير الأسرة ، وربما كان المستقبل كفيلاً بإظهار ذلك .

وهناك رأى نادى به بعض المشتغلين بالآثار وهو أن ، أوناس ، لم يكن آخر ملوك الأسرة الخامسة ولكنه مؤسس الأسرة السادسة وأول ملوكها .

(١) عادت مصلحة الآثار لإتمام حفر هذا الطريق وكشفت عن جزء آخر منه فى عام ١٩٤٣ ولكن العمل لم يستمر ؛ ثم عملت مرة أخرى لفترة قليلة فى عام ١٩٥٠ ؛ وأخيراً إستأنفت كشفه فى موسم ١٩٥٧/٥٦ ونرجو أن يتم فى هذه المرة الكشف عن باقى ويظهر التقرير العلمى الكامل عن جميع تلك الحفائر .



وما من شك في أن مدة حكم أوناس امتازت بكثير من التغييرات في أكثر من ناحية ولكن ذلك كله لا يكفي لإثبات أنه كان مؤسس الأسرة السادسة ، بل من الأفضل اعتباره من الأسرة الخامسة .

تولت الأسرة الخامسة عرش البلاد بعد فترة اضطراب وصراع بين أفراد البيت المالك في الأسرة الرابعة من ناحية ، وبين ملوك هذه الأسرة في النصف الثاني من حكمها وبين كهنة رع من ناحية أخرى ، أولئك الكهنة الذين أخذ نفوذهم يزداد وأصبحوا خطرا على سلطة الملك .

وانتهى ذلك الصراع بتأسيس أسرة مالكة جديدة وثيقة الصلة بكهنة الشمس فشيدت المعابد المختلفة لرع والآلهة المتصلين به ، وأغدقوا العطايا والهبات والأوقاف والامتيازات على المعابد وكهنتها فماذا كانت النتيجة ؟ لقد ازداد الكهنة نفوذا وقوة ولم يعد للملك ما كان له من سلطان ونفوذ وأخذ كبار الموظفين يزدادون ثراء فهل تأصلت عبادة الشمس في نفوس الناس وأصبحت وحدها في البلاد ؟ والجواب على ذلك واضح صريح فقد ضعف نفوذ الملك ، وإن ظلت عبادة الشمس كما هي أى الديانة الرسمية للبيت المالك ، إلا أننا نلاحظ أنه أخذت تظهر عليها عقيدة أخرى ، وهى عقيدة أوزيريس التى كانت قريبة من مدارك الناس .

كان المستقبل السعيد في الحياة الأخرى ، حسب عقيدة الشمس ، يتوقف على الثراء والنفوذ . فكان الملك المتوفى يدفن في قبر فخم ويبنى المعابد ، وكان يركب سفينته ليسير وراء سفينة الشمس في الليل والنهار وينعم بالنور والضياء . وكان عليه أن يحفظ الكثير من التعاويذ التى كان فى حاجة إليها إذا أراد السلامة والاهتداء فى العالم الآخر . وكان المحيطون بالملك يرجون أن يكونوا معه يخدمونه فى الآخرة كما خدموه فى الدنيا وكانوا يبنون المقابر الفخمة ويحبسون عليها الأرض للإنفاق عليه وتقديم القرابين ، ولكن ما هو مصير العامة والفقراء من الناس - وهم الغالبية العظمى للشعب - الذين لم تكن تربطهم بالملك ورجال بلاطه والأثرياء من الحكام رابطة مباشرة ؟ . كان الأغنياء واثقين من نهايتهم السعيدة ؛ لأنهم كانوا أثرياء وفى صحبة الملك ويستطيعون أيضاً الاتفاق مع الكهنة للصلاة على أرواحهم وتقديم القرابين لهم فى أوقات معينة ، ولكن ماذا يفعل الفقراء ؟ كان الناس فى حاجة إلى دين يقول بمكافأة المحسن الطيب القلب الذى لا يفعل السوء دون نظر إلى فقره أو غناه ، وقد وجدوا ذلك فى تلك العقيدة القديمة التى عرفها المصريون منذ أيام الأسرة الأولى بل وقبل ذلك ولكن لم يكن لها النصر والانتشار إلا فى أيام الأسرة الخامسة .

كان أوزير ( أو أوزيريس ) يمثل الحاكم العادل الذى صرعته عوامل الشر والحسد ممثلة فى أخيه ، ست ، ولكن وفاء زوجته إيزيس التى خرجت تبحث عن جثته تارة وتجمع أشلاءه تارة أخرى ، وبكاءها عليه واستدرار عطف الآلهة جعل منه ملكا للأموات . وقامت إيزيس مرة أخرى تطالب بحق ابنها ، حورس ، الذى حملت به من روح أوزيريس بعد موته ، فلقيت ما لقيت من ، ست ، واتهامه لها ، ثم برأتها الآلهة التى كانت تعرف الحقيقة ، ومع ذلك فقد قامت الحرب بين ست وحورس حتى انتصر ابن أوزيريس وجلس على عرش أبيه وبذلك انتصر الحق على الباطل .

ولم يكن أوزيريس العادل الرحيم وهو ملك فى دنيا الأموات يأبه إلا بالحق والعدل ولا ينعم بجنته إلا من تطهر قلبه وحسنت سريرته ونواياه وابتعد عن أذى الناس ، لا يفرق بين غنى وفقير . كان كل إنسان يلقى ما فعله حاضراً ، وكانت الجنة لمن أحسن واتقى ولم يظلم الناس أو يأتى بخائنة ، والعذاب والجحيم لمن سولت له نفسه عمل السوء لا تشفع له أمواله أو صلوات كاهن ، أو قرابين يقدمها أهله وذووه .

لقد وجد الناس فى تلك العقيدة صدى لما فى النفس البشرية فأقبلوا عليها ، بل أن الملوك أنفسهم منذ أيام الأسرة الخامسة كانوا يلقبون أنفسهم باسم أوزيريس ثم أصبح استخدام اسم أوزيريس عاماً لكل فرد قبل أن يمضى وقت طويل ، ولكن هذا النصر لأوزيريس لم ينل كثيراً من عقيدة الشمس فى مظهر الدولة إذ ظل لقب ، ابن الشمس ، الذى استخدمه بعض ملوك الأسرة الرابعة وأصبح عاماً منذ الأسرة الخامسة لقباً أساسياً حتى آخر أيام التاريخ المصرى ، كما ظلوا ينظرون إلى الجالس على عرش مصر إلها تجسد فيه حورس . وكان الكهنة المصريون كعادتهم حصيفين ، فإذا رآه إلها من الآلهة يعلو نجمه لسبب من الأسباب ، أسرعوا فى وضع القصص والأساطير التى يربطون فيها بين ذلك الإله وبين الآلهة المختلفة ، وبخاصة الآلهة الرئيسية ، ولهذا لا يدهشنا إذا رأيناهم يضعون قصصاً يربطون فيها بين رع وبين حورس وبين أوزيريس وغيرهم من الآلهة ، ولم تجد طبيعة التسامح المتأصلة فى طبيعة النفس المصرية ما ينفر المصريين من قبول ذلك .

كانت أيام الأسرة الخامسة من الأيام الحاسمة فى التاريخ المصرى ، شهدت ، تطوراً كبيراً فى العقيدة كما شهدت تطوراً فى مركز الملكية وبدأ يعظم فيها نفوذ أعيان البلاد ويزداد ، حتى أصبحوا لا يخشون الجالس على العرش . ورأينا فيها ازدياد شأن عقيدة أوزيريس التى كان يتساوى فيها الناس ولا تفرق بينهم ثروة أو فوارق اجتماعية .

وعلى جدران مقابر تلك الأسرة وأوائل الأسرة السادسة نستطيع أن نرى الكثير من المناظر التي تمثل حياة الشعب ، نرى فيها صاحب القبر يشرف أحيانا على حقوله التي يعمل فيها رجاله ومرة نراه يجلس بين أسرته وأصدقائه يستمع إلى عزف الموسيقى وغناء المغنين ويمتع طرفه برقص الراقصات ، ونرى الصناع وهم يعملون في الحرف المختلفة فهنا النجارون وهناك الصياغ وعلى مقربة منهم صانعو الأواني ، وعلى مسافة قريبة نرى بنائى السفن ، وغيرهم .

ونرى الأتباع وهم يحضرون الأزهار والهدايا المختلفة ، ونرى الكهنة وهم يقومون ببعض الطقوس الدينية ، ننظر إليها كلها فنحس كأننا نعيش بين القدماء ننظر إلى ملابسهم وحليهم ونتأمل فى محصولات حقولهم وحدائقهم ، ننظر إلى الطيور والحيوانات التي كانوا يربونها ، ونقف طويلا أمام الأسماك السابحة فى المياه وإلى حيوانات الصحراء التي خرجوا لصيدها ، نراها كلها وقد أبدع الفنان المصرى فى رسمها فإن أصحابها أرادوا تصويرها على مقابرهم لتأنس أرواحهم بما كانوا يرونه فى دنياهم وما أرادوا أيضا أن يكون لهم فى آخرتهم . وقد أحسنوا صنعا ، فلولاها لما عرفنا الحياة فى مصر القديمة كما نعرفها الآن . ولم يترك المصريون تلك المناظر دون شرح قليل فنراهم قد كتبوا إلى جانبها ما يفسرها لنا ، وكثيرا ما نقرأ النكات التي كان يتبادلها الصناع أو العاملون فى الحقل وكلها تنبئ عن ميل أصيل للمرح ، وحب الفكاهة .

## الأسرة السادسة

( ٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق.م. )

ذكر مانيتون عن هذه الأسرة أن أصلها من منف ، وهذا محتمل جداً إذ كلما تقدمت الأبحاث الأثرية كلما ازدادنا اقتناعاً به ؛ لأننا نلاحظ في أعمال مؤسسيها اتجاهها صريحاً نحو الإغلاء من شأن فتح إله مدينة منف وتقريب كهنته والانصراف عن كهنة الشمس ، فهل قامت في مصر في عهد آخر ملوك الأسرة الخامسة حركة ضد نفوذ كهنة الشمس ، وكان القائمون بها من أهل منف الذين أخذ نجم إلههم يعلو مع ازدياد قوتهم السياسية ووصولهم إلى العرش ؟

ولن نستطيع الإجابة برأى قاطع على هذا التساؤل طالما لا تظهر في الاكتشافات الأثرية وثائق جديدة تنير أمامنا الطريق أكثر مما لدينا الآن .

كان مقر حكم هذه الأسرة كمن سبقها من الأسرات منذ الأسرة الثالثة على الأقل في العاصمة أى في منف ، وكان أول ملوكها ، تنى ، ، وقد دفن في هرمه الذى شيده في سقارة . ويذكر لنا مانيتون أنه لم يمت ميتة طبيعية بل قتله حراسه ، وربما كان ذلك صحيحاً ؛ لأن مؤسسى الحكم الجديد يكونون معرضين دائماً لانتقام من نحوهم عن السلطان وأبعدوهم عن مكان الصدارة ، ويعززه أن من جاء بعده على العرش وهو الملك ، أوسر كارع ، (١) لم يبق في الحكم إلا سنوات قليلة ولم يكد يخلف وراءه آثاراً في البلاد . ولأمر ما أسقطته النقوش القديمة التى تلت هذه الفترة ، إذ ربما كان من البيت المالك القديم ، استعاد عرش أسرته ولكنه غلب بعد ذلك على أمره فلما استتب الأمر للملك ، ببي الأول ، لم يجرؤ الموظفون على ذكره إذ اعتبروه مغتصباً خارجاً على السلطة الشرعية ، ففى تاريخ حياة ، ونى ، أعظم شخصيات ذلك العهد نراه يذكره كيف بدأ حياته فى عهد ، تنى ، عندما كان طفلاً صغيراً يتمنطق بحزامه ويذكر الوظائف التى تولاه فى شبابه ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى عهد ، ببي الأول ، الذى عاصر كل سنى حكمه ثم امتد به العمر بعد ذلك . نرى ، ونى ، ينتقل مباشرة

(١) عدد ملوك هذه الأسرة سبعة مجموع حكمهم ١٤٠ سنة وقد حكموا حسب الترتيب الآتى:

- ١ - تنى ١٢ سنة
- ٢ - وسر كارع ٤ سنوات
- ٣ - ببي الأول ٢٥ سنة
- ٤ - مري إن رع الأول ( عنتى إم ساف ) ١٠ سنوات
- ٥ - ببي الثانى ٩٤ سنة .
- ٦ - مري إن رع الثانى ( عنتى إم ساف الثانى ) سنة واحدة .
- ٧ - الملكة نيتو كريس ( منكاورع نيت إفرتى ) سنتان .

إلى عهد پپى دون إشارة إلى حكم من جلس قبله على العرش ، ولم يكن يجرو على إسقاط ذلك الملك لو لم يكن متأكداً أن فى ذلك إرضاء للعائلة الذى حاز على ثقة ملوكها ورى فى نعمائهم .

### ببى الأول : ( ٢٤٠٢ - ٢٣٧٧ ق.م. )

انتشل ببى الأول بلاده مما كانت فيه وتمتعت مصر خلال الخمسة وعشرين عاما التى حكمها بعصر زاهر ، ارتقت فيه الفنون وعادت مصر مرة ثانية إلى صلتها بمن جاورها من الأمم ، وكفى الإنسان أن يرى تمثاله الكبير المصنوع من النحاس فى متحف القاهرة أو تماثيله الأخرى فى غيره من المتاحف وبخاصة تلك التماثيل المصنوعة من المرمر فى متحف بروكلين فى نيويورك أو يزور معبدته فى سقارة القبلية على مقربة من مصطبة فرعون ، ويمتع طرفه بجمال نقوشه ليدرك أن المستوى العظيم الذى وصلت إليه النقوش بين أيام إسيى فى الأسرة الخامسة والملك تتى فى الأسرة السادسة ظل عالياً .

ولسنا نعرف حتى الآن الصلة الحقة التى تربط بين هذا الملك وبين ، تتى ، مؤسس الأسرة ، ولكننا نعرف أن حياته العائلية لم تكن فى مستهل حياته خالية من المؤامرات إذ يذكر لنا ، ونى ، الذى أشرنا إليه أن هذا الملك عينه ليكون بين المحققين مع زوجته لثقته فيه ، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد ما هى المؤامرة التى حوكت هذه الملكة من أجلها .

على أى حال فبعد محاكمة الملكة ، إمتس ، أراد أن يوطد مركزه فى البلاد فالتجأ إلى سياسة جديدة وهى مصاهرته لإحدى العائلات القوية فى الصعيد فاتخذ ابنة أمير منطقة أبيدوس ونجع حمادى زوجة له وأصبحت أما لابنه ، مرى إن رع ، الذى تولى الحكم من بعده ، ثم تزوج أيضاً من أخت لها ورزق منها بابن آخر تولى الملك وهو طفل بعد موت أخيه .

وكان من بين الأعمال التى سجلها ، ونى ، فى تاريخ حياته فى عهد پپى الأول تلك الحملات التى جمع ، ونى ، رجالها من جميع أنحاء الصعيد ، وقبائل النوبة وفى إحداها تعاون الأسطول مع الجيش على قهر أولئك الذين هددوا مصالح مصر فى فلسطين فى ذلك العهد .

### خلفاء ببى الأول :

كان ، مرنرع ، ( مرى إن رع ) طفلا صغيرا عندما مات أبوه ، إذ أنه بالرغم

من جلوسه على العرش نحو عشر سنوات فقد كان عند وفاته شابا يافعا لم يبلغ الحلم إذ كانت تتدلى خصلة من الشعر على جانب رأس موميائه التي عثر عليها في هرمه . وتكاد معلوماتنا عن عصر هذا الملك تنحصر فيما أمدتنا به لوحة ، ونى ، التي ذكرت الأعمال التي كلفه بها وكان آخر عمل قام به هو حفر لخمس قنوات فى صخور الشلال عند أسوان لتسهيل الاتصال بين مصر والبلاد الواقعة إلى الجنوب منها ، إذ أصبحت سياسة الأسرة السادسة هى الاتصال بالجنوب وإرسال قواد الحملات لاستكشاف تلك البلاد وإحضار خيراتها وسنتكلم عن ذلك بشئ من التفصيل فيما بعد .

وبعد وفاة ، مرنرع ، الأول تولى الملك أخوه الطفل ، پپى الثانى ، وقد ذكر مانيتون أنه حكم أربعة وتسعين عاما وأنه جلس على العرش وعمره ٦ سنوات (١) . وكانت أمه منذ بداية حكمه وصية عليه ، وكان خاله الأمير ، زاو ، الذى أصبح وزيراً له ، صاحب النفوذ الأول فى البلاد . وقد أقامت هذه العائلة مقابرها منحوتة فى الصخر فى المنطقة المعروفة باسم القصر والصيد على مقربة من نجع حمادى فى محافظة قنا .

وربما كان أشهر ما تم من أعمال فى السنوات الأولى من حكم هذا الملك تلك الحملات التى كان يرسلها إلى الجنوب تحت إمرة حكام الفنتين .

لقد ضعفت سلطة الملوك بازدياد نفوذ حكام الأقاليم الذين أصبح كل منهم أميراً حاكماً فى مقاطعته لا يكاد يربطه بالعرش إلا خيط واهن ضعيف من الولاء . وفى مثل تلك الظروف وعندما تتفكك عرى السلطة المركزية تزداد الأعباء على كاهل الحكومة فتتعطل المشروعات العامة ويحاول كل موظف من الموظفين أن يثرى ويجمع ما يستطيع جمعه من الثروة ، فتتكدس الأعباء والمظالم على كاهل الفلاح المسكين الذين يصبح فريسة لكل من هب ودب من الأغنياء أو من موظفى الحكومة .

ومن سوء الطالع أن العمر امتد بذلك الملك الضعيف فازداد انهيار البلاد واشتدت المظالم وعندما فاض الكيل شبت ثورة عاتية فى البلاد ، ثورة على العرش وعلى الحكام وعلى الآلهة . وتولى الحكم فى آخر أيام هذه الأسرة اثنان وكان أولهما يسمى ، مرى إن رع الثانى ، وقد حكم سنة واحدة ثم جلست على العرش امرأة

(١) لا شك فى أنه حكم ٩٤ عاما ولكن من المشكوك فيه أن يكون قد جاء إلى العرش وعمره ٦ سنوات اللهم إلا إذا كان ببى الأول قد أشرك معه ابنه مرنرع فى الحكم قبل موته ببضع سنوات ، وهذا أمر غير محتمل الحدوث فى ذلك الوقت من تاريخ مصر ولم يقبل عليه المصريون إلا فى الأسرة الثانية عشرة .

وهي ، نيت إقرت ، التي ذكرها مانيتون باسم ، نيتوكريس ، فلم تبقى إلا عامين ثم عمت الفوضى وانتهت أيام الأسرة السادسة وأيام الدولة القديمة .

ذلك هو مختصر التاريخ السياسي لهذه الأسرة ، ولن يكون عرضنا لتاريخ هذه الأسرة صحيحا إلا إذا تحدثنا بشيء من التفصيل عن ثلاثة مواضيع أولها تاريخ حياة القائد ، ونى ، ، وكثيرا ما يذكر في بعض كتب التاريخ والآثار تحت اسم ، أونى ، وهو الأقدم والأكثر شهرة لهذا الاسم ، الذى لعب الدور الأكبر فى تاريخ البلاد فى أيامه وثانيها موضوع الرحالة الذين ذهبوا إلى السودان ، ثم الحديث عن تلك الثورة الاجتماعية التى هب فيها الشعب لينتقم لنفسه ممن ساموه الظلم والاضطهاد .

القائد ، ونى ، :

كان ضعف سلطة الملوك فى الأسرة الخامسة مشجعاً لبعض كبار الموظفين على أن يتباهوا فى مقابرهم بما فعلوه وبما رفع من قدرهم فى خدمة الملوك . وكلما مر الزمن كلما ازداد هذا التقليد فأكثرأ منه ، وربما كان أهم نقش بل وأهم وثيقة تاريخية خلفتها لنا الأسرة السادسة ، وهى لوحة ، ونى ، الذى كان فى يوم من الأيام قائما فى قبره فى أبيدوس وهو الآن فى المتحف المصرى ، ويقص فيها علينا تاريخ حياته وأعماله المختلفة فى خدمة ملوك تلك الأسرة (١) .

ويذكر ، ونى ، أنه بدأ حياته فى الحكومة فى عهد الملك ، تتى ، أول ملوك هذه الأسرة وكان إذ ذاك فتى يافعا ثم رقى فى عهده إلى أن أصبح فى مركز كبير إذ كان مديرا لمكتب الزراعة كما كان فى الوقت ذاته مديرا لأراضى الملك . ويستمر ، ونى ، فى قصته ، وقد تعمد ألا يشير إلى من حكم بعد ، تتى ، كما قلنا ، ويذكر باقى تاريخ حياته فى عهد پپى الأول ، فيذكر محبة الملك له وثقته فيه إذ أسند إليه أيضا وظيفة كبرى فى القضاء وهى وظيفة ، قاضى نخن ، وجعله رئيساً لمجلس الستة وبذلك كان من أهم شخصيات ذلك العهد ووصلت ثقة الملك فيه أنه كان يحقق فى قضايا الملك الخاصة بحريمه .

ويقص علينا ، ونى ، أيضا كيف أسند إليه مهمة تأليف جيش عدد رجاله ، عشرات الآلاف ، من جميع بلاد الوجه القبلى ، من الفنتين فى الجنوب حتى إطفيح

(١) لوحة ، ونى ، فى المتحف المصرى الآن ورقمها ١٤٣٥ وقد نشرت عدة مرات .

وأحدث نشر لنقوشها فى كتاب L. BORCHARDT, Denkmaler des alten Reiches (Cal Gen. Musee du Cairo). 1937, Vol. 1, 115 ff, pls 29-30 .

BREASTED, Ancient Records, 1 p. 306-315 .

وهى مترجمة فى كتاب



فى الشمال ، وكذلك من أفراد القبائل التى كانت تعيش فى ذلك الوقت فى بلاد النوبة مثل إرثت وإيام وواوات والمجا وغيرها ، وأسند إليه إمرة هذا الجيش الكبير . ويفخر القائد الشاب بأن النظام كان مستقبا بين جنوده وأن جميع رجال الجيش كانوا مثالا لما يجب أن يكون عليه الجندى فلم يتعرض واحد منهم لأى شخص فى أى بلد مروا به ولم يغتصب أحد منهم شيئا مهما قلت قيمته .

وأتم ما كلفه به سيده ، وبالرغم من أنه لم يذكر اسم مكان خاص بل كان يشير دائما إلى القاطنين فوق الرمال فإن هذه الحملة لم تكن ضد شبه جزيرة سينا بل كانت فى فلسطين ، إذ أنه يذكر فى شعره الذى تغنى فيه برجوع الجيش سالما ، أشجار التين وكروم العنب ويشير إلى بلاد أهلة بالسكان .

وأهم ما فى هذا النقش ما ذكره ، ونى ، بعد ذلك من أن ثورة أخرى قامت فى تلك البلاد فأرسله الملك لإخمادها ، فجهز جيشين أحدهما سار بطريق البر ، وسار هو مع الجيش الآخر بطريق البحر فنزل عند مكان من المحتمل جدا أن يكون قريبا من جبال الكرمل ، وسار بعد ذلك فى داخل البلاد وانتصر ، وقمع تلك الثورة (١) . كانت حملات ، ونى ، على فلسطين هى آخر أعماله الهامة فى عهد پپى الأول فلما تولى ابنه ، مرى إن رع ، حكم البلاد لم يفرط فيه بل زاد من قدره فعينه حاكما على الصعيد كله ، وكان يسند إليه من آن لآخر مهمة إحضار الجرانيت اللازم لهرمه ومعابده من منطقة أسوان وإحضار المرمر من محاجر حنتوب فى محافظة أسيوط . وكان آخر عمل كبير قام به فى عهد هذا الملك حفره لخمس قنوات فى صخور الشلال الأول لتسهيل سير السفن ، وقد أتم ذلك فى عام واحد ، وذهب ، مرى إن رع ، بنفسه ليرى العمل بعد إتمامه وليقدم له زعماء أسوان وقبائل النوبة ولاءهم ، ويقدم قرابينه للإله خنوم سيد منطقة الشلال . وينتهى ، ونى ، من قص تاريخ حياته عند إشارته إلى شق القنوات . ويذكر أن كل ما ناله من تكريم كان بسبب مزاياه وقيمه الشخصية وتفانيه فى تنفيذ أوامر الملك ، ويختتم نقشه بقوله بأنه كان محبوبا من أبيه ممدوحا من أمه ، ويذكر اسمه مسبقا بأعظم لقب ناله وهو لقب حاكم الوجه القبلى .

(١) بالرغم مما ذكره ونى عن الثورة والثائرين فمن المؤكد أن فلسطين لم تكن فى ذلك العهد بلدا تابعة لمصر أو تحت حكم ملك مصر وربما كانت هذه الثورة ليست إلا قيام بعض سكان تلك البلاد أو إحدى الشعوب التى وفدت إليها بتهديد طرق التجارة المصرية إذ أن ذلك كان كل ما يعنى مصر فى ذلك العهد .



### الرحالة المصريون يرتادون الجنوب :

زاد اهتمام ملوك مصر بشئون الجنوب منذ أيام الأسرة الخامسة عندما كانوا يرسلون الحملات لإحضار خيرات السودان . وزاد هذا الاهتمام في الأسرة السادسة فأوكلوا إلى أمراء جزيرة الفنتين وتعرف الآن باسم جزيرة أسوان مهمة القيام بتلك الرحلات إذ كان أولئك الأمراء أعرف الناس بما يلي بلادهم ، وكانوا يشرفون على الحدود المصرية في الجنوب . وأثمرت سياسة ، ونى ، وبخاصة منذ توليه أمر وظيفة حاكم الوجه القبلى ، فوطد صلته بزعماء النوبة وكان هؤلاء الزعماء وأتباعهم يتطوعون في الجيش المصرى عند قيامه بالحروب في فلسطين كما كانوا يختارون من بين أولئك النوبيين حراساً يسهرون على الأمن منذ أيام الأسرة السادسة في العاصمة وربما في غيرها من المدن أيضاً .

وعندما كان ، ونى ، حاكماً على الوجه القبلى ، وكان الرجل الذى يلى الوزير فى الأهمية ، نراه يهتم بإرسال الرحالة نحو الجنوب فقام حر خوف بحملاته الثلاث الأولى - كما قص علينا فى تاريخ حياته المسطر على واجهة قبره فى أسوان (١) فى عهد الملك ، مرى إن رع ، أما رحلته الرابعة فقد كانت فى عهد الملك پيى الثانى .

كان حر خوف حاكماً لإقليم الفنتين ولكنه فى الوقت ذاته كان كاهناً لبعض الآلهة أما لقبه الرئيسى الذى كان يعتز به أكثر من كل ما عداه فهو لقب ، رئيسى الحملة ، . كان حر خوف فى حملته الأولى فى صحبة أبيه وكان يمشى ، إرى ، إلى منطقة تسمى بلاد إيام لفتح الطريق إلى تلك البلاد ، وقد تمت الرحلة فى سبعة شهور . ويستمر حر خوف فى سرد قصته فيذكر أن ملكه أرسله وحده فى المرة الثانية فخرج من الفنتين ويذكر بعد ذلك البلاد التى مر بها واحداً بعد آخر ويفتخر بأن أحداً من الرحالة الذين سافروا قبله لم يتسن له ارتياد المناطق التى ارتادها أو يعود من رحلته بمثل ما عاد به من هدايا .

وفى رحلته الثالثة اتخذ طريقاً آخر ، إذ سافر على ، درب الواحات ، ووجد حر خوف أن حرباً قد استعرت بين زعيم قبيلة ، إيام ، وبين قبائل الـ ، تمحو ، الذين كانوا

---

(١) النصوص التاريخية فى مقبرة حرخوف منشورة فى SETHE, Unkunden I. 120-7 , 128-131. وقد نشر إرمان خطاب الملك نفر كارع فى مقاله ERMAN, Der Brief des Königs نفر كارع فى 131. Nefer-ke-re in A. Z. XXXI. 62-70

وقد ترجمت هذه النصوص الخاصة بالرحلات مرات كثيرة ويجدها القارئ بين النصوص التاريخية التى ترجمها برستد إلى الإنجليزية فى كتابه

Ancient Records, Vol. I

يعيشون فى غربى مصر ، فأصلح بينهم وعاد من تلك الرحلة ومعه ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس والعطور وجلود الفهد وأنياب الفيلة وبذر السمسم وغير ذلك ، كما رافقه فى عودته بعض زعماء القبائل ليدلوه على الطريق .

ولسنا نعرف تفاصيل ما حدث له فى رحلته الرابعة التى قام بها فى العام الثانى من حكم الملك بيبى الثانى ؛ لأن جصوله على قزم من تلك الرحلة قد غطى على كل شىء آخر . ولو حللنا تفاصيل تلك الحملات وتتبعنا البلاد التى ذكرها لخرجنا بالنتائج الآتية :

(١) كانت أولى رحلاته مع أبيه ، وقد وصل إلى بلاد إيام ، أى المنطقة الواقعة جنوبى وادى حلفا .

(ب) كانت رحلته الثانية فى مناطق لم يسبقه إلى اختراقها أحد من قبل . وقد كانت هاتان الرحلتان تبدآن بالنزول فى النيل إلى مكان معين قريب من وادى حلفا ثم يبدأ بعد ذلك سيره بالبر .

(جـ) أما الرحلة الثالثة فقد كانت فى طريق البر ، وسار فيها على درب الأربعين (١) . واتصل فيها بالتمحو ، ومن المحتمل جداً أن هدفه الذى حققه كان الوصول إلى دارفور .

(د) وربما شجعه نجاحه فى رحلته الثالثة على السفر مرة أخرى ، ولكن نجاحه فى الحصول على قزم جعله لا يذكر شيئاً آخر سواء عن الطريق الذى اتخذه أو الحاصلات والهدايا التى عاد بها ، أكثر من أنه كان قد وصل إلى المنطقة الواقعة إلى جنوبى وادى حلفا ( إيام ) . وأرسل حر خوف ينبىء الملك بحصوله على ذلك القزم فتلقى رسالة من الملك كتبها بخط يده ، وقد اعتز بها حر خوف ونقل نصها الحرفى على جانب مدخل قبره وإنى أقدمه هنا مترجماً ترجمة حرفية

---

(١) درب الأربعين هو الدرب الذى يربط بين وادى النيل وغربى السودان وكان مستخدماً حتى القرن الماضى . يبدأ من أسبوط حتى يصل إلى الواحات الخارجة ثم يسير جنوباً ماراً بواحة سليمة وبلر النطرون حتى يصل إلى الفاشر . كانت تقطعه القوافل فى شهرين ولكن عدد أيام السير بين الآبار كان أربعين يوماً . وكان لهذا الدرب فروع مختلفة تصله بالواحات الأخرى وبعض بلاد شمال إفريقيا ، ولعب دوراً هاماً فى الصلات التجارية والثقافية بين بلاد هذا الجزء من إفريقيا آلاف السنين ولم يقلل من أهميته إلا تحول التجارة بعد مد السكك الحديدية فى السودان وإنشاء ميناء بور سودان .

لإعطاء فكرة عن صيغة خطابات ذلك العهد ، ولكن يجب ألا ننسى أنه خطاب من طفل صغير حديث السن :

« الختم الملكى نفسه ، فى السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الصيف اليوم الخامس عشر . »

رسالة ملكية إلى الصديق الأوحى ، الكاهن المرتل ، ورئيس الحملة حر خوف : فهمت نص خطابك هذا الذى بعثت به إلى الملك فى القصر لتحيطه علما بأنك عدت سالما من بلاد إيام مع حملتى التى كانت معك ، وذكرت فى رسالتك أنك أحضرت جميع الهدايا الكثيرة الجميلة التى قدمتها للإلهة حتحور سيدة بلاد ، إماو ، إلى ذات ملك الوجهين القبلى والبحرى الملك نفر كارع ( پپى الثانى ) عاش خالدا إلى الأبد . وذكرت فى رسالتك هذه أنك أحضرت قزما لأجل رقصة الإله من أرض الأرواح ، وهو شبيه بالقزم الذى أحضره قائد السفينة ، باور دد ، من بلاد پونت ، فى عهد الملك « إيسى » . وقلت لجلالتى : « لم يحدث أبدا أن جاء بمثله أى شخص آخر ذهب إلى بلاد إيام من قبل » . لقد أحسنت حقا بعمل ما يحبه سيدك ويشكر عليه ، إنك تصبح وتمسى فى تحقيق كل ما يحبه ويريده ويأمر به مولاك ، وسيكافئك جلالته كثيرا وسيمنحك ما سيعتز به ابن ابنك إلى الأبد وسيقول كل من يسمع بما فعله جلالتي من أجلك : هل هناك مثيل لما عمل لأجل الصديق الأوحى حر خوف عندما سافر إلى بلاد إيام فأظهر يقظة فى تنفيذ ما يأمر به ويحبه ويمدحه مولاه ؟

تعال إلى الشمال . تعال سريعا إلى القصر ، وأحضر معك هذا القزم الذى جئت به من أرض الأواح حيا سالما وفى صحة جيدة ليرقص للإله ، ويدخل السرور آلاف المرات على قلب ملك الوجهين القبلى والبحرى الملك نفر كارع عاش إلى الأبد .

فإذا ما نزل معك إلى السفينة فعين أشخاصا أذكيا على جانبها لملاحظته حتى لا يقع فى الماء . وإذا نام فى الليل فعين رجالا أذكيا ليحرسوه فى حجرته ، وفتش ( عليهم ) عشر مرات كل ليلة ؛ لأن جلالتي يجب أن يرى هذا القزم أكثر من هدايا المناجم وهدايا بلاد پونت . فإذا وصلت إلى القصر ومعك هذا القزم حيا سالما وفى صحة جيدة فإن جلالتي سيعمل لأجلك أشياء كثيرة أكثر مما عمل لأجل قائد السفينة « باور دد » فى أيام الملك « إيسى » ؛ لأن رغبة جلالتي هى رؤية هذا القزم .

وقد أعطيت الأوامر لحاكم المدينة الجديدة ، الرفيق المشرف على الكهنة ليأمر بإعداد ما يلزم من مأكلا وشراب فى كل استراحة ملحقه بالمخازن وفى جميع المعابد بلا استثناء .

### ببى - نخت :

لم يستمر نشاط حر خوف فى قيامه بتلك الحملات أكثر من سبعة أعوام قام خلالها بالحملات الأربع ثم تلاه فى هذا العمل حاكم آخر امتاز بشدة اليأس وكان اسمه ، ببى نخت ، الذى يقص علينا فى تاريخه الذى كتبه فى قبره فى اسوان شيئا كثيرا عن نشاطه فى الجنوب .

كانت صلة مصر بقبائل النوبة فى أيام ونى وحر خوف صلة صداقة وتعاون ، ولسنا نعرف السبب الذى جعل بلاد إرثت ( حول بلدة توماس فى النوبة ) تتعرض لغضب الملك فيكلف ، ببى نخت ، بتأديبهم :

، أرسلنى جلالة مولاي لأؤدب بلاد إرثت فقامت بما جعل مولاي يثنى على وقتلت منهم عدداً كبيراً ، من بينهم أبناء الزعماء ورؤساء المحاربين ، وأحضرت منهم أسرى إلى القصر . كان عددهم عظيماً ، لأنى كنت شجاعاً ومعى جيش كبير من الجنود الأشداء ، .

ويذكر هذا الشخص فى موضع آخر من نصه بأنه ذهب مرة أخرى إلى تلك البلاد لتهدئة الحالة فيها ، وأحضر معه عند عودته زعيمى الثوار ومعهما هدايا من الثيران والأبقار . من المحتمل أن هذه الحملة الثانية لم تكن حملة حربية وإنما كانت لإصلاح مع عساه أن يكون قد أفسدته الحملة الأولى .

ويقص علينا أيضا أن الملك ببى الثانى كان قد أمر أحد ضباطه ببناء سفينة كبيرة على ساحل البحر الأحمر للإبحار بها إلى بلاد پونت ، ولكن بدو الصحراء الشرقية هاجموه وقتلوه هو ومن كان معه . فلما علم الملك بذلك أمر ببى نخت بإعداد حملة وأن يذهب للثأر للضابط المقتول وإحضار جثته (١) ، وقد قام بذلك وقتل من أولئك البدو عددا عظيماً . وترينا هذه القصة الأخيرة كيف أصبحت سلطة الملك محدودة وأنه كان يعتمد على ولاء حكام الأقاليم الأقوياء لتنفيذ ما يريده .

### ميخو وسابنى :

ولم تحل أعمال ببى نخت فى بلاد النوبة دون استمرار حملات الاستكشاف والتجارة من آن لآخر ، ونعرف من مقابر أسوان أيضاً قصة اثنين من أولئك الرحالة وهما ميخو وابنه سابنى تركا لنا نقوشا فى مقبرتهما بأسوان عرفنا منها أن الأب دفع حياته ثمنا لتفانيه فى خدمة سيده الملك إذ قتله رجال إحدى القبائل النوبية عند عودته

من إحدى رحلاته (١) .

ويذكر سابني أن أباه كان حاكماً لإلفنتين وكان يحمل لقب رئيس الحملة كما كان يحمل عدة ألقاب كهنوتية ، وعينه الملك في كل تلك الوظائف كما أسند إليه أيضاً وظيفة حاكم الجنوب عندما نجح في إحضار جثة أبيه والإنتقام ممن قتلوه . ويذكر لنا سابني أن بعض الناجين ممن كانوا مع أبيه قصوا عليه ما حدث : « وعندئذ اصطحبت جنوداً من رجالى ومائة حمار وأخذت معى عطوراً وعسلاً وزيتاً وملابس لأقدمها هدايا فى تلك البلاد . واتجهت إلى النوبيين بعد أن بعثت بخطابات إلى الملك بأنى سافرت لإحضار الجثة من بلاد واوات وأرثت ولأهدىء الأمور فى تلك المناطق ، . ويستمر فى قصته فيقول إنه عثر على جثة أبيه فى منطق نائية بعيدة فصنع لها تابوتاً حمله على ظهر حمار ثم سار مخترباً البلاد حتى رجع إلى واوات ( منطقة كورسكو ) وأرسل خطاباً إلى الملك ينبئ به بما حدث ، كما أرسل إليه ما أحضره معه من هدايا . وأراد الملك أن يظهر عطفه على كل من ميخو وابنه سابني فأمر بإرسال المحنطين الملكيين من منف ومعهم كل ما يلزمهم لعملهم ، ودفنه دفنة تليق بأحد حكام الأقاليم الذين ضحوا بحياتهم فى خدمة ملكهم ، وأمر بأن يتولى سابني وظائف أبيه وكتب له قائلاً : « لقد فعلت كل هذه الأشياء العظيمة مكافأة لك على عملك الكبير ، لأنك أحضرت جثة أبيك ، .

هذه بعض قصص الرحالة المصريين الذين ذهبوا لاكتشاف البلاد الواقعة إلى الجنوب وليفتحو طرقاً لها للتجارة . قام المصريون بتلك الرحلات فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ليكتشفوا قلب القارة الإفريقية قبل أن يولد ستانلى ولقنجستون وغيرهما من الرحالة الحديثين بأكثر من أربعة آلاف ومائتى عام .

كانوا يذهبون إلى الجنوب تنفيذاً لسياسة أسسها ملوك الأسرة الخامسة وشجعها واهتم بها اهتماماً خاصاً ملوك الأسرة السادسة ، وقد كانت رحلات أولئك الرحالة وما أنشأوه من صلات مع زعماء القبائل ما حصلوا عليه من معلومات عن البلاد ، تمهيداً لصلات سياسية أقوى كما سنرى عند الحديث على الدولة الوسطى .

### الثورة الإجتماعية :

وصلت حالة مصر إلى الحضيض فى أواخر أيام الأسرة السادسة وعمت

---

(١) نقوش مقبرة سيخو وسابني منشورة فى كتاب SETHE, Urkunden, 1, 135-40 ومترجمة فى كتاب BREASTED, Ancient Records, 1, pp. 164-5 وهناك احتمال بأن حملة ببي نخت لتأديب بلاد إرثت كانت انتقاماً لقتل ميخو .

الفوضى ، فلما طفح الكيل لم يجد الشعب أمامه طريقاً غير الثورة على تلك الأوضاع ، والإنقاذ لنفسه ممن كانوا عليه سوط عذاب .

ومصادرنا عن تلك الثورة ووصف ما حدث في البلاد ، تنحصر فيما جاء في برديتين إحداهما تسمى بردية ، إيبوور ، <sup>(١)</sup> والثانية تسمى بردية ، نفرتي ، <sup>(٢)</sup> وقد كتبت أولاهما وهي الأهم على لسان شخص حكيم استطاع أن يصل إلى مقر الملك الذي لم يذكر اسمه ويطلب منه العمل على إنقاذ البلاد مما تردت فيه ، ويصف له حالتها السيئة في لغة بليغة . أما الثانية فقد كتبت بعد تلك الثورة ، كتبها كاتبها كدعاية سياسية للملك أمنمحات الأول ( يسميه باسمه المختصر أميني في النص ) وينسب أصل حوادثها إلى عهد الملك سنفرؤ مؤسس الأسرة الرابعة الذي طلب من رئيس الكهنة المرتلين في معبد الآلهة ، باست ، ويسمى ، نفرتي ، أن يحدثه عن شيء سيحدث في المستقبل فقص عليه ما سيحدث في البلاد من فوضى ويطلق في وصفها ثم يقول أخيراً أن الذي سينقذ مصر من تلك المحنة ملك اسمه أميني يأتي من الجنوب وأمه نوبية ويولد في الصعيد .

وليس في استطاعتنا أن نقدم هنا نص هاتين البرديتين ، ويكفي أن نشير إلى بعض ما جاء فيهما <sup>(٣)</sup> .

(١) توجد هذه البردية الآن في متحف ليدن بهولندا ، وقد نشرت عدة مرات ، ومنها ترجمة جاردنر A.H. GARDINER, The Admonitions of an Egyptian Sage (Leipzig 1909) التي يعتبرها الأثريون أوفى دراسة لها . وقد ترجمها إرمان في كتابه عن أدب المصريين القدماء ( في الترجمة الإنجليزية لبلاكمان من ص ٩٢ - ١٠٨ ) وحللها برستد في كتابه J.H. BREASTED. The Dawn of Conscience (1933), p. 193-200

والنص الحالي يرجع تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين ولكنه منقول عن أصل لا يمكن أن يكون قد كتب إلا في فترة الاضطرابات نفسها أي في آخر الأسرة السادسة وذلك اعتماداً على لغة وأجرومية وبعض المميزات الأدبية في كتابات ذلك العصر .

(٢) كانت تنطق إلى عهد قريب ، نفر - رهو ) ، وهي محفوظة في متحف ليننجراد في الاتحاد السوفيتي وقد نشرها جولينشف عام ١٩١٣ وترجمها كل من جاردنر في Journal of Egyptology (1914), 100.6. وإرمان ERMANN, LEA, 110-115

أما عن تاريخ كتابتها فمن المرجح جداً إنها كتبت في أوائل أيام الأسرة الثانية عشرة وربما في عهد الملك أمنمحات الأول ، إذ يحاول الكاتب أن يدخل في روع الناس أنه كانت هناك نبوءة منذ عهد الملك سنفرؤ في الأسرة الرابعة بأن هذا الملك سينقذ البلاد من الفوضى . التي ستعرض لها .

(٣) سأجتهد قدر استطاعة في استخدام التعبيرات القديمة الواردة في هذه البردية لوصف ما حدث في البلاد .



لقد انقلبت البلاد إلى عصابات ، ولم يعد الناس يحرقون حقولهم ، وأضرب الناس عن دفع الضرائب ، وتوقفت التجارة الخارجية وهجم الناس على مخازن الحكومة فنهبوا وعلى مكاتب الدولة فبعثوا محتوياتها . بل أن الملوك المدفونين قد اعتدى عليهم أيضاً وبعثوا أشلاءهم وأصبحت أهرامهم خالية مما كان فيها . وصب الشعب انتقامه على الأغنياء فنهبوا القصور وحرقوها وصار أصحابها محزونين يبكون ، بينما كان عامة الشعب يفرحون ويحتفلون . وأصبح الذين كانوا يملكون الرقيق يسيرون في أسعال بالية . وأولئك الذين لم يملكوا شيئاً في حياتهم يرفون في ملابس من خير أنواع الكتان . ويسخر الكاتب مما كان يراه فيقول إن الأصلح الذي لم يكن يستخدم الزيت أصبح يمتلك الأواني المملأة بخير أنواع العطور ، وأن الذي لم يمتلك صندوقاً صغيراً في حياته أصبح مالكا لصندوق كبير ، والفتاة التي كانت تذهب إلى الماء لتري وجهها أصبحت مالكة لمرآة .

وباليت الأمر وقف عند ذلك الحد فقد صب الناس نقيمتهم على أطفال الأغنياء فصاروا يقدفون بهم الجدران ، وترك الناس أطفالهم الذين طالموا تمنوا ولادتهم ، ألقوا في الطريق عساهم أن يجدوا من يمد إليهم يده .

حتى رجال الأمن الذين كان الناس ينتظرون منهم أن يوقفوا تلك الأحداث أصبحوا في مقدمة الناهبين ، وإنهارت الحكومة المركزية وأصبح الأغنياء في حزن وغم بينما كان الفقراء فرحين . وكانت كل مدينة تقول : فلنطرد بعضنا منها ، ومما زاد الحالة سوءاً أن عصابات من البدو الذين كانوا يسكنون على حدود مصر في الشرق وربما أيضاً في الغرب انتهزوا هذه الفرصة فأخذوا يتدققون على قرى الدلتا وينهبون ما يجدونه مع الناس ، ولم يعد أخ يثق في أخيه أو صديق في صاحبه .

إذن لقد انتقم الشعب ، وثار الفلاح الصابر المطيع عندما وجد الظلم قد ازداد ، وأن الأغنياء قد سلبوه كل شيء ، ثار ثورته الجامحة فلم يبق على شيء ولم يفرق وهو في ثورته بين معبد لإله أو ديوان للحكومة ، أو قصر لغنى ، أو مخزن للدولة ، أو قبر دفنوا فيه حلياً مع صاحبه ، ولكن مثل هذه الحالة لا يمكن أن تستمر إلى الأبد فلا بد للناس من أن يعودوا إلى الهدوء بعد الثورة وأن يحاولوا خلق مجتمع ونظام جديدين . وإذا كانت الحقول قد تركت دون زراعة وتعكرت مياه النيل بلون الدم وملئت بجثث الموتى ، كان لابد للناس أن يهدأوا وأن ينتجوا ليعيشوا . ولم يعد الشعب يجد من يصب عليه مزيداً من غضبه أو شيئاً يمكنه أن يغتصبه ممن كان يملكه ، فخذ إلى الهدوء

وتطلع إلى الذين احتلوا منه مكان الزعامة والمشورة ليخرجوه مما هو فيه ليبدأ حياة جديدة ، لأن الهدم سهل وميسور ولكن البناء شيء آخر يحتاج إلى خيرة ومران .

ومضت فترة طويلة قبل أن تعود مصر إلى ما كانت عليه ، وسنرى في الفصل القادم ماذا حدث خلال عصر الفترة الأولى .

**\*\* محرقساى \*\***  
[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)  
منتديات مجلة الإنسامة



### \*\*\* الفصل الرابع \*\*\*

## عصر الفترة الأولى

### الأسرتان السابعة والثامنة

( ٢٢٨٠ - ٢٠٥٢ ق.م. )

صورت بردية ، إيبو - ور ، حالة مصر في آخر أيام الأسرة السادسة خير تمثيل . فقد انهارت السلطة المركزية في البلاد وأصبحت حدودها مفتوحة ، وما لبثت أن وفدت جماعات كبيرة من البدو المقيمين على الحدود وبخاصة من الشرق وأخذوا ينهبون الناس ويذيعون الذعر في النفوس . وبدلاً من أن يقف رجال الأمن في وجه العابثين أصبحوا هم الآخرين ينهبون ويقتلون ، فلا عجب إذا قامت ثورة جارفة حطمت كل شيء ولم يسلم منها مدفن أو معبد أو ديوان حكومي ، وامتد غضب الشعب إلى الأثرياء فنهبوا بيوتهم وقتلوا من قتلوا وشردوا من شرّدوا وأصبحت انخادعات يجلسن في أماكن سيداتهن وأصبح السوق والدهماء هم أهل الحل والعقد .

فإذا ما سألنا أنفسنا عن مصير البيت المالك فإننا لا نلبث أن نقف على الجواب مما خلفه لنا مانيتون من أخبار ، وما أبقى عليه الزمن من أسماء مدونة في بردية تورين وفي ثبت أسماء الملوك بأبيدوس و ثبت سقارة وغيرها .

يذكر مانيتون أنه بعد سقوط الأسرة السادسة قامت الأسرة السابعة ، وحكم سبعون من ملوكها مدة سبعين يوماً ، ومهما حاولنا تفسير ذلك لا يمكننا أن نجد ما نستطيع أن نسميه جواباً مقنعاً ، وأقرب شيء إلى العقل هو أنه ربما اجتمع سبعون من كبار الموظفين وحكام الأقاليم وكونوا من أنفسهم هيئة حاكمة يطلق على كل واحد من أولئك السبعين لقب ملك أو حاكم ، ولكن هذا النظام . أو بعبارة أخرى هذا النوع من الحكم الذي لم يعتد عليه المصريون . لم يجد قبولا منهم فلم يستمر أكثر من سبعين يوماً ، وعلى أي حال فإن أكثر المؤرخين الآن يميلون إلى القول بأن أيام هذه الأسرة انتهت في العام نفسه أي أن عام ٢٢٨٠ ق.م. هو آخر حكم الدولة القديمة (١) هو في

(١) يكاد يكون الأستاذ اسكندر شارف Scharff هو المؤرخ الوحيد الذي يصر على اعتبار الأسرتين السابعة والثامنة من الدولة القديمة . أنظر كتابه A. SCHARFF-A. MOORTGAT, Agypten and Vorderasien in Altertum (1950). ويرى أن عصر الفترة الأولى يقتصر على الأسرتين التاسعة والعاشر ويتفق مع جمهرة المؤرخين والأثريين في اعتبار بدء الدولة الوسطى بالأسرة الحادية عشر في عام ٢٠٥٢ ويريد شارف بذلك أن يحيى فكرة واضح بردية تورين إذ أنه ذكر في الملخص بعد ذكره لملوك الأسرة الثامنة أنه قد مضى منذ جلوس منا على العرش حتى ذلك الوقت ٩٥٥ سنة و١٥ يوماً أي أنه اعتبر الفترة من الأسرة الأولى حتى نهاية الثامنة وحدة قائمة بنفسها ويذكر بعد ذلك ملوك الأسرتين التاسعة والعاشر . وهم مهشمون جداً لسوء الحظ ولكن مجموع عددهم وهو ١٨ مازال واضحاً في البردية .

الوقت ذاته بداية الأسرة السابعة المنفية وعصر الفترة الأولى وأول سنى الأسرة الثامنة التى حكمت ٣٨ عاما فقط .

ولكن الأستاذ شتوك الذى كتب رسالة خاصة عن هذا العصر يرى أن عددا من الملوك قد تولوا الحكم فى الأسرة السابعة فى منف ويقدم ثبوتا بأسمائهم . ولكن فى الوقت ذاته ، ومنذ عهد الملك الثالث منهم ، بدأت عائلة مالكة جديدة فى الصعيد ( فى قفط أو فى أبيدوس ) وهى الأسرة الثامنة ومؤسسها ، نتر - كا - رع ، وبدأت أيضا عائلة مالكة أخرى فى اهناسيا وهى الأسرة التاسعة ومؤسسها أختوى ( أوخيتى ) الأول (١) . ولكن الرأى الأرجح الذى يجد قبولا من الغالبية الكبرى من الباحثين هو أن الأسرة السابعة لم يزد حكمها فى منف عن عدة شهور ثم تلتها فى منف أسرة حاكمة جديدة من أحد فروع البيت المالك القديم حكموا أيضا فى منف وكان عدد ملوكها خمسة عشر ملكا وأنهم لم يحكموا فى قفط (٢) أو فى أبيدوس كما قال بعض الباحثين .

أما الأسماء التى ذكرها بترى وذكرها شتوك فإنها - أو العدد الأكبر منها - أسماء لملوك حكموا فى عصور تالية ، ولم يخلفوا وراءهم أثارا إلا جعارين فى أكثر الحالات كتبت عليها أسماؤهم .

كانت البلاد مفككة العرى ، وكان الوجه البحرى بصفة خاصة تحت رحمة عصابات البدو التى أذاعت بين أهله الذعر والخوف ، والتى لم تجد من يقف فى وجهها . أما فى مصر الوسطى والصعيد فقد كانت الحالة أفضل نسبيا إذا استقل حاكم كل منطقة بها وفرض عليها سلطانه ، وفى مثل تلك الظروف يحاول كل حاكم قوى أن يضم إليه أملاك غيره من جيرانه ويخضعهم له فيظل الناس فى كرب مستمر بسبب الغارات التى يتعرضون لها ويسبب ما ينجم عن الحروب من قتل وتخريب ونهب أموال وشل للحياة العامة . وفى غمرة هذه الحوادث أراد حاكم منف ، وربما كان من نسل ملوك الأسرة السادسة أن يعيد للبلاد وحدتها فأعلن نفسه ملكا على البلاد

(١) نشر شتوك رأيه هذا فى كتاب Die erste Zwischenzeit Aegyptens الذى صدر فى عام ١٩٤٩ ولكنه وجد معارضة ونقداً شديدين من الأثريين ولم يقبله غير الدكتور أوتو فى كتابه الأخير Aegypten, Der Weg des Pharaonenreiches الذى صدر عام ١٩٥٣ .

(٢) كان زيته أول من اقترح الفكرة القائلة بأن الأسرة الثامنة حكمت فى قفط وقد بنى رأيه هذا على وجود الكثير من آثار ملوكها هناك وخاصة فى المراسيم المشهورة: SETHE, Gottingen Gelehrte Anzeiger, 147 (1912), p. 705-725 ولكن هذا الرأى أصبح قديما الآن والرأى المقبول هو أن الأسرة الثامنة حكمت فى منف كما ورد فى بردية تورين ودفن أكثر ملوكها فى سقارة الجنوبية على مقربة من هرم بنى الثانى .

وساعده فى ذلك بعض حكام الصعيد وامتنع البعض الآخر . ومن المحتمل أيضا أن يكون بعض هؤلاء الحكام قد رأى أنه لم يكن أقل من ملوك منف فادعى الملك لنفسه أيضا ، وفى خلال هذا الضباب الكثيف يمكننا أن نرى بعض صور غير واضحة المعالم تماما . فإن ملوك الأسرة الثامنة كانوا يحكمون فى منف على الأرجح كما قلنا ، ولكنهم كانوا يعتمدون على مناصرة بعض البيوت القوية فى الأقاليم فكانوا يصاهرونهم ويمنحونهم بعض الامتيازات وقد حفظت لنا الأيام فى خرائب معبد الإله مين ، فى فقط بضعة مراسيم منحها آخر ثلاثة من ملوك الأسرة الثامنة لأعضاء هذا البيت فاعتزوا بها ووضعوا صورها منقوشة على لوحات حجرية فى المعبد ، وأكثر هذه المراسيم لمصلحة إثنين من هذا البيت وهما : شامى ، الذى كان أميراً لذلك الإقليم وإبنه ، إيدى ، (١) .

وتوجد أجزاء من عدد منها فى متحف المتربوليتان بنيويورك واحد منها باسم ( واج كارع ) ( خع باوو ) وأربعة من أيام ( نترى باوو ) ( نفر كارع ) الذى خلفه على العرش وقد أصدر هذه المراسيم الأربعة فى يوم واحد ، وذلك فى العام الأول من توليه الملك . أصدر هذا الملك أول تلك المراسيم لتحديد الألقاب التى تمنح لابنته الكبرى ، نبيت ، زوجة الوزير ، شامى ، ويعين ضابطا خاصا ليكون رئيسا لحراسها وفى المرسوم نفسه بأمر الملك بناء سفينة مقدسة للإله ، مين ، ويحدد أطوالها وفى مرسوم آخر يأمر الملك بتعيين ، إيدى ، خليفة لأبيه كحاكم للصعيد وأن يكون له الإشراف على الأقاليم السبعة الجنوبية ابتداء من النوبة إلى مدينة ، هو ، ( على مقربة من نجع حمادى ) . ولكن نفوذ الأسرة الثامنة لم يطل (٢) ، ولا نلبث أن نرى بيتا

(١) بدأت عادة إصدار المراسيم منذ أواخر أيام الأسرة الرابعة فى عهد شيسكاف ووجد بعضها من عهد الأسرة الخامسة وكثرت فى أيام الأسرة السادسة وخاصة فى عهود تينى وببى الأول مرنرع وببى الثانى كما استمر التقليد كما رأينا فى عصر الفترة الأولى وبخاصة من الأسرة الثامنة لحكام فقط انظر :

(A) WEILL. Les Décrets royaux de l'Ancien Empire Egyptien (1912).

(B) MORET. Charte d'immunité dans l'Ancien Empire Egyptien (Journal Asiatique, 10th series xx (1912), pp. 73-133 : 11 th series VII (1916). pp. 271-341 : X (1917). pp. 359-387.

(C) SETHE. Urkunden des alten Reiches. I. Leipzig 1932-3.

(٢) ذكر مانيتون أن عدد ملوك الأسرة الثامنة ١٨ ولكنه لم يذكرهم ، أما ثبت أبيدوس فإنها ذكرت ١٧ وحفظت بردية تورين أسماء ثمانية أما ثبت سقارة فقد تجاهل كل الملوك الذين حكموا بعد ببى الثانى حتى أول الأسرة الحادية عشرة . ومجموع سنى حكم هؤلاء الملوك ٣٨ عاما بين ٢٢٧٠ ، ٢٢٤٢ ، وها هى أسماؤهم كما رتبها هيز (1953). p. HAYES Scepter of Egypt 134.

- ١- نفر كارع الصغير ٢- نفر كارع - نبى ٣- جد كارع - شامى ٤- نفر كارع - خندو
- ٥- مرى إن حور ٦- نفر كامين ٧- نى كارع ٨- نفر كارع - ترو ٩- نفر كاحور
- ١٠- نفر كارع - ببى سنب ١١- نفر كامين - عنر ١٢- فا كارع - إيبى
- ١٣- واج كارع - خع باوو ١٤- نفر كاحور - نترى باوو ١٥- نفر كارع - دمج إب تاوى.

حاكماً جديداً يتولى الملك ويجعل عاصمة ملكه فى مدينة اهناسيا ( نن - نى - سوت ، قديما ) عند مدخل الفيوم ، وهى إحدى المدن القديمة ذات الأهمية الدينية التى عرفها الناس فى عصر اليونان باسم هراقليوبوليس ؛ لأنهم ساووا بين إلهها ، حرى شف ، ومعبودهم البطل هرقل .

### ملوك اهناسيا ( الأسرتان - التاسعة والعاشرة )

ولسنا نعرف شيئا عن النزاع الذى يرجح أنه قام بين أمراء اهناسيا وآخر ملوك الأسرة الثامنة فى منف ، ولسنا نعرف شيئا عن موقف حكام الأقاليم من الأسرة الجديدة عند نشأتها ، ولكن يمكن القول بأن الأوضاع العامة لم تختلف كثيراً عن ذى قبل واستمر الملوك الجدد يخطبون ود الحكام الأقوياء ويستعينون بهم . ونعرف من بردية تورين أن عدد ملوك هذه الأسرة ثلاثة عشر ، فقدت أسماء الكثيرين منهم بسبب تحطيم هذه البردية ، وأنهم حكموا من ٢٢٦٢ - ٢١٢٣ أى ١٠٩ سنوات .

ومؤسس هذه الأسرة ( مرى إب رع ) ( أختوى ) وهو أختوى الأول ، ( ويذكر فى بعض المؤلفات باسم « خيتى » ) الذى وصفه مانيتون بأنه كان ظالماً متجبراً ، لاقى الشعب على يديه كل أنواع العنف والشدة أكثر مما أصابهم على يدى أى ملك قبله ، وأنه ظل فى ظلمه وطغيانه حتى أصيب فى أواخر أيامه بالجنون وانتهت حياته عندما فتك به أحد التماسيح .

وربما كان مانيتون صادقاً فيما رواه عن قسوة أختوى وطغيانه ، فإننا لا نتوقع من أمثال هذا الشخص من الطامحين المحاربين فى عصر كانت تسوده الفوضى والأطماع ، والبلد يتقاسمها الحكام ، ويتحكم البدو فى الدلتا ويتنافس حكام الصعيد فيما بينهم على النفوذ ، لا نتوقع من ملك قوى جديد يريد أن يؤسس ملكاً جديداً ، وله منافسون وحوله حاقدون وناقمون عليه ، ألا يقضى على كل من يقف فى طريقه دون رحمة وهودة .

ولسنا نعرف الكثير عن هذا الملك ، ولسنا نعرف أيضاً من هم حكام الأقاليم الذين وقفوا إلى جانبه ، أو مدى نجاحه فى إعادة النظام إلى الدلتا رغم كل حروبه وكل قسوته ، ولكننا نشك فى أن الحالة تغيرت كثيراً إذ ظل الحكام الأقاليم نفوذهم كما كانت الحالة فى الأسرة الثامنة ، وظلت الدلتا معرضة لما كان ينتابها من غزوات البدو المتكررة . ووجدت الأسرة التاسعة نفسها فى حاجة إلى موازنة بعض حكام الأقاليم الذين يحكمون بلادهم شبه مستقلين ، والذين ظلوا يشيدون مقابرهم على مقربة من مدنهم ، ويدفع الجزية من يدفعها إلى ملوك اهناسيا رمزا لولائهم ، ولكنهم

لم يعتمدوا إلا على أنفسهم لحماية أقاليمهم وحماية أنفسهم وجمع الضرائب من أتباعهم .

وفى نسخة يوسيبوس عن مانيتون نقراً أن عدد ملوك الأسرة العاشرة تسعة عشرة حكموا ١٨٥ سنة وينص على أن كلا من الأسرتين حكم في إهناسيا ولكن الأبحاث الحديثة تثبت لنا أن عدد ملوك الأسرة التاسعة كان أكثر من أربعة حسب ما ورد في بردية تورين وربما بلغ عددهم ثلاثة عشر شخصاً حكموا ١٠٩ أعوام ولكن الأسماء الكاملة من بينها عددها خمسة فقط (١) . أما ملوك الأسرة العاشرة فقد كانوا خمسة فقط حكموا من ٢١٢٣ - ٢٠٥٢ ق.م. أى ٧١ عاماً (٢) وأن هذه الأسرة الإهناسية كانت معاصرة منذ ظهورها تقريباً لأمرأ طيبة الذين دارت بينهم وبين الإهناسيين فيما بعد حروب انتهت بالقضاء على بيت إهناسيا وانفراد الأسرة الحادية عشرة الطيبة بالملك .

والحقيقة أننا لا نكاد نعرف شيئاً عن ملوك الأسرة التاسعة حتى الآن وكانت مصر في أيامهم شبيهة بما كانت عليه في عهد الأسرة الثامنة أى ملوك ضعاف يعيشون في العاصمة لا يكاد أن يكون لهم نفوذ في الأقاليم ، وأمرأ أو حكام للأقاليم يستقل كل منهم بشأنه وتربط بعضهم بالبيت المال في إهناسيا رابطة من الروابط والبعض الآخر مستقل بشأنه ، أما البلاد بوجه عام فقد تفككت عراها وتأخرت فنونها وأصابها الوهن .

- 
- (١) أول ملوك الأسرة التاسعة هو ( مراب رع ) ( أختوى الأول ) ثم يليه إسم مهشم وبعد ذلك الملك نفر كارع ثم ملك آخر يسمى أختوى ثم ماك يسمى ( ستوت ... ) ثم ( أختوى ) ثالث وبعد ذلك بعض أسماء مهشمة لا نقراً إلا أجزاء منها وبعض أسماء تامة التهشيم .
- (٢) ملوك الأسرة العاشرة مرتبون حسب الآتى : أولهم يبدأ بكلمة مري وقد أكمله هيز إلى مري حتحور والثاني نفر كارع والثالث إسمه ( أختوى ) ( واح كارع ) وقد ذكره شتوك على أنه أختوى الثالث وأنه حكم من ٢١١٥ - ٢٠٧٠ ق.م. بينما يعتبره هيز أنه أختوى الرابع وعلى أى حال فهو صاحب الوصية الشهيرة وخلفه على العرش ابنه مريكارع . أما خامس وآخر ملوك الأسرة فقد ورد إسمه في بردية تورين على أنه أختوى أيضاً وهو خامس ملك يسمى بهذا الإسم ، وهو الذى كان معاصراً لمنتوحوتب مؤسس الأسرة الحادية عشرة . ويبقى بعد ذلك بضعة ملوك ولا يشك أكثر المؤرخين فى أنهم حكموا فى تلك الفترة أى فى عصر الفترة الأولى ولكنهم يختلفون فيما بينهم إختلافاً كبيراً فى تحديد أماكنهم بين غيرهم وهم الملك ، إيمحتب ، الذى عثر على إسمه فى أحد نقوش وادى الحمامات وكذلك ملك آخر يسمى إتى عثر على إسمه هناك والملك سخم كارع الذى ورد إسمه فى بردية عثر عليها فى الفنتين ، ويضاف إليهم ملك آخر ذكر إسمه فى مقبرة من عصر الرعامسة وهو جسر - ثوب .

وكان البيت المالك يزداد ضعفا بينما يزداد أمراء الأقاليم قوة حتى جاء اليوم الذى زال فيه حكم الأسرة ، وتلتها أسرة أخرى أظهرت شيئا من النشاط ، وبدأ الظلام المخيم على تاريخ مصر ينقشع رويدا فنرى خلاله بعض أشباح تتحرك ثم نرى هذه الأشباح تتحول إلى قوى تتطاحن فيما بينها ، وتدخل مصر مرة أخرى فى فترة استيقاظ .

ومنذ الوقت الذى جلس فيه ملوك الأسرة على العرش ظهر فى طيبة بيت قوى كان أفراده يرون فى أنفسهم أنهم أحق بالملك من بيت إهناسيا ولكن ولأى بعض البيوت القوية الأخرى لملوك إهناسيا وبخاصة أمراء أسيوط فى مصر الوسطى أى فى شمالهم وبيت آخر بأرمنت إلى الجنوب منهم جعل مهمة أمراء طيبة مهمة غير يسيرة كما سنرى .

فعلى جدران مقبرة المعلا (١) ( بين الأقصر وأسنا ) نقرأ بعض الحوادث التى جرت فى تلك الأيام . كان ( عنخ تيفى ) صاحب هذه المقبرة حاكما للأقاليم الجنوبية الثلاثة أى إلفنتين وإدفو وأرمنت ، أى يمتد نفوذه من النوبة حتى حدود الإقليم الرابع وهو إقليم طيبة . يفتخر ، عنخ - تيفى ، بسطوته وقوة جنوده الذين كانوا يذيعون الذعر إذا خرجوا للحرب ، ويتحدث عن المجاعة التى فتكت بالصعيد ولم ينج منها غير إقليمه لأنه ساعد الناس ، وكان يوزع عليهم الحبوب ، وحمى الضعفاء من الأقوياء حتى مرت تلك المحنة بسلام . ونحن لا يخالجننا شك فى أنه حدثت حرب بينه وبين أمير إقليم طيبة الذى اتحد مع من كانوا إلى الشمال منه وبخاصة بيت قفط وربما بيت دندرة أيضا ، ولكن نتيجة تلك الحرب لم تغير من الأمراء شيئا إذ ظل ، عنخ - تيفى ، حاكما على أقاليمه الثلاثة مواليا لبيت إهناسيا .

عاش ، عنخ ، - تيفى ، فى أوائل أيام الأسرة العاشرة فى عهد الملك ، نفر كارع ، ثانى ملوك هذه الأسرة الذى ورد اسمه فى المقبرة ولكن قوة هذه العائلة لم تستمر طويلا ، ولسنا نعرف إن كان ذلك بسبب ازدياد قوة طيبة أو ضعف الذى خلف ذلك الرجل القوى فى حكم الجنوب ، وربما كان الإثنان معاً .

وجلس على عرش إهناسيا بعد ، نفر كارع ، ملك حازم وهو ( واج كارع ) ( أختوى ) الشهير الذى خلف وصيته لابنه ، تلك الوصية التى تلقى ضوئا كبيرا على ذلك العصر ، وهو المعروف الآن باسم أختوى الرابع لأننا نعرف الآن أن ثلاثة ملوك يحملون هذا الاسم كانوا من بين ملوك الأسرة التاسعة حسب دراسة الترتيب الأخير لبردية تورين منذ سنوات قريبة .

VANDIER (J.) "La Tombe d'Ankhtif`a Mo`alla."

(١)



بدأ هذا الملك فى تطهير الدلتا من الفوضى السائدة فيها بسبب وجود عصابات البدو التى كانت تنشر الفزع وتنهب الناس . وبعد أن أستتب له الأمر بعض الشيء أراد أن يتخلص من أمراء طيبة وحلفائهم فى الجنوب فحدثت حرب بين الفريقين دارت رحاها فى إقليم ثينيس ( ثنى ) على مقربة من أبيدوس ، انتصر فيها الإهناسيون بمعاونة أمراء أسيوط ولكن الطيبين عادوا فاسترجعوا ما فقدوه تحت قيادة ( واح عنخ - إنيوتف ) الذى لم يكتف باستعادة حصن ثينيس بل تقدم شمالا حتى استولى على مدينة كوم اشقاو ( أفرو د يتوبوليس ) فى الإقليم العاشر من أقاليم الصعيد أى إلى حدود إقليم أسيوط نفسه .

وفى عهد الملك الإهناسى ، مريكارع ، ابن أختوى الرابع زادت المتاعب إذ تولى حكم طيبة حاكم قوى وهو منتوحوتب الثانى الذى أستأنف الحرب وقضى على أمراء أسيوط ، ثم اندفع نحو الشمال فاستولى على الأشمونين ، ولم يبق للأهناسيين إلا القليل من مصر الوسطى ونفوذ متزعزع فى الدلتا .

ومات مريكارع وخلفه على العرش أختوى آخر وهو الخامس الذى جرت فى عهده حوادث قصة القروى الفصيح ، ولكن هذا الملك لم يبق طويلا على العرش إذ عاودت جيوش طيبة هجومها فقضت على عائلة إهناسيا وأخضعت مصر كلها وبدأت الأسرة الحادية عشرة عهدا جديدا ، وعادت مصر إلى وحدتها القديمة يحكمها ملك واحد كما بدأت أيضا الدولة الوسطى . تلك هى الخطوط الرئيسية لتاريخ ذلك العصر المظلم ولكن يجب علينا قبل الانتقال إلى عصر آخر أن نتحدث بشيء من التفصيل عن ثلاث نقاط وهى :

١ - وصية أختوى الرابع لابنه مريكارع .

٢ - بردية القروى الفصيح .

٣ - آثار ذلك العصر .

أما ما نعرفه عن الصراع بين إهناسيا وطيبة فسنعود له بشيء من التفصيل عند مناقشة موضوع نشأة الأسرة الحادية عشرة فى الفصل القادم .

**وصية الملك أختوى لابنه مريكارع :**

من أهم المصادر القديمة لدراسة الحالة فى مصر فى أواخر أيام إهناسيا ، تلك البردية التى تحتوى على النصائح والتوجيهات التى وجهها الملك أختوى الرابع

(خيتي) إلى ابنه الملك مريكارع (١) ، إذ أننا نرى فيها كثيراً من المعلومات المهمة عن ذلك العصر الغامض يحاول أختوى أن يعطى خلاصة تجاربه لابنه حتى لا يقع فيما وقع فيه هو من أخطاء ، ويبدأ هذه النصائح بعد الديباجة التي فقدت الآن بتحذير ابنه من أى تابع له يكتر من الكلام ووراءه أتباع كثيرون فإن هذا الشخص يسبب الانقسام بين الناس ، وينصحه بقوله : « اطرده اقتله ، امح ذكره ( هو ) وأتباعه الذين يحبونه » . ويوصى ابنه بعد ذلك بأن يكون فناناً في الحديث ؛ لأن « اللسان كالسيف للإنسان » ، وينصحه بأن ينهج سبيل آبائه وأجداده وأن يكتر من قراءة ما خلفوه من كتب الحكمة وألا يفعل الشر وأن يتحلّى بالصبر ويترك وراءه ذكرى حسنة من حب الناس له . ويحذر أختوى ابنه من الطمع ونصحه بأن يعتنى بتثبيت حدوده ، وأن يعطى من شأن رجاله ويقويهم ؛ لأن الغنى في غير حاجة لمحاباة غيره ، أما الفقير فإنه لا يقول الحق الذي يؤمن به وإنما يحابي من يملك شيئاً يعطيه له ، يقول لابنه : « ما أعظم الشخص العظيم عندما يكون رجاله المقربون عظماء ، وما أشجع الملك الذي يكون له رجال بلاط ، وما أعظم وأقوى الذي يكون له نبلاء كثيرون » ، ويكثر من نصح ابنه لاتباع جادة الحق وإقامة العدل ويحذره من ظلم الأرملة ، ويوصيه بألا يحرم شخصاً من ثروة أبيه وألا يطرد الموظفين من وظائفهم ، ولكنه في الوقت ذاته يوصيه وصية حازمة بقوله « حاذر من أن تعاقب الناس دون خطأ جنوه ، لا تقتل فإن ذلك لا يجديك شيئاً ولكن عاقب بالضرب والإعتقال فتصلح الأمور في البلاد ، اللهم إلا التأثير عليك الذي تثبت من أمره » .

ولأول مرة في تاريخ مصر نقرأ في تلك النصائح عن وجود محكمة بعد الموت يقف أمامها الإنسان صاغراً ولا ينفعه أمام قضائها إلا العمل الصالح ، فإن أعماله توضع مكدسة إلى جواره . ويشير أختوى إلى الشباب فينصح أبنه بالعناية بهم

(١) هذه البردية في متحف ليننجراد ومرقومة تحت رقم ١١١٦ أ . والنسخة الحالية من عصر الأسرة الثامنة عشرة لأن المصريين في تلك الفترة عنوا عناية كبرى بالآداب القديمة ، وكانت هذه القطعة الأدبية من القطع المحببة إليهم لمقانة أسلوبها وجمال معانيها . وليست نسخة متحف الإرميتاج بـليننجراد هي النسخة الوحيدة بل توجد نسختان أخريتان ولكنهما ليستا كاملتين مثلها . وأول من نشر هذه البردية جولينيشف في عام ١٩١٣ وظهرت لها ترجمات كثيرة في اللغات المختلفة ولكن شارف قام بدراسة وافية في عام ١٩٣٦ ونشرها تحت عنوان :

A. SCHARFF, Der historische Abschnitt der Lehre für König Merikare (SBaw. 1936).

وقد نشرها مرة أخرى فولتن

A. VOLTEN, Zwei altägyptische politische Schriften (Analecia Aegyptiaca, IV) Copenhagen, 1945.



وتقريبهم منه ، وأن يمنحهم الحقول ويكافلهم بإعطائهم بعض الماشية ولكنه يحذره بشدة من أن يميز ابن شخص غنى على ابن شخص فقير ، بل يجب أن يقدر كل إنسان حسب كفاءته الشخصية .

ويوصيه بالإكثار من إقامة المنشآت الدينية وترتيب القرابين ، وأن يرضى الله فإن الله يعرف الذين يعملون من أجله ، ثم يتدرج بعد ذلك إلى ذكر ما كان حادثا في مصر من انقسام فيقول لابنه إنه لا يخلو أحد من وجود أعداء له ، وإن الأعداء في داخل مصر لا يهدأون ، ثم يشفع ذلك بقوله ، إن القدماء قد تنبأوا بأن جيلا سيظلم جيلا آخر وأن مصر ستحارب حتى في الجبانة وتهدم القبور . لقد فعلت ذلك وأصابني ما يصيب من يعصى أمر الله ، .

يشير أختوى بذلك دون ريب إلى حرب استعرت ناراها بين الشمال والجنوب ، إذ ينصحه مباشرة بعد ذلك بأن يحسن علاقته بالجنوب وإذا لم تأت منهم جزية من الحبوب فيكفيه صداقتهم له وينصحه بأن يكتفى بما لديه من خبز وجعة .

ويقول لابنه إن الجرانيت يمكن الحصول عليه دون عائق ، ويحذره من الاعتداء على آثار الآخرين وأنه يجب عليه الحصول على ما يلزمه من أحجار من محاجر طرة لبناء قبره ، وألا يأخذ أحجارا مما تخرب من قبور الناس .

كانت أيام أختوى مليئة بالحروب ، فلم يحاول الاضطدام ببيت طيبة في الجنوب بل نشط نشاطا كبيرا في الدلتا واهتم اهتماما خاصا بالجزء الغربى منها وأخضعه تماما لأهناسيا ، ولكن الأمر لم يكن سهلا في شرقى الدلتا وإن كانت ضرائبها ظلت تأتى إلى القصر ، ويقول إنه أعاد تنظيم المنطقة من المنيا جنوبا حتى السويس وأنه أسكن فيها أناسا كثيرين انتقاهم من جميع أنحاء البلاد حتى يستطيعوا الدفاع عنها . لقد كان العدو الذى يخشاه ملوك أهناسيا وأقاموا الحاميات وشجعوا تعمير البلاد الواقعة على الحدود لصددهم عصابات الأسيويين حملة القوس ، الذين يلاقون الكثير من المتاعب فى بلدهم ، بسبب الماء والأشجار والجبال ، ويقول عن الأسيوى ، إنه لا يستقر فى مكان واحد ولكن ساقية صنعتا لكى يتجول ويسير بعيدا . إنه يحارب منذ أيام حورس ، أى منذ الأزل ، وهو لا يقهر ولا يقهر ، إنه لا يحدد يوما للقتال ، إنه كاللص الذى يعمل فى عصابة ، وهذه إشارة دون شك إلى عصابات من البدو جاءت من الشرق وكانت تنتهز الفرص لنهب القوى الآمنة أو نهب المسافرين ، ثم تسارع بالهرب قبل أن يلحق بها المطاردون . ربما أمكنه أن ينهب شخصا ( يسير ) بمفرده ، ولكنه لا يهاجم مدينة فيها سكان كثيرون . وينبه ابنه مريكارع إلى أهمية منطقة

البحيرات المرة لحماية مصر من خطر البدو وينصحه بتحصين جزء منها وغمر الجزء الآخر بالمياه ويذكر ما قام به من تحصينات وعدد الذين جعلهم يقيمون هناك وكلهم مسلحون اللهم إلا الكهنة الذين يقيمون معهم . ويشير أيضا إلى تحصينه لمنف وإلى إنشاء قناة ( أو ربما جسر ) تربط بينها وبين إهناسيا ، ويعيد الكرة فيحذر ابنه من محاربة الجنوب ويقول له بأن ذلك يعطى فرصة للبدو الأسويين فيعيثون فسادا فى الدلتا . ويعود فيذكر ما جره عليه اصطدامه بالجنوب ، انظر ! لقد حدثت نكبة فى عهدى . لقد تحطمت مناطق إقليم ثنى . حدث ذلك حقا بسبب ما فعلت ، ولكنى لم أعلم به إلا بعد حدوثه . أنظر ! لقد جوزيت على ما اقترفت ، ويختم نصائحه بحث ابنه على طاعة الله والخوف منه فهو يعلم السر وما يخفى ، ويذكره بالأ ينسى آخرته وأن يعمل لليوم الآخر ، ويقول له بأن يذكر دائما نعم الله عليه ويقول عنه : « إنه هو الذى خلق أنفاس الحياة لخياشيمهم ( أى الناس ) ، وأولئك الذين خرجوا من صلبه ليسوا إلا صورا له . إنه يشرق فى السماء ليلبى رغبتهم ، إنه خلق لهم النباتات والحيوانات والطيور والأسماك ليقتاتوا منها ، وما أجمل قوله : « إن الله يقبل أخلاق الرجل المستقيم الضمير أكثر من قبوله للثور الذى يقدمه الشرير ( كقربان للآلهة ) ، وما أصدق عبارته التى يشير فيها إلى أن الله يوقع عقابه على بعض الناس لمصلحتهم : « إنه ( أى الله ) يقضى على من يملأ الشر قلبه بينهم ( أى الناس ) كما يضرب الأب ابنه إكراما لأخيه ، لأن الله يعرف كل إنسان . »

تلك هى بردية النصائح التى كتبها أختوى الرابع لابنه وهى لا تمدنا فقط بتلك المعلومات الهامة عن الحالة الداخلية فى البلاد بل تمدنا بما هو أهم من ذلك ، وهو ظهور تلك النغمة الجديدة من التواضع . فلم يعد الملك ذلك الإله المترفع الجبار الحاكم فوق البشر والذى يرجو جميع الناس تعطفه ورضاه ليصيبهم شىء من إحسانه فى الدنيا والآخرة ، بل أصبح شخصا يتحدث عن ضعفه ويردد عبارات ندمه كسائر البشر . ونقرأ فى البردية أمرا آخر تزداد أهميته لأن قائله ملك يعترف له شعبه - ولو نظريا - بالآلوهية الملكية ، وهو أن سعادة الإنسان فى آخرته تتوقف على عمله فى الدنيا ولا تتوقف على رضاء الملك فقط ، ونقرأ فيها أيضا أن كل امرئ مهما كان مركزه سيحاسب على أعماله أمام محكمة الآلهة وأنه سيجد تلك الأعمال مكدسة إلى جانبه بما فيها من خير وشر ، ونقرأ فيها أيضا نغمة حلوة وهى أن السعادة فى الآخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى أو على قرابين تقدم بانتظام ولكن الله يعرف ما فى القلوب ويطلب من عباده أن تحسن نياتهم ويذرون وراءهم الطمع والشر ، لأن النيات الحسنة هى التى يقبلها ، وهى أقرب إلى قلبه من القرابين التى يقدمها المذنبون ليكفروا بها عما اقترفوه من إثم .

لقد فتكت الثورة الإجتماعية بمصر فدكت عرشها وفككت عراها وقضت على الحكومة المركزية فيها وعرضت البلاد لخطر الغزو الأجنبي ، ولكن مصر خرجت من محنتها بعد أن تعلمت من تلك التجربة القاسية أشياء جديدة عن قيمة الإنسان وحقوقه وعن معنى الخلق الكريم . لقد أثمرت تلك الثورة الإجتماعية إذاً ، وغيّرت الشيء الكثير من نظرة المصريين إلى حكاهم بوجه عام وجعلتهم يدركون ما للفرد من قيمة وما له من حقوق ، ويكفى الآن هذا القدر من الحديث فسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ١- عند مناقشتنا لبردية القروى الفصيح وبعض النصب التذكارية التى وصلت إلينا من ذلك العصر .

### بردية القروى الفصيح (١) :

ازدهر الأدب ازدهارا كبيرا فى عهد ملوك إهناسيا ، وقد أشرنا قبل الآن إلى بردية ، إبيرور ، التى صورت لنا حالة البلاد وما ساد فيها فى بداية ذلك العصر المظلم الذى تلا سقوط الدولة القديمة وحللتنا بردية النصائح الموجهة إلى مريكارع ورأينا فيها لغة مزدهرة وأدبا رفيعا يحوى آراء ناضجة وأهدافا محددة ، ولكن هناك قطعا أدبية أخرى ممتازة تساعدنا أيضا فى الوقوف على بعض نواحي الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر ومن بينها بردية البائس من الحياة ولكنى سأقتصر على واحدة منها فقط وهى بردية القروى الفصيح لأهميتها .

ليست هذه البردية قصة حقيقية وإنما هى قطعة أدبية ذات هدف خلقى أحسن فيها كاتبها اختيار تعبيراتها وصيغها ، وأظهر فيها مقدرته فى اللغة . تتكون من مقدمة على صورة قصة لا تخلو من الطرافة وتسع شكوا فى موضوع واحد وهو الحث على العدل وإعطاء الفقير حقه وحمايته من الغنى الطامع وأن يكون الحاكم ساجا وملجأ للمظلوم ويخشى من عقاب الله إذا انحرف عن الطريق السوى .

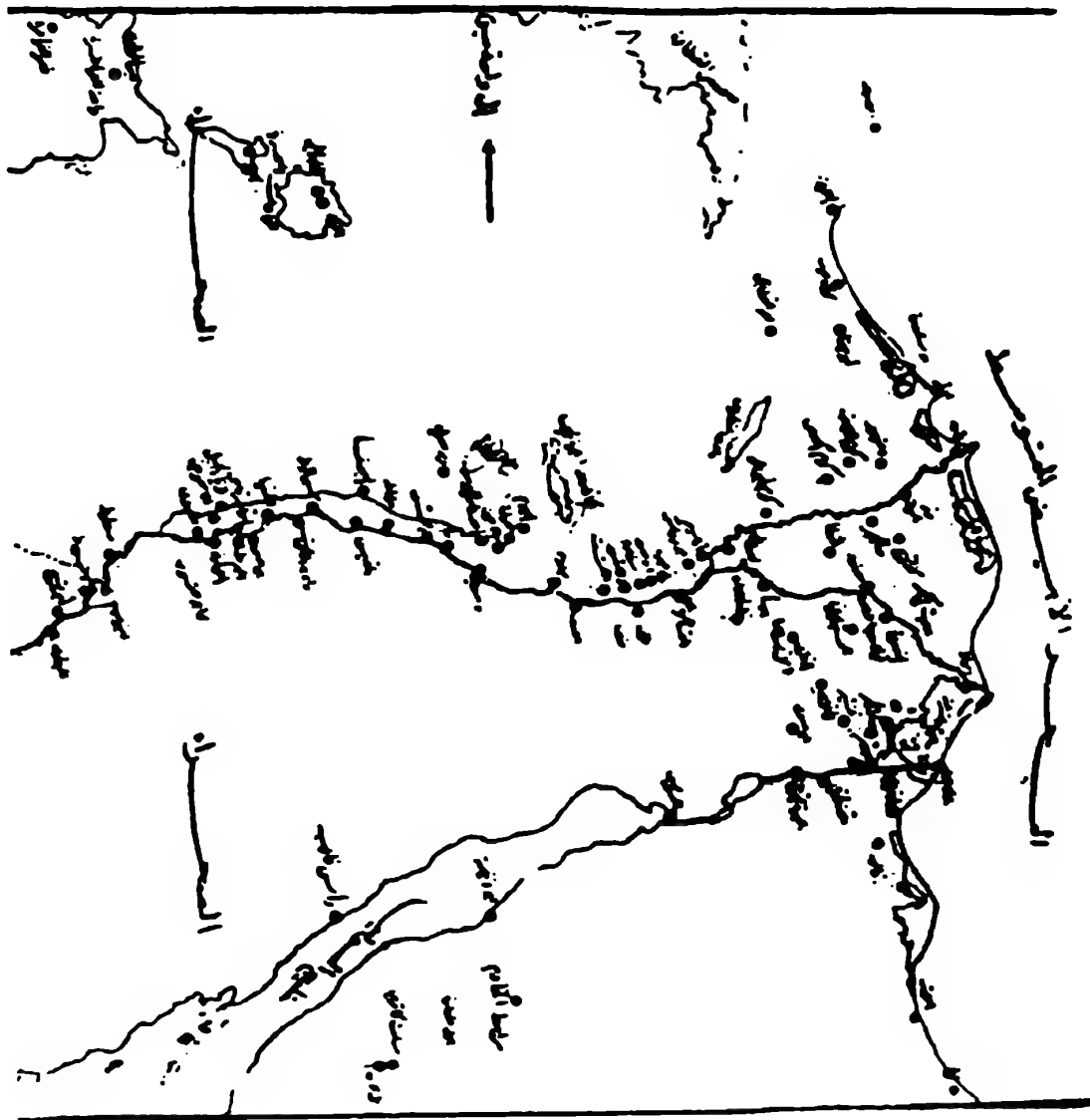
كان يعيش أحد القرويين واسمه ، خر إن أنوب ، فى وادى النطرون وأراد أن يذهب ببعض محاصيل تلك الواحة لبيعها فى إهناسيا ثم يشتري بئمنها غلالا يعود

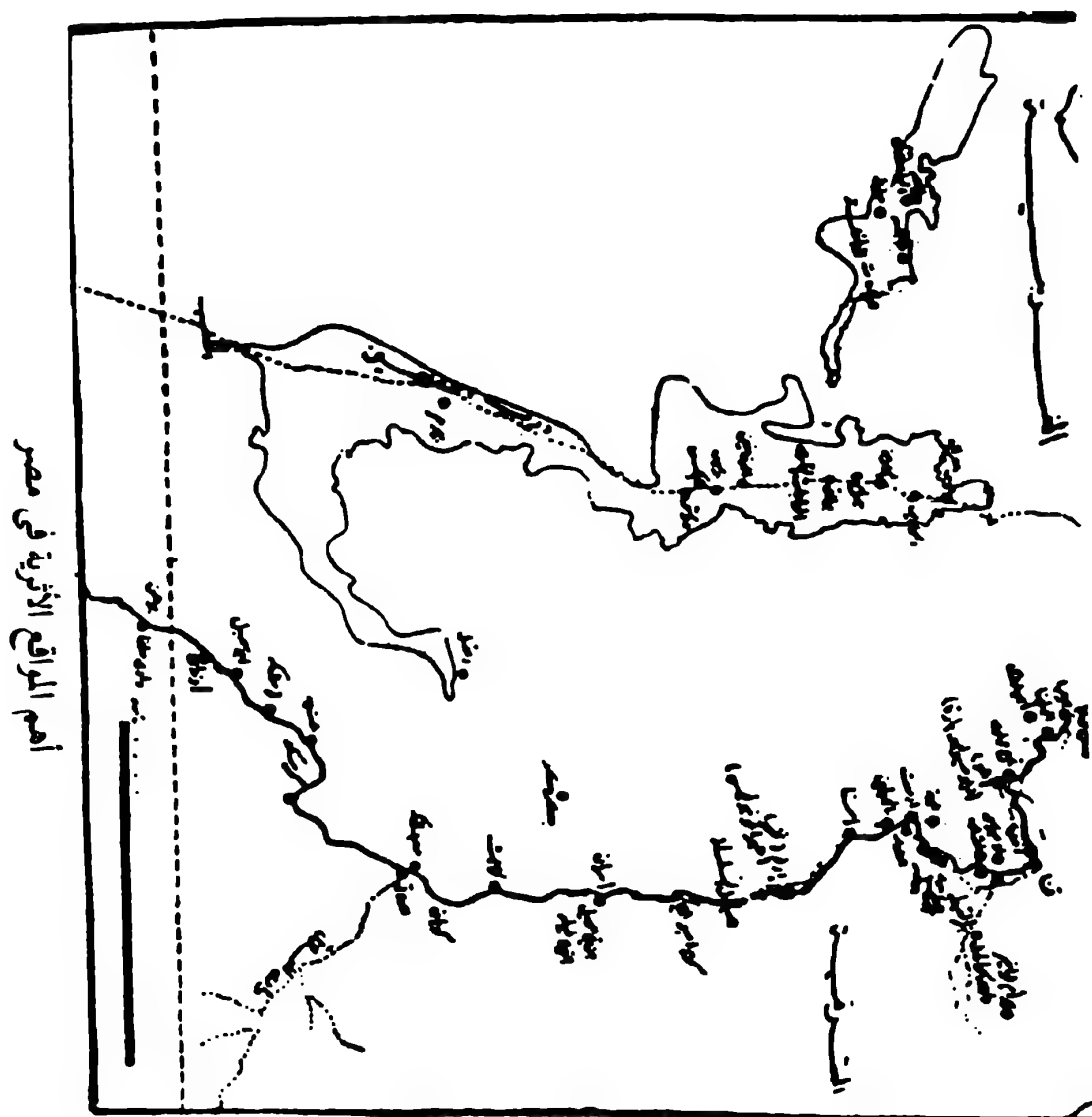
---

(١) كتبت هذه البردية ووقعت حوادثها فى أواخر أيام الأسرة العاشرة فى إهناسيا وكانت من أحب قطع الأدب وأكثرها انتشارا فى الدولة الوسطى ، وكان العالم الأثرى ، شابا ، أول من لفت إليها الأنظار فى عام ١٨٦٣ ونشر فوجلزاتنج نصوصها نشرًا كاملا

VOGELSANG. Kommentar Zu den Klagen des Bauern, Leipzig. 1913.

وقد ترجمت ترجمات عدة وأحدث ترجمة لها هى ترجمة ولسون فى كتاب Ancient Near Eastern Texts وترجمة أيضاً إلى العربية فى كتاب سليم حسن - الأدب المصرى القديم - الجزء الأول ص - ٥٤ وما بعدها .





بها إلى أهله . وطلب من أسرته أن تعد له زاد الطريق ، وحمل حميره ، وسار في طريقه حتى أصبح على مقربة من العاصمة وكانت في بلدة إهناسيا . وأثناء سيره رآه من بعيد شخص يسمى ، تحوتى نخت ، من أتباع ، رنسى ، بن ، مرو ، الذى كان رئيس مديرى القصر الملكى ومن كبار موظفى البلاد ، ومن أقرب الناس إلى الملك الحاكم . فلما رأى ، تحوتى نخت ، ذلك القروى أتيا فى الطريق عزم على اغتصاب ما معه ، وكان بيته قريبا من جانب الطريق الضيق وكانت الحقول على أحد جانبي الطريق ، وعلى الجانب الآخر ترعة فيها ماء . وأمر ، تحوتى نخت ، أحد خدمه فأحضر له قطعة من القماش فرشها فوق الطريق فوصل أحد طرفيها إلى الشعير المزروع فى الحقل بينما تدلى الطرف الآخر فى مياه الترعة التى كانت هناك ، أى أن ذلك النسيج غطى عرض الطريق . فلما وصل القروى حذره ، تحوتى نخت ، من أن تدوس حميره على النسيج فصعد القروى للأمر وأجابه سمعا وطاعة . وساق حميره على حافة الجسر من ناحية الحقل وعند ذلك نهره سائلا عما إذا كان يريد أن يجعل من حقل شعيره طريقا لحميره فأجابه القروى بأنه لا يقصد سوءا فالطريق مرتفع وقد غطاه بالقماش ، ولم يعد هناك مكان يسير فيه إلا حقل الشعير . وفى أثناء تلك المناقشة مال أحد الحمير فأكل شيئا من الحقل وعند ذلك قال ، تحوتى نخت ، إنه سيستولى على ذلك الحمار ثمنا لما أكله ، فصرخ القروى سائلا إذا كان من العدل أن يأخذ حماره مقابل قبضة من الشعير ملأ بها فمه ، وصاح قائلا ، أننى أعرف صاحب هذه الضيعة ، إنها ملك رئيس مديرى القصر رنسى بن مرو ، أنه هو الذى يقف فى وجه اللصوص فى أنحاء البلاد فهل أسرق فى ضيعته ؟ ، وعند ذلك نهره ، تحوتى نخت ، وأخذ غصنا من شجرة وأوسعه ضربا وأخذ كل حميره وساقها إلى الضيعة .

وبكى القروى من آلامه بكاء مرأ فلم يتركه ، تحوتى نخت ، وشأنه بل نهره وأمره بالسكون لأنه على مقربة من معبد ، رب السكون ، ( أى أوزوريس ) فصاح القروى : ، إنك ضربتني وسرقت متاعى وتأبى إلا أن تأخذ أيضا الشكوى من فمى !! يا رب السكون ، رد إلى بضاعتى حتى لا أصبح . . . وظل القروى المسكين عشرة أيام كاملة يستسمح ويستجدى ظالمة دون جدوى ، فلما يئس منه سار فى طريقه ليشكو إلى رنسى نفسه فى العاصمة . ورآه عندما كان يهم بالخروج من باب بيته لينزل إلى سفينة ليعقد فيها جلسة للمحكمة فقال له ، هل لى أن أرفع إليك أمرا ؟ أرجوك أن ترسل لى تابعك الذى تثق فيه حتى يصل إليك عن طريقه ما أريد قوله ، فأرسل رنسى إليه تابعه فشرح القروى له القصة بحذافيرها . وعند ذلك رفع رنسى قضية ضد ، تحوتى نخت ، أمام القضاة الذين كانوا معه . فما كان من القضاة إلا أن قالوا إن

هذا القروى لابد أن يكون أحد فلاحى تحوتى نخت الذين تركوا العمل عنده وذهب ليعمل عند الآخرين ، وأن ما حدث له هو ما يستحقه أى قروى يفعل ما فعله ، وقالوا : أعلى مثل ذلك يعاقب تحوتى نخت بسبب كمية نافهة من النظرون شىء قليل من الملح ؟ اصدر إليه أمرك بأن يعوضه عنها وسيفعل ذلك ، ولكن رنسى لزم الصمت فلم يرد على القضاة ولم يرد على القروى .

وجاء القروى مرة ثانية ليشكو وصاح مخاطبا رنسى ومذكرا لهم باليوم الآخر ويطلب منه أن يقيم العدل حتى ينال العدل بعد موته ، ويقول له : إنك أبو اليتيم ، وزوج الأرملة ، وزوج المرأة المهجورة ، ودفار من لا أم له . وذهب رنسى إلى الملك نيكاورع ( آخر ملوك الأسرة العاشرة وكان يسمى أختوى أيضا ) وقال له : سيدى : لقد وجدت واحدا من هؤلاء القرويين ، فصيحاً بحق ، لقد تعدى عليه أحد رجالى وسرق ما معه وجاء إلى يشكو من ذلك ، فنصحته الملك بأن يجعل ذلك القروى يطيل إقامته ليستمر فى الشكوى ، وأمره أن يكتب كل ما يقوله وفى الوقت ذاته يعنى بأمر زوجته وأطفاله فيرسل إليهم ما عساه يكفى لقوتهم ، وأن يعنى أيضا بأمر القروى نفسه فيرسل إليه الطعام دون أن يعرف أنه هو الذى أمر بترتيبه له . فرتبوا له فى كل يوم أربعة أرغفة من الخبز وإناء من الجعة . وجاء القروى مرة أخرى وكان فى كل مرة يلقى شكواه بأسلوب فصيح يملؤه بالاستعارات والتشبيهات حتى بلغت شكواه تسعا ، أبدع فيها كاتب القصة ، وكلها تدور حول العدل ومسئولية الحاكم عن الدفاع عن المظلوم ومساوىء الطمع والتكبر على الناس ، وفى آخر شكواه التاسعة يئس القروى وصمم على قتل نفسه فختمها بقوله : انظر ! إنى أشكو إليك ولكنك لم تسمع فهل تريد منى أن أذهب وأشكوك إلى ( إله الموتى ) أنوبيس ؟ ، وترك القروى مكانه وسار فى طريقه فأرسل رنسى وراءه إثنين فأعاداه . وظن المسكين أنهم سيعاقبونه على ما بدر منه ، فلما وقعت عيناه على رنسى إبتدره قائلاً : : إنى تواق إلى الموت كما يتوق الظمآن عندما يقترب من الماء ، وكما يتوق الرضيع إلى لبن ( أمه ) ، ولكن رنسى رد عليه قائلاً : : لا تخف أيها القروى ، انظر ! إنك ستقيم معى ، ولكن يأس القروى كان قد بلغ نهايته : : لن أكل خبزك أو أشرب من جعتك ما حييت . ولكن رئيس البيت الملكى قال له : تعال من هنا حتى تستمع إلى ما قلته من شكواي ، وأمر أن تقرأ له بردية سطرت عليها ، ثم أرسلها رنسى بعد ذلك إلى الملك ، وقال الملك لرئيس بيته أن يتولى هو الحكم فى القضية فأرسل إثنين من الشرطة لإحضار تحوتى نخت ، وأرضى القروى إذ عوضه عن كل ما فقدته كما انتقم له ممن ظلمه دون وجه حق فأعطاه كل ما كان يمتلكه تحوتى نخت .



أى أن القضية نفسها إنتهت بما كانت تدعو إليه الشكوى وهو حماية الفقير من الغنى وأن يكون الحاكم سياجا يحمى الضعيف من عسف القوى وألا يعتقد الموظفون أو الذين ينتمون إلى ذوى النفوذ من بين الحكام أنهم يستطيعون أن يظلموا القرويين المساكين دون أن تنالهم يد العدالة .

لقد رأينا الملك أختوى الرابع يوصى ابنه الملك مريكارع أن يتعلم حسن الحديث وإجادة التعبير عن آرائه ، وبعبارة أخرى يمتدح الفصاحة وعدم السكوت عن الظلم ، ونرى فى هذه القصة تطبيقاً لذلك المبدأ وهو الإعلاء من شأن الفصاحة وضرورة السعى وراء الحق ، وهى تصور لنا أيضا أمرا آخر ، وهو ظلم صغار الموظفين للفقراء من الناس بينما يعنى كبارهم برد الحق إلى أصحابه متى وصل ذلك إلى سمعهم ، لأنهم هم المسئولون عن ذلك . ونرى فيها أيضا بوضوح أمر الخوف من عقاب الذى لا تخفى عليه خافية إذ طالما ذكر القروى رئيس البيت الملكى بأنه هو المسئول عن نكبته ، وأنه سيقف يوما أمام الملك ليحجب عن ظلمه له ، لأنه لم يستمع إلى شكواه ولم ينصفه من تابعه .

لم نعرف لمثل هذه الشكوى وجودا فى الدولة القديمة ، وهى مثل غيرها من آداب ذلك العصر نتيجة لما نشأ فى مصر من وعى إجتماعى بعد تلك الثورة التى قام بها الشعب فى أعقاب الأسرة السادسة ، ولقى هذا النوع من الأدب وتلك الآراء قبولا من الناس فى الدولة الوسطى وخاصة فى أوائل أيام الأسرة الثانية عشرة ، ولكن ما جاءت الدولة الحديثة حتى تغيرت الأمور وأصبح للمصريين مثل عليا مختلفة .

#### أهم آثار عصر الفترة الأولى :

أهم آثار ذلك العصر هى دون ريب تلك البرديات الأدبية التى نرى فيها صدق لما طرأ على الحياة الإجتماعية من تغيير ، وما ظهر من آراء جديدة مهمة . ويليهما فى الأهمية المراسيم التى كان يصدرها الملوك ثم ما وصل إلى أيدينا بعد ذلك من آثار سواء من أطلال أهرام أو مقابر ذلك العصر ، أو ما وصل إلى أيدي العلماء من أشياء أخرى .

ولم يعثر على أى أثر لمقابر ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة فى إهناسيا حتى الآن ، ولكن عثر على ما يكفى للترجيح بأن منف ظلت العاصمة الإدارية للبلاد ولم تكن إهناسيا غير مقر الملك كما أن ملوكها ورجال بلاطهم إستمروا على التقليد القديم ، وكان الكثيرون منهم يدفنون فى جبانة منف وعثر على آثار لبعضهم حول هرم تيتى فى الجزء الشمالى من الجبانة وحول هرم پيى الثانى فى سقارة الجنوبية .



وعثر أيضا على الكثير من النقوش التي بقيت من جدران بعض مقابر ذلك العصر في سقارة كما عثر أيضا على لوحات جنازية لبعض الأفراد كانت في مقابرهم التي شيدت هياكلها من الطوب اللبن أما القبر فكان تحت الهيكل وغالبا ما يكون على شكل حجرة صغيرة ( شكل رقم ١٠ وشكل رقم ١١ ) من الحجر - وذلك للقادرين من الأغنياء - تلون جدرانها ويوضع فيها صاحب القبر داخل تابوت من الخشب محلاة جوانبه بالكتابة أو الرسوم ، وقد عثر على مئات من هذه التوابيت في جميع أرجاء مصر وبخاصة في مصر الوسطى وهي من أهم مصادرها لدراسة ذلك العصر سواء من الناحية الدينية أو من الناحية الاجتماعية ، وذلك لرسم كثير من الأدوات على جوانبها بدلا من وضعها في القبر (١) . ومن بين العادات الجنازية في تلك الفترة الإكثار من وضع نماذج خشبية للخدم أو الجنود أو العمال وهم يؤدون أعمالهم المختلفة .

واستمر أمراء الأقاليم يدفنون على مقربة من بلادهم ، ولهذا نجد كثيرا من مقابر ذلك العصر منحوتة في الصخر في مصر الوسطى والصعيد ، أما الفقراء فكانوا يدفنون في السفح تحت مقابر الحكام . وتقتصر المقابر غالبا على حجرة صغيرة تقطع في الطبقة المتماصة من الأرض أو تبطن بأحجار أو طوب ، ويوضع في وسطها تابوت أو أكثر من الخشب وفوقه أو بجواره بعض النماذج الخشبية ، وأهم مقابر الأقاليم نجدها بين مقابر زاوية الأموات وبنى حسن والبرشا وأسيوط ودير الجبراوى والهجارسة وأخميم ودندرة والمعلا وأسوان .

ومن بين الأشياء المهمة التي تقرر بذلك العصر ظهور الجعارين وكان الجزء العلوى منها غير مقتصر على رسم الجعر فقط بل كان أيضا على هيئة حيوانات مختلفة ويكتب في أسفله على الجزء المسطح ما يشاؤون أو يكتبون برسم هندسى أو زخرفى .

وإذا درسنا لوحات القبور التي يرجع تاريخها إلى هذا العصر نرى فيها أيضا أثر التطور الاجتماعى الذى رأيناه جليا فى البرديات . فلم يعد الأفراد يقتصرون على ذكر الملك والآلهة وتقديم القرابين لهم بل نراهم يفخرون بأنفسهم وبأعمالهم ، ويتحدث كل منهم عن نفسه بأنه كان محبوباً من أهله ومن غيرهم من الناس وأنه كان بعيدا عن الدنيا ، عونا للفقير محبا للرزق الحلال مجدا فى عمله حائزا على رضا الناس .

---

(١) JEQUIER, Les frises d'objets des sarcophages du Moyen Empire, Cairo. 1921

لم تقتصر تلك الصيغ على لوحات القبور التي عثر عليها في جبانة منف بل كانت شائعة جداً في الأقاليم ، وقد عثر على مئات منها في جبانات الصعيد ، وعلى أكثرها صيغ تمجد قيمة الفرد وفضائله الشخصية التي ساعدته على التقدم في مضمار الحياة .

ويجب ألا يغيب عن ذهننا ما أشرنا إليه من قبل وهو أنه أثناء حكم ملوك الأسرة العاشرة في إهناسيا كانت هناك بيوت قوية في مصر الوسطى وبخاصة في أسيوط وفي جرجا وفي طيبة ، وأن رؤساء تلك البيوت خلفوا وراءهم أثراً ، وسنتحدث عنها فيما بعد عندما نصل إلى الفصل القادم ؛ لأن حكام طيبة هم أصل الأسرة الحادية عشرة التي تبدأ بها الدولة الوسطى .

محرقات  
www.ibtesama.com  
منتديات مجلة الإنسامة

### \*\*\* الفصل الخامس \*\*\*

## الدولة الوسطى

### الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة

( ٢١٣٤ - ١٩٩١ ، ١٩٩١ - ١٧٧٨ قبل الميلاد )

\*\*\*\*\*

### الأسرة الحادية عشرة

#### نشأة حكام طيبة وتأسيس الأسرة :

نشأ في طيبة منذ أيام الأسرة السادسة بيت حاكم ، كما حدث في أكثر الأقاليم عندما ضعفت الحكومة المركزية في منف ، وقطع بعض أولئك الحكام مقابرهم في صخور تلال جبانة طيبة في البر الغربى من النيل حيث يوجد عدد قليل منها بين مقابر العصور الأخرى .

ولسنا نعرف كثيراً عن أولئك الحكام أثناء الفترة التي تلت الأسرة السادسة ، ولكن لا يخامرنا شك في وجود بيت واحد قوى أو أكثر من بيت في هذه المنطقة الغنية ، وأن هذا البيت كان يعيش تارة في سلام ، ويتنازع على السيادة تارة أخرى مع جيرانه في أرمنت في الجنوب وقفت في الشمال ، حتى انتهت أيام الأسرات السابعة والثامنة في منف . ثم نشأت بعد ذلك الأسرة التاسعة في إهناسيا . ولكن عندما تغيرت الأمور وانتقل الحكم إلى ما نسميه الأسرة العاشرة في إهناسيا أحس بيت طيبة بأنه لا يقل في أحقيته للملك عن ملوك الشمال فأعلنوا عدم طاعتهم لإهناسيا ، وكونوا منهم ومن جيرانهم الأقربين إتحاداً في الجنوب ، أى أن الأسرة الحادية عشرة في الجنوب تبدأ في الحقيقة منذ بدء الأسرة العاشرة في الشمال ، لكن هؤلاء الجنوبيين احتاجوا إلى وقت طويل يزيد عن ثمانين عاما حتى أصبحوا يحكمون البلاد كلها دون منازع ، وأصبح الملك منتوحوتب الثانى ملك مصر كلها ووجد البلاد لتبدأ فترة جديدة في تاريخها .

ومؤسس هذا البيت الذى سمي بإسم الأسرة الحادية عشرة فيما بعد ، يسمى 'إنيوتف' ، ( يكتبه أحيانا بعض الأثريين أنتف ) ، ولا نعرف عنه أكثر من أنه كان

مؤسس هذا البيت وأن أمه تسمى ، إكو ، وأن أهل طيبة فيما تلا ذلك من الأيام كانوا ينظرون إليه نظرة تقديس خاصة ، وكانوا يلتمسون بركته (١) .

وورد اسم هذا الشخص أيضاً في لوحة الأجداد التي أقامها تحوتمس الثالث في الكرنك كأول حاكم للأسرة الحادية عشرة ، ولكنهم لم يكتبوا اسمه في خانة ملكية بل إكتفوا بأنهم كتبوا ألقابه ، الحاكم والأمير الوراثي إنيوتف المبجل ، (٢) . لم يدع إنيوتف الملك منذ البداية بل ظل على إستقلاله الذاتى بإقليمه ولم يقطع صلته بملوك الشمال إذ ذكر على لوحته الشهيرة التي عثر عليها ماربيت في القرن الماضى وتوجد الآن في متحف القاهرة أنه الحاكم ، الأمير الوراثي ، والسيد العظيم لإقليم طيبة الذى حاز على رضاء الملك كحارس لباب الجنوب ، العماد العظيم لمن يحيى الأرضين (يشير طبعاً إلى الملك) ، الكاهن الأكبر .. إنيوتف .

وفى وقت من الأوقات فى أواخر أيام حكمه ، كتب إنيوتف هذا - وكان يسمى أيضاً ، سهر تاوى ، أو مهدىء الأرضين - اسمه في خانة ملكية وأصبح معروفاً لنا باسم إنيوتف الأول ، وأحاط نفسه برجال البلاط ، ودفن في قبر كبير أمامه صف من الأعمدة المقطوعة فى الصخر ، وكان هناك هرم من الطوب فوق قبره فى جهة الطارف ، وهى المنطقة الشمالية من جبانة طيبة .

إنيوتف الثانى ( ٢١٣١ - ٢٠٨٢ ) :

وتلاه إنيوتف الثانى المسمى ، واح عنخ ، وقد حكم نحو خمين عاما ( من حوالى ٢١٣٠ - ٢٠٨١ ) على الأقاليم الخمسة الجنوبية فى الصعيد ، وبدأ فى عهده التوسع نحو الشمالى ، وبدأ الطيبيون فى مهاجمة الإقليم السادس ، وهو إقليم ثينى حيث توجد جبانة أبيدوس ، ولكن الإهناسيين ظلوا على قوتهم خصوصا وأن أمراء أسيوط الأقوياء كانوا حلفاء لهم .

كان إنيوتف الثانى معاصراً لإختوى ( أو ، خيتى ) أمير أسيوط ، وفى مقبرة هذا الأخير نقرأ بعض إشارات عن جمع الجنود وإعداد الرماة والتفاخر بالأسطول

(١) مثل لوحة ماعت فى متحف المتريوليتان (HAYES, Scepter of Egypt, p. 153)

كالتمثال الذى أقامه لذكراه الملك سنوسرت الأول

(LEGRAIN, Statues et Statuettes, No. 42005)

انظر أيضاً كتاب

WINLOCK, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes (1947), p. 5.

SETHE, URKUINDEN IV, 608.

(٢)

ولكنه لا يذكر وقائع حربية صريحة بينه وبين الطيبيين ، ويفتخر أختوى أمير أسيوط في مقبرته بأن الملك ( أى ملك إهناسيا ) عينه حاكما وهو ما زال فى طفولته وأنه تعلم السباحة مع أبناء الملك .

ولكن الأمور لم تكن على هذه الصورة من الهدوء والإطمئنان الذى نراه فى نقوش أختوى فى أسيوط ، فإننا نعلم أن غيره من الأمراء فى الشمال مثل أمراء بنى حسن وأمراء البرشا أخذوا بدورهم يعلنون إستقلالهم ويؤرخون الحوادث بتاريخ حكمهم ، وبعبارة أخرى أخذ زمام الأمور يفلت من أيدي ملوك إهناسيا .

ومن نقوش مقبرة ، تف إب ، ابن أختوى الذى تلاه فى حكم أسيوط نقراً شيئاً عن حروبه مع الطيبيين فى ثنىي ، إذ يتحدث عن معاركه مع أعداء الملك ويقول عن زعيم الطيبيين إنه وقع فى الماء وأن سفنه تفرقت وإستطاع أن يعلو عليه ما يريد . ولكن رغم هذا التفاخر بنفسه وبقوة جنوده فإن الحقيقة كانت إنتصار طيبة وضم إقليم ثنىي إليها فأصبح تحت حكم إنيوتف الثانى ستة أقاليم من الصعيد ، وأصبح الحد الشمالى لملك الطيبيين عند مدينة كوم اشقاو ( افروديتوبوليس ) كما نعرف ذلك من عدة مصادر أخرى وهى لوحات بعض موظفى إنيوتيف التى عثر عليها فى طيبة .

كان إنيوتف الثانى من الحكام الأقوياء ، وقد أحسن إدارة الأقاليم الستة وبدأ فى تشييد بعض المعابد وبخاصة للإله ، موننتو ، ورمم الهياكل والمعابد التى كانت للآلهة الأخرى فى تلك الأقاليم ، وبنى لنفسه قبرا كبيرا كان يعلوه هرم من الطوب ، وأمام هذا الهرم أقام لوحة .

ولقبر هذا الملك ولوحته قصة طريفة ، جاء ذكرها فى بردية أيوب ( Abbot Papyrus ) التى نعرف منها تفاصيل سرقات مقابر الملوك فى الأسرة العشرين ، إذ زارت لجنة التحقيق هذا المكان وأشارت إلى تلك اللوحة بأنها كانت فى مكانها أمام الهرم وأن ، رسم الملك على هذه اللوحة وكتبه المسمى ( بحك ) بين قدميه ، ويزيد التقرير بأنهم فحصوا القبر فى ذلك اليوم ووجدوه سليما لم يسرق . وعثر مارييت فى عام ١٨٦٠ على هذه اللوحة وتركها فى مكانها ثم عثر عليها رجال الآثار مرة أخرى فى عام ١٨٨٢ ، ورغم تحطيمها فإن أجزاءها جمعت إلى بعضها وهى الآن فى المتحف المصرى ، ونرى عليها ، إنيوتف ، واقفاً ومعه خمسة من كلابه سماها بأسماء ليبية وكتب إلى جانب ثلاثة منها معانيها باللغة المصرية . ومن المعتقد أن هذه اللوحة لم تكن قائمة وحدها عند قاعدة الهرم بل كانت هناك لوحات صغيرة مختلفة بأسماء الموظفين المقربين إليه عثر على بعض منها فى المكان نفسه أثناء حفائر مارييت ( Mariette ) ثم حفائر ماسبرو ( Maspero ) ودارسى ( Daressy ) بعد

ذلك ، وتسرب أكثرها إلى المتاحف الأوروبية والأمريكية .

### إنيوتف الثالث ( ٢٠٨٢ - ٢٠٧٩ ) :

ومات بعد أن حكم خمسين سنة فتبعه ابنه ، نب تبي نفر ، على العرش ، ويسمى أيضاً إنيوتف ، وكان متقدماً في العمر فلم يبق في الحكم إلا سنوات قليلة ، ولم يبق من عهده إلا القليل وأهمه لوحة أحد موظفيه المسمى ، مجبى ، (١) .

### منتوحوتب الأول ( ٢٠٧٩ - ٢٠٦١ ) :

وتلاه على العرش ابنه ، منتوحوتب ، المسمى ، سعنخ إب تاوى ، ، وفي عهده أراد ملوك إهناسيا أن يسترجعوا ما فقدوه فحدثت بينهم وبين طيبة تلك الحرب التي عاد فيها إقليم ثينى ( أبيدوس ) إلى الشماليين وكان ذلك في عهد الملك أختوى الرابع من ملوك إهناسيا كما أشرنا . وربما كان ابنه الأمير ، هرو نفر ، قد مات وهو يحارب دفاعاً عن أبيدوس .

ولسنا نعرف عن هذا الملك شيئاً آخر ذا أهمية اللهم إلا أنه وضع تصميمًا لقبر يزيد في حجمه عن قبور كل من سبقه من الملوك ولكنه مات بعد أن حكم ثمانية عشر عاماً وترك قبره دون أن يتمه ، وخلفه على العرش ابنه منتوحوتب الثانى .

### منتوحوتب الثانى ( ٢٠٦١ - ٢٠١٠ ) :

كان منتوحوتب الثانى أقوى وأهم ملوك هذا البيت . لم يسترجع إقليم أبيدوس فحسب ، بل اندفع نحو الشمال حتى سقطت إهناسيا نفسها في العام التاسع من حكمه وكان أول ملك من ملوك طيبة يصبح حقيقة ملكاً على الوجه القبلى والوجه البحرى ، وكان ذلك حوالى عام ٢٠٥٢ ق.م. ولهذا يرى بعض المؤرخين إعتباراً من سبقه من ملوك هذه الأسرة والتسعة أعوام الأولى من حكمه وقتاً معاصراً للأسرة العاشرة وأن الأسرة الحادية عشرة تبدأ من هذا التاريخ فقط ، ولكن الإنصاف فى البحث يحتم علينا إعتبار أيام الأسرة الحادية عشرة منذ عهد إنيوتف الأكبر أى قبل ذلك بإثنين وثمانين عاماً ، إذا لم ينس الطيبيون كما ذكرنا ذكرى مؤسس هذا البيت فالهموه وذكروه دائماً على آثارهم وفى وثائقهم وكانوا يقدمون له القرابين .

بذل منتوحوتب كثيراً من الجهد لإخضاع كل معارضة قامت فى طريقه . ولا

(١) هذه اللوحة من أهم آثار ذلك العصر وهى فى متحف المتروبوليتان بنيويورك ونقرأ عليها إسم أمنمحات الذى ربما كان إسمًا آخر لمجبى نفسه أو إسمًا لابنه وهو على أى حال أول إسم فى ذلك العصر يظهر فيه الإله آمون فى تركيب أسماء الأشخاص .

شك أنه حارب في الدلتا وحارب البدو في الشرق والغرب كما أخضع المنطقة جنوبى إلفنتين ، ولكنه ترك الأمراء القدماء يحكمون أقاليمهم واكتفى منهم بالطاعة والجزية وحسن الولاء .

كان إسمه عند توليه العرش : حورس نترى حزت ، ولكنه بعد العام التاسع عندما تغيرت الأوضاع وأصبح ملك مصر كلها دون منازع ، غير لقبه إلى : سما تاوى ، أى موحد الأرضين وأصبح إسمه الآخر : نب حيت رع ، وهذا هو الإسم الذى أصبح معروفاً به فيما بعد على جميع ما خلفه من آثار ، وهو الإسم الذى نراه فى معبد الرمسيوم بين إسمى : منا ، مؤسس الأسرة الأولى و : أحمس ، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، أى أن هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا فى نظر المصريين أنفسهم ، فى الأسرة التاسعة عشرة ، هم مؤسسو الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة .

بدأت طيبة عهداً جديداً فى تاريخها ، وأخذت ضرائب البلاد كلها تتدفق على خزائنها ولم يدخر منتوحوتب وسعاً فى تجميل عاصمته وإنشاء المعابد المختلفة فيها وفى غيرها من البلاد . وقد رأينا منذ عهد أسلافه أن الفن الذى كان قد تأخر وإنحط ، أخذ يعود إليه شيئاً فشيئاً بعض روائه القديم ، ولكنه ظل متأثراً بالفن المحلى فى بعض نواحيه . وقبل أن نتحدث عن منتوحوتب وطيبة فى عهدها الجديد يحسن بنا أن نقف قليلاً لذكر أهم ما نعرفه عن تلك الفترة . فقد أخذ ذلك الملك يوجه عنايته لتشديد المباني ولا عجب إذا كان الفنانون قد أخذوا يستردون بعض ما كان لهم من مهارة فى الدولة القديمة .

وأخذت تعود للفن بعض مظاهر رقيه وها هو المثال : إرتى سن ، نراه مرسوماً مع زوجته وأبنائه على إحدى اللوحات ، ويفتخر بأنه كان يعرف كيف يرسم حركات التقدم والتأخر ، وكذلك حركات رسم الرجل وجسد المرأة ، وكيفية رفع الذراع عند صيد فرس البحر ، وحركات الشخص الجارى وأنه لم يكن هناك من ينجح فى عمل ذلك غيره هو وإبنه الأكبر (١) .

وكان بين أعمال منتوحوتب الثانى التى بدأها فى وقت مبكر من حياته إختيار مكان مدفنه ومعبده ، وقد عثرت بعثة متحف المتريبوليتان على جثث ما يقرب من ستين جندياً ربما كانوا قد سقطوا عند مهاجمة هراقليوبوليس ( إهناسيا ) ونقلوا جثثهم إلى طيبة ليدفنوهم على مقربة من ملكهم الذى حاربوا معه .

(١) توجد هذه اللوحة الآن فى متحف اللوفر وهى رقم C14 - أنظر كتاب :

PRISSE D'AVENNES. Monuments, p. VII. MASPERO, TSBA 1877, p. 555, PETRIE, History of Egypt, I. p. 142 WINLOCK. Middle Kingdom in Thebes. p. 32.



كان انتصار منتوحوتب الثانى على أعدائه وتوحيد مصر كلها تحت سلطانه بداية عصر جديد . وأخذت مصر تنهض من كبوتها شيئاً فشيئاً وأخذ منتوحوتب يرسل الحملات إلى مناطق المناجم للعمل فيها ، كما أنه لم يهمل فى نشر الطمأنينة على الحدود فبعث بحملة وراء أخرى لإخضاع كل من حدثته نفسه بالبقاء بعيداً عن حظيرة وحدة البلاد .

واختار منتوحوتب الثانى المنطقة التى عرفت فيما بعد بإسم الدير البحرى ليشيد فيها معبده الجنازى ويحفر فيها قبره . ومنذ البداية أراد مهندسوه أن يجعلوا من مجموعته الجنازية ما يناسب عظمته ، ولو إنهم استوحوا كثيراً من تفاصيله المعمارية من مقابر أسلافه فى منطقة الطارف التى تبعد كيلو مترين إلى الشمال من الدير البحرى.

وفى العام التاسع والثلاثين من حكمه أى بعد ثلاثين سنة من إستيلائه على إهناسيا إحتفل بعيده الثلاثينى ، الحب ( عيد ) سد ، وغير لهذه المناسبة فى بناء معبده الجنازى ، كما أقام بعض التماثيل التى تمثله فى صورة الإله أوزيريس فى ذلك المعبد . وفى العام نفسه نرى منتوحوتب يقوم برحلة نيلية إلى الجنوب بصحبة عدد كبير من أفراد عائلته ورجال حاشيته ، ووصلوا فى تلك الرحلة إلى ما بعد جبل السلسلة التى كانوا يعتبرونها آخر حدود مصر الجنوبية وبداية إقليم النوبة ، وبقي فى ذلك المكان فترة من الوقت عند مكان يقال له شط الرجال وكان التفسير السائد لهذه الرحلة والنقوش والرسوم التى نقشت على الصخر أن منتوحوتب أتى لينتظر إبنه الأكبر الذى كان يسمى إنيوتف ، ومن المحتمل أنه كان على رأس حملة إلى بلاد النوبة .

وقيل أيضاً من الجائز أن يكون منتوحوتب قد أعلن إبنه ولياً للعهد وربما أيضاً شريكاً فى الملك بهذه المناسبة ، لأننا نرى إسمه مكتوباً فى النقش الكبير الذى نرى فيه اسم منتوحوتب وأسماء عائلته وبخاصة أمه وزوجاته ورجال بلاطه ، نقرأ إنيوتف ، الأب الإلهى ، محبوب الإله ، إبن الشمس إنيوتف الذى يعيش إلى الأبد ، وقد كتبوا إسمه فى خانة ملكية . ولكن إنيوتف هذا لم يعيش طويلاً بعد ذلك ، ومات ودفن على مقربة من القبر الذى أعده له أبوه داخل حرم معبده الكبير فى طيبة . ولكن هذا التفسير وجد بعض المعارضة ويظن بعض المشتغلين بالتاريخ أن إنيوتف هذا لم يكن إبناً للملك بل كان أباه وأن منتوحوتب الثانى لم يكن إبناً لمنتوحوتب الأول بل حكم بينهما لفترة قصيرة جداً إنيوتف الذى خلد إبنه ذكراه فى شط الرجال .



وفى جهات مختلفة من مصر وبخاصة فى الصعيد ، فى الجبلين وفى الطود وفى دير البلاص وفى دندرة وفى أبيدوس وغيرها ، أقام هياكل جديدة وأصلح ما تهدم من مبانيها ، ولكن خير مبانيه جميعاً هو ما شيده فى طيبة ليكون مقراً أبدياً له بعد وفاته .

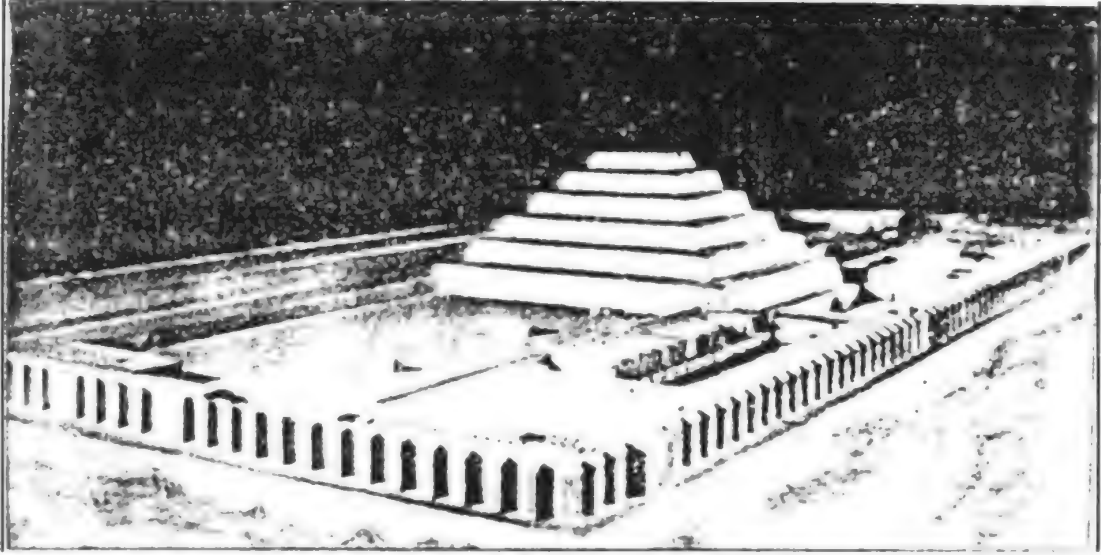
### مقبرة منتوحوتب ومعبد الجنازى :

يرى زائر منطقة الدير البحرى أطلال معبد الأسرة الحادية عشرة إلى الجنوب من معبد حتشبسوت ، والواقع أن مهندسى الأسرة الثامنة عشرة كانوا متأثرين بمن سبقهم فى أوائل الدولة الوسطى ، ليس فى اختيار المكان فحسب ، بل وتأثروا أيضاً بعمارته وتشجيده على نظام المدرجات . وإذا كانت أطلال معبد الدولة الحديثة أصبحت أكثر أهمية الآن لكثرة ما بقى من مبانيه ونقوشه الهامة ، فإن الذى يعنى بفحص كل من المعبدتين سيدرك بلا شك أن معبد منتوحوتب عندما كان كاملاً كان أفخم وأجمل من معبد حتشبسوت .

شيد مهندسو منتوحوتب معبدته على مرتفع أقاموا أمامه صفوفاً من الأعمدة ، وفوق ذلك المرتفع قام هرم تحيط به الأعمدة أيضاً ، وكان يوصل بين الردهة السفلى لذلك المعبد وبين معبد آخر على حافة الوادى طريق طويل بين جدران ، وعلى جانبى الطريق الموصل أقاموا تماثيلاً للملك منتوحوتب تمثله فى صورة المعبود أوزيريس .

فإذا ما وصل زائر المعبد الذى كان يأتى من الوادى ، ويصعد إلى آخر الطريق ويمر فى الباب الموصل إلى المعبد ، يرى نفسه يسير بين صفين من أشجار الجميزة وخلفهما من اليمين واليسار حديقتان غرز فى كل منهما عدد كبير من أشجار الأثل . ويسير بعد ذلك فى طريق صاعداً حتى يصل إلى الرصيف الذى أقيم عليه المعبد . فإذا أراد هذا الزائر أن يدور حول الهرم فإنه يرى هناك ١٤٠ عموداً على جوانبه وهى مئمة الجوانب ، ثم يجد نفسه بعد ذلك فى ردهة مفتوحة للسماء تحيط بها الأعمدة فقط على جوانبها على هيئة بواكى . وفى وسط هذه الردهة فتحة تنزل إلى الصخر يليها دهليز طويل يقل قليلاً عن ١٥ متراً ، وكسيت جوانبه بالحجر الرملى الأرجوانى ، وفى نهاية حجرة الدفن المشيدة من الجرانيت ، وفى وسطها تابوت من المرمر .

ولنترك الآن حجرة الدفن والتابوت ونعود أدراجنا لنستأنف وصف باقى المعبد . فعندما يصل الزائر إلى نهاية الردهة يجد فى آخرها من ناحية الجبل بهواً يحمل سقفه ثمانين عموداً مئمة الجوانب وفى الجهة الغربية من ذلك البهو مذبح أمام هيكل



شكل رقم (١) : هرم سقارة المدرج والمباني التي حوله كما كانت عند تشييدها -  
صورة لنموذج حديث الصنع .



شكل رقم (٢) : أهرام الجيزة الثلاثة: من يمين الصورة إلى يسارها ، هرم خوفو (الهرم الأكبر) ثم هرم خفرع (الهرم الثانى) ثم هرم منكاورع (الهرم الثالث) .

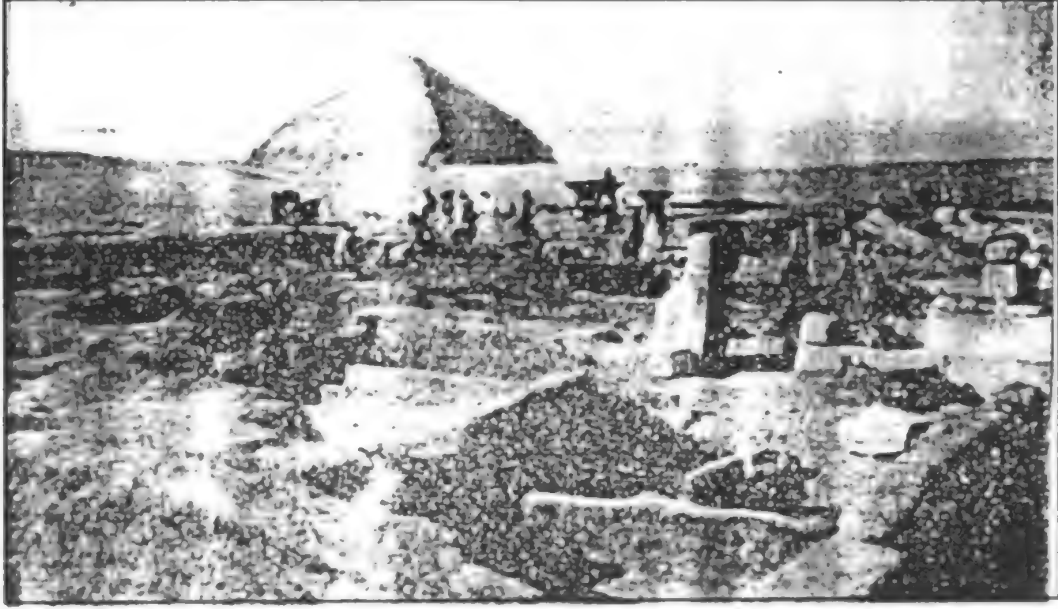


شكل رقم ٣  
«سنفرو» مؤسس الأسرة الرابعة  
يرتدى ملابس عيد «السد» . من  
إحدى لوحاته التي عثر عليها في  
حفائر دهشور عام ١٩٥١ .

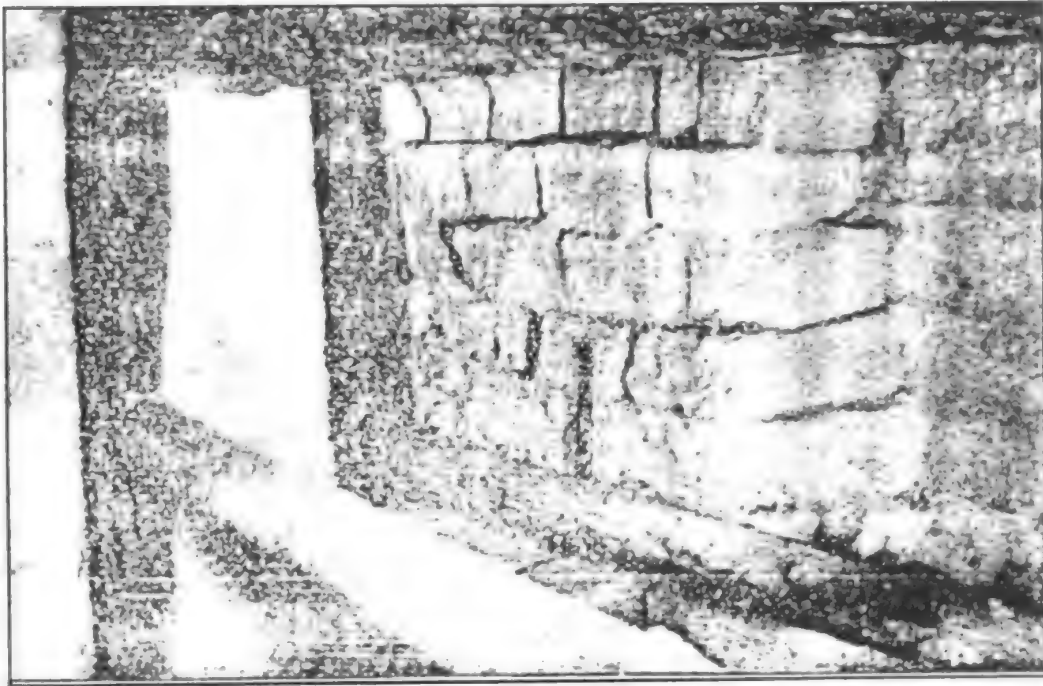


شكل رقم ٤ : الإلهة «سخمت» تعانق «سنفرو» . جزء من أحد المناظر التي كانت في  
معبد الوادى بدهشور ، مازالت محتفظة بما عليها من ألوان ؛ وتظهر لنا  
المستوى العظيم الذى وصل إليه فن النقش فى ذلك العهد المبكر فى  
الحضارة المصرية .





شكل رقم (٥) : هرم سنفرو الجنوبي بدهشور وأمامه مخازن معبد الوادى أثناء الكشف عنها فى موسم ١٩٥١ - ١٩٥٢ .



شكل رقم (٦) : أشجار من خشب الأرز فى حجرة الدفن بالهرم الجنوبي للملك سنفرو فى دهشور وقد احتفظت بصلابتها رغم مضى أكثر من ٤٦٠٠ سنة



شكل رقم (٧) : السيدة «نفرت» زوجة الأمير «رع حتب» أحد أبناء الملك سنفرو ، وقد  
عثر على هذا التمثال مع تمثال آخر لزوجها في قبرهما بميدوم،  
والتمثالان في المتحف المصرى بالقاهرة .

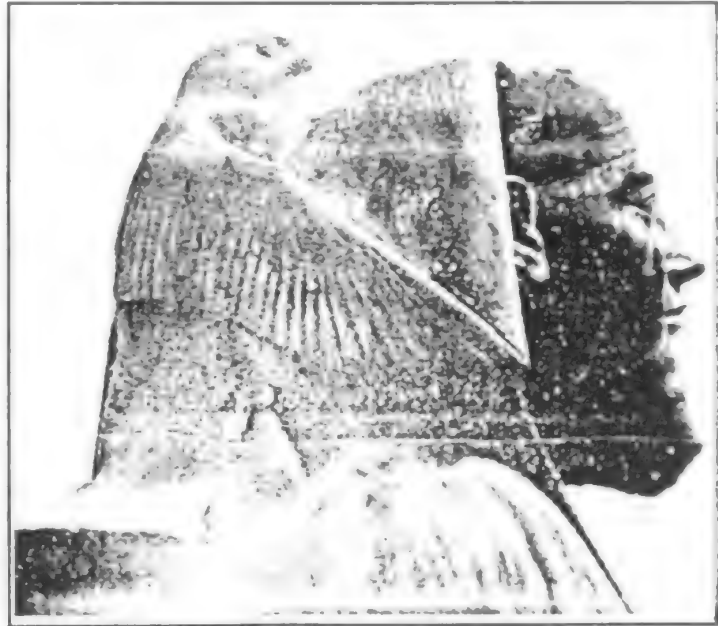


شكل رقم ٨

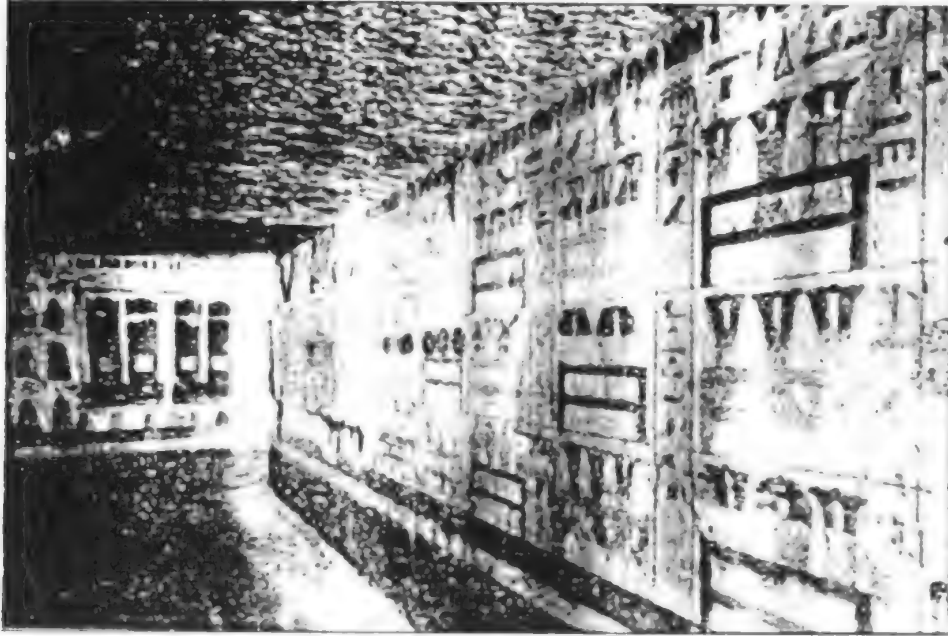
الجزء الأعلى من تمثال «حم إيون» أحد أبناء سنفرو ، عثر على قبره في الجبانة الغربية للهرم الأكبر وتمثاله الآن في متحف هيلدزيم بألمانيا . وقد أشرف «حم إيون» على تشييد الهرم الأكبر في فترة من فترات بنائه.

شكل رقم ٩

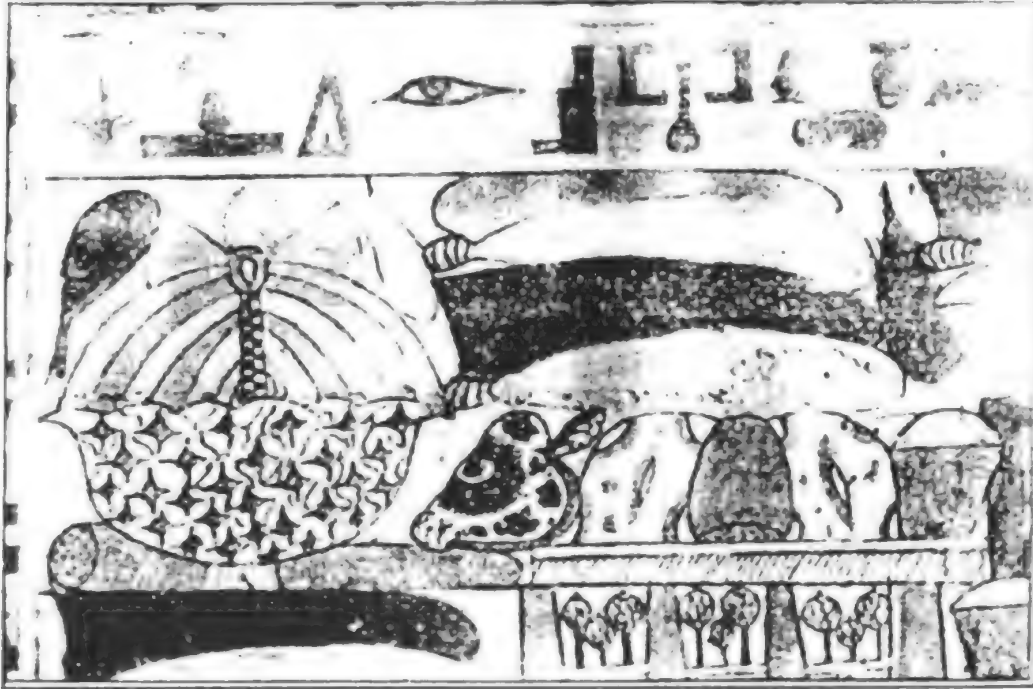
تمثال الملك خفرع من حجر الديوريت ، وخلف رأسه الإله حورس يحميه . ولا شك في أن هذا التمثال ليس آية من آيات الفن المصري فحسب بل هو من أعظم ما أخرجته عبقرية المثال في جميع العصور والبلاد .







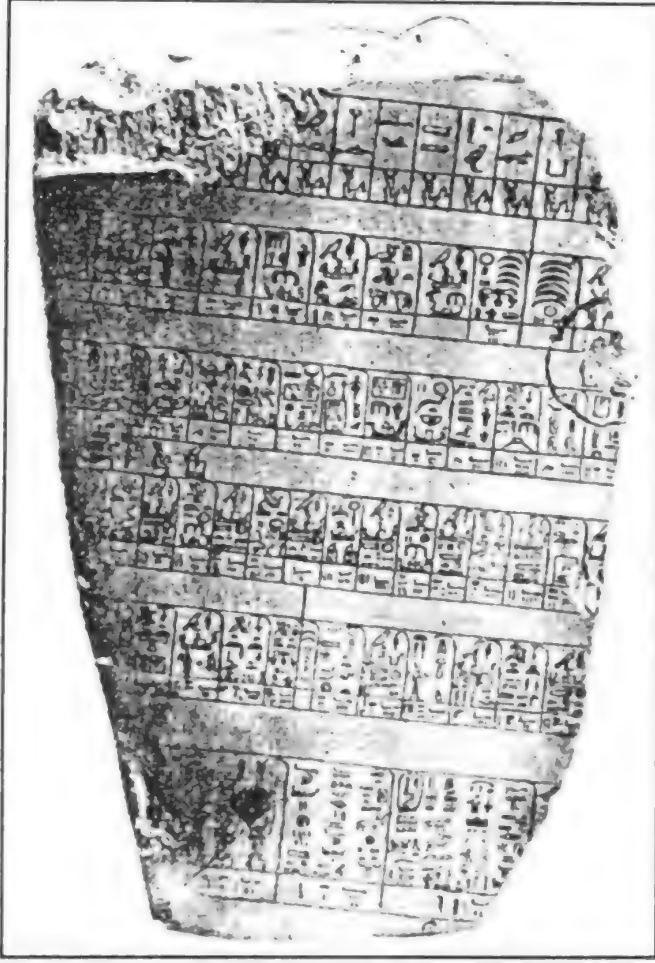
شكل رقم (١٠) : منظر في مقبرة «بى عنخ» الملقب باسم «شو» .



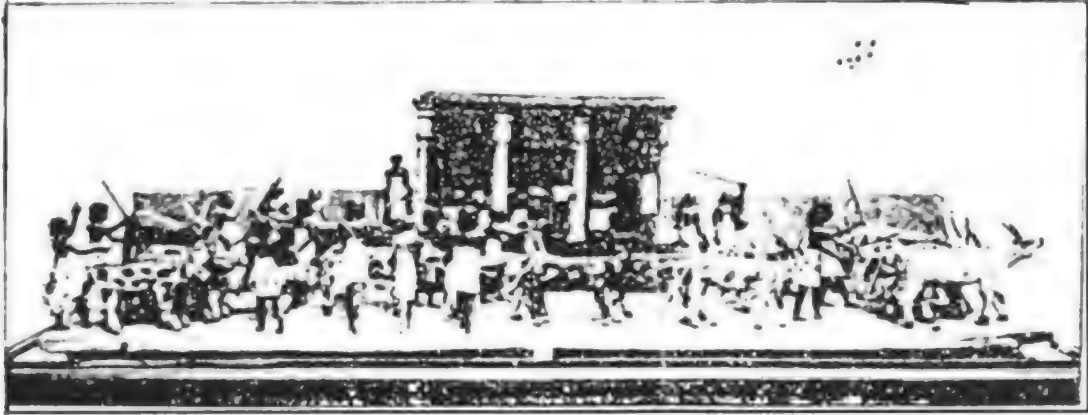
شكل رقم (١١) : جزء من الجدار المقابل في المقبرة ذاتها ، وهى من أواخر أيام الأسرة السادسة وقد لونت جدرانها بمناظر القرابين والأدوات المختلفة . عثر على هذه المقبرة إلى الشرق من معبد (إسيسى) عام ١٩٥٢ .

مكتبة الأسرة ٣٠١١ ٣٠١٢

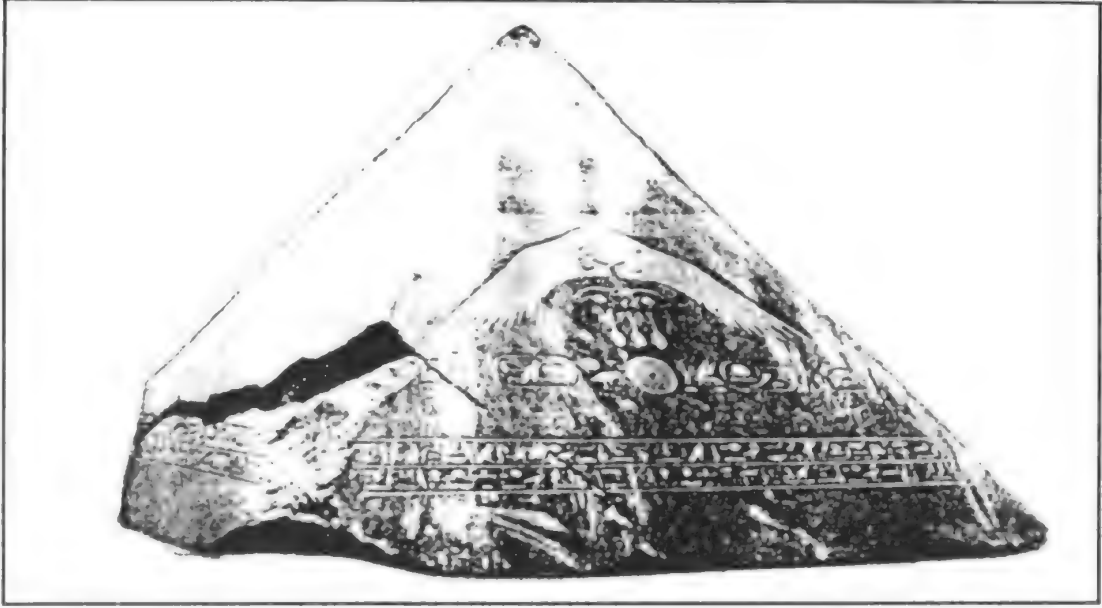




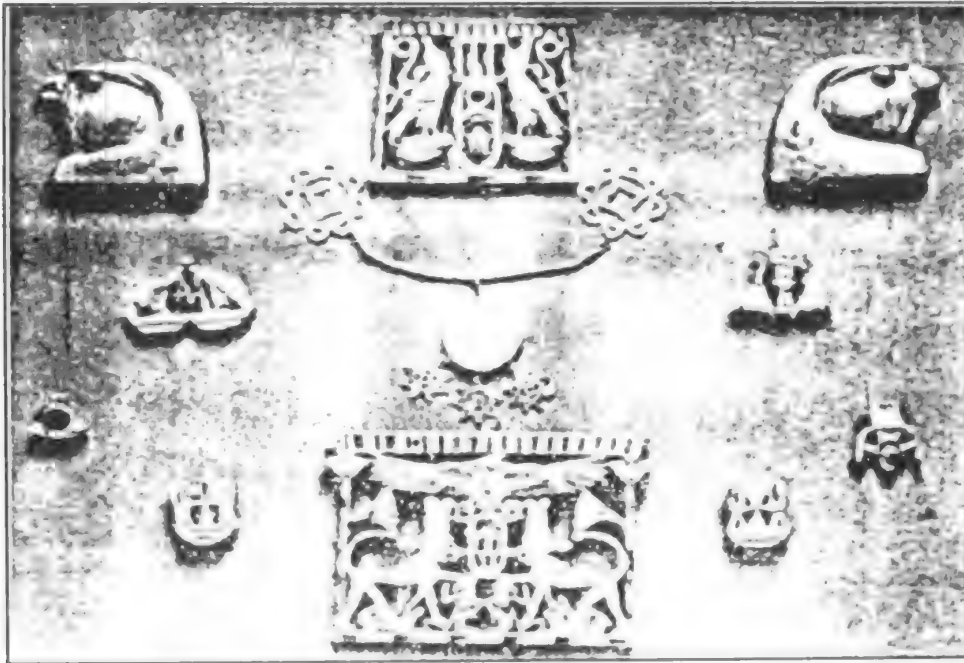
شكل رقم ١٢  
القطعة الكبرى من حجر  
بالرمو ، وعليها سنوات حكم  
بعض الملوك وأهم ما حدث وما  
تم في أعمال كل سنة .



شكل رقم ١٣ : نموذج لأحد الأثرياء وقد جلس يحيط به الكتبة والحراس يستعرض  
قطيع ثيرانه ويستمتع إلى ما يقدمه الرعاة من بيانات - من مقبرة  
«مكت رع» من الأسرة الحادية عشرة ، وقد عثر عليه في الأقصر مع  
أكثر من عشرين نموذجاً آخر تمثل مظاهر الحياة اليومية المختلفة .



شكل (١٤) : هرم من الجرانيت كان فوق هرم أمنمحات الثالث بدهشور ، وهو الآن في المتحف المصرى بالقاهرة .



شكل رقم ١٥ : مجموعة من حلى الأسرة الثانية عشرة . ونرى عليها اسم الملك أمنمحات الثانى . وتعتبر الأسرة الثانية عشرة العصر الذهبى لصناعة الحلى فى مصر الفرعونية .

مقطوع فى الصخر كان فىه تمثال للملك ، وبعبارة أوضح لقد جمع هذا البناء بين قبر الملك ومعبدته كما إحتفظ أيضاً بفكرة الهرم إذ أقيم هرم فى وسط المعبد ولكنه كان هراماً أصماً ولم يدفن فىه أحداً .

وكشفت الحفائر فى هذا المعبد عن حقائق مهمة تتعلق بتشيدده ، إذ ثبت أن مشروع تشيدده قد تغير عدة مرات بعضها أثناء العمل والبعض الآخر بعد الإنتهاء منه ، وذلك بهدم بعض الأجزاء وإعادة بنائها على نظام آخر .

وقبل أن يشيدوا شيئاً ، مهد المهندسون أرضية المكان وحفروا إثنى عشرة حفرة فى الأرض فى محور المعبد ، ووضعوا فى كل منها أرغفة خبز مخروطية الشكل ، ثم حفروا عند كل ركن من أركان ذلك الرصيف المتسع حفرة مربعة ووضعوا فيها القرابين المختلفة ووضعوا فوق تلك القرابين أربعة قوالب من الطين ، وضعوا فى ثلاثة منها قوالب صغيرة صنعت إحداها من الخشب والثانية من الحجر والثالثة من المعدن وهى المواد التى استخدمت فى تشيد المعبد إلى جانب الطوب اللبن ، وعليها اسم الملك وألقابه . أما القرابين فقد وضعوها فى أوان فخارية ، كما حوت هذه الحفر قطعاً من اللحم ورأس ثور وفخذه وبعض قطع من ضلوعه وكثيراً من أرغفة العيش ، من مخروطية ومستديرة ، وبعض حبوب الشعير والفاكهة وبخاصة التين والعنب ، كما وضعوا بينها أيضاً أوان صغيرة رمزية فيها جعة ونبيذ سدوا فتحاتها بالطين . وتسمى محتويات أمثال هذه الحفر ودائع الأساس ، وكثيراً ما نجد أمثالها فى أركان المعابد وتحت بعض عتباتها أو أعمدتها ، ويجد فيها رجال الآثار أحياناً كثيراً من الجعارين والحلى وغيرها وعليها اسم الملك الذى شيد المعبد .

وعثر أثناء الحفائر على عدد كبير جداً من أجزاء الجدران المنقوشة وعليها رسوم ملونة تبين بوضوح تقدم الفن المصرى فى ذلك العهد كما عثروا أيضاً على كثير من أجزاء التماثيل وبعض التماثيل الكاملة ، وعلى قطع كثيرة من الأعمدة ، كما عثروا على قطعة من الحجر عليها رسم قديم خطه المهندس القديم بفرشاة يمثل التصميم الأصلى لجزء من المعبد وعليه رسم واضح للرصيف وأماكن الأشجار .

لم يكن هذا البناء وقفاً على منتوحوتب الثانى وحده ، بل ضم أيضاً عدداً كبيراً من مقابر أهله وبخاصة زوجاته ومحظياته ، ويبلغ عددهم أكثر من ثلاثين ، وأهمها مقابر أمه وزوجاته الملكات ، نفرو ، و ، تم ، وكذلك ، عشايت ، و ، كمسيت ، و ، كاويت ، وغيرهن اللاتى عثر على توابيتهن الجميلة هناك ، وبعضها فى متحف القاهرة الآن والبعض الآخر فى نيويورك ، وكلها من الحجر الجيرى وعليها نقوش

جميلة . كان هؤلاء الزوجات مدفونات تحت أرضية المعبد وكان لكل منهن عند آخر البهو هيكل صغير لتمثالها وعليه اسمها وبعض ألقابها ، كما عثر في مقابرهن على بعض الحلى التى كن يتزين بها أثناء الحياة . ولم تقتصر المقابر على زوجات الملك فقط بل كان هناك أيضا بعض الوصيفات والتابعات بل والراقصات النوبيات .

وفى جبانة طيبة ، وبخاصة على جانبى الطريق الصاعد للمعبد ، وفى علوة عبد القرنه ، وفى المرتفع الذى يطل على الدير البحرى ، نرى مقابر كثيرة لموظفى ذلك العهد فقد حكم منتوحوتب الثانى واحداً وخمسين سنة تمتعت فيها البلاد بالرفاهية والاطمئنان ، وترك كثير من رجال بلاطه مقابرهم على مقربة من قبر سيدهم أمثال أختوى وحننو والوزير إيبى ، الذى عثرت بعثة متحف المتروبوليتان فى فنائه الخارجى على مجموعة من الرسائل التى كتبها أحد كهنة الروح لذلك الوزير ، وكان يسمى ، حقا نخت ، وعثروا أيضا على كل ما تبقى من مواد التحنيط وما كان معها من أوان وأدوات ، وضعها مخبأة فى مكان فى ذلك الفناء بعد تحنيط الوزير .

#### رسائل حقا نخت (١) :

تصادف الباحث فى التاريخ المصرى صعوبات جمة عند محاولته ترك أعمال الملوك والحديث عن الحياة اليومية التى كان يحياها الشعب . لقد وصلت إلينا مناظر كثيرة للحياة اليومية مرسومة على جدران المقابر ، كما وصلت إلينا عشرات الآلاف من قطع الآثار التى كان يستخدمها الشعب ، ويمكننا وصف هذه وتلك ، ويمكننا أيضا الحديث عن أصحابها ومحاولة خلق صورة فى أذهاننا للحياة التى كان يحياها هؤلاء الناس ، ولكن مهما بذلنا من مجهود فإن الصورة تظل ناقصة ، وإن استطعنا رسم خطوطها الرئيسية فإن التفاصيل تظل غير واضحة فضلاً عن أن لونها يظل باهتا ، وبعبارة أخرى لا يمكن أن تكون تلك الصورة كاملة كما نحب .

---

(١) عثر على هذه المجموعة من الخطابات عند حفر بعثة متحف المتروبوليتان للمنطقة التى حول قبر الوزير ، إيبى ، فى موسم ١٩٢١ - ١٩٢٢ (Winlock. Bulletin Metropolitan Museum of Art. 1921, p. 38 ff. إذ وجدت هى وغيرها من المهملات ملقاة فى إحدى الفجوات بين الصخور على مقربة من طريق مقبرة مكت رع إلى الجنوب الغربى من معبد الأسرة الحادية عشرة فى الدير البحرى ، ولم تنشر نشرًا علميًا كاملاً حتى الآن ، ونحن نعتمد على الترجمة المؤقتة التى قدمها العالم الأثرى ، باتيسكومب جى ، ( Baltiscomb Gunn ) لرجال متحف المتروبوليتان عند دراسته لها عقب إكتشافها والتى نشر ونلوك خلاصتها فى هذا المقال .



ولهذا رحب جميع المشتغلين بالدراسات المصرية برسائل ، حقا نخت ، عند إذاعة نبأ اكتشافها لأنها جزء من صميم الحياة ، شىء نابض حى ، وكأن ، حقا نخت ، أزاح بيده ستاراً رأيناه خلف بيته وأبنائه ، وتحدث إلينا قليلاً فعرفنا منه جانباً من حياته وشخصيته ، ولكن سرعان ما عاد ذلك الستار إلى مكانه مرة أخرى ولم يبق أمامنا غير التعقيب على ما رأيناه .

كان ، حقا نخت ، كاهناً لروح الوزير ، إيبى ، ويدخل فى اختصاصه إدارة الأملاك التى أوقفها ذلك الوزير للصرف من ريعها على مقبرته ، وكان من بينها ضيعتان ربما كانت كلتاهما على مقربة من منف أو أن واحدة منهما كانت فى الشمال والأخرى فى الجنوب . وكان ، حقا نخت ، يسافر من آن لآخر إلى الشمال بعد أن يترك لابنه الأكبر واسمه ، مرسو ، إدارة بيته وأملاكه التى على مقربة من طيبة ، كما كان ينبيه عنه فى القيام بوظيفة الكاهن عند غيابه .

وتصور لنا تلك الرسائل شخصية ، حقا نخت ، فنراه رجلاً حريصاً على المال ، خبيثاً فى معاملاته شديداً فى محاسبة إبنه الأكبر ، غير واثق من حسن تصرفه ، ولكن فيه أكثر من نقطة ضعف واحدة إذا كان هناك أمر من الأمور يتعلق بابنه المدلل الصغير أو محظيته الشاب . كان يرسل إلى ابنه الأكبر رسالة بعد أخرى من منف ، ونحن نأسف لأنه لم يصل إلينا إلا جزء من تلك الرسائل ، كما أنه لم يسعدنا الحظ بالعثور على ردود ابنه . ولا يتسع المقام هنا لسرد كل ما ورد فى تلك الرسائل لكننا نشير إلى بعض ما يمكننا أن نستخلصه منها .

تثبت لنا هذه الرسائل عودة الصلة بين الشمال والجنوب وعودة الأمن إلى ما كان عليه من قبل إذ كان فى وسع هذا الكاهن السفر المستمر وجمع المحاصيل والإتجار فى بعض السلع ، دون أن يقع عليه أى اعتداء أو يتعرض للأذى . وأقدم تلك الرسائل هى التى كتبها ، حقا نخت ، بعد أن عاد من ضيعة ، دد إسوت ، إلى ضيعة أخرى إلى الجنوب منها . كان الوقت صيفاً وكان النيل على وشك الفيضان ويظهر أن ، مرسو ، أرسل إلى أبيه يظهر تخوفه من عدم احتمال الجسور فأرسل إليه أبوه الرد محذراً متوقداً . ويظهر أن النيل فى تلك السنة لم يغمر الحقول كما يجب ، ولهذا لم يأت المحصول وفيراً ونقصت الأقوات فى كل مكان ، وبخاصة فى الدلتا حيث عمت المجاعة ، وها هو حقا نخت يكتب لابنه ، إن الإبن يخاطب أمه وكاهن الروح حقا نخت يتحدث إلى أمه إيبى وإلى حثت ( إحدى قريبات حقا نخت ، : كيف حالكم فى معيشتكم ورفاهيتكم وصحتكم ؟ لا تقلقوا على فإنى حى وبخير . إنكم أشبه بمن يأكل

حتى يشبع ويغمض عينيه بينما يموت الناس جوعاً في البلاد كلها . لقد نزلت إلى الجنوب وحصلت على مؤونة لكم بقدر ما استطعت . أليس النيل منخفضاً جداً ؟ حسناً فقد جاءنا المحصول متناسب مع ذلك . كونوا صبورين يا من سأذكر أسماءكم فإنكم ترون أنني تمكنت من إعالتكم حتى اليوم ، ، ويستمر في خطابه فيذكر أسماء كل فرد في العائلة والمخصص الذي سيرسله لأجله ثم يستمر قائلاً : فلا تغضبوا بسبب ذلك ، فإن جميع من في المنزل وكذلك الأطفال يعتمدون على وكل شيء هو ملكي . إن نصف الحياة خير من الموت الكامل ، هم يقولون إن الجائع يحب أن يجوع ، ويريد حقاً نخت أن يقنع أقاربه بأنهم أحسن حالاً ممن هم في الشمال ، فيقول : لماذا أخذوا يأكلون الرجال والنساء هنا ، لا يوجد أحد في أي مكان يحصل على مثل هذه المؤن . يجب أن تدبروا أنفسكم حتى أصلكم فإنني سأقضى شهور ، الشمس ، هنا (١) .

وفي الخطاب نفسه يعطى حقاً نخت تعليماته إلى ابنه وإلى ، حتى ، المشرف على زراعته فيخاطبهما معا ، اعطو هذه المؤن إلى رجالى فقط عندما يقومون بالعمل . ضعوا ذلك في ذهنكم ، وأعدوا أكثر ما تستطيعون إعداده من الأرض ، احرقوا الأرض ولا تكفوا عن العمل ، واعلموا أنكم إذا كنتم مجتهدين فسأدعو لكم بخير ، ما أسعدكم لأنى أعولكم ، ولا يترك حقاً نخت ابنه الأكبر دون أن يسدى إليه النصح لإنماء ثورته فيكلفه بأن يرسل ، حتى بن نخت ، لاستلجار حقلي ، ولكنه يوصيه ألا يعطى الإيجار إلا من ثمن الأقمشة التى كان قد أرسلها من الشمال ، ويأبى الشيخ إلا أن يذكر لابنه أنه يجب عليه أن يمدح نوع الأقمشة عندما يقدمها للبيع وأن يقول إنها من أحسن الأنواع . ويعود ثانية إلى الأرض التى يجب استلجارها فينصح ابنه بأن يتأكد من أن الأرض جيدة وريها ميسور . ويستطرد الشيخ فيقول لابنه أن يعطى ، حتى بن نخت ، أجراً شهرياً مقداره خمس وبيات من الشعير وأن يعطى عائلته فى أول كل شهر وبيتين ونصف زيادة على ذلك ، ويحذره من مخالفة أمره وأنه إذا أعطاهم زيادة فإنه سيستقطع ذلك من مخصصاته هو ، ولكن قبل أن ينتهى من كتابة خطابه يعود إلى موضوع مرتب ، حتى بن نخت ، مرة أخرى فيقول لابنه ألا يعطيه الوبيات الخمسة التى ذكرها بل يعطيه أربعة فقط .

يكفي هذا القدر لإعطاء صورة عن ذلك الشيخ الشحيح الماكر ، ولنتنقل إلى جزء آخر من تلك الرسائل لنرى جانباً من شخصيته . كان حقاً نخت يقسو على ابنه الأكبر ويستحثه دائماً على العمل ويهدده فى كل رسالة من رسائله ، ويحاسبه حساباً

(١) شهور الشمس هي الشهور الأربعة المقابلة لأغسطس حتى نهاية نوفمبر .

عسيرا على دخل كل حقل من من الحقول ، حتى أخشاب الأشجار لا ينساها ولا ينسى بيعها . وكان له ولدان آخران يساعدان ، مرسو ، فى العمل وكانوا جميعا متزوجين وكان له ابنان آخران صغيران أحدهما يساعد إخوته فى أعمالهم فى الزراعة أما الثانى فكان مازال طفلا وكان يتمتع بحب أبيه وعطفه . ويأمر حقا نخت ابنه الأكبر بأن يعطيه ما يريد من مؤن ، ، ويلفه تحياتى ألف مرة ، اعتن به وارسله إلى مباشرة بعد أن تنتهى من زرع الأرض ، ولكن ، سنفرو ، المدلل يرفض السفر . وفى رسالة أخرى نرى حقا نخت يكتب فى رسالة : ، إذا كان سنفرو يريد العناية بالثيران فاجعله يعتنى بها ، لأنه لا يحب الجرى هنا وهناك معك فى الزراعة ، ولا يريد الحضور إلى هنا ليكون معى . دعه يفعل ما يشاء ويتمتع بما يريد .

لقد فقد حقا نخت زوجته منذ وقت غير قصير وأصبح أصغر أطفاله موضع حبه ، وكان فيه ضعف ظاهر له . كان بيت ذلك الكاهن ، كما نستشف من رسائله ، مملوءاً بالأقارب والأطفال . يسأل عنهم جميعاً ، كما يشير من آن لآخر إلى من كان فى ذلك البيت من خدم أو إماء ولكن واحدة منهن وتسمى ، إيوان حب ، اصطفاها لنفسه محظية له بعد زوجته وكان يخصها بعطف خاص أثار حسد أبنائه والخادمت الآخريات . ويظهر أن ، إيوت إن حب ، كتبت له خطابا تشكو فيه من إحدى الخادمت . فما كان من حقا نخت إلا أن صب غضبه على ابنه المسكين ، مرسو ، : «اطرد الخادمة ، سنن، من منزلى فى الحال .. وإذا بقيت ، سنن ، يوما واحداً فى المنزل فإنك أنت الملموم إذا جعلتها تسبب أى أذى لمحظيتى . لأى غرض أعولكم ؟ وماذا تستطيع محظيتى أن تفعله ضدكم أنتم أيها الأولاد الخمسة ؟ سلم لى على أمى ، إيبى ، ألف مرة ، ومليون مرة وسلم على ، حنبت ، وجميع العائلة وسلم لى على ، نفرت ، أما عن موضوع إيذاء محظيتى فإنى أحذرك . إنك لست شريكا لى ، وخير لك أن تسكت ، ، وفى خطاب آخر كتبه بعد ذلك ، طلب حقا نخت من ابنه أن يرسل له محظيته الى الشمال ويقول له فى هذا الخطاب : ، انظر إنها محظيتى ومن المعلوم جيدا أنه يجب إحسان معاملة محظية الإنسان ، ، ويتحدث كثيرا فى هذا المعنى إلى أن يختمه بقوله : ، كيف يمكننى أن أعيش معكم فى مكان واحد إذا كنتم لا تحترمون محظية لأجل خاطرى ، .

إن القارئ لهذه الرسائل ، الذى يدرس تفاصيلها ويدقق فى استطراد جملها ، لا يسعه إلا أن يحس بأن آلاف السنين قد طويت ، ويرى أمامه أحد صغار الملاك المحبين للمال الذين مازال يعيش الكثيرون منهم بيننا اليوم فى قرى الريف : نرى بينهم مئات من أمثال ، حقا نخت ، الذين لا يثقون فى غير أنفسهم ويعتقدون أن



أبناءهم لا يهتمهم إلا بتدبير ما جمعه ، وهم برغم حرصهم على أموالهم يحملون في صدورهم قلوبا رحيمة ولهم نقط ضعف خاصة نحو بعض أبنائهم أو بعض من يظهرون لهم الحب والعطف .

إن فائدة تلك الرسائل لم تقف عند مدنا بمعلومات جغرافية عن بعض قرى الصعيد والوجه البحرى ، أو تنحصر فائدتها فيما نقف عليه من معلومات عن المعاملات بين الناس فى تأجير الأراضى أو أجور العمال ، ولكنها ترينا الكثير من الحياة الداخلية لإحدى العائلات المتوسطة الحال التى عاشت على مقربة من الأقصر قبل أربعة آلاف سنة . وسواء أحسنا بالعطف على ، حقا نخت ، والتمسنا له العذر أو رثينا لحال ابنه ، مرسو ، وما كان يلاقيه من أبيه ، فإننا فى كلتا الحالتين نحس بأننا عشنا معهم بعض الوقت ، ونكاد نتصور ، مرسو ، المسكين عندما أحضر تلك المجموعة من الرسائل معه إلى القبر الذى كان مكلفا بالعناية به . وهو قبر الوزير ، إيبى ، لقراءة بعض ما فيها ، ونكاد نتصوره عندما ألقى بها ملفوفة مع بعضها بين المهملات عندما كان العمال يحفرون قبرا آخر ، فلما انتهى العمل قذفوا بها ومع كل الأشياء الأخرى التى لم يكن العمال فى حاجة إليها فى تلك الفجوة فظلت هناك آلاف السنين حتى جاء اليوم الذى رأت فيه النور وأحييت سيرة أصحابها .

يكفيننا هذا القدر عن حقا نخت ورسائله ولننتقل الآن لإتمام الحديث عن هذه الأسرة ونتكلم عن الفترة التى تلت وفاة منتوحوتب الثانى حوالى عام ٢٠١٠ قبل الميلاد .

### خلفاء منتوحوتب الثانى :

حكم منتوحوتب الثانى بعد استيلائه على إهناسيا أكثر من اثنين وأربعين عاما بذل أثناءها كل ما فى وسعه من جهد لإصلاح ما تصدع من بنيان مصر ، وجعلها بلدا واحدا كما كان الأمر من قبل ، فتحقق له الكثير مما أراد وخلفه على العرش ابنه منتوحوتب الثالث المسمى ، سعنخ كارع ، الذى اتبع سياسة أبيه فى تعمير البلاد وإنشاء المعابد فى الدلتا والصعيد . وتقدمت الفنون فى عهده تقدما كبيرا خصوصا فن النقش ، كما اهتم اهتماما غير قليل بالمحاجر والمناجم التى نعرف من نقوشها الشئ الكثير ، مثل حملته التى أرسلها فى العام الثامن من حكمه تحت إمرة مدير بيته المسمى ، حننو ، وكان معه ثلاثة آلاف شخص ، ذهبوا عن طريق وادى الحمامات إلى شاطيء البحر الأحمر ، جمعهم ، حننو ، من شباب مصر الوسطى والصعيد ( من إهناسيا حتى الجبلين ) وأعد لهم ما يلزم من معدات ، وخصص لكل رجل قدرا من الماء وعشرين رغيفا صغيرا فى اليوم . وحفر لأجل تلك المهمة صهاريجا للمياه

وعشرين بلرا فى الطريق ، فلما وصلوا إلى الشاطئء صنعوا السفن للنزول بها إلى بلاد بونتن ثم عادوا ومعهم كل ما وجدوه فى موانئ تلك البلاد ، وعند عودتهم مروا ثانية بوادى الحمامات فأحضر ، حننو ، ورجاله معه بعض أحجار الجرانيت لأجل تماثيل المعابد .

وأراد منتوحوتب الثالث أن يبنى قبرا ومعبدا يماثلان ما أقامه أبوه فاختار لذلك واديا فى الجبل الغربى من طيبة على بعد لا يزيد عن ثمانمائة متر إلى الجنوب الغربى من الدير البحرى ، وبدأوا بتمهيد المكان وإعداد الطريق ثم أخذوا فى حفر القبر ، ولكن العمل لم يتقدم أكثر من تلك المرحلة . وبالرغم من أن العمل لم يكد يبدأ بداية جدية فقد عثر على بعض آثار هذا الملك فى ودائع الأساس التى كانت فى حفرات تحت المعبد ، كما شيد كثير من رجاله مقابرهم على مقربة من ذلك المكان وأهمها قبر ، مكت رع ، الذى كان من أهم رجال حكومته وكان قبل ذلك من كبار الموظفين فى عهد أبيه ، كما عثر أيضا على قبر إنيوتف الذى تولى بعض وظائف أبيه ، مكت رع ، بعد وفاته .

عثرت بعثة متحف المتروبوليتان على كثير من مقابر موظفى هاتين الشخصيتين الكبيرتين ، كما عثرت فى قبر ، مكت رع ، نفسه على كثير من الآثار الهامة وبخاصة فى حجرة الدفن إذ عثروا إلى جانب التابوت على ما يقرب من ألف ومائتى قطعة مختلفة من نماذج الأسلحة والأدوات المختلفة من فؤوس للقتال وعصى وأقواس وسهام ودروع وغيرها . ولكن الحظ كان يحتفظ للمكتشفين بما هو أهم من ذلك إذ وجدوا فى السرداب ، فى حجرة قطعت فى الصخر تحت أرضية المقبرة وسدت سدا محكما ، مجموعة من النماذج الخشبية وعددها ثلاثة وعشرون تمثل جميع ممتلكات ، مكت رع ، وهى وإن كانت صغيرة الحجم نسبيا إلا أن صانعيها عنوا بتفاصيلها عناية كبرى فأصبحت مصدرا من أهم مصادر دراستنا للحياة اليومية فى ذلك العهد . ففيها الخدم يحملون القرابين ، وأهم تلك النماذج معروضة الآن فى متحف القاهرة وبعضها فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك (١) .

لم يزد حكم منتوحوتب الثالث على اثنى عشر عاما ، تلاه بعدها على العرش ابنه المسمى سنوسرت وكان يحمل لقب ، والد الإله ، ولكنه لم يبق طويلا على العرش ، ثم تلت وفاته فترة عدم استقرار استمرت نحو خمس سنوات حكم خلالها عدة أشخاص ربما كان من بينهم ، قا كارع - إنيوتف ، والملك ، إيبى خنت إب رع ، وحورس ، جرج تاوى إن ، والملك ، واج كارع سجر سنى ، الذين لم يكن لهم إلا نفوذ

محدود في الجنوب وبخاصة في النوبة .

ولكن بعد هذه السنين الخمس المضطربة نرى على العرش الملك « منتوحوتب الرابع وهو المسمى « نب تاوى » ، ولا نعرف عنه إلا أنه حكم فترة لا تزيد عن عامين كان من خلالها مهتما إهتماما كبيرا بإرسال البعثات إلى المحاجر المختلفة ، وبخاصة إلى وادى الحمامات ، لقطع الأحجار وإلى وادى الهودى جنوب شرقى أسوان للحصول على حجر الجمشث ( الأماثيست ) (١) .

وبالرغم من تلك المدة القصيرة التى قضاهها هذا الملك على العرش فقد حدثت خلالها أحداث هامة مثل بعثاته إلى الصحراء واحتفاله بعيد « السد » فى العام الثانى من حكمه أى بعد ثلاثين سنة تماما من الاحتفال الذى أقامه منتوحوتب الثانى فى العام التاسع والثلاثين من حكمه ، مما يجعلنا نرجح أن الإحتفال بالعيد الثلاثينى فى ذلك الوقت بالذات كان يقام كل ثلاثين سنة دون التقيد بحكم ملك من الملوك .

وأهم حادث يرتبط بحكم هذا الملك هو قيام وزيره المسمى « أمنمحات » ومعه عشرة آلاف من أقاليم الجنوب والشمال بحملة إلى وادى الحمامات لقطع الأحجار اللازمة لتأبوت له ولتشييد معابد الجنوب ، وأنهم أتموا ما ذهبوا من أجله وتركوا عدة نقوش فى ذلك الوادى يسجلون فيها أعمالهم المختلفة .

كانت تلك البعثة إلى وادى الحمامات آخر شىء نعرفه عن الأسرة الحادية عشرة ، وعن حكم ذلك البيت الطيبى الذى ظل فى الحكم نحو ١٤٣ سنة ، إذ يتغير المنظر فجأة ونرى أمورا كثيرة متلاحقة أهمها استيلاء ملك جديد على العرش وتأسيس أسرة حاكمة جديدة ، وانتقال العاصمة إلى الشمال . ونرى أن ذلك الشخص الذى قام بذلك الانقلاب ، إن كان يجوز استخدام مثل هذا التعبير ، يسمى « أمنمحات » ، فهل هو الوزير الذى ذهب إلى وادى الحمامات ؟ يكاد يكون مؤكدا أنه هو الشخص نفسه ، ونكاد نجزم أيضا أن جمع ذلك العدد الكبير من الجنود لم يكن لأجل إحضار أحجار يكفى لإحضارها بضع مئات من الرجال ، أو على أكثرها عرفناه ثلاثة آلاف رجل كما حدث فى عهد الملك الذى كان قبله ، وهو رقم لم يسمع به من قبل ، وربما كان عدد الجنود كبيرا لأجل إعداد الطريق وحفر الآبار من النيل حتى شاطئ البحر ثم إنشاء السفن والذهاب إلى بونت وليس لإحضار أحجار من وادى الحمامات فقط . وربما جمع الوزير أمنمحات هذه الآلاف العشرة من الجنود توطئة لعمل آخر وهو الاستيلاء على الملك لنفسه ، ووضع حد لعدم الإستقرار الذى أخذ ينتشر فى البلاد منذ وفاة منتوحوتب الثالث أى مدى سبع سنوات كاملة .

## الأسرة الثانية عشرة

### أمنمحات الأول :

واستتب الأمر لأمنمحات فترة من والاه من حكام الأقاليم فى مناصبهم بعد أن وضع الحدود بينهم وبين جيرانهم . وقبلوا ما فرضه عليهم من أموال وما ألزمهم به من حق الحكومة فى الإشراف على الأمور الداخلية فى الأقاليم ، أما من وقف فى وجهه فقد نحاه وولى مكانه واحدا ممن يثق فيهم . وما من شك فى أن المهمة كانت صعبة وكانت البلاد فى حاجة إلى شخص فى مثل كفاءته وجرأته فتم له ما أراد من إعادة الأمن إلى نصابه .

كان تنظيم الأمور الداخلية أهم الواجبات التى واجهته عند توليه الحكم ، وسواء أكان اختيار مكان للعاصمة على مقربة من منف كان من تفكيره هو أو كان فى عهد الملك منتوحوتب الرابع ( نب تاوى رع ) فإن رأيه استقر على نقل عاصمة الملك إلى الشمال بعد استتباب الأمر له وسمى المكان الجديد الذى بنى قصوره ودور حكومته فيه باسم ، إئت تاوى ، أى القابضة على الأرضين مشيرا بذلك إلى الشمال والجنوب .

وتابع أمنمحات سياسة سلفه فى الإهتمام بالجنوب فوصل نفوذ مصر إلى دنقلة ، ومن المرجح أنه تأسس فى عهده ذلك المركز التجارى فى مدينة كرمه فى شمالى السودان بعد أن شيد حصن سمه جنوبى الشلال الثانى .

ولم تكن حدود مصر الشرقية أو الغربية أقل حظاً فى عنايته بها . فقد وضع ذلك الملك النشيط حدا لغارات البدو من كلا الصحراوين ، وبنى سلسلة من التحصينات على حدود الدلتا الشرقية كانت تسمى باسم حائط الأمير ، كما أقام أيضا سلسلة حصون أخرى على حدود الدلتا الغربية مازالت بقايا واحد منها قائمة فى وادى النطرون ، وكان فى داخله معبد له بوابة من الجرانيت نقش عليها اسمه (١) .

لم يكن أمنمحات إلا رجلا عصاميا من الشعب رفعه ذكاؤه وجده وحسن إدراكه للأمور إلى المكان الذى يستحقه ، ولكنه لقى كثيرا من المصاعب ، وقامت كثير من القوى الرجعية ضده فكان من بين أساليب رده على خصومه كتابة البردية المعروفة باسم تنبؤات ، نفرتى ، ( نفر روهو ) المحفوظة الآن فى متحف ليننجراد

AHMED FAKHRY, Wadi el-Natron, in Annales de Service, T. XL,p, 837-848. (١)

والتي تحدثنا عنها قبل الآن ، وهى التى أطنبت فى وصف ما سيحل بمصر من فوضى ، وأن إنقاذها سيتم على يدى ملك سيأتى من الجنوب يسمى «أمينى» ابن امرأة من النوبة ويولد فى الصعيد .. سيهزم الآسيويون أمام مذابحه ، ويقع الليبيون صرعى أمام لهيبه ، وسيبنى «حائط الأمير» ، ولن يتيسر للأسويين بعد ذلك النزول إلى مصر ، وليس اسم «أمينى» إلا اختصارا عاديا لاسم أمنمحات ، الذى نرى أصله الجنوبي فى ملامح وجهه ووجوه أسرته من بعده . ولم يكن المقصود من كتابة تلك البردية إلا الترويج بين الشعب لهذا الحاكم الجديد ومحاولة إقناع الناس بأن اختياره لإنقاذ مصر أمر أرادته الآلهة منذ أبعد الأزمنة .

وكان من الطبيعى أن يهتم أمنمحات بطيبة ، ذلك البلد الذى نشأ فيه وعارونه على تولى الملك ، وكان طبيعيا أيضا أن يهتم بإعلاء شأن إلهها المحلى «أمون» وأن يقيم له المعابد ، ولكن هذا كله لم يمنعه من نقل عاصمة البلاد إلى مقربة من منف وبناء مقره الجديد فى المنطقة التى تقع الآن على مقربة من قرية اللشت ، وبناء مقره الأبدى على مقربة منها .

ولم يقتصر نشاط هذا الملك على طيبة وعلى عاصمته الجديدة بل نرى آثار نشاطه فى جهات كثيرة من مصر ، وبقايا معابده منتشرة فى سيناء وفى شرقى الدلتا وبخاصة فى الختاعنة ( مركز فاقوس ) وفى تل بسطه ( الزقازيق ) كما نرى بقايا معبد له فى مدينة الفيوم ( كيمن فارس - كروكوديلوبوليس ) إذ كان أول ملوك تلك الأسرة الذين اهتموا اهتماما خاصا بذلك الإقليم لاستصلاح أراضيه والاستفادة من بحيرته . وورد اسمه على كثير من مقابر ولوحات الموظفين الذين عاشوا فى عصره ، ولكن أكثر ما عثر عليه علماء الآثار كان على مقربة من مجموعته الهرمية فى اللشت إذ عاد أمنمحات إلى التقليد القديم الذى كان سائدا فى الدولة القديمة من بناء الأهرام لتكون مدافنا للملوك وبناء معبد جنازى إلى الشرق منه ، ثم طريق موصل إلى الوادى وتشيد معبد آخر عند بداية ذلك الطريق . وعثروا هناك على كثير من الأحجار المنقوشة من معبديه وعلى كثير من بقايا الأعمدة والتماثيل كما عثروا أيضا على بعض ودائع الأساس تحت أرضية ركن من الهرم ، وبعض أركان المعبد . وكشفت تلك الحفائر أيضا عن حقيقة هامة وهى أن الهرم مشيد بأحجار أخذوا الكثير منها من المعابد أو المقابر الأقدم عهدا ، ومن بينها أحجار منقوشة أتوا بها من معابد لبعض ملوك الأسرة الرابعة من الجيزة والأسرة الخامسة من سقارة ، كما كشفت أيضا عن وجود مصاطب كثيرة داخل سور الهرم وخارجه لكبار موظفى الملك وبعض أفراد عائلته .

ونشط أمنمحات في استغلال المحاجر والمناجم ، وتسهيل التجارة ونجح في سياسته مع أمراء الأقاليم الذى هادن الكثير من بينهم بعد أن اطمأن إلى ولائهم له ، ولكنه أبقى لهم على ثرواتهم والجزء الأعظم من نفوذهم في مناطقهم مع اعترافهم بسلطانه عليهم ودفع الضرائب المفروضة عليهم ، فكانت أيامه نعمة على كثير من هؤلاء الحكام فبنوا المقابر العظيمة في بلادهم أمثال أمراء بنى حسن .

ويمكننا أن نتوقع من أى شخص في مكان أمنمحات أن يغضب الكثيرين ويبطش بالمناوئين له ، ولهذا لا نعجب إذا وجدنا أيامه الأخيرة مليئة ببعض المتاعب ، بالرغم من أن البلاد تمتعت بوجه عام بطمأنينة ورخاء لم تعرف لهم مثيلا منذ الدولة القديمة .

استولى أمنمحات على الملك وقد جاوز سنى الشباب الأولى إذ كان قبل ذلك وزيرا ، ولهذا عندما أتم عشرين سنة وهو ملك ، وبدأت تتقدم به السن أراد الاطمئنان على مصير الملك الذى أنشأه وخاف من أن تعصف به يد الأطماع أو المنافسات بعد موته ، فأعلن ابنه سنوسرت شريكا له في الملك ، ولكن النفوذ الأكبر ظل في يد الملك الشيخ وكان يكلف ابنه من آن لآخر بالقيام ببعض الحملات الحربية ليتعرف على بلاده ويوطد نفوذ مصر على حدودها .

ولكن الأيام طالت بأمنمحات حتى وصل حكمه إلى ثلاثين عاما أى أنه حكم منذ عام ١٩٩١ ق.م. إلى عام ١٩٦١ ق.م. ولم يقدر له أن يموت وهو في شيخوخته ميتة هادئة بل مات غيلة وهو في قصره ، إذ انتهز أعداؤه فرصة غياب ابنه وولى عهده وشريكه في الملك سنوسرت ، في حملة على ليبيا ودبروا مقتله ، وربما كان ذلك الاغتيال بسبب التنافس على العرش بين أفراد العائلة نفسها إذا استطاع المتآمرون أن يصلوا إليه في مخدعه . ونعرف بعض التفاصيل عن تلك النهاية من برديتين إحداهما هي بردية شخص يسمى « سنوهى » (١) كانت تربطه بالعائلة المالكة رابطة من قرابة ، وكان مع سنوسرت في حملته عندما وصل رسول من القصر يحمل نبأ مصرع الملك . فأمر سنوسرت بإخفاء الأمر عن الجيش وعاد في الحال مسرعا إلى العاصمة . وكان سنوهى على مقربة من خيمة الأمير واستمع إلى ذلك الخبر . ولسنا نعرف ما الذى أفزعته حتى هرب في جنح الظلام وأخذ يسير من بلد إلى آخر حتى

(١) هناك ترجمات كثيرة لهذه القصة في جميع اللغات الحية الهامة - إقرأ عن أهم المراجع لدراساتها وقطع الاوستراليا التى تحتوى أجزاء منها ، مع ترجمة حديثة كاملة لها فى

كتاب : Ancient Near Eastern Texts (Princeton. 1950) p. 18-23.



استطاع مغافلة الحراس على الحدود الشرقية وهرب إلى فلسطين ومنها إلى لبنان حيث أقام هناك ، وأثرى وتزعم إحدى القبائل ثم حن في شيخوخته للعودة إلى مصر ليقضى فيها ما تبقى له من أيام ، وقد حقق له الملك سنوسرت الأول رغبته .

كانت وفاة أمنمحات فى اليوم السابع من الشهر الثالث من شهر الـ ، أخت ، فى العام الثلاثين من حكمه ، فى يوم يوافق ١٥ فبراير سنة ١٩٦١ ق.م. عند حسابه بتقويمنا الحالى . أما البردية الأخرى التى تهمنا فهى البردية المعروفة بإسم نصائح أمنمحات لابنه (١) ، وقد كتبت دون شك بعد موت الملك وكأنها على لسانه من العالم الآخر يتحدث فيها إلى ابنه ويوصيه كيف يسوس الملك ويشرح له كيف قتله .

ينصح أمنمحات ابنه ، وقد صار ملكا ، أن يحترس من رعاياه ولا يظهر بينهم وهو وحيد ، وألا يثق فى أخ أو يعتمد على صديق ، ويذكره بما كان يفعله عندما كان يعطى المحتاج ويربى اليتيم ويجعل من لا يملك شيئا يبلغ هدفه . ولكن ، الذى أكل طعامى هو الذى حرّض الجنود على ، والذى أطعمته يذى هو نفسه الذى استطاع بواسطتها أن يحدث الفزع ، ، ويستمر أمنمحات فى ذكر جحود الذين أغدق عليهم نعمه ثم يقول ، كان ذلك بعد تناول الطعام عندما حل المساء ، وخلدت لساعة من الراحة مستلقيا على سريرى ، لأننى كنت متعبا ، وعند ذلك سمع صليل الأسلحة ورأى اشتباك حراسه مع المهاجمين ، ولكن سرعان ما حدثت النكبة قبل أن يتمكن الملك من النهوض من فراشه ، لو أننى أسرعت ويبدى أسلحتى لجعلت الجبناء يتقهقرون شذرمذر ، ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال لمن كان وحده ولن يتم النجاح دون حام ، إذن لقد تمت المؤامرة بالنجاح . ويستمر النص فيذكر أن ذلك قد حدث عندما كان سنوسرت بعيدا ، وتملأ الحسرة نفس الملك من خيانة خدمه وأتباعه الذين رعاهم وعاونهم ، ووضع ثقتهم فيهم فكانوا هم المتآمرون على حياته . ويعدد أمنمحات بعد ذلك ما قام به من إخضاع البلاد لسلطانه وتأمين حدودها واعتراف الناس بأفضاله ، ويذكر أيضا شجاعته فى الصيد وغزوه لإقليم واوات فى النوبة وتأديبه للأسويبين الذين كانوا يغيرون على الدلتا ، ولا ينسى ذكر قصره الذى شيده وزينه بالذهب وحلى

---

(١) كانت نصائح أمنمحات من أحب الموضوعات الأدبية إلى قلوب المصريين فى الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين . وهناك بضع نسخ منها بعضها كامل والبعض الآخر يحوى مقتطفات منها ، وكانت منذ عام ١٨٩٦ موضع دراسة كثير من العلماء ، وقد ترجمها كل من جريفيث وماسبرو وجاردنر ودى بك وليففر كما عني بدراستها أخيراً جون ويلسون ووضع ترجمة جمع فيها آراء ومجهودات كل من سبقه ونشرها بين ما نشره فى A.N.E.T. السالفة الذكر ص ٤١٨ - ٤١٩ .



سقفه بأحجار اللزورد ، وكانت أبواب حجراته من النحاس ومصاريع الأبواب من البرونز ، ويختم وصاياه بتحية ابنه وتمنيه النجاح له ليتم ما بدأه ويوصيه بعمل الخير وتشيد المعابد الفخمة المتينة .

كان العام الثلاثون من حكم أمنمحات موافقاً للعام العاشر من حكم ابنه سنوسرت إذا احتسبنا الأعوام العشرة منذ إعلانه ولياً للعهد وشريكا في الملك بداية حكمه الحقيقي .

ولم يصل إلى أيدينا حتى الآن أى وثيقة نعرف منها تفاصيل الأيام الأولى لحكم سنوسرت ، لكننا نعرف أنه لم يلق من الصعوبات شيئاً لم يتغلب عليه ، واستطاع حقا أن يسير في الطريق الذي رسمه أبوه العظيم .

### خلفاء أمنمحات الأول :

تابع سنوسرت الأول سياسة أبيه وثبت أقدامه لا في مصر وحدها بل وفي البلاد التي كانت على حدودها . وتوسع جنوباً ، وبدأت كلمة « كوش » ترد بكثرة في النصوص كمنطقة امتد إليها النفوذ المصري . وعنى سنوسرت عناية كبرى باستغلال مناجم الصحراء ، فنجد اسمه على لوحات أقامها رؤساء بعثاته إلى الصحراء يذكرون فيها تاريخ عملهم ويمجدون فيها الملك الذي كانوا يعملون باسمه . وكانوا يستخرجون الذهب أو النحاس وغيرهما من بعض تلك المناجم ، كما كانوا حريصين أيضاً على استغلال بعض الأحجار نصف الكريمة مثل الفيروز من سيناء والجمشت ( الأمايست ) من وادي الهودي ، كما حرصوا أيضاً على الحصول على أصلب الأحجار مثل الجرانيت الذي كانوا يستخرجونه من أسوان ومن وادي الحمامات ، والديوريت الذي كانوا يجلبونه من جبال النوبة في منطقة إلى الجنوب الغربي من أبو سمبل وهي المحاجر التي استغلها المصريون منذ أقدم العصور لأجل عمل الأواني ، وكان خوفو وخفرع من ملوك الأسرة الرابعة يحصلون منها على الأحجار اللازمة لتماثيلهم . كما نعرف أيضاً اهتمام سنوسرت باستغلال محاجر المرمر في حتنوب في شرقي النيل على بعد يقرب من خمسة وعشرين كيلو متراً من تل العمارنة الحالية .

وشيد سنوسرت آثاره في كثير من جهات مصر ، نجدها في الكرنك وفي كثير من بلاد النوبة وفي الدلتا وفي الصعيد ، وكان للفيوم نصيب خاص من عنايته ، وشيد هرمه على مقربة من هرم أبيه في اللشت .

وكان من أهم أعمال تشييده من جديد لمعبد رع في مدينة هليوبوليس ( إيون - عين شمس ) . بدأ ذلك في العام الثالث من حكمه وعندما أتم الثلاثين سنة على

العرش واحتفل بعيده الثلاثيني ، أقام أمام المعبد مسلتين من الجرانيت مازالت إحداهما قائمة حتى الآن في مكانها هناك . كما شيد في الكرنك بناء صغيرا كان يستخدم أثناء الاحتفالات لتستريح فيه سفينة الإله آمون رع ، وقد عثر على أحجاره داخل الصرح الثالث الذى شيده الملك أمنتحوتب الثالث ، وقد كان عند هدمه كاملا ولهذا عثروا فى السنوات الماضية على جميع أحجاره تقريبا ، وأعادت مصلحة الآثار تركيبها وهو قائم الآن فى المعبد نفسه ولا يبعد إلا قليلا عن مكانه الأصلي ، ونقوشه من أجمل ما أخرجته يد الفنان المصرى فى أى عصر من العصور . وطال حكم سنوسرت الأول حتى أربى على ٤٤ عاما ( ١٩٧٢ - ١٩٢٨ ) منها عشرة مع أبيه وأقل من ثلاث سنوات مع ابنه الذى أشركه معه فى الملك فى عام ١٩٣٠ ق.م .

ولم يكن أمنمحات الثانى كأبيه أو جده فى نشاطه الحربى أو المعمارى ، فقد كانت الحالة الداخلية آمنة مطمئنة بفضل جهود من سبقوه ، كما كانت صلات مصر بغيرها من الأمم صلات صداقة ومودة ، وكان يرسل هداياه إلى أمراء سورية وغيرها ويتلقى منهم أيضاً كثيراً من تلك الهدايا . وقد عثر منذ وقت غير بعيد تحت أرضية معبد الطود جنوبى الأقصر على كمية كبيرة من أوانى الذهب والفضة ، والحلى مع غيرها من الأشياء غير المصرية . وكان نشاط أمنمحات الثانى موجها بصفة خاصة إلى استغلال مناجم المعادن والأحجار نصف الكريمة ، وإرسال البعثات إلى الصحراء لتأمينها .

وكذلك كان حال خلفه سنوسرت الثانى فقد شابهه فى كل من سياسته الداخلية والخارجية ولكن زاد عليه فى عمل مهم وهو تكريس جزء كبير من جهده لعمل مشروعات رى كبيرة فى إقليم الفيوم ، وقد شيد هرمه فى اللاهون وعثر على مقربة منه على القرية التى أقامها للعمال والموظفين الذين أشرفوا على تشييد الهرم وما يلحقه من معابد ، وظلت هذه القرية مسكونة حتى عصر الهكسوس ، وعثروا فيها على كثير من أوراق البردى المهمة وعلى غيرها مما كان يستخدمه الناس فى حياتهم اليومية من أدوات .

وعلى مقربة من هرمه أقاموا عددا كبيرا من المصاطب لأهل بيته ، وعلى بعد غير قليل منها قامت جبانة كبيرة كانت مدفنا للكثيرين من رجال بلاطه (١) .

---

(١) كان أكثر حكام الأقاليم يدفنون فى أقاليمهم ، ونرى الكثير من مقابرهم الفخمة فى مصر الوسطى وفى واحدة منها ، فى بنى حسن ، نرى المنظر الذى يمثل مجيء بعض الكنعانيين إلى مصر .

وفى مقبرة من مقابر الأميرات عثرت إحدث بعثات الحفر الأجنبية فى عام ١٩٢٠ على مجموعة كاملة من الحلى داخل صندوق مخبأ فى فجوة فى الجدار الصخرى غاب عن أعين اللصوص القدماء ، وأكثر هذه المجموعة يوجد الآن فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

لم يزد حكم سنوسرت الثانى على تسعة أعوام ، بما فى ذلك الفترة التى اشترك فيها مع أبيه أمنمحات . وعندما ترك العرش لابنه سنوسرت الثالث فى عام ١٨٩٧ ق.م. استقبلت مصر ملكا كان مقدرا له أن يكون من أعظم من جلس على عرش الفراعنة فى جميع العصور .

طال حكم سنوسرت الثالث حتى زاد على ثمانية وثلاثين عاما ( ١٨٧٩ - ١٨٤١ ) وترك وراءه فى أكثر بلاد مصر آثارا تدل على نشاطه ، فبنى المعابد الكثيرة وأقام آثارا له فى أشهر المعابد التى شيدها من سبقه من الملوك ولكن أهم أعماله تركزت فى أمرين ، أحدهما قضاؤه التام على نفوذ حكام الأقاليم ، والثانى أعماله الحربية سواء فى فلسطين أو فى جنوب الوادى ، وما قام به من حروب ضد القبائل التى أغارت عليه ، وتشبيده الكثير من الحصون الحربية فى تلك المنطقة التى جعلت منه بطلا أسطوريا للأجيال القادمة . أما قضاؤه على نفوذ حكام الأقاليم فكان سياسة ناجحة أزالته من البلاد كل أثر لما كانوا يتمتعون به من نفوذ ، وكل أثر للإقطاع .

لقد نغم كثير من رؤساء تلك العائلات القوية على منتهوتب الثانى عندما وجد البلاد وأخضعهم لسلطته ، وقد استغل أمنمحات الأول ما فى أنفسهم من حفيظة ، فأبقى لهم الكثير من نفوذهم بعد أن وضع الحدود بين تلك الأقاليم فظلوا سادة فى ديارهم طالما كانوا يدفعون الضرائب ويقدمون الولاء ، ويرسلون رجالهم ليحاربوا عندما يطلب اليهم الملك ذلك .

ولكن مع مضى الزمن أخذ نفوذ أولئك الحكام يزداد وثرواتهم تعظم ، فكان من الضرورى وضع حد لهذا الأمر ، ولم يكن هناك من هو أقدر من سنوسرت الثالث لتسديد هذه الضربة فجردهم من مزاياهم وخلع عنهم ألقابهم التقليدية التى كانوا يورثونها لأبنائهم ، فلم يصبح حكام الأقاليم منذ عهده إلا موظفين عاديين كغيرهم .

ولم يقل إهتمام سنوسرت الثالث بالفيوم ولكنه لم يشيد هرمه هناك بل شيده كبعض من سبقه من ملوك هذه العائلة فى منطقة دهشور ، وقد عثر فى عامى ١٨٩٨ - ١٨٩٩ على مجموعة عظيمة من حلى أميرات بيته اللاتى دفن على مقربة من هرمه ، وهى تزين الآن قاعة الحلى فى المتحف المصرى بالقاهرة .

وفى أواخر أيامه أشرك معه فى الحكم ابنه أمنمحات الثالث ( ١٨٤١ - ١٧٩٢ ق.م ) الذى طالت أيام جلوسه على العرش أكثر من جميع من سبقه أو جاء بعده من ملوك هذه الأسرة .

جنى أمنمحات الثالث ثمرة حروب أبيه وإصلاحاته فنعم بعهد من الرخاء والطمأنينة انصرف فيه إلى أعمال الإنشاء ، فشيد كثيرا من المباني فى مختلف أنحاء البلاد . والتفت إلى الرى ، وحظى إقليم الفيوم أكثر من أى إقليم آخر بجهوده ، فأتى ما بدأه جده سنوسرت الثانى من أعمال لإستصلاح جزء كبير من أراضي تلك الواحة ، بعمل الجسور العظيمة لتحديد البحيرة الطبيعية التى فيه ، وشيد القناطر عند هواره وعند مدخل الفيوم ( روحنت - اللاهون ) وشق الترع وبنى على شاطئها ، الذى أصبح على منسوب جديد ، كثيرا من المعابد التى أبقي الزمن على كثير من بقاياها وبخاصة فى الجنوب الغربى من الإقليم مثل معبد مدينة ماضى الذى بناه فى أواخر سنى حكمه عندما كان ابنه أمنمحات الرابع شريكا معه فى الملك ، كما بنى معبدا آخر فى مدينة شدت ( مدينة الفيوم الحالية - كيما ن فارس ) وأقام هرمه عند بلدة هواره ، وبنى إلى الشرق منه معبده الشهير الذى أسموه فيما بعد ، اللابيرنت ، ، والذى كتب عنه اليونان والرومان الشيء الكثير ، ولكن لم يبق من آثاره إلا بضعة أحجار متناثرة هناك . وقد عثر فى صيف عام ١٩٥٦ على مدفن ابنة له تسمى ، نفروپتاح ، وعثر فى داخل حجرة الدفن على ثلاث أوان كبيرة من الفضة وعليها إسمها وإسم أبيها أمنمحات الثالث ، ولم يعثر فى تلك الحجرة على شيء آخر ذى أهمية . وقد وجد تابوتها سليما لم يفتح للصوص ، ولكن لم يعثر على موميائها سليمة فى داخله بما تحللت جثتها من مياه الرشح ولم يكن معها إلا القليل من الحلى ، ويظهر أنها دفنت على عجل فى ذلك الوقت المضطرب من تاريخ مصر .

وتلاه على العرش ابنه أمنمحات الرابع ، الذى لم تتوافر فيه مزايا أسلافه العظماء ، فلم نعرف عنه إلا القليل إذ ورد إسمه على بعض لوحات موظفيه ، ومنهم من ذهب إلى المحاجر فى النوبة وإلى محاجر وادى الهوى لاستحضار الجمشت ، كما ورد إسمه أيضا على جدران معبد مدينة ماضى بالفيوم .

وتذكر بردية تورين أنه حكم تسعة أعوام وثلاثة شهور وسبعة وعشرين يوما ، ولسنا نعرف تماما أين دفن وإن كان رأى الأرجح أنه كان مدفونا فى أحد الهرمين اللذين ما زالت بقاياهما القليلة قائمة حتى الآن خلف قرية مزغونة إلى الجنوب من أهرام أجداده فى اللشت .

وتنتهى أيام تلك الأسرة المجيدة نهاية محزنة . فقد رأينا الضعف يدب فى أوصالها بعد أمنمحات الثالث ، وها هى تنتهى عندما تولت إبنة الملك أمنمحات الثالث عرش مصر ، ولم يطل حكمها أكثر من ثلاثة أعوام وأربعة أشهر وعشرين يوماً كما جاء فى بردية تورين بين أعوام ١٧٨٢ و ١٧٧٨ قبل الميلاد .

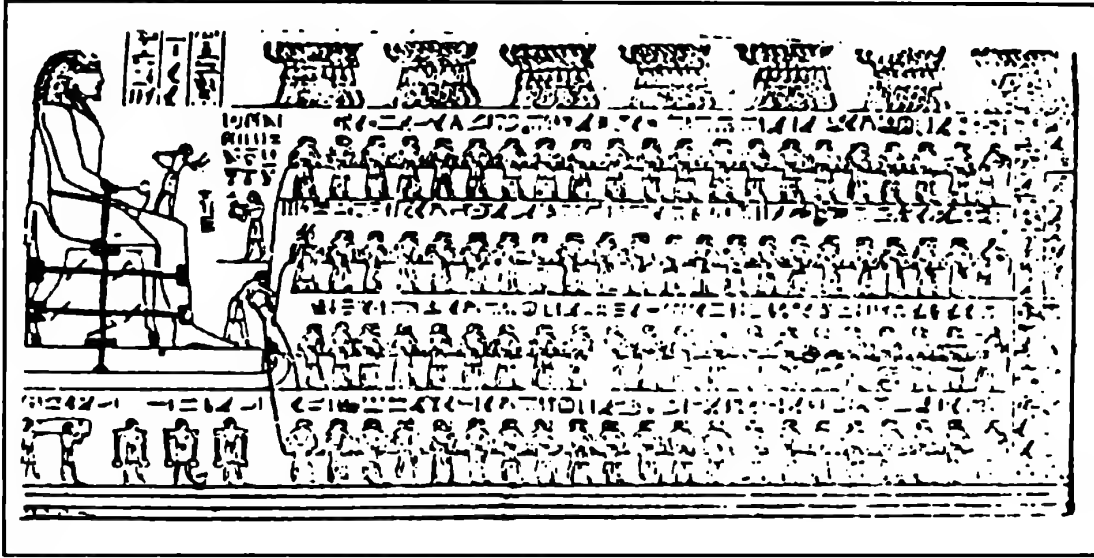
ومن المحتمل أن تلك الملكة واسمها ، سويك . نفرو ، شيدت هرمها على مقربة من هرم أمنمحات الثالث فى هواره ، فقد عثر على بعض آثار باسمها على مقربة من ذلك الهرم فى القرن الماضى .

فإذا ما تساءلنا عما حدث وما الذى قضى على حكم تلك الأسرة ، وربما على الملكة أيضاً . فإننا نجد أنفسنا عاجزين عن الجواب المقنع لقلة ما لدينا من وثائق . فربما كان ضعف الأسرة ناشئاً عن اضطرابات داخلية ومنافسات بين أفراد العائلة الحاكمة ، فقد رأينا مظاهر هذا الضعف منذ أيام أمنمحات الرابع ، ولكننا سنرى عند الحديث على عصر الفترة الثانية وجود عوامل أخرى خارجية بعضها بسبب ثورات قامت فى الجنوب ، والبعض الآخر فى آسيا . ولم يكن على عرش مصر ملك مثل أمنمحات أو سنوسرت فيوقف ذلك التيار الجارف فهوى الصرح ، ولم تنته عائلة أمنمحات فحسب بل دخلت مصر فى فترة مظلمة من تاريخها جاء فى أعقابها غزو أجنبي . وكانت فترة طويلة لم تقل فى مجموعها عن ٢٠٨ سنوات وهى عصر الفترة الثانية التى بدأت إثر موت الملكة سويك نفرو عام ١٧٧٨ ولم تنته إلا فى عام ١٥٧٠ عندما أتمت مصر تطهير أرضها من ذلك الغزو الأجنبي وبدأت عهداً جديداً فى تاريخها وأسست الأسرة الثامنة عشرة .

ولكن قبل أن نتحدث عن عصر الفترة الثانية يجب أن نقف قليلاً لنلقى نظرة على أهم مظاهر الحياة الاجتماعية فى الأسرة الثانية عشرة .

### نظرة عامة فى الحياة الاجتماعية :

عرفنا الكثير عن حياة المصريين فى أيام الدولة القديمة مما تركوه مرسوماً على جدران مقابرهم ، وبالرغم من أن الغالبية الكبرى من مقابر الدولة القديمة كانت مبنية بالأحجار ، أو من الطوب اللبن فى بعض أجزائها ، فإن بعضها كان من أيام الأسرة الرابعة يقطع فى صخر الجبل ويزينون جدرانها الصخرية بما يشاؤون من نقوش إذا كان نوع الصخر جيداً ، ولكن إذا كان نوع الصخر رديئاً يغطون الجدران بطبقة من الملاط الجيد ، ويرسمون ويلونون فوق الملاط .



نقل تمثال الحاكم «تحتي حتب» رسم في مقبرته بالبرشا في محافظة أسيوط .

ومقابر الدولة الوسطى وفيرة العدد ، مختلفة الأنواع ، ولكن أهمها في دراستنا لما طرأ على الحياة الاجتماعية من تطور أو تغيير ، هي مقابر أمراء الأقاليم وعائلاتهم وكبار موظفيهم ، تلك المقابر التي خلفوها وراءهم في بلادهم وقطعوها في صخر الجبل في أماكن مرتفعة تشرف على المناطق المزروعة .

كان أمراء الأقاليم يعيشون في أقاليمهم منذ الأسرة السادسة كما ذكرنا ، واستمروا في عصر الفترة الأولى ، وزاد نفوذهم بعد ذلك ، وكان كل واحد منهم يحيط نفسه ببلاط صغير ، وله جيش لحماية الأقليم من إعتداء أى إقليم مجاور ولنشر الأمن والطمأنينة بين السكان . ويكفى أن يزور الإنسان بعض مقابر هذا العصر في بنى حسن أو في البرشا أو في شطب أو أسيوط أو في الأقصر أو في أسوان ويرى عظمتها ، ومدى عنايتهم بنقوشها ، ليدرك أن كل واحد من أصحابها كان ملكا صغيرا في إقليمه . ولسنا ندهش لثرائهم فقد كانت الضرائب كلها تقدم إلى خزائنها ، ثم يقدمون بأنفسهم بعد ذلك إلى الملك ما يكونون قد اتفقوا عليه . وإذا صدقنا ما ذكره هؤلاء الحكام في مقابرهم أو في اللوحات التي خلفوها وراءهم . فإنهم كانوا مهتمين بنشر الأمن في بلادهم وعدم الظلم ، وكانوا يعتمدون على جنودهم في حماية الأمن من الناس من عبث العابثين .

وما من شك في أن كل حاكم من أولئك الحكام كان يهتم بجنوده ولهذا أكثروا



من تدريبهم الجثمانى حتى تظل لهم مرونتهم وسرعة حركتهم فى القتال . صوروا على جدران المقابر مناظر تمريناتهم وأخصها المصارعة . فنرى مناظرها مفصلة فى مقابر كثيرة ، وبخاصة فى مقابر بنى حسن . ولكن المصارعة لم تكن الرياضة الوحيدة التى مارسها الجند ، فقد كان هناك أيضاً حمل الأثقال ، يملؤون غرارة من الرمل أو التراب ويرفعها كل من المتبارين بيد واحدة إلى ما فوق رأسه ، فإذا تمكن كل منهما من ذلك زادوا من كمية الرمل أو التراب حتى يعجز أحدهما . ومن بين المناظر التى على تلك الجدران مناظر المبارزة بالعصى ، كما نرى أيضاً لجنود وهم يحملون بعض أدوات القتال وأهمها الأقواس والحراب وفؤوس القتال ومن بينها ذلك الدرع الكبير الشبيه بالخيمة يحمله ثلاثة من الرجال ويتقدمون فى حمايته للهجوم على الأعداد أو لمهاجمة سور إحدى القلاع ليحدثوا ثغرة فيه ، وذلك بتحريك قضيب ذى نهاية معدنية يحركونه وهم داخل الدرع من ثقب فيحطمون به الأبواب أو يفتحون به ثغرة فى الأسوار ، وهم فى مأمن من سهام المدافعين عن ذلك الحصن ، أى أن تلك الدروع الكبيرة كانت تقوم فى ذلك العهد بما تقوم به العربات المصفحة فى عصرنا الحاضر .

ونرى أيضاً على تلك الجدران المناظر المألوفة فى الحياة اليومية مثل الحفلات الموسيقية المصحوبة برقص الراقصات ، ومناظر الصنائع والعمال المختلفين ، والمناظر الدينية التى نرى فيها الكهنة يقومون ببعض الطقوس ، ونرى الأتباع يحملون الأطعمة والأزهار ليقدموها إلى صاحب القبر .

ومن أهم الموضوعات التى أقبلوا على رسمها فى مقابر ذلك العهد مناظر الصيد سواء أكان ذلك فى الصحراء ، حيث نرى الحيوانات الصحراوية المختلفة أو صيد الطيور فى الحقول ، أو على مقربة من المستنقعات ، أو صيد السمك بالطرق المختلفة .

وفى مقابر الدولة القديمة نرى سفناً أكثر مما كان يملكه صاحب القبر للتنقل به على صفحة النيل ، أو لنقل المحاصيل المختلفة ، والقليل منها تلك السفن التى نعرف أن أصحابها اشتركوا بها فى الأعياد التى كانت تقام فى بعض العواصم الدينية القديمة مثل بوتو أو نخن . ولكن فى مقابر عصر الفترة الأولى والدولة الوسطى نراهم يكثرلون من رسم سفن ويكتبون إلى جوارها إنها ذاهبة أو آتية من أبيدوس ، إذ أصبحت العادة المتبعة هى نقل موميا الميت إلى أبيدوس لتزور المعبد أو لتدفن هناك بعض الوقت ، فى ذلك المكان المقدس للإله أوزيريس .

وإذا فحصنا تلك المناظر نرى تطوراً واضحاً فى أشياء كثيرة ، نرى تطوراً فى



أشكال الملابس ، وفى الحلى ، وفى الأوانى وفى الأدوات المختلفة ، إذ نرى فيها اختلافاً عما كانت عليه فى الدولة القديمة ، كما نرى تطوراً فى الفن نفسه وفى المواضيع المحببة إلى الفنانين .

وعلى ذكر الفن وتطوره يحسن بنا ألا ننسى أن الرسم بالألوان فوق الملاط قد تقدم ولكن عمل التماثيل ، وبخاصة تماثيل الأشخاص ، قد تأخر كثيراً عن مستوى الأسرتين الرابعة والخامسة اللهم إلا فى بعض حالات قليلة فى تماثيل بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة مثل الملك سنوسرت الثالث . لقد أقبل الأفراد من جميع الطبقات على طلب عمل التماثيل فكان الفنانون يصنعونها من جميع الأحجام وفى جميع الأوضاع ، دون التقيد بصورة صاحبها . وعندما كان يختار أحد من الناس تمثالا كان يضيفون اسمه وألقابه . ولم يقتصر ذلك على التماثيل بل كان متبعاً أيضاً فى التوابيت الخشبية ، وبعض اللوحات الجنازية ، ولم يكن الفنانون يعملون تماثيل أو توابيت أو لوحات خاصة وعلى نمط معين إلا للأغنياء وكبار الموظفين ومن كانوا أعلى من هؤلاء فى مرتبتهم .

وتمتاز الأسرة الثانية عشرة بما أنتجه صانعوا الحلى وبخاصة لأميرات البيت المالك إذ جمعت تلك الحلى بين الدقة المتناهية فى الصناعة والذوق الفنى الرفيع ، ونرى تلك المجموعات فى المتاحف المختلفة وبخاصة فى متحفى القاهرة والمتروبوليتان بنيويورك فلا نملك إلا الإعجاب بها وبصناعتها ، وقد فحص الكثيرون من الخبراء تلك الحلى وهم يرددون جميعاً رأياً واحداً وهو أن الصانع الحديث ، مع ما تيسر له من أدوات ووسائل لا يمكن أن يتفوق على الصانع المصرى القديم الذى عاش فى أيام الدولة الوسطى أى قبل قرابة أربعة آلاف سنة .

تكفي الآن هذه الإشارات العابرة إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ولننتقل إلى نقطة مهمة فى تاريخ هذه الأسرة ، وهى علاقتها بغيرها من البلاد .

### الصلة بين مصر وغيرها من البلاد فى الدولة الوسطى :

إذا رجعنا إلى الوثائق المعاصرة من أيام هذه الدولة ، وبخاصة فى الأسرة الثانية عشرة ، نجد أن مصر زادت كثيراً من صلتها بما حولها من بلاد . فقد إهتم ملوكها بتأمين حدودها الغربية والشرقية ، وأقاموا التحصينات ، وبدأوا أيضاً سياسة جديدة نحو واحات الصحراء الغربية منذ أيام أمنمحات الأول فاهتموا بها وكانوا يرسلون الدوريات البوليسية للتفتيش على الطرق لتأمينها . كما نعرف أيضاً أن الواحات ، وبخاصة الواحات الخارجة والداخلة ، وكانت شديدة الصلة بطيبة وأبيدوس ،

قد أخذت تزدهر فى ذلك العهد .

ولكن الأمر لم يقف عند حدود مصر . فقد زادت الصلة التجارية والثقافية بين مصر والشاطيء الفينيقي ، وكان ملوك مدينة جبيل وثيقى الصلة بملوك وادى النيل الذين كانوا يرسلون إليهم الهدايا الثمينة ويتلقون منهم بعض الأشياء الثمينة من حاصلات ومصنوعات تلك البلاد . كانت التجارة بين مصر وشرقى البحر الأبيض تأخذ سيرها فى واحد من طريقين أحدهما طريق البر والثانى طريق البحر . ولم تكن تلك الصلة قاصرة على الشاطيء الفينيقي بل كانت تشمل جزر البحر الأبيض المتوسط وبخاصة جزيرة قبرص القريبة من الشاطيء السوري وجزيرة كريت ذات الحضارة المزدهرة فى ذلك العهد ، والتي كان لفنها بعض الأثر فى زخرفة الحلى المصنوعة فى مصر .

كانت هناك صلة وثيقة بين مصر وفلسطين والشاطيء الفينيقي وجزء كبير من سورية ، فهل كانت لمصر سياسة إستعمارية فى ذلك الوقت فى تلك البلاد ؟ وهل يدل وجود آثار مصرية فى بعض بلادها سواء على مقربة من الشاطيء أو فى منطقة البقاع على نفوذ سياسى لمصر ؟ . الجواب على ذلك هو أن مصر لم تكن معنية إلا بالتجارة وإن كان هناك ذكر عارض لحملة حربية أو لحملتين على تلك البلاد ، فإنها كانت دون شك لتأديب بعض القبائل التى استهانت بمصر وكرامتها وهاجمت قوافل تجارتها التى كانت إذ ذاك احتكاراً للملوك .

كان رسل مصر يسIRON جيلة وذهابا على الطريق التجارى الرئيسى بين مصر والشاطيء السوري ، وبين الشاطيء وداخل سورية كما ذكرنا عند الحديث عن سنوى ، وكانت تقيم فى أكثر من مدن سورية جاليات مصرية لأجل التجارة . وكان لبعض الآلهة المصرية معابد هناك ولكن لم تكن لمصر حاميات فى أى ماكن ، وإذا كان ملوك جبيل قد ارتبطوا برباط صداقة ولاء مع مصر ، أو كانوا متأثرين كثيراً بالثقافة المصرية فإن أولئك الملوك لم يكونوا من موالى مصر أو كانوا يحكمون باسمها ، أو يقدمون لها جزية مفروضة عليهم .

كان ازدهار الأسرة الثانية عشرة بين أوائل القرن العشرين وأوائل القرن الثامن عشر قبل الميلاد ( ١٩٩٢ - ١٧٧٨ ق.م ) ، وكانت مصر إذ ذاك أعظم الأمم ثقافة وقوة فى بلاد الشرق القديم ؛ لأن بلاد الرافدين فى ذلك الوقت كانت تجتاز فترة ضعف فى تاريخها ، لم يخرجها منها إلا الملك حمورابى عام ١٧٢٨ ق.م . ولهذا لا يكون مستغرباً إذا وجدنا نفوذ مصر الثقافى يتغلغل فى بلاد فلسطين وسورية ، ولا يدهشنا أن نرى المصريين يستفيدون من هذه الظروف ويقوون صلاتهم التجارية بتلك

البلاد . وليس من المستغرب أيضاً أن يبدأ بعض سكان تلك البلاد فى التفكير فى المجىء إلى مصر يحملون خيرات بلادهم للإتجار بها (١) .

ولكن صلة مصر بالجنوب كانت ذات طابع آخر ، إذ تعتمد مصر فى حياتها على النيل ، وكانت منذ فجر تاريخها تهتم بالجنوب وتعنى بمعرفة طرقه وتهتم بالحصول على خيراته . وأخذ ملوك الدولة القديمة منذ أيام الأسرة الخامسة يرسلون الحملات للإتصال بأهله ، وقد رأينا عند حديثنا عن تاريخ الأسرة السادسة أن أهل النوبة لم يكونوا يرحبون دائماً بتلك الحملات وكانوا يهاجمونها فى بعض الأحيان . ولكن ما جاءت أيام الأسرة الثانية عشرة حتى كانت الأمور قد تغيرت فى تلك البلاد وذلك بسبب تقدم الجنس الزنجى نحو الشمال واختلاطه بثقافة حامية الأصل ، وسيطرته على السكان المحليين فأصبح مع مرور الأيام خطراً على مصر نفسها .

ولهذا نجد ملوك الأسرة الحادية عشرة يهتمون بالجنوب ، ونجد الملك أمنمحات الأول منذ توليه العرش يهتم بهذا الأمر ، ويتم ملوك الأسرة إخضاع المنطقة بين الشلال الأول والشلال الثانى إخضاعاً تاماً للنفوذ المصرى ويبنون هناك الحصون وقد بلغ عددها سبعة عشر حصناً ، ويضعون فيها الحاميات ويحرمون على أحد من السكان الزواج أن يتعدى الشلال الثانى فى طريقه نحو الشمال سواء بطريق النيل أو بطريق البر إلا بقصد التجارة وفى جماعات قليلة .

ولم تقف هذه الأسرة عند ذلك بل دفعت بحدود مصر إلى جنوبى الشلال الثالث وهناك ، عند مكان يقال له ، كرمة ، أقاموا حصناً ومخزناً كبيراً لإيداع ما يحمله التجار من بضائع . وكان يقيم هناك حاكم مصرى ، وكانت هناك أيضاً مدينة مصرية صغيرة وفيها صناع مصريون . ولسنا نعرف على وجه اليقين كم من الحكام تولوا تلك الوظيفة ، ولكن واحداً منهم واسمه ، زفاى حعبى ، (٢) مات هناك فدفنوه حسب تقاليد البلاد ، لا حسب التقاليد المصرية ، وضحوا بأكثر من مائتى شخص

---

(١) نرى فى مقابر بنى حسن بعض صور لقوم من الجنس الحامى ربما كانوا من سكان الصحراء الشرقية الجنوبية ولكن المنظر الشهير فى مقبرة خنوم . حوتب الذى نرى فيه رئيس إحدى القبائل السامية ومعه بعض الرجال والنساء والأطفال والحمير المحملة ، إنما يمثل قوماً من الكنعانيين أهل فلسطين القدماء .

(٢) ، زفاى حعبى ، هو صاحب المقبرة الشهيرة فى أسيوط والتي تحتوى على تلك النصوص الشهيرة التى توضح لنا تفصيلات ما تعاقد عليه مع كهنة الإله ، وپاوت ، ليقدّموا به فى الأعياد المختلفة وما يقدمونه لروحه من قربانين . وكان زفاى حعبى يتوقع أن يموت فى موطنه فى أسيوط ولكنه مات ودفن فى كرمة فى دنقلة .

(وربما كانوا نحو ٢٧٠ ) من خدمة وأتباعه ودفنهم في الممر المؤدى إلى قبره ، (١) ثم أقاموا كوما كبيراً فوق القبر ووضعوا فوقه تمثالاً له داخل هيكل مشيد من الطوب .

لم تكن عادة دفن الأتباع قاصرة على الزعماء أو الملوك في السودان في ذلك الوقت بل كانت عادة عامة في كثير من حضارات العالم القديم ، وقد وجد ريزتر ، الذى حفر منطقة كرمة قبل الحرب العالمية الأولى كثيراً من القبور التى دفن فيها الخدم مع سادتهم ومن بينهم قبر لطفلة صغيرة إحتضنتها مربيتها داخل القبر وقد رقدت خادمة أخرى على مقربة منهما ، وقد دفنت كل من المربية والخادمة وهن أحياء وكانت العادة المتبعة هى أن يعطوا أولئك الخدم أو الأتباع شرباً مخدراً ويضربوهم ضربة قاتلة على رؤوسهم إذا رفضوا تناوله . والفكرة فى دفنهم مع سادتهم هى أن يقوموا على خدمتهم فى الحياة الأخرى كما كانوا يخدمونهم فى هذه الدنيا .

لم يقتصر الاهتمام بالجنوب على ملك دون آخر ، فنراهم جميعاً وقد أظهروا الكثير من العناية بالنوبة وبمياه النيل ولكن واحداً من بينهم وهو سنوسرت الثالث ، اهتم اهتماماً خاصاً بالحد الجنوبي لمصر ونزل بنفسه إلى الجنوب على رأس الجيش عدة مرات واعتنى عناية كبيرة بتجديد الحصون وتقوية الحاميات ، وأقام عدة لوحات للحدود جنوبى الشلال الثانى ، وحرم على جميع الزنوج الجنوبيين اجتياز ذلك الحد وكتب فى تلك اللوحات أنه برىء من ابن يأتى بعده ولا يحافظ على تلك الحدود ، ويحارب من أجلها . وبعد موت هذا الملك بخمسائة عام تقريباً نرى ملكاً عظيماً آخر يقدر أعماله وجهوده فى المحافظة على حدود مصر الجنوبية ، نرى الملك العظيم «تحتمس الثالث» يرفع سنوسرت الثالث ، إلى مصاف الآلهة ويجعل منه إلهاً حامياً للنوبة ، ويقيم المعابد لعبادته ويقف أمامه يقدم له القرابين كإله من الآلهة .

### العناية بالرى والتوسع فى الزراعة :

لقد أشرت أكثر من مرة فى هذا الفصل إلى اهتمام ملوك هذه الأسرة بإقليم الفيوم ، والواقع إن إهتمامهم بهذا الإقليم لم يكن إلا أحد مظاهر عناية تلك الأسرة بمسألة من أهم المسائل الحيوية لمصر وهى الانتفاع بمياه النيل ومحاولة زيادة الأراضى المزروعة .

وبالرغم من أننا لا نعرف كم كان عدد سكان مصر فى الدولة القديمة . وكم

(١) ربما كانت عادة دفن الأتباع مع سيدهم معروفة فى مصر فى عهد ما قبل الأسرات ، وربما كانت معروفة أيضاً فى الأسرة الأولى ، ولكننا لا نجد لها أثراً بعد ذلك .

كان عددهم فى الدولة الوسطى ، فإن ظواهر الأمور تدل على إزدياد عدد السكان خلال ذلك العهد المزدهر الذى سادته الطمأنينة خلال حكم الأسرة الثانية عشرة . وسواء أكان اهتمام ملوك الأسرة بموضوع مياه النيل راجعاً إلى ضرورة إقتصادية أو كان إصلاحاً عادياً للتقديم بالبلاد ، فإننا نعرف أنهم كانوا يسجلون إرتفاع النيل عند الشلال الثانى ، عند حصن سمنا ، وذلك ليطمئنوا على حالة الفيضان ويتخذوا من الإحتياطات ما يكفى لمجابهة الحالة المنتظرة يستوى فى ذلك إذا كان الفيضان عالياً أو أقل من المعتاد .

ولم يكن إهتمامهم بإقليم الفيوم راجعاً فقط إلى استغلال البحيرة لتكون خزاناً للمياه فى أيام الفيضان ثم الاستفادة من تلك المياه فى أوقات التحريق ، بل استفاد الإقليم كله من عمل الجسور اللازمة ؛ لذلك الخزان وتم إستصلاح مساحة تقرب من سبعة وعشرين ألف فدان ، كما يرجح أيضاً أن تكن الأراضى المزروعة فى الإقليم قد تحسنت بسبب تلك المشروعات ، وبدأت تنشأ مدن جديدة حول البحيرة نفسها على منسوب + عشرين متراً فوق مستوى مياه البحيرة زيادة على المدن القديمة التى كانت قائمة قبل ذلك (١) .

وليس لدينا أدلة ثابتة على قيام ملوك تلك الأسرة بأى مشروعات أخرى لاستصلاح الأراضى فى غير إقليم الفيوم ولكن إهتمامهم بمقاييس النيل ونجاحهم الكبير فى استصلاح الأراضى فى الفيوم يجعلنا نرجح أن جهودهم فى زيادة الثروة الزراعية لم تقف عند حد الفيوم وربما كان لهم نشاط آخر فى استصلاح أراضى بعض مناطق الدلتا ولكن لم تصلنا عن ذلك أى وثائق معاصرة حتى الآن ، وربما كان المستقبل كفيلاً بذلك .

تلك نظرة عامة على الأسرة الثانية عشرة وعلى الدولة الوسطى بصفة عامة ، رأينا فيها ازدهار الأدب والفن ، ورأينا أيضاً كيف تغلبت مصر على ضعفها فى عصر الفترة الأولى وكيف استعادت ثقفتها بنفسها ، واستأنفت السير فى الطريق الذى رسمته لنفسها منذ أن كونت أصول حضارتها . ولم تقف مصر خلال أيام الدولة الوسطى

---

(١) سطح مياه البحيرة الآن ٤٥٠ متراً أى أن الفرق بين سطح مياه البحيرة فى الأسرة الثانية عشرة وسطحها الآن لا يقل عن خمسة وستين متراً ، وقد تغير منسوب البحيرة خلال العصور المختلفة وكثيراً ما نرى بعض المناطق الأثرية القديمة واقعة الآن فى الصحراء . وعلى أى حال يجب ألا ينسى القارىء أن مياه البحيرة كانت عذبة فى العصور القديمة ، بل فيما تلا ذلك من عصور إلى ما قبل قرون قليلة ، وكان الذين يعيشون حول شواطئها يستخدمون مياهها فى الشرب وفى رى أراضيتهم .

جامدة تترسم خطى الدولة القديمة بل نرى تطورها فى مختلف الميادين ، ونرى تطورها فى السياسة الخارجية بل وفى الناحية الدينية أيضاً .

لقد عاد للملك ما كان له من نفوذ وسلطان ، وعاد الموظفون إلى تملقه والتمسح فى أعتابه ، وأختفت من لوحات الأفراد ، أو كادت ، تلك النغمة الحلوة وهى الإعلاء من قيمة الفرد واعتماده على ما يقدمه من عمل صالح فيضمن النجاح فى الدنيا والآخرة ، وحلت محلها النغمة التقليدية القديمة وهى أن الخير كل الخير فى عطف الملك ورضاه . وما من شك فى أن أكثر ملوك الدولة الوسطى لم يكونوا عتاة أو متجبرين فى الأرض بل نعرف عن أكثرهم أنهم كانوا فخورين بعدلهم بين الناس وسهرهم على رعايتهم ، ولهذا سرعان ما اطمأن الناس إلى حكامهم وتركوا أمر سعادتهم بين أيديهم ورجعوا إلى تقاليدهم القديمة فى تمجيدهم . ولكن ذلك كله لم يغب شيئاً عندما أخذت تتجمع فى الأفق سحب قاتمة ، وعندما بدأت رياح الأحداث فى مصر وفى خارج مصر تدفع بتلك السحب فوق البلاد ، وإذا بمصر تتعرض مرة أخرى لفترة ضعف ، هى ما نسميه عصر الفترة الثانية .

### \*\*\* الفصل السادس \*\*\*

## عصر الفترة الثانية

### القسم الأول

#### الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة

( ١٧٧٨ - ١٦٨٠ ق.م. )

#### بين عهدين :

كانت الأسرة الثانية عشرة من أزهى عصور مصر دون شك ، وكان الملك أمنمحات الثالث من أعظم الفراعنة ليس في تاريخ تلك الأسرة فحسب ولكن في تاريخ مصر كلها . وقد اشترك معه في حكم مصر في آخر أيامه ابنه أمنمحات الرابع كما أسلفنا ، ثم تلتها الملكة ، سوبك نفرو ، التي كانت إبنة لأمنمحات الثالث . وفجأة أخذ نجم هذه العائلة في الأفول وتولاها الضعف ، وخرج الملك من يدها إلى أسرة أخرى وهي الثالثة عشرة . ويقف التاريخ - أو بعبارة أدق - يقف المؤرخون حائرين يتلمسون الأسباب لهذا التغيير وهذا الضعف الشامل الذي أصاب البلاد فلا يعرفون له سببا واضحا .

ويريد بعض الباحثين أن يرى أن سبب هذا الانحلال راجع إلى ظهور أعداء لمصر ، في سورية وفلسطين وفي الجنوب ، ويعتمدون على وجود عدد غير قليل من الدمى والأواني كتبت عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها (١) .

ولو درسنا هذه التعاويذ والدمى لوجدنا أنها خاصة بأمراء من النوبة أو من آسيا وقفوا موقفا عدائيا من مصر ، فأراد بعض من أحاطوا بالملك أن يقنعوه بأنه من

(١) ترجع عادة كتابة أسماء الأعداء على أوان من الفخار الأحمر أو على قطع صغيرة من الطين ، أو تماثيل من الطين ، إلى العصر المتأخر من الدولة القديمة ولكنها أستعملت في عصر الأسرة الثالثة عشرة على نطاق واسع . وقد عثر في طيبة على أوان من الفخار الأحمر غطيت جوانبها بتعاويذ سحرية لسحق أعداء فرعون ونشرها زيتها في بحثه K. SETHE, Die Achtung feindlicher Fürsten (Berlin, Abh., 1926) أما الدمى فقد عثر عليها في سقارة وكتب عنها

پوزنر G. POSENER. Princes el pays D'Asie et de ia Nubie (Bruxelles), 1940

وانظر أيضاً بحثاً مختصراً للمؤلف نفسه عن هذا الموضوع نشره في مجلة

Chronique D'Egypte, No. 27 (1939) pp. 39 ff.



الممكن سحقهم بواسطة السحر ما دامت تعوز مصر الجيوش ، وفي هذا الدليل الكامل على ضعف البلاد ووقوفها مكتوفة الأيدي أمام ذلك الخطر الذى أخذ يهدد كيائها . وإنى أقدم هنا مثلا واحدا لما هو مكتوب على دمية من تلك الدمى : « باكويت المسمى جاي ، حاكم أباتس بن أهاسى وأونكات وجميع حلفائه الذين معه وجميع رجالهم الأقوياء وعدائهم وجميع أصدقائهم وأتباعهم ، وكل ما تحدثه نفسه بالثورة أو التآمر ، والذين يحاربون أو يفكرون فى الحرب ، أو الذين يفكرون فى الخروج عن الطاعة فى جميع تلك البلاد ، وإذا درسنا هذه المجموعة لوجدنا أن بين أصحابها كثيرين من أمراء الجنوب وأمراء الإمارات السورية ، وأسماء أصحابها أحيانا سامية وأحيانا أخرى مصرية . ونعرف من بين البلاد التى ذكرت على هذه الدمى أسماء جبيل ( بيبيلوس شمالى بيروت ) وعسقلان ويافا كما ظهرت فيها لأول مرة كتابة إسم أورشليم - Au-shamem (أوشاميم) .

وهناك ظاهرة أخرى وهى وجود دمى لبعض المصريين أيضا ، ومعنى ذلك أن مصر كانت تعاني شدة كبرى ، وأن مصريين فى مصر نفسها وأمراء سورية والسودان الذين كانوا يدينون لها بالطاعة أخذوا فى الثورة عليها وإن فرعون أصبح عاجزاً عن قمع الثورة فالتجأ إلى السحر لعله ينقذه مما هو فيه .

وهنا نعود مرة ثانية لنتساءل عن سبب هذا الإنهيار وتعليله فلا نجد إلا فروضا يمكننا أن نسوقها ، ولكن لا نجد فى النصوص المصرية ما يؤكدتها تماما . وأول هذه الفروض أن ملوك الأسرة الثانية عشرة جاءوا وكانت مصر محكومة بحكام أقوياء فحاربوا بعضهم وها دنوا أو حالفوا البعض الآخر ، ولكن بقى للكثيرين منهم الجاه والثروة فى أقاليمهم فانتهزوا فرصة الضعف الذى انتاب البلاد بعد أمنمحات الثالث واستعادوا سلطانهم القديم ، خصوصا وأنه منذ بدء الأسرة الثانية عشرة كانت الخلافات والحزازات الداخلية فى العائلة تقطع أوصالها ، وكانت المؤامرات فى البيت المالك سببا من أسباب انهياره . وإلى جانب هذين الفرضين توجد حقيقة هامة ربما كانت هى أقوى الأسباب ، وهى أنه منذ عام ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بدأت بعض الشعوب الهندو - أوروبية تأتى من الشرق والشمال من موطنهم الأصلي فى أواسط آسيا لتستقر فى بلاد الرافدين وفى سورية . وترتب على هذه الهجرات اضطراب فى تلك الولايات ، وقد حاربت بعض هذه القبائل سكان البلاد الأصليين وأجلتهم عنها ، كما استقرت قبائل أخرى مع السكان وعاشوا فى وئام ؛ لأن هذه الهجرات لم تتخذ طابع الغزو المنظم ، وإنما جاءت هذه الشعوب تباعا فى طلب العيش . ولم يمض غير قرنين من الزمان حتى أصبح منهم أمراء يحكمون البلاد ، بل إننا نستطيع أن نرى بين

أسماء أمراء سورية الذين ذكرت أسماؤهم على الدمي أن بعضهم يتسمى بأسماء غير سامية وربما كانوا من هؤلاء الغزاة الشماليين .

وأمام هذه الأخطار كلها لم يكن لمصر المفككة العرى من سبيل إلا الاستسلام للقضاء .

### ملوك الأسرة الثالثة عشرة وآثارهم :

لا يمكن أن يكون قد زاد حكم ملوك هذه الأسرة عن خمسة وخمسين عاما؛ لأن مدة حكم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة لم يكن يزد على قرن ونصف كما سنرى ، وأن المدة التي تفصل الأسرة الثانية عشرة عن الأسرة الثامنة عشرة لم تزد على قرنين من الزمان ، بينما نرى أن المؤرخ المصرى مانيتون قد ذكر أنها تزيد عن خمسة عشر قرنا . وقد واجه مانيتون الصعوبة التي نواجهها الآن . فقد كانت أمامه قوائم طويلة لعائلات مختلفة فى نواحي مصر ، وكان كل منها يدعى الملك وأنه حاكم الشمال والجنوب ، فاعتبر مانيتون أن كل بيت من هذه البيوت حكم البلاد كلها ثم تلته البيوت الأخرى ، بينما الواقع أنها كانت تحكم فى وقت واحد عندما كانت مصر مفككة الأوصال . كان هناك بيت قوى فى طيبة وكان هناك بيت آخر فى قفط وثالث فى أسيوط ورابع فى شرق الدلتا وخامس فى غربها . وكان نفوذ بعض هذه البيوت يزداد حيناً ويتقلص حيناً آخر ، ولكن أهمها جميعا هو ما نسميه الأسرة الثالثة عشرة وهو البيت المالك الذى حكم على الأرجح فى منف فى الشمال وخلف آثارا كثيرة فى طيبة ، وفى أماكن كثيرة فى البلاد ، والذى ظهر من حكمه بعض ملوك امتد نفوذهم جنوبا إلى بلاد النوبة وشمالاً إلى لبنان .

وأول ملك معروف لنا هو ، سخم - رع - خو - تاوى ، الذى تسمى أيضاً باسم « أمنمحات ، سوبك ، حوتب » . ويريد بعض المؤرخين أن ينسب إليه أنه تزوج من الملكة ، سوبك نفرو رع ، ولكن يعوزنا الدليل على ذلك . وتلاه على العرش ملك آخر اسمه ، سعنف تاوى سخم كارع ، وقد جاء اسمه فى بردية تورين مثل سابقه ، وعثر على آثار له فى مختلف جهات مصر ، ولكن بدأت تسجيلات مقاييس النيل فى سمته وكمه تنقطع فى عهده مما يجعلنا نرجح أن بدء عدم استقرار الأمور فى النوبة راجع إلى أيامه .

ولدينا عشرات من أسماء الملوك الذين عثر على تماثيل ولوحات لهم فى نواح متعددة من مصر فى شمالها وجنوبها ، ومن بين هؤلاء الملوك واحد يدعى ، خع - سخم - رع ، سوبك حوتب ، ، عثر على أكثر من تمثال له فى صان الحجر ، وعثر

على تمثال له فى جزيرة أرقو بين الشلالين الثالث والرابع . ومن الأسماء الظاهرة بين هؤلاء الملوك اسم الملك ، سمنخ كارع إمبرا مشع ، واسم الملك ، خع سخم رع - نفر حوتب ، الذى يقترب اسمه بلوحة عثر عليها فى بيبيلوس وتمثل أمير ذلك الإقليم واسمه ، يوناتان ، جالسا أمام أسمائه مما يدل على امتداد نفوذ مصر إلى بعض مناطق سورية فى عهده ، وربما كان هذا الملك ممن كانت لهم السيطرة التامة على شرقى الدلتا على الأقل .

ولابد من الإشارة إلى ملك آخر وهو ، سواج - إن - رع ، الذى جاء ذكر اسمه على لوحة عثر عليها فى الكرنك ، وعليها صورة عقد يتنازل فيه حاكم إقليم الكاب عن منصبه لأحد أقاربه مقابل ٦٠ دينا ( ٩١ جراماً = دينا ) من الذهب ، وهى تشمل ذهباً وحبوباً وثياباً .. الخ .

أما الملك ، نحسى ، فإن ألقابه ووصفه بأنه ، حبيب ست رب أواريس ، تجعلنا نرجح أنه كان ذا صلة بأيام الهكسوس ، الذين كانوا قد بدأوا يستقرون فى شرقى الدلتا منذ أواسط أيام هذه الأسرة . ومن أبرز الأسماء فى هذه الأسرة اسم الملك ، خنجر ، الذى عثر على هرمه فى سقارة القبلية والذى نعرف أيضا أنه أمر وزيره ، عنخو ، ليقوم بإصلاح معبد سنوسرت الأول فى أبيدوس محتذيا بما قام به ملك يسمى ، نفر حوتب ، الأول وهو من هذه الأسرة أيضا ، ونعرف من إحدى اللوحات أنه جمع رجال بلاطه وأمرهم بدراسة الكتب القديمة لإعادة تشييد معبد أوزيريس فى أبيدوس كما كان وقت إنشائه منذ القدم (١) .

وكان ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وربما الرابعة عشرة أيضا ، يدفنون فى جبانة منف ، وقد أشرنا إلى هرم الملك ، خنجر ، فى سقارة القبلية الذى كشفت عنه حفائر مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٩ ، وكشفت فى الوقت ذاته على مقبرة منه عن هرمين آخرين لم يكن قد انتهى العمل فى أحدهما ، ولم يستطع القائمون بهذا الكشف أن يعرفوا اسمى صاحبيهما .

وفى عام ١٨٩٤ كشف عن قبر ملك يسمى ، حور - إواب ، وكان فى الناحية الشمالية من هرم أمنمحات الثالث فى دهشور داخل السور المحيط بالهرم ، وعثر فى هذا المدفن على أشياء ثمينة ومن بينها تمثاله الخشبى الشهير الذى يمثل واقفا فى

(١) اقتصر هنا على ذكر أهم الملوك الذين خلفوا آثارا فى البلاد . ولو أردنا سرد أسماء لذكرنا عشرات منهم ذكرت أسماءهم على جعارين . ولكننا لا نعرف فى الحقيقة مكانهم الصحيح أو إن كانوا من هذه الأسرة أو من الأسرة الرابعة عشرة أو بعد ذلك .

ناووس من الخشب وقد مثله الفنان عاريا وفوق رأسه علامة الرمح ، كا ، وهو الآن فى المتحف المصرى .

وفى عام ١٩٥٧ أذيع فى الصحف نبأ الكشف عن هرم ملك يسمى « أمينى عامو » فى دهشور ، كتبوا اسمه على أوانى الأحشاء التى هشمها اللصوص ، ولكن فحص هذا القبر لم ينته بعد ، ومازال هناك أمل كبير فى العثور على أشياء أخرى .

وليس لدينا حتى الآن دليل على أن هذا الملك حكم فى الأسرة الثالثة عشرة ، وربما كان ملكا فى زمن آخر بين هذه الأسرة السادسة عشرة ، ولكن مهما كان الأمر فإن الكشف عن قبر فى هذه المنطقة من الجبانة المنفية وعلى بعد مئات قليلة من الأمتار من مدفن الملك « حور إوا إب » يعطينا بعض الأمل فى أننا سنعرف أيضاً أسماء غيره من ملوك عصر الفترة الثانية متى تم حفر ذلك العدد الكبير من المرتفعات التى تملأ هذه المنطقة ، وتمتد مسافة طويلة على حافة بركة دهشور ، وهى كلها إلى الشرق من هرم سنفرو القبلى وإلى الجنوب من هرم أمنمحات الثالث .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه قد عثر على آثار بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة فى منطقة الختاعنة فى مركز فاقوس ومن بينها هريم من الحجر ، ومن الصعب جدا أن يقول أحد إن كانت بعض مقابر ملوك ذلك العهد كانت فى شرقى الدلتا حيث عثر على تلك الآثار ، أو أنهم جاءوا بها من منف لاستخدامها فى البناء فى عصور تالية .

#### الأسرة الرابعة عشرة ( ١٧٧٨ - ١٥٩٤ ق.م. ) :

ويحدثنا مانيتون أنه بعد انتهاء حكم الأسرة الثالثة عشرة تلاهم ملوك الأسرة الرابعة عشرة ، وكان مقر حكمهم فى مدينة سخا فى غربى الدلتا . وجاء فى أقوال مانيتون أن عدد ملوك هذه الأسرة ستة وسبعون ملكا حكموا مائة وأربعة وثمانين عاما . وتذكر بردية تورين نحو واحد وعشرين ملكا منهم ، أما ثبت الكرنك فلم يشر إليهم . ومهما كانت قيمة كتابة مانيتون ومهما كثر عدد الملوك الذين جاء ذكرهم فى بردية تورين ، فمن المرجح أن هذه الأسرة بدأت فى الوقت الذى بدأت فيه الأسرة الثالثة عشرة ، ولكنها استمرت مدة أطول ؛ لأنها كانت بعيدة عن مقر الهكسوس فى الشرق . أما آثار ملوك هذه الأسرة - إن كان مازال لدينا أمل فى العثور على آثار لهم - فإنها إما مازالت كامنة تحت حقول المنطقة ، لم تكشف عنها يد حتى الآن ، أو أن

تكون الأيام قد عفت عليها لكثرة ما تعرضت له بلاد الدلتا من محن على مر السنين .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسرة الرابعة عشرة كانت تحكم فى سخا فى وقت من الأوقات ، بينما كان شرقى الدلتا خاضعا للهكسوس الذين بدأت طلائعهم تستقر هناك . أما طيبة ، وجزء كبير من الصعيد ، فقد ظلت تحت نفوذ البيوت الحاكمة هناك .

**\*\* معرفتي \*\***  
[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)  
منتديات مجلة الإنسامة

## القسم الثاني

### الهكسوس

#### مقدمة :

لم يحظ عصر من عصور التاريخ المصري بعناية المؤرخين كما حظيت به تلك الفترة التي تعرضت فيها مصر لمحنة غزوها بشعب أجنبي أطلق عليه الناس اسم الهكسوس . وإذا أردنا حصر الأبحاث الجدية التي نشرت عنه لبلغت العشرات ، ومع ذلك فإن هناك كثيرا من النقاط الغامضة التي مازالت موضع نقاش عنيف بين المؤرخين ، وهناك نقط أخرى مازلنا نجهل تأويلها ، ومازال علم الآثار يضيف من آن إلى آخر عن ذلك العصر كثيرا من المعلومات ، سواء أ جاءت هذه المعلومات من مصر نفسها أو من خارج حدودها وبخاصة في فلسطين . ولكن قبل أن نتحدث عن تاريخ هذه الفترة وأثرها في تاريخ مصر ، يجمل بنا أن نعود قليلا إلى الوراء بل ونترك أيضا حدود مصر ونلقى نظرة على ما كان يجري في غربي آسيا .

ففي القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي في أواخر أيام الأسرة الثانية عشرة كان نفوذ مصر السياسي والاقتصادي والثقافي سائدا في غربي آسيا . وكانت مصر دون شك أقوى بلاد الشرق الأدنى ، وكانت تتدفق عليها خيرات آسيا والنوبة وشمال السودان وشمال إفريقيا وجزر البحر الأبيض . وبالرغم من انتهاء أيام الأسرة الثانية عشرة حوالي عام ١٧٨٠ ق.م . ( ١٧٧٨ على وجه التحديد ) ( ١ ) ، وتعرضها داخليا للضعف والإنحلال فإن نفوذها في خارج حدودها لم يتأثر كثيرا ، ولم يجد بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة صعوبة في الإبقاء على ولاء أمراء بعض الولايات وبخاصة في بيبلوس وأوجاريت ( رأس الشمر على مقربة من ميناء اللاذقية في سوريا ، كما ظل النفوذ المصري أيضا في كرمه ( في نقلة ) كما كان من قبل .

ولم تكد مصر تحاول النهوض من كبوتها حتى اضطرتها ظروف أخرى خارجية إلى التعثر ثانية ، فقد بدأت شعوب بلاد الرافدين وسورية وما جاورها عصرا

---

(1) LYNN WOOD, Bulletin ASOR 99.8; EDGERTON, JNES. 1 34 ; SÅVE SÖDERBERGH, JEA. 37 ( 1951 ), p. 53 .

جديدا من تاريخها . فإننا نعرف من وثائق مدينة مارى ( إسمها الحديث تل الحريري فى سورية ، قريبا من حدود العراق ) (١) ، والتي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن عشر ، أن الملك الأشورى ، شمشى أداد الأول ، ( Shamshi - Adad I ) كان حاكما على جزء كبير من الجزء الأعلى من بلاد الرافدين ، ولكن ابنه ، إشمادجن ، ( Ishma-Degan ) لم يستطع المحافظة على قوة أشور السياسية فاستطاعت مارى أن تحرر نفسها . وهذا هو نص خطاب تلقاه ، زمرى ليم ، ( Zimri - Lim ) حاكم مارى وهو يلقي كثيرا من الضوء على الموقف السياسى فى هذه المنطقة من بلاد الشرق فى ذلك العهد .

، لا يوجد ملك واحد يمكن أن يقال عنه إنه أقوى الجميع ، فإن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون ، حمورابى ، ( ملك ) بابل ومثل هذا العدد يتبعون ، ريم سين ، ( Rim-Sin ) ( ملك ) لارسا ( Larsa ) ومثل هذا العدد يتبعون ، إيبال بى إيل ، ( Ibal - Pi El ) ( ملك إشنونا Eshnuna ) ومثل هذا العدد يتبعون ، أموت بى إيل ، ( Amut - Pi El ) ( ملك ) قطنا ( Qatna ) ، و، عشرين ملكا يتبعون ، يريم ليم ، ( Yarim Lim - Pi El ) ( ملك يمخد ) ( Yamkhad ) (٢) ولكن هذه الاتحادات الصغيرة من المدن لم تبق طويلا فإن حمورابى ملك بابل هزم لارسا ومارى واستولى عليهما ومن المحتمل أيضا أن يكون قد حكم مملكة أشور ، ولكن لم يمض إلا زمن قليل حتى بدأت قبيلة من الجبال الشرقية تنزل إلى السهل وهذه القبيلة هى التى يطلق عليها المؤرخون إسم «الكاسيين» ( Kassites ) ، التى استقرت وأسست حكمها فى الجزء الشرقى من مملكة بابل .

أما فى شمالى بلاد ما بين النهرين أى فى أشور ، فإن شعبا أجنبيا آخر وهو شعب ، الحريين ، ( Hurrians ) جاء أيضاً من الشرق ولم يلبث إلا قليلا حتى صار له نفوذ كبير فى البلاد ، وكان من الطبيعى أن يحدث التصادم بين الكاسيين والحريين ، وأن يشتد بينهما التنافس ، ولكن الحريين أثروا ترك ما سبق أن استولى عليه الكاسيون واتجهت أنظارهم نحو الجنوب الغربى فهاجموا بعض المدن هناك وكانت من بينها مدينة آلالاخ ( Alalahk ) عاصمة مملكة ، يمخد ، وتلا ذلك اضطراب عام فى جميع البلاد السورية نشأ من جراء هذه الهجرات التى تدفقت عليها من ناحية الشرق ، ولم تكن هناك مندوحة من أن تتأثر مصر بما كان يجرى على حدودها ، وكان من

(١) ALBRIGHT, Bull, 99.9 ff.

(٢) DOSSIN, Syria, 19, 117 f. وأنظر أيضاً ما كتبه سيدنى سميث فى كتابه  
SIDNEY SMITH, Alatakh and Chronotogy.



المحال أن تبقى بمنأى عن نتائج هذه الهجرات والغزوات في بلاد الشرق الأدنى .

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن حالة مصر وضعفها النسبي في عهد الأسرة الثالثة عشرة ، وأشرنا إلى أنه من المحتمل أن تكون بعض الشعوب المهاجرة قد بدأت تستقر في شرقي الدلتا منذ أواسط أيام هذه الأسرة وأن ذلك كان بداية ظهور الهكسوس في مصر .

وبعد هذه المقدمة يبقى أمامنا موضوع الهكسوس نفسه ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - من هم الهكسوس ؟

٢ - حكم الهكسوس في مصر ؟

٣ - طردهم من مصر .

ولنبداً الآن بالقسم الأول من الموضوع .

١ - من هم الهكسوس ؟

كتب مانيتون يقول <sup>(١)</sup> : ، في عهد الملك توتيمايوس <sup>(٢)</sup> ( Toutimaïos ) ، ولا أدري السبب في ذلك ، أصابتنا ضربة من الله ، ودون أن نتوقع ذلك جاءنا غزاة من جهة الشرق من أصل مجهول ، ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الإستيلاء عليها بسهولة دون ضربة واحدة وبعد أن تغلبوا على حكام البلاد حرقوا مدننا دون رافة ، وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء قاس ، فذبحوا البعض وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكونوا إماء وعبيدا لهم . وأخيرا عينوا واحداً من بينهم إسمه ، سالييتيس ، ( Salitis ) ليكون ملكاً عليهم فأقام في منف وفرض الضريبة على شمالي مصر وجنوبيها وكان يترك دائماً الحاميات في أكثر المواقع المناسبة . . ويزيد مانيتون على ذلك بأن سالييتيس بنى حصناً في أوارس في شرقي الدلتا ويذكر أنه ترك فيها حامية عدد رجالها ٢٤٠,٠٠٠ مزودين بأسلحتهم ، وكان يذهب لزيارة هذا الحصن ويتفقد رجاله في شهور الصيف من كل عام . ويذكر مانيتون عدداً من ملوك الهكسوس كما يذكر بعد ذلك قصة إخراجهم من

MAMITO, ed. W.G. WADDEL, 79 ff.

(١)

(٢) يعتقد أولبرايت أن إسمه ( Timaios ) ( ALBERIGHT, Bull. ASOR 99, 15 n. 44 ) وأنه

من المرجح أن يكون هو الملك المصري ديدومس الذي وجد إسمه منقوشاً على صخور النوبة .

مصر (١) . ولكن هناك فى الوثائق المصرية القديمة بعض ما يزيد من معلوماتنا عنهم فقد أشارت الملكة حتشبسوت فى معبدها المنحوت فى الصخر فى بنى حسن (اسطبل عنتر إلى الهكسوس بقولها ، لقد أقمت ما كان قد تداعى ، وكذلك ما كان قد تهدم فى الوقت الذى كان فيه الآسيويون يحكمون فى أواريى فى الشمال ، وكانوا بجحافلهم المتجولة يعيشون بين الناس فسادا محطمين ما كان قائما . إنهم كانوا يحكمون دون ( اعتراف بسلطان ) رع ، وكان رع لا تنفذ له إرادة إلهية حتى جاء عهدى العظيم (٢) . وفى لوحة كارنارفون أو لوحة الكرنك الجديدة أو بردية سالييه التى سنتحدث عنها فيما بعد ، لا نجد ما يفيدنا فى البحث عن أصل الهكسوس أكثر من نعتهم بأنهم ، آسيويون .

من ذلك كله نرى أنه لا جدال بين العلماء فى أن الهكسوس أتوا من الشرق وأنهم جاءوا من آسيا ، ولكن إذا أردنا أن نقرب أكثر من ذلك لنعرف من أى جنس كانوا فإننا نصل إلى النتيجة الآتية : وهى أنهم ليسوا من شعب واحد وإنما من شعوب متعددة ، وأنه وإن غلبت فى أسمائهم الأسماء السامية فإننا نجد أيضا أن فيهم عناصر غير سامية لا شك أن بعضها ، كاسى ، والبعض الأخرى ، حرى ، وكلا الجنسين من أصل هندو - أوروبى نزل من أواسط آسيا كما سبق القول .

وكلمة الهكسوس ليست اسما ساميا أو آريا بل كلمة مصرية وهى تحريف للقب معروف منذ الأسرة الثانية عشرة وهو ، حقا خاسوت ، أى حاكم البلاد الأجنبية ، وكان لقبا يطلقه المصريون على زعماء القبائل البدوية التى كانت تعيش فى شرقى مصر ، ونراه مكتوبا فوق منظر قدوم البدو الساميين فى إحدى مقابر بنى حسن كما جاء أيضا فى قصة سنوهى أثناء حديثه عن إقامته بين بدو لبنان - سورية . ولا جدال فى أن هؤلاء الهكسوس جاءوا من طريق فلسطين وربما كانت جحافلهم

(١) لم يصلنا النص الذى كتبه مانيتون كاملاً وإنما وصلت إلى أيدينا أجزاء منه كما نقلها المؤرخ اليهودى يوسيفوس Flavius Josephus الذى عاش فى القرن الأول بعد الميلاد . وقد سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول أن يوسيفوس كتب كتابه رداً على العالم الأسكندرى أبليون (Apion) . رد عليه يوسيفوس ونقل ما نقله من مانيتون مدعياً بأن الهكسوس كانوا يهوداً وأنهم كانوا ملوكاً ذوى سلطة وجاه وحضارة وأنهم قوم ذوو تاريخ ومجد .

ولم يبق الزمن على نسخة من تاريخ مانيتون حتى يمكننا القول بأن ما ذكره يوسيفوس منقول بأمانة من المؤرخ المصرى القديم ، أو دخله التحريف ومدى هذا التحريف .

ومن خير الأبحاث عن كتاب يوسيفيوس THACKERY, Contra Apionem (London, 1926).

(٢) أحدث الترجمات للنص المصرى الذى على واجهة هذا المعبد هى ترجمة GARDINER, JEA, 32, (1947) pp. 48, ff.

المختلطة مستقرة هناك قبل مجيئهم إلى مصر ، فلما ضغط عليهم غيرهم هاجروا إلى وادى النيل وحملوا معهم كثيرا من عاداتهم ومظاهر ثقافتهم .

وكانت هناك آراء فى أنهم جاءوا عند غزوهم لمصر بالخييل والعربات الحربية ، وأنه كانت لهم مملكة واسعة شملت رقعة كبيرة من آسيا مدللين على ذلك بتشابه الحصون الحربية ووجود أنواع خاصة من الفخار ، ولكن أحدث الأبحاث العلمية لا تقبل هذه الآراء الخاصة بإمبراطورية هكسوسية بحال من الأحوال . كما أنه يعوزنا الدليل على أن الغزاة الأجانب جاءوا بالخييل والعربات ، بل أنهم لا يستعملوها إلا فى أواسط أيام حكمهم فى مصر وبعد أن مر عليهم فيها نصف قرن على الأقل (١) ، أو ربما بعد ذلك أيضا قبيل طردهم من مصر .

## ٢ - حكم الهكسوس :

تعتمد معلوماتنا عن هذا الموضوع على مصدرين أولهما ما كتبه مانيتون وما جاء على الآثار ، أما ثانى المصدرين فهو ما أخرجته الحفائر الأثرية فى مصر وفلسطين .

وتجمع المصادر المصرية على أن الهكسوس كانوا قوما مخربين وأنهم أذلوا مصر وخربوا معابدها ، ولكن النقد الصحيح لا يمكن أن يقر الاعتماد على وجهة نظر أحد الخصمين فقط فإن ما وصل إلى يدنا من هذه النصوص كتبه المصريون بدافع الوطنية الخالصة أو بدافع آخر من الزهو والدعاية من جانب الملوك المتأخرين مثل حتشبوت الذين قاموا بإصلاح ما أصاب بعض المعابد أثناء حرب التحرير .

فمثلا نقرأ فى نص حتشبوت إنهم لم يعرفوا الإله رع ، ولم يوقروه بينما نرى الكثيرين من ملوكهم جعلوا اسم رع جزءا من أسمائهم مثل : عا أوسر رع ، و نب خبش رع ، و عاقن رع (٢) ، بل أن بعض ملوكهم كتبوا أمام أسمائهم أنهم ابن رع ، جريا على عادة من سبقهم من ملوك مصر . وفى هذا دليل على عدم صحة ما ادعته حتشبوت .

أما عن سوء معاملتهم للمصريين فإن هذا أمر طبيعى ، فويل للمغلوب من

---

(١) انظر T. SAVÉ. SODERERGH. The Hyksos Rule in Egypt. J.E.A. 37 (1951), p. 59.

(٢) هؤلاء الملوك الثلاثة كان كل منهم يتسمى باسم ابوفيس ، بيبى ، ولكن يوجد غيرهم كثيرون أمثال : عا . حتب . رع . ، ، ، خع . أوسر . رع . ، ، ، خع . ان . رع . ، ، ، ما عت . إب . رع . ، ، ، نب . ناوى . رع . ، ، ، خع . مو . رع . وغيرهم .

الغالب في كل زمان ومكان ، وليس عجيباً أن نسمع بأن القاهر كان ظالماً أو مستبداً بل العجيب أن نتوقع أن نسمع من المغلوب رضاه عن قاهره وسالبي حريته ومن أذاقوه طعم المذلة والهوان .

وإذا رجعنا إلى الآثار نفسها لوجدنا أن مدة احتلال الهكسوس لمصر لم تدخل أى تطور ملحوظ على الفن المصرى أو الحياة المصرية ، فكل شيء سار فى مجراه الطبيعى وإذا كانت هناك بعض عناصر جديدة فى الفن المصرى أو فى الفخار فإنها كانت نتيجة منتظرة لزيادة اتصال مصر بغربى آسيا عندما كان الهكسوس فى شرقى الدلتا وكان أهلهم الأقربون يعيشون فى فلسطين وسورية .

أما ديانتهم - أو ديانة الذين لم يعتنقوا ديانة المصريين من بينهم - فإنها تركزت فى عبادة الإله سوتخ وهو دون شك أحد مظاهر الإله ، ست ، المصرى الذى كان معبوداً فى شرقى الدلتا منذ الدولة القديمة (١) وأنه لم يكن غريباً على البلاد . والمرجح أن الهكسوس رأوا فى هذا الإله شبيهاً أو صورة من الإله الأسيوى ، بعل ، ، فقبلوا أن يعبدوه وجعلوا منه المعبود الأكبر فى البلاد ، فكان فى هذا الإجراء بعض ما أذى شعور السكان الذين كانوا يعبدون آلهة أخرى . ولكننا نعرف أيضاً أن الحمار كان ذا شأن فى ديانتهم وسواء أكان هذا الحيوان رمزاً للإله سوتخ أو رمزاً لمعبود آخر فإنهم كانوا يجلونه ويدفنونه فى مقابرهم وكان الهكسوس يرسمون الإله سوتخ فى مظهر أسيوى أكثر منه مصرياً فإنه كان قريباً من مظاهر الآلهة الأسيوية أمثال ، بعل ، و ، رشب ، ( Reshep ) و ، تشوب ، ( Teshub ) فإن رداءه ولباس رأسه الذى يخرج منه القرنان صورة تامة للآلهة الأسيوية (٢) وهناك أثر هام لتاريخ ست والهكسوس على السواء ، وهذا الأثر هو اللوحة المعروفة باسم لوحة عام ٤٠٠ (٣) ، التى عثر عليها مريبت فى صان الحجر ثم دفنت ثانية وبحث عنها بترى وبارازنتى دون جدوى إلى أن عثر عليها مونتيه فى حفائره هناك . وقد أقام الملك رمسيس الثانى هذه اللوحة تخليداً لزيارة أبيه وجده لهذه المدينة فى وقت من الأوقات وكان ذلك فى أيام الملك حور محب عندما كان الجد أحد قواد الجيش وكان الأب ضابطاً فيه . حدثت هذه الزيارة حوالى عام ١٣٣٠ ق.م. ، وكان قد مضى إذ ذاك على بدء عبادة ، ست

(١) SETHE, Urgeschichte und altesle Recligion der Agypter, 47 ff.

أنظر أيضاً ما كتبه يونكر فى مجلة Z ٨ عدد ٧٥ ص ٧٧ ما تلاها ! وما كتبه شتوك فى مؤلفه عن الفترة من الأسرة ١٣ ، ص ٦٣٠ وما بعدها .

(٢) DUSSAUD, RHR 109, 116 ff; SÂVe-SÔDERGH, Ibidem, p. 64.

(٣) MONTET, ' La Stèle de L'An 400' Kemi IV (1933) p. 191-216 ; MARIETTE, (٣) Revue d'Arch. XI (1865) p. 169-1900

، فى هذه المدينة ٤٠٠ سنة (١) فلورجنا أربعمئة سنة إلى الورا لراينا أن عام ١٧٣٠ وهو بدء إعلان تتويج الإله ست إليها للبلاد كلها يوافق بدء سيطرة الهكسوس على مصر (٢) .

أما السبب الذى حدا برمسيس الثانى إلى إقامة هذا الأثر فهو ولا ريب تمجيد لهذا الإله الذى كان يحتل المكانة الأولى فى المدينة التى جاءت منها عائلة هذا الملك .

### ملوك الهكسوس :

إذا أردنا حصر ملوك الهكسوس سواء من ذكرهم مانيتون أو من ذكرهم الإفريقى ( Africauss ) أو من وصلت إلينا أسماؤهم مكتوبة على الآثار لوجدنا أمامنا جدولا طويلا من الأسماء وبخاصة ما جاء منها مسطرا على الجعارين .

ولنبدا الآن بمانيتون . فنراه قد قسم ملوك مصر فى عهد الهكسوس إلى ثلاث أسرآت أولاها وهى الأسرة الخامسة عشرة تتكون من ستة ملوك يبدأون بالملك ساليكتيس ثم يليهم ملوك الأسرة السادسة عشرة ( فى مختصر الأفريقى ) وعدد ملوكها اثنان وثلاثون ثم بعد ذلك ملوك الأسرة السابعة عشرة المعاصرون لملوك طيبة وعددهم ثلاثة وأربعون .

وقد تكلم عن هؤلاء الملوك وآثارهم بالتفصيل كل من الدكتور باهور لبيب (٣) والدكتور شتوك (٤) فى رسالتيهما عن هذا العصر ويكفيينا فقط أن نشير إلى بعضهم مثل الملوك الثلاثة الذين يتسمون باسم أبوفيس ( إيبى باللغة المصرية ) والذين عثر على آثار كثيرة تحمل أسماءهم فى أماكن عديدة من مصر ، ومن بينها تماثيل وأحجار منقوشة وبعض آثار صغيرة مثل الخنجر المصنوع من البرونز الذى عثر عليه فى سقارة فى مدفن شخص يسمى ، عبد ، وكان هذا الخنجر باسم شخص سامى آخر اسمه ، نحمدان ، .

ومن أهم ملوك الهكسوس الذين لا يمكن إغفال ذكرهم الملك المسمى ، خيان ،

(١) على وجه التحديد كان تاريخ زيارة الجد والأب فى : السنة الأربعمئة ؛ الشهر الرابع من فصل الصيف . اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين القبلى والبحرى : أى أن التاريخ هنا كان لبدء حكم هذا الإله فى تلك المدينة .

(٢) الرأى المتفق عليه نهائيا بين العلماء أن بدء حكم الهكسوس لابد أن يقع بين عامى ١٧٣٠ و ١٧٣٥ ق.م .

(٣) P.C.LABIB, Die Herrschaft der Hyksos in Ägypten und ihr Sturtz (1936) .

(٤) H. STOCK, Studien zur Geschichte und Archeologie der 13 bis 17 Dyn. Ägyptens (1942) .

وربما كان هو الذي ورد في قائمة مانيتون تحت اسم جناس (Jannas) ونعرف من آثاره الكثيرة أنه كان يحمل لقب ، حقا خاسوت ، من بين ألقابه ، وكان أيضا رئيس الجند ، وكان ابن الشمس ، كما كان يسمى الإله الطيب مثل ملوك مصر السابقين . ومن المهم جدا أن نعرف أن آثار هذا الملك عثر عليها في جهات مختلفة من مصر ، وفي سورية ، وفي فلسطين ، ومنها أيضا الأسد الذي يحمل اسمه الذي روى في بغداد يوما ما لدى أحد تجار الآثار وغطاء اناء من المرمر جاء من حفائر السير أرثر إيثانز في كريت .

وما من شك في أن ، خيان ، كان من أعظم ملوك الهكسوس ولكن وجود بعض الجعارين باسمه في سورية وفلسطين ، أو تمثال صغير لأسد لا يزيد طوله عن ٤٥,٢ سم في بغداد أو غطاء أنية متوسطة الحجم في كريت لا تجعلنا ننساق وراء من يذهب بهم الخيال إلى جعل هذه الأشياء أساسا لنظرية اتساع ملك الهكسوس ، وأنهم كانوا على رأس امبراطورية شملت مصر وسورية وفلسطين والعراق وجزر البحر الأبيض المتوسط فإن هذا غير مقبول ولا يستند على أى دليل جدى ؛ لأن جميع هذه الآثار من السلع التى يمكن أن يقال عنها إنها سلع تجارية وسهل حملها من مكان إلى مكان ، وعلى هذا فإن الإتجاه الحديث يخالف المؤرخ الكبير إدوارد ماير فيما رآه (١) .

### ٣ - طرد الهكسوس

كان مركز حكم الهكسوس فى شرقى الدلتا ، ولكن نفوذهم امتد مع الزمن فشمّل الدلتا بأكملها والصعيد ، وإن كنا نجهل الصلة التى كانت بين الهكسوس وأبناء البلاد ، ونجهل أيضا تقسيمها الإدارى فى ذلك العهد ، فإننا نستطيع أن نستشف مما وصل إلينا من وثائق أنه ليس بمستبعد أن يكون الهكسوس قبلوا دفع الجزية ممن والاهم من أمراء البلاد الذين ظلوا على رأس إماراتهم عندما غزوا مصر وآثروا السلامة فلم يدافعوا عن وطنهم .

فإذا كان هناك حقيقة أمراء مستقلون فإن أحدا منهم لم يجرؤ على ادعاء الملك وتلقب نفسه بألقاب الفراعنة المصريين كما كان الأمر فى الأسرة الثالثة عشرة ، ومرت أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة دون أن يكون هناك بين أمراء البلاد من يستطيع مقاومة نفوذهم ، ولكن فى الأيام الأخيرة من حكمهم بدأ بعض أمراء الصعيد يحسون بقوتهم ، وكان أكثرهم نفوذا وأعظمهم سلطانا أمراء طيبة الذين

ED. MEYER, Geschichte I. & 306. 307.

(١)



أخذوا يتحالفون مع جيرانهم فى شمالى طيبة وجنوبيها ، ولكنهم ظلوا يدفعون الجزية لملوك الهكسوس . وجاء اليوم الذى رأى فيه هؤلاء الأمراء أنهم أصبحوا ذوى حول وقوة ، وأن قوة أعدائهم فى الشمال أخذت فى الانحلال فلم يترددوا فى اعتبار أنفسهم ملوكا لإقليمهم ، وبدأوا يكتبون أسماءهم فى خانة ملكية مسبقة بألقابهم التقليدية بأنهم ملوك الوجهين القبلى والبحرى ، وهؤلاء هم ملوك الأسرة السابعة عشرة الذين كانوا معاصرين للمتأخرين من ملوك الهكسوس فى الدلتا .

ولسنا نعرف على وجه اليقين مدى العلاقة بين هؤلاء الملوك الطيبين وملوك الهكسوس ، فمن المرجح أن الطيبين امتنعوا عن دفع الجزية ، أو أن ملوك الهكسوس رأوا خطرا فى ترك أمراء طيبة وشأنهم فبدأ الاحتكاك بين الفريقين . والوثيقة الأولى التى تتحدث عن بدء النزاع ليست وثيقة معاصرة وإنما هى وثيقة من عصر متأخر من عصر الرعامسة أى يرجع تاريخ كتابتها إلى بضع قرون بعد طرد الهكسوس من مصر ، وربما كان مرور بهذا الزمن وطبيعة هذا النص كافيين لإدخال كثير من الخيال على محتوياته . تلك الوثيقة هى بردية سالييه ١ (١) . ونعرف من هذه الوثيقة أن الطاعون كان قد إجتاح البلاد ، مشيرين بذلك إلى وجود الهكسوس فى مصر ، وأن البلاد كانت خاضعة لهم وأن الملك أبوفيس جعل من الإله سوتخ معبودا لمصر ولم يقدم قربانا لإله غيره ، وبنى له معبدا إلى جوار قصره ، وكان يعبده دون حياء كما كان يعبد الناس فى مصر إله الشمس رع - حورحتى . وكان سقننرع فى ذلك الوقت حاكما على طيبة ولم يقبل أن يعبد إلها غير الإله أمون - رع .

ونعرف من سياق القصة فى بردية أن سقننرع كان يعترف بسيادة ملك الهكسوس ، ولهذا استقبل رسول أبوفيس بحفاوة عندما جاءه من أواريس ليبلغه بأن أفراس النهر فى مياه طيبة تقلق نوم أبوفيس وهو فى قصره فى الدلتا ولهذا فهو يطلب منه إسكانها ، وأن يهجر أفراس النهر ذلك المكان ، وذلك إلى جانب طلبه الآخر وهو ضرورة عبادة الإله سوتخ . وحاول سقننرع تهدئة خاطر الرسول ، ثم تملكته الحيرة فجمع رجاله لاستشارتهم . ولكن البردية ليست تامة لسوء الحظ ، وإن كنا نستطيع أن نخمن أن السبب فى كتابة مثل هذه القصة هو تسجيل انتصار الملك سقننرع على عدوه وربما كان الانتصار نفسه هو الذى أجبر الهكسوس على الاعتراف باستقلال حكام طيبة ، أو على الأقل أجبرهم على السكوت .

(١) GARDINER, late Egyptian Stories, 85 ff; LEFEBVRE, Romans et Contes Egyptiens, p. 131 ff.

وباللغة العربية كتاب سليم حسن . الأدب المصرى القديم ( القاهرة ١٩٤٥ ) ص ١٠٥٠ .



أما الملك أبوفيس فربما كان واحد من ثلاثة تسموا بهذا الاسم وذكرهم مانيتون ضمن ملوك الأسرة السادسة عشرة ، وبنى أحدهم وهو أبوفيس ( عاقنترع ) معبدا ، أو على الأقل أصلحه أو بنى جزءا منه فى أواريس ، ولهذا نرجح أن يكون هو الملك الذى أراد مناوأة سقنترع وبدأت فى أيامه المعركة الأولى من سلسلة المعارك التى انتهت بطردهم من مصر . وإذا كانت بردية سايبه ١ هى الفصل الأول من كتاب التحرير فإن الفصل الثانى نقرؤه عندما نفحص مومياء سقنترع ، وقد أبقى عليها الزمن وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى ، فنرى أن صاحبها مات متأثرا من جراح كثيرة فى صدره وضربه فأس فى رأسه مما يجعلنا نرجح أن يكون هذا الملك قد مات فى الحرب <sup>(١)</sup> ، وخط بدمه صفحة نقية فى تاريخ بلاده . أما الفصل الثالث من القصة فإننا نقرؤه بشيء من التفصيل فى نص معاصر كتب فى أيام الملك كامس ( كاموسه Kamosé ) ووصل إلينا أولا منذ أعوام طويلة على لوحة صبى فى أحد المكاتب أملاها عليه مدرسه كقطعة إملاء ثم عثر على جزء من لوحة من الحجر الجيرى فى الكرنك عام ١٩٢٨ . واللوحة الأولى هى المشهورة باسم لوحة كارنارفون وقد نشرها جاردنر <sup>(٢)</sup> ، واللوحة الثانية التى نشرها لاکو <sup>(٣)</sup> وهى دون شك جزء من اللوحة الأصلية التى نقلت عنها لوحة كارنارفون .

ويبدأ هذا النص القديم بالتاريخ . فنعرف أن ذلك كان فى السنة الثالثة من حكم الملك كامس وهذا هو النص :

« الملك القوى فى طيبة كامس له الحياة إلى الأبد . إنه ملك صالح وقد حباه رع ليكون ملكا حقا وسلم إليه القوة وأيم الحق . وكان جلالته فى القصر وقال للمجتمعين من كبار رجال الذين كانوا حوله : أريد أن أعرف مدى سلطاني إذا كان هناك حاكم فى أوراريس ، وآخر فى كوش ، وأجلس شريكا بين أسويى ونوبى ويحكم كل منا جزء من مصر ، إن هذا الذى يشاركنى فى الأرض يجعلنى لا أستطيع الوصول إلى منف وهى تابعة لمصر ، لأنه يتحكم فى مدينة الأشمونين . والناس فى نصب لأنهم جميعا فى خدمة الأسويين . سأحاربه وسأبقر بطنه ؛ لأن رغبتى هى أن أخلص مصر وأسحق الأسويين . » وقد أجابه مجمع رجاله بما يأتى : « انظر إن

(١) لا شك فى أن سقنترع مات متأثرا من جراحه ولكن بعض الأثريين الأجانب مثل جاردنر وجن GARDINER - GUNN J.E.A. 5, 43. يتشككون فى أنه مات فى موقعة مع الهكسوس ويقولون بأنه يعوزهم الدليل . ولكن مثل هذه النعمة لا تدهش أحدا وبخاصة إذا جاءت ممن يؤمنون بإضعاف كل ما من شأنه إيقاظ الروح القومية بين الشرقيين .

J.E.A. 3, 95 FF ; 5 45 FF. (٢)

LACAU. ANNALES DU SERVICE 39, 245 FF. (٣)

منطقة الأسويين تمتد حتى القوصية ، ثم حركوا أسنتهم وقالوا بصوت واحد ، ولكننا في طمانينة ونحكم مصرنا ، والفنتين بخير ، وجميع البلاد حتى القوصية إلى جانبنا والرجال يحرثون لنا أراضينا ، وترعى ماشيتنا في الدليل ، ويأتينا الشعير علفا لخنازيرنا . لم يأخذ أحد ماشيتنا غصبا ولم يعتد علينا معتد . إنه يملك على أرض الأسويين ونحن نمتلك على أرض مصر . أما إذا جاءنا أحد واعتدى علينا فإننا نقاومه . ويستمر النص فيقول إن ما فاهوا به أحزن قلب الملك وصاح فيهم بأنه سيطرد هذا الذي يشاركه الملك ، وأنه سيذهب إلى الشمال لينقض عليه وأنه واثق من أن النصر آت ، وأن البلاد كلها ستهدف لهذا الحاكم في طيبة وستقول عنه ، كامس هو حامى مصر .

إذن لقد بدأ النضال مرة أخرى ولم يكن هذه المرة دفعا لتحرش كما حدث في أيام سقنرع بل أن الشبل نما وترعرع وأصبح شبيها بأبيه ، وأحس أنه لابد من تطهير البلاد مما تحمله أرضها من رجس وشر . ونفهم من باقى النص أن أول معركة خاضتها جيوش طيبة كانت في مدينة نفروسي في إقليم الأشمونين وأن حاكمها المسمى تيتي بن بياوي جعل من إقليمه عشا للأسويين ، أى أنه كان ممالنا لهم ، وكانت في بلده حامية للهكسوس ولكنه انتصر عليهم ، وعند هذا الكلام ينتهى النص .

كانت هذه كل معلوماتنا عن حرب كامس مع الهكسوس حتى شهر يولييه ١٩٥٤ ، إذ شاء الحظ الحسن أن يعثر رجال مصلحة الآثار ، أثناء ترميمهم لبعض آثار الكرنك على لوحة ، استخدمها القدماء لتكون بين أحجار الأساس التى يقوم فوقها أحد التماثيل الكبيرة للملك بينزم أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين . كانت اللوحة كاملة لحسن الحظ ، وهى من الحجر الجيرى وارتفاعها ٢٢٠ سم ( ولكنها كانت فى الأصل ٢٣٥ ) وتهشم الآن جزء من أعلاها وجزء من أسفلها ) ، وعرضها ١١٠ وسمكها ٢٨ سم ، وتغطى الكتابة أحد سطحيها وجانبيها ، وعليها ٣٨ سطرا من الكتابة تكمل لنا قصة كفاح كامس ضد الهكسوس (١) .

ونعرف الآن أن النص الذى أمر كامس بكتابته تسجيلا لانتصاره لم يكن على لوحة واحدة وإنما كان على لوحتين أقيمتا على الأرجح على جانبي مدخل أحد

---

M. HAMMAD, Découverte d'une stèle du Roi Kamose, Chronique d'Egypte, (١) T.XXX (Juillet 1955) , p.198-208 ; LABIB HABACHI, Preliminary report on ka,pse Ste;a. Amma;es di Servoce, LIII ( 1955 ) ; p. 195 ff.

الهيكل فى معبد الكرنك ، وكان الجزء الألى من النص مكتوبا على لوحة مماثلة للوحة التى عثر عليها أخيرا ، ولكنها تعرضت لسوء الحظ للتخطيط ولم يبق منها إلا أجزاء قليلة هى التى عثر عليها داخل البيلون الثالث فى الكرنك من عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولكن نصها الكامل تقريبا معروف لنا من لوحة كارنافون . أما الجزء الثانى وهو الذى كان على الجانب الأيسر من المدخل فقد ظل سليما حتى استخدمه ملوك الأسرة الحادية والعشرين فى أساس أحد التماثيل كما ذكرنا .

والنص الذى على اللوحة الجديدة يكمل ما سبقه على اللوحة الأخرى ، وينحى باللائمة على ملك الهكسوس ويذكر هزيمته أمامه وخوف الأسويين من جيش مصر و ، أن نساء أواريس لن يلدن بعد ذلك ، . ويصف كامس غريمه ، أبيبى ، بأنه زعيم ، رتنو ، ويتحدث على حربه على سطح الماء فى معركة نيلية ويذكر انتصاره واستيلاءه على الكثير مما كان لدى عدوه ، وبخاصة ثلاثمائة سفينة مصنوعة من خشب الأرز ، كانت تفيض بمحتوياتها من الذهب واللازورد والفضة والفيروز وفؤوس القتال المصنوعة من النحاس ، والكثير من زيت الزيتون والبخور والدهن والعسل والكثير من أنواع الأخشاب الثمينة . ويذكر كامس على هذه اللوحة أنه أسر رسولا اتخذ طريق الواحات بعث به أبيبى ( أبوفيس ) إلى كوش يحمل رسالة مكتوبة بخطه يحرض فيها أمير كوش ( النوبة العليا ) على مهاجمة مصر من الجنوب أثناء اشتغال كامس بحربه ، ويعدده بأن يتقاسم معه مدن مصر .

وخشى كامس أن يحدث هجوم عليه من طريق الواحات فأرسل حملة من رجاله احتلت الواحات البحرية ؛ لأنها على رأس الدروب الموصلة إلى مصر الوسطى . ثم يعدد كامس المدن التى استولى عليها ، وفرح أهل طيبة بانتصاراته واستيلائه على البلاد الواقعة بين الأشمونين وأطفيح ، ولكن الاستيلاء على الوجه البحرى كله وعلى أواريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه بل تم على يدى أخيه أحمس كما سنرى .

وقبل أن ننتقل إلى نقطة أخرى أحب أن ألفت النظر إلى حقيقة هامة وهى وجود جنود من الميجا ، وهم من النوبيين الحاميين سكان شرقى السودان والصحراء الشرقية ، بين رجال كامس كما جاء فى لوحة كارنافون ، وهذا فى حد ذاته دليل على أن أمراء البيت الطيب كانوا قد استعادوا صلتهم بعض الشئ بالجنوب وكان بعض أبناء النوبة مشتركين فى حرب الاستقلال (١) .

(١) إن اشتراك بعض جنود الميجا فى جيش طيبة لم يكن إلا إستمرارا لتقليد قديم منذ عهد الدولة القديمة كما نعرف من تاريخ حياة القائد ، ونى ، من الأسرة السادسة مثلا . أما ما ذهب إليه سودريج ( J.E.A. 37, p. 71 ) من أن الهكسوس جلبوا أسويين والمصريين جلبوا إفريقيين وأن النزاع أصبح نزاعا بين آسيا وأفريقيا فهو محض خيال بعيد .

ولسنا نعرف كيف انتهت أيام البطل الثانى من أبطال الجهاد ولكننا نرى فجأة أمامنا البطل الثالث وهو الملك أحمس كامس الذى تسلم منه راية الجهاد وأعلنها حرباً لا هوادة فيها فتم له النصر وأجلى العدو عن مصر كلها . ولسنا نعرف قصة حروب أحمس من أى أثر ملكى ، ولكن الأيام قد أبقى على مقبرة أحد قواده واسمه ، أحمس بن إيانا ، من أهل منطقة الكاب على مقربة من إدفو ، فإن هذا القائد يحدثنا عن تاريخ حياته وتنقله فى الخدمة العسكرية كقائد لإحدى السفن ، ويذكر لنا كيف تبع سيده الملك أحمس فى حربه مع الهكسوس وكيف سقطت أواريس بعد حصارها وكيف فر الهكسوس إلى مدينة شاروهن ( Sharuhén ) فى جنوبى غزة وأن المصريين حاصروها ثلاث سنوات حتى سقطت فتم لهم النصر على أعدائهم . ومكان مدينة شاروهن الآن هو تل فرعه ( Tell Far'ah ) وهى المنطقة التى أطلق عليها فلندرزيتري اسم بيت بلث ( Beth Peleth ) فى تقارير حفائره <sup>(١)</sup> . وبعد أن اطمأن أحمس تماماً إلى سحق أعدائه وجه همه إلى إعادة تنظيم بلاده ولم يجد هناك ما يمنعه من القيام بحملة إلى الجنوب .

وهكذا خرجت جحافل جنود مصر من طيبة لمحاربة الهكسوس فلم تعد إلى وطنها إلا بعد القضاء عليهم ووضع الحجر الأول فى صرح الإمبراطورية المصرية .

### خاتمة الهكسوس :

احتل الملوك الثلاثة سقننرع وكامس وأحمس مكان الصدارة فى تاريخ عائلتهم ولكن يجب ألا ننسى أنهم كانوا آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية . نعرف قبلهم ثمانية على الأقل كان بعضهم يتسمى باسم ، أنتف ، والبعض الآخر باسم ، سويك إم ساف ، والبعض الآخر بأسماء أخرى ، وقد اهتم بدراستهم الأثرى ونلوك الذى قام بحفر مقابرهم فى منطقة الطارف ودراع أبو النجاس وقارنهم بما جاء فى بردية أبوت <sup>(٢)</sup> ، ثم قام بدراستهم حديثاً شتوك فى كتابه الذى أشرنا إليه أكثر من مرة فى هذا البحث .

---

(١) أنظر ما كتبه أولبرايت ALBRIGHT, The Archaeology of Palestine and the Bible.

ALBRIGHT Bull. ASOR 33, 7; DE KONING, PETRIE وكذلك 53, 187.

أنظر أيضاً Studien over de El-Amarnabrieven, (Delf, 1940) & 375. Ancient Gaza. (London 1932).

(٢) بردية أبوت مجموعة تحقیقات عن سرقات فى جبانة طيبة فى أواخر أيام الدولة الحديثة وجاء فيها ذكر مقابر بعض الملوك وموقعها فى الجبانة .

وقد عثر ماريبت على قبور بعضهم مثل قبر الملكة ، إيج حوتب ، زوجة سقننرع وأم الملك أحمس ، والتي تزين حليها بعض خزائن المتحف المصري ، ونعرف أيضا من بين ملكات هذا البيت اسم الملكة ، تتى شرى ، التي لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الأسرة وكانت جدة للملك أحمس ، واشتهرت فى عصرها وبعد عصرها ملكة أخرى وهى الملكة أحمس نفرتارى التى تزوجت زخويها كامس وأحمس واحدا بعد الآخر .

ولا شك أن هذا البيت المالك كان متأثرا فى الناحية الفنية بما وصل إلى مصر من تأثيرات أسيوية فى بعض قطع الحلى ، إذ نرى فى زخرفتها ما يجعلنا نقارنها بالطرز الخزرفية المعروفة لنا بأنها كانت شائعة فى سورية وفى كريت . ولكن إذا درسنا الآثار المصرية بوجه عام لا نرى أثرا كبيرا لاحتلال الهكسوس فقد ظلت التقاليد الفنية فى صناعة التماثيل وفى اللوحات وفى الحلى بوجه عام ، تتبع ما كانت عليه فى آخر أيام الأسرة الثانية عشرة اللهم إلا بعض التطور الذى يحتمه مرور الزمن . وكذلك اللغة ، لم يدخلها عنصر غريب أو يحدث فيها تطور يذكر ، وإذا قرأنا النصوص المبكرة فى الأسرة الثامنة عشرة فإننا نرى أن تكاد تختلف نحوها أو مفرداتها عن لغة الأسرة الثانية عشرة .

أما عن الهكسوس أنفسهم فإن حروب أحمس فرقت شملهم ثم جاءت حروب تحوتمس فقطعت دابرهم ، ومحتهم محوا تماما من صفحات التاريخ كقوة حربية أو كأمة لها كيائها . كان إحتلال الهكسوس لمصر أول ما تعرضت له من ذلة على يد أجنبى ، لهذا كان انتقام المصريين من أعدائهم على قدر ما أحسوه من مرارة ، وظلت هذه المرارة فى نفوسهم لم يقض عليها الزمن حتى فيما كتبه مانيتون عن طردهم من مصر بعد مرور نحو ١٣٠٠ عاما . بل وحتى الآن وبعد مضى أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام مازال المصريون يلعنونهم ، كما لعنهم أجدادهم ، كلما مروا فى دراستهم للتاريخ القديم بهذه الفترة من تاريخ بلادهم .

وبالرغم من أن أحمس الأول ينتسب إلى الأسرة السابعة عشرة فإن مانيتون وضعه على رأس أسرة جديدة وهى الأسرة الثامنة عشرة التى بدأت بحكمه عام ١٥٧٠ قبل الميلاد ، وقد أحسن مانيتون فإن حكم هذا الملك كان بداية عهد جديد فى تاريخ البلاد .

**\*\*\* الفصل السابع \*\*\***  
**الدولة الحديثة**  
**القسم الأول - بناء الإمبراطورية**  
**الأسرة الثامنة عشرة**  
**( ١٥٧٠ - ١٣٢٠ ق.م. )**

**أحمس الأول :**

كان أحمس الأول من أظهر ملوك مصر ، وكان بطلا من أبطال إستقلالها وفارسها في طرد الهكسوس ، وهو بالرغم من أنه أخو الملك كامس وابن سقننرع فإن مانيتون وضعه كما سبق القول على رأس عائلة جديدة . ولو أمعنا النظر قليلا لوجدنا أنه لم تكن هناك مندوحة من ذلك ، لأنه بالرغم من أنه لم يحدث تغيير في البيت المالكي إلا أن مصر بدأت عصراً جديداً وهو عصر جدير بأن يكون فاتحة لعهد جديد وهو الأسرة الثامنة عشرة .

ويميل بعض المؤرخين المحدثين <sup>(١)</sup> إلى اعتبار هذا الملك وإبنة أمنحوتب الأول من ملوك الأسرة السابعة عشرة ، ويبدأ الأسرة الثامنة عشرة بالملك تحوتمس الأول ، ولكن هذا الرأي لا يجد من أكثر العلماء قبولا ، ولو قبلنا منطق الأستاذ شارف نفسه وهو أن أحمس الأول ليس إلا أخا لكامس وإبنا لسقننرع ويجب أن يتبع الأسرة التي يتبعانها ، فإن تحوتمس الأول أيضاً من العائلة نفسها ، ولهذا يجب أن يكون من الأسرة السابعة عشرة أيضاً <sup>(٢)</sup> ، هو وأولاده وجميع من أعقبوه حتى إنتقال الملك إلى بيت آخر .

ومهما يكن من أمر فإن تقسيم مانيتون للأسرات المصرية وإعتبار قدماء

---

(١) أنظر مثلاً A. Scharff في كتاب SCHARF - MOORTGAT. Aegypten u. Vorderasien in Altertum, p. 123.

(٢) كانت أبحاث الأستاذ ونلوك في مقابر الطارف ودراع أبو النجا هي الأساس الذي قام عليه تتابع ملوك طيبة في الفترة التي سبقت طرد الهكسوس . وقد كتب ونلوك تقارير كثيرة ولكن في آخر أبحاثه التي نشرها بدأ يتراجع عما سبق له أن أبداه من آراء واعتبر كثيرين منهم تابعين للأسرة السادسة عشرة ولكن أبحاث شتوك في هذا الموضوع بالذات تجعلنا نؤمن أنهم جميعاً من عائلة واحدة وأنهم من الأسرة السابعة عشرة .



المصريين أنفسهم أن أحسن قد بدأ عصرا جديدا في تاريخهم ، وذلك التغيير الكبير في الحياة المصرية بعد أن طردت الهكسوس وطهرت أرضها من المستعمر وبدأت صفحة جديدة في تاريخها يجعل بدء الأسرة الثامنة عشرة يبطل الإستقلال أمرا أقرب إلى المنطق وإلى الحق .

وإذا تتبعنا تاريخ الملك أحسن لوجدنا أنه بعد أن تم طرد الهكسوس وهزيمتهم في فلسطين إلتفت نحو الجنوب فقام بحملة إلى تلك البلاد لإعادة الأمن إليها ، ولكن أثناء تغيبه هناك أراد بعض المصريين ( وربما كانوا من سلالة الهكسوس أى ممن كانوا مواليين لهم ) القيام بثورة فعاد وقضى عليهم ولم نسمع بعد ذلك بأية محاولة أخرى . وامتد حكم هذا الملك إلى أربعة وعشرين عاما قضاهما في إصلاح البلاد وتوطيد النظام وتعمير المعابد ، وبخاصة في طيبة وأبيدوس .

وقبل أن أترك عصر هذا الملك أرى من اللازم على الإشارة إلى بضع نقاط تتصل به . فبالرغم من أن هذه العائلة طيبية الأصل وأن آمون هو الإله المحلى لطيبة فإن ، القمر ، كان يلعب دورا كبيرا في حياة هذه العائلة ، فإن معنى كلمة أحسن هي القمر (إعح) ولد ، وكذلك إسم أخيه كامس فإن ، كا ، وتكتب بشكل الثور كانت وثيقة الصلة بالقمر وعبادته <sup>(١)</sup> ، وإسم أمه ، إعح حوتب ، أى القمر مطمئن وتكتب بالفرنسية فى الغالب . (Ah - hotep) . كما أن إسم تحوتمس نفسه يحتوى أيضا على إسم الإله تحوت الذى لم يكن إلا إله القمر نفسه <sup>(٢)</sup> .

ومما يستلفت النظر فى تاريخ هذه الحقبة من تاريخ مصر ذلك النفوذ الكبير الذى كان لسيدات هذه الأسرة ، وهو نفوذ نحسه فيما كان لهن من نعوت وأوصاف وما كان يقوم به الملوك لتخليد ذكراهن . وأظهر نساء هذه الأسرة ثلاث لعبن دوراً كبيراً فى حرب الإستقلال وبعث روح المقاومة فى العائلة ، أولاهن الملكة ، تتى - شرى ، جدة الملك أحسن التى ظل وفيا لذكراها إلى آخر سنى حياته ، وأقام لها فى أبيدوس أثرا كبيرا ليكون مدفنا مؤقتا لها ، ووضع فيه لوحة أبقي عليها الزمن لتقص علينا قصة وفاته لذكراها . أما ثانية هذه السيدات فهى الملكة ، إعح حوتب ، التى يظهر أنها لعبت دوراً رئيسياً فى الحرب وكان لها أثناء حياة ابنها المقام الأول . فإنه كتب عنها فى لوحة الكرنك <sup>(٣)</sup> :

(١) EBERHARD OTTO. Beiträge zur Geschichte der Stierkult in Aegypten (١) (1938), p. 30-31 .

(٢) كانت مدينة الأشمونين ( خمنو أو هرموبوليس ) فى مصر الوسطى هى المقر الرئيسى للإله تحوت وعبادته ، فهل كانت لهذه العائلة صلة خاصة بالأشمونين ؟

(٣) SETHE. urkunden, IV. P. 14 ff., Vercouller, Les Haou-Nebout BIFAO, T. (٣) 47148, 1948 .



، امدحوا سيدة البلاد ، وسيدة جزر البحر الأبيض ، فاسمها محترم في جميع البلاد الأجنبية وهي التي تضع الخطط للناس . زوج الملك وأخت الملك عاشت ( متمتعة ) بالحياة والسلامة والصحة . وهي أخت ملك وأم ملك ، هي العظيمة القديرة التي تهتم وتضطلع بشئون مصر . وهي التي جمعت جيشها وحمت الناس ، وأعادت الهاريين ولمت شتات المهاجرين وهدأت ما حل بالصعيد من خوف ، وأخضعت من كان فيه عصاة ، الزوجة الملكية ، إعح حوتب ، لها الحياة ، .

وقد أراد بعض المؤرخين ، وبخاصة المؤرخ الألمانى الكبير إدوارد ماير ،<sup>(١)</sup> أن يرى فى ألقاب هذه الملكة ما يسمح له بأن يقول إنها ربما كانت أصلاً من كريت وأنها تزوجت من ملكها ، لأن كريت كانت مركز حضارة جزر البحر الأبيض المتوسط . وأراد أن يرى فى نقوش حليها التى عثر عليها فى قبرها ما يؤيد كلامه إذ أن بعض هذه الحلى ، وعلى الأخص خنجرها ، بالرغم من أنها مصرية الصناعة إلا أن أثر الفن الإيجى ظاهر فى شكلها وزخارفها<sup>(٢)</sup> .

وليس من المستبعد أن يكون سكان جزر البحر الأبيض المتوسط تحالفوا مع بيت طيبة ، وقدموا شيئاً من المعونة فى حصار الهكسوس وأن نتيجة هذا التحالف كانت زيادة التجارة بين أهل كريت وأهل مصر . وليس من المستبعد أيضاً أن تكون الملكة «إعح حوتب» لعبت دوراً مباشراً وهاما فى هذا الأمر كما نستشفه من ألقاظ لوحة ابنها أحمس .

أما ثلاثة السيدات العظيمات فهى أحمس نفرتارى ، التى تزوجت من أخيها كامس ثم من أخيها أحمس وظل نفوذها كبيراً فى أيام ابنها أمنحوتب الأول . وما زلنا نجهل حتى اليوم السبب الذى جعل المصريين منذ أواخر الأسرة ١٨ وفى خلال الأسرات ١٩ ، ٢٠ حتى الأسرة ٢١ ينظرون إليها نظرة عبادة واحترام ، وأقاموا لها معبداً فى طيبة وجعلوا منها ومن ابنها أمنحوتب الأول إلهين حاميين للجبانة ، وكانوا يرسمونها على جدران كثير من مقابرها . أما الملك أحمس الأول فقد ألهمه

---

(١) انظر أيضاً ما كتبه إدوارد ماير فى كتابه عن التاريخ القديم الجزء الثانى ص ٥٥٠ ولكن آراء ماير بهذا الشأن وعلى الأخص ما قاله عن إنها من أصل كريتى أو تزوجت من ملك كريتى لا سند له من التاريخ حتى الآن .

(٢) عثر على هذه المجموعة الفريدة فى طيبة أيام مريت باشا وكان للعثور عليها قصة طريفة ، وهذه الحلى موجودة الآن فى متحف القاهرة .

المصريون أيضاً ، ولكن كان لعبادته شأن في أبيدوس أكبر من شأنها في طيبة (١) . وأبقى الزمن على كثير من مومياوات ومقابر وآثار بعض موظفي هذا الملك ولهذا أصبح من الميسور لنا معرفة الكثير عن حالة البلاد الإجتماعية في أيامه أما مؤمياؤه هو فقد سلمت من العبث وهي الآن في المتحف المصري .

وقد فحص إليوت سميث هذه المومياة ، (٢) ونعرف من بحثه أنه قد قدر له عمراً أربعين عند موته أي أنه تولى الملك وهو في الثامنة عشرة ، وكان طوله ١٦٣,٥ سم . وليس يدهشنا أن كون أحس قد مات في عمر مبكر فإن أمه عاشت عشر سنوات بعد وفاته .

### أمنحوتب الأول : ( ١٥٤٦ - ١٥٢٦ ق.م. )

ومات أحس الأول قرير العين وخلفه على العرش ابنه أمنحوتب الأول وكان يافعاً ، فقامت أمه ، أحس نفرتاري ، بعبء كبير في معونته كما فعلت الملكة ، إعح حوتب ، مع أبيه أحس من قبل .

وورث هذا الملك الصغير صفات أبيه وجده ، وما لبث أن خرج على رأس جيشه ليرى أطراف ملكه في شمالي السودان ، وفي سورية وفي ليبيا ، كما نعرف ذلك من تاريخ حياة القائدين ، أحس بن إيانا ، و ، أحس بن بننخبت ، . ولم يكن هناك ما يدعو لأن يستمر الملك الشاب في حروبه ، فإن مصر وما جاورها من البلاد ظلت هادئة ، وظل أمنحوتب في سياسته الإنشائية يعمر المعابد ويزيد في رخاء البلاد طيلة الأعوام الواحد والعشرين التي قضاها على العرش ، وقد بقي من أيامه بعض آثاره في الكرنك ، وبخاصة هيكل من المرمر أعيد تركيب أحجاره في السنوات الأخيرة .

أما قبر أمنحوتب فليس لدينا شك في أنه كان في دراع أبو النجا كما جاء في بردى أبوت ، وأن عمقه كان أكثر من ستين متراً (٣) ، وسواء أكان قبر الملك أمنحوتب

(١) من معيزات هذه الأسرة ( أو بعبارة أدق هذه العائلة منذ طرد الهكسوس حتى أمنحوتب الأول ) وضع أسماء أميراتها وأمرائها في خانات ملكية . وكذلك عبادة هؤلاء الأفراد في العصور التالية ( L.D. III. PL. 2d. ) انظر أيضاً - سليم حسن : مصر القديمة ج ٤ - ص ٢١٥ ، ٢١٦ - وخير مصدر عن عبادة أحس الأول في أبيدوس وأنه كانت له نبوءة خاصة به مثل أوزيريس ما جاء في لوحة باسر التي عثر عليها في العرابية المدفونة (Annales du Serv. XVI. p. 161) .

G. ELLIOT SMITH. The Royal Mummies, p. 15-18 (PL XI & XII 3) J. (٢) DÉntr-ee No. 51057.

(٣) يرى بعض الأثريين أنه ليس لدينا من الأدلة ما يكفي لإثبات أنه كان مدفوناً في دراع أبو النجا ويرى ويجل أنه صاحب مقبر ٣٩ في وادي الملوك . ولكننا نعلم علم اليقين أن تحوتس الأول كان أول من دفن في ذلك الوادي .

الأول هو الذى كشفه كارنارفون فى عام ١٩١٤ (١) أو لم يكن ، فإن هذا الملك كان أول الفراعنة الذين فصلوا بين قبرهم وبين المعبد الجنائزى ، لأن جميع الملوك السابقين كانوا إما يدفنون داخل أهرامهم أو كانوا يدفنون فى مقابر تعلوها أهرام مثل مقابر الطارف .

وكان أمنحوتب رفيقا برعيته طيلة السنوات الواحد والعشرين التى قضاها على العرش ، ولأمر ما ظل عمال الجبانة فى طيبة قرونا عدة بعد وفاته يعبدونه ويقدمون له القرابين ، بل كان هناك تقليد خاص وهو أن كهنة معبده فى تلك الجبانة كانوا من العمال أنفسهم (٢) ، ولم يكن هناك مركز واحد لعبادته بل عبد فى أماكن متفرقة وفى أشكال عدة .

ومما هو جدير بالذكر ، وله صلة بعهد هذا الملك ، أنه يوجد على ظهر بردية إيبيرس ( Ebers ) الطبية بيان بعدد من الأعياد مع تاريخ الاحتفال بها ، ومن دراسة علماء الفلك لهذه البردية أمكن تحديد السنة التاسعة من حكمه بأنها وقعت فى عام ١٥٣٦ قبل الميلاد . ومات أمنحوتب الأول دون أن يترك ولدا ذكرا من بعده ليخلفه على العرش فسبب ذلك شيئا من الاضطراب فى الوراثة ، وانتهى الأمر بتولى الملك تحوتمس الأول عرش البلاد . ولم يكن تحوتمس ابنا لأمنحوتب الأول ولكنه كان أميرا من أمراء البيت المالك وتزوج من الأميرة صاحبة الحق فى الوراثة للملك وكانت تسمى أحمس ، وهى ابنة أمنحوتب فأصبح له الحق فى ولاية العرش دون إعتراض .

كان تحوتمس أول فراعنة مصر المحاربين ، وهو الذى خطا الخطوة الأولى فى تشييد صرح الإمبراطورية المصرية ، وقبل أن نتحدث عنه أو عن أعماله يحسن بنا أن نقف قليلا لنلقى نظرة عابرة على بلاد الشرق الأدنى القديم لنعرف ما كانت عليه عندما تولى تحوتمس الأول عرش وادى النيل .

---

(١) أنظر GARTER, J.E.A. Vol 3, p. 147 هذا القبر على مسافة نحو ٨٠٠ متر من معبده الجنائزى الذى إكتشف فى عام ١٨٩٦ - وتذكر بردية أبوت أن قبر هذا الملك يقع شمال معبد أمنحوتب سيد الحديقة .

CERNY, BIFAO, T. XXVII, P. 159 ff.

(٢)

## نظرة عامة فى حالة بلاد الشرق الأدنى فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد:

وضع أحمرس اللبنة الأولى فى أساس الإمبراطورية المصرية وتلاه إبنه أمنحوتب الأول فحافظ على بناء أبيه . فلما جاء تحوتمس الأول كانت مصر مطمئنة وأمورها الداخلية مستقرة ، وكانت حدودها قد امتدت جنوباً حتى الشلال الرابع . أما عن صلتها بمن جاورها من البلاد فإن نفوذها السياسى المباشر لم يمتد إلا إلى الجزء الجنوبى من فلسطين وبعض بلاد الساحل الفينيقى ، أما ما بقى بعد ذلك من إمارات فى شمالى فلسطين أو فى سورية فكان بين صديق لمصر وبين مستقل عن أى نفوذ أجنبى ، أو تربط حكمه رابطة من الصداقة أو الولاء بدولة من الدول التى كانت تعيش وقتذاك فى بلاد الرافدين ، أو دولة خيتا فى آسيا الصغرى ، التى أخذت تظهر فى دنيا السياسة فى ذلك العهد .

أشرت عند الحديث عن الهكسوس إلى أثر هجرات الكاسيين والحريين من جبال القوقاز أو غيرها من ناحية الشمال الشرقى ، فلم يمض غير بضعة قرون حتى تمكنت بعض قبائل من هذين الشعبين من توطيد أقدامها فى الهلال الخصيب ، فقامت دويلات صغيرة متعددة فى بعض مدن سورية ولكن لم تقم مملكة كبيرة إلا فى شمال بلاد النهرين وهى مملكة ميتانى ، التى كان يقوم إلى الجنوب منها مملكة آشور ، وفى الجزء الجنوبى على مقربة من الخليج الفارسى كانت تقوم مملكة بابل ، ولم تكن هناك مندوحة من قيام التنافس بين هذه الممالك وبخاصة المملكتين الأخيرتين .

وكان من أثر هذه الهجرات الهندو - أوروبية قيام مملكة فى الأناضول وهى مملكة خيتا ، التى لم يأت عليها القرن السادس عشر ق.م . حتى كانت مملكة لها اتحادها وقوتها ، ولم تكتف بالسيطرة على آسيا الصغرى فقط بل تطلعت بعيونها نحو الجنوب ، وأصبحت هى والمملكة الأخرى ذات الأصل القوقازى الآرى وهى مملكة ميتاتى عاملاً قوياً فى سياسة دويلات سورية . وليس من المعقول أن تظل جزر بحر إيجه وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط بعيدة عن هذا التطاحن فقد كانت الصلة بين هذه الجزر وبلاد الأناضول وسورية وبخاصة الشاطئ الفينيقى ومصر متصلة ، وكان سكانها وعلى الأخص أهل كريت وقبرص ذوى حضارة قديمة وكانت سفنهم التجارية تزور شواطئ مصر وسورية ، وكانت موانئ بلادها تزخر بسفن مصر وفينيقيا . ولكن إلى جانب هذه الصلة التجارية والثقافية بين مصر وجزر البحر الأبيض المتوسط كانت هناك صلة أخرى يكاد يكون لها لون سياسى خاص . فنحن نعرف من النصوص المصرية منذ الدولة القديمة صلة مصر بهذه الجزر . حاول .

نبوت ، ، ونعرف أن هذه الصلة إزدادت في الدولة الوسطى فإذا ما انقشعت غمامة حكم الهكسوس بدا لأعيننا شيء جديد وهو زيادة هذه الصلة بمصر مما يجعلنا نقف متسائلين عن سببها . وإنى أميل إلى تفسير هذه الصلة بأنه ليس من المستبعد أن تكون كريت وبعض هذه الجزر وقعت . مثل مصر ، فريسة لحكم الهكسوس ، وأنه عندما بدأت مصر نضالها ضد الغاصبين لحريتها قامت كريت أيضاً بنضالها فتوحدت الغاية وتآلفت القلوب . وربما كان للجيش المصرية فضل مباشر على تطهير الجزيرة من فلول الهكسوس مما جعل أهل كريت يعترفون بفضل مصر وأصبح للملكة ، إمح حوتب، الحق في أن تسمى نفسها ملكة إذ ربما يكون أهل كريت أنفسهم قد خلعوه عليها كلقب من ألقاب الشرف والتكريم اعترافاً بما قدمه أهل طيبة لهم من معونة .

أما بلاد شمال أفريقيا فليس لدينا عنها معلومات كثيرة ، ولكن ليس لدينا أيضاً ما يدل على أنه كان لمصر نفوذ سياسى خاص هناك فى ذلك العهد ، ولو أن سكان البلاد التى على الحدود المصرية كانوا من البدو الذين لم تكن لهم دول ذات خطر سياسى على وادى النيل .

وبالرغم من تفرق كلمة هذه الأمم وقيام الدول المختلفة فيها ، فإن التجارة كانت تأخذ طرقها برا وبحرا بين البنجاب فى الشرق ومصر فى الغرب ، وكانت بلاد الفرات بحكم مركزها الجغرافى هى القنطرة الأولى للتجارة وسورية هى القنطرة الثانية ، ولم تكن هناك مندوحة من تطلع كل من دول ما بين النهرين وختيا ومصر إلى السيطرة أو على الأقل ضمان الولاء من ولايات سورية وفلسطين .

كانت هذه المصاعب تتراءى لمصر ، ولكن كان هناك دون شك عامل آخر له قيمته ووزنه . لقد تبع الملك أحمس الأول فلول الهكسوس إلى جنوبى فلسطين وهزمهم فى شاروهم فإلى أى المناطق إتجهوا وكيف انتهى بهم المطاف ؟ ويجدر بنا عند التفكير فى هذا الأمر ألا ننسى صلة الهكسوس الوثيقة بسورية وفلسطين ، فإنهم جاءوا من الشرق وكان فى تلك البلاد دويلات ممن اتصلوا بالهكسوس وأصحاب الأمر فيهم ذابوا دفعة واحدة من الأرض أو أنهم تبخروا ولم تبق منهم باقية . وليس بالأمر البعيد أن تلك البقية ومن إتصلوا بهم بصلة الجنس أو القرى أو ممن كانوا لا يؤمنون بصداقة المصريين ويميلون إلى الدول التى تنافسهم أصبحوا ، على الأرجح ، مع مرور الزمن خطراً على الولايات الصديقة لمصر ، بل ربما أيضاً خطراً على مصر نفسها (١) .

(١) إذا رجعنا إلى قصة طرد الهكسوس كما رواها مانيتون فإن الملك الذى طردهم وقضى عليهم

اسمه Toutimaïos بن Misphragmouthis .

وسواء أكان هذا الفرض صحيحاً أو غير صحيح فإن اعتلاء الملك تحوتمس الأول لعرش البلاد كان إيذاناً بعصر جديد وهو بدء تسيير الجيوش المصرية على نطاق واسع إلى خارج الحدود وتكوين الإمبراطورية المصرية التى بلغت أوجها فى عهد الملك تحوتمس الثالث أعظم ملوك مصر المحاربين .

### تحوتمس الأول ( ١٥٢٥ - ١٤٩٥ ق.م. ) :

لم يكن تحوتمس الأول عند إعتلائه العرش شاباً يافعاً أو فى زهرة شبابه ولكنه كان قد جاوز الأربعين وأصبح مكتمل الرجولة ، وكانت تملأ نفسه ذكريات طفولته عندما كانت البلاد مشتتة الحماس بعد طرد الهكسوس .

جلس تحوتمس الأول على العرش عام ١٥٢٥ ق.م. ولم تكد تنتهى مراسيم تتويجه ويطمئن على سير الأمور فى البلاد حتى ذهب إلى الجنوب ليتفقد نتائج حملتى أحبس وأمنحوتب هناك ، وقد توغل حتى وصل إلى آخر دنقلة وأصبحت مدينة نبتا عند جبل برقل داخلة ضمن حدوده ، وقد ظل هذا الحد أى الشلال الرابع لمدة خمسمائة عام تقريباً دون تغيير ، بل أخذ النفوذ المصرى يتوغل كثيراً نحو الجنوب حتى وصل إلى قبيل الخرطوم . ولكى ينظم أمور هذه المملكة الجنوبية جعل المنطقة إبتداءً من مدينة الكاب شمالى إدفو حتى آخر حدوده فى السودان وحدة واحدة يحكمها موظف أطلقوا عليه ، الإبن الملكى لكوش ، ومنذ هذا اليوم أخذت بلاد النوبة وشمالى السودان تصطبغان بالصبغة المصرية البحتة وبدأت الثقافة المحلية الوراثة فى تلك البلاد تختفى تدريجياً حتى كادت تتلاشى مع مرور الزمن .

وبعد أن انتهى تحوتمس من إصلاح حال حدوده الجنوبية إلتفت نحو أسيا فذهب إليها فى السنة الثانية من حكمه ، وسار حتى وصل إلى نهر الفرات الذى أسماه معاصروه ، ذو المياه المعكوسة ، إشارة إلى أنه يجرى من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيل ، وقضى هناك بعض الوقت فى اصطلياد الفيلة وأرسل منها بعض عشرات إلى معبد آمون فى طيبة .

وبدأ تحوتمس الأول بتشيد المباني الفخمة فى معبد الكرنك ليجعله جديراً بأن يكون المعبد الرئيسى لعاصمة الإمبراطورية التى أخذ ينظم أمورها فأزال المعبد المتواضع الذى كان قائماً منذ أيام الأسرة الثانية عشرة ، وبنى مكانه معبداً كبيراً أمامه مسلتان من الجرانيت مازالت إحداهما قائمة فى مكانها حتى الآن ، أما الأخرى فقد وقعت على الأرض أيام القرن الثامن عشر ومازالت بعض أجزائها ملقاة هناك . كما أقام أيضاً بهواً كبيراً فيه أعمدة مربعة على واجهتها تماثيل على شكل الإله أوزيريس ، عثر على بعضها تحت أرضية المعبد فى عام ١٩٤٢ .



ونحن نعرف الكثير عن أعمال أمنحوتب وتحتمس مما كتبه مهندسهما ، إنيني ، في لوحته التي نقش واجهتها في مقبرته في علوة الشيخ عبد القرنة ، فهو يذكر لنا قصة مبانيه التي أقامها في الكرنك ، ويذكر لنا أيضاً قصة تكليف الملك تحتمس له ليبحث عن مكان في الجبل الغربي أمام الأقصر ليكون مقراً صالحاً لقبره . كان هذا الملك هو أول من قرر الإقلاع عن التقليد القديم وهو الدفن في هرم أو مقبرة . يعلمها هرم ، وفصل أن يدفن في مكان خفي بعيد عن العيون وأن يكون معبده الجنازى على حافة الزراعة . وكان هذا الوادى الذى إكتشفه ، إنيني ، وقطع فى أحد أركانه قبر تحتمس الأول هو ، وادى الملوك ، الذى أصبح منذ ذلك اليوم مكان دفن ملوك الأسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين .

وقضى هذا الملك ثلاثين عاماً فى حكم البلاد ، وترك مصر فى خير حالة ، فقد بسط نفوذه القوى فى الجنوب والشمال وبدأ فى تعمير البلاد بعد أن بدأت تتدفق على طيبة خيرات الأمم المختلفة إذ نعرف من مقابر الأفراد الذين عاشوا فى أيام تحتمس الأول كيف بدأت مصر تدخل فى عهد جديد من الرخاء .

#### تحتمس الثانى ( ١٤٩٥ - ١٤٩٠ ) :

كان زواج الملك تحتمس الأول من الأميرة ، أحمس ، ذات الحق الأول فى الوراثة هو السبب الذى جعل منه ملكاً شرعياً فى أنظار الشعب ، ولكن شاءت الظروف ألا تلد له الملكة أحمس ولداً ذكراً ، بينما ولد له ذكور من زوجات أخريات . وكان أهم أولاده الذين بقى إسمهم ظاهراً فى التاريخ إبنته حتشبسوت بنت الملكة أحمس ، وكانت قوية الشكيمة ورثت الصفات القوية فى نساء هذه العائلة كما ورثت حب المجادلة من أبيها ، ثم أكبر أبنائه الذين عاشوا وكان يسمى ، تحتمس ، مثل أبيه وقد ولد له من زوجة إسمها ، موت نفرت ، وتزوج تحتمس هذا من أخته حتشبسوت وبدأ حكمه كغيره من الملوك .

ولكن منذ البداية دب الخلاف بين الاثنين . فإن تحتمس الثانى كان ضعيف الصحة غير طموح بينما كانت حتشبسوت فتاة طامحة تملأ رأسها فكرة الاستئثار بالملك ، ولهذا اضطربت الأمور وانقسم موظفو القصر ، وربما موظفو الدولة أيضاً ، إلى حزبين وبدأت المؤامرات الداخلية تفعل فعلها فى البلاد . وكان من أثر هذا الخلاف أن قامت ثورة فى شمالى السودان ، وقسم بعض أمراء البلاد الأصليين بلاد كوش بينهم فأرسل الملك جيشاً هزم الثوار وأعاد الأمور إلى ما كانت عليه ، وكان الملك تحتمس فى أسوان عندما عاد جيشه منتصراً من الجنوب ، ومن المحتمل أن



تكون ثورة أخرى قامت في سورية ، ومن المحتمل أيضاً أن تكون بعض القبائل البدوية في شرقى مصر إنتهزت هذه الفرصة وأخذت تقطع الطرق على القوافل فأدبها جيش فرعون . وبالرغم من ذلك كله فقد أظهر هذا الملك شيئاً من الإهتمام بالبناء فقد عثر على آثار له في طيبة ، وعند الشلال الثانى ، كما جاء ذكر إسمه فى نقوش كثيرة وبخاصة فى مقابر الموظفين الذين عاشوا فى أيامه .

ومدة حكم هذا الملك فيها شىء من الخلاف؛ لأن مانيتون ذكر أنه حكم عشرين عاماً وذكر بعض رجال الآثار ( دارسى ) أنه رأى أثراً فى المتحف المصرى مؤرخاً فى العام الثامن عشر ، ولكن هذا الأثر مفقود الآن ولا نعرف مكاناً له حتى يمكن التأكد من هذا التاريخ ، لأن ظواهر الأمور وما وصل إلى يدنا من آثار تجعل هذا الحكم الطويل أمراً مستحيلاً ، ولا يمكن أن يكون قد زاد حكمه عن خمس سنوات . ويموت الملك تحوتمس الثانى بدأت فترة صراع شديدة ، صراع قوى جبار بين حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث الذى كان من خيرة ملوك مصر ، إن لم يكن أعظمهم جميعاً.

#### النزاع بين حتشبسوت وتحوتمس الثالث :

نعرف من لوحة ، إنينى ، المهندس المعمارى الذى عاصر أكثر من ملك من ملوك هذه الأسرة أنه بعد موت تحوتمس الثانى تولى تحوتمس الثالث الملك ، ولكننا نقرأ فى النص ذاته أن أخته ( أى أخت تحوتمس الثانى ) كانت هى التى تدبر أمور البلاد وأن مصر ، كانت مطأططة الرأس وهى تعمل لها وكانت هى صاحبة الأمر ؛ لأنها البذرة الممتازة التى خرجت من الآلهة ، .

وكان أكثر الأثريين إهتماماً بهذه الفترة من تاريخ مصر هو ، برستد ، وقد نشر آراءه فى كتابه عن تاريخ المصريين القدماء ولكن جاء بعد ذلك العالم الألمانى ، كورت زيته ، (١) فكتب عن هذا الموضوع وعارض آراء برستد ، وظلت آراء زيته مصدراً تاريخياً مهماً لهذه الفترة من تاريخ مصر حتى طلع ، إدجرتون ، (٢) ببحث له وعدل فى بعض آراء زيته وأصبح ترتيبه هو المقبول ما يقرب من عشرين عاماً أى

(١) كتب زيته أول أبحاثه فى عام ١٨٩٦ تحت عنوان KURT SETHE, DIE Thronverren unter den nachfolgern konigs Thoutmlsis I, Untersuchungen I, p. 1-58 ثانياً للرد على ناقديه وأستعان بمصادر أثرية جديدة - Das Hatshepsutproblem noch einmal untersucht 'Abhandlungen-Preuss.-Akad. d. Wissenschaft/Æten, Berlin, 1932Æ .

(٢) EDGERTON, The Thutmosid Succession (Studies in ancient Oriental Civiliza- tion : Publications of the Chicago Oriental Institute) .

إلى أعوام قليلة مضت . وتتلخص آراء إدجرتون فيما يأتي :

١ - أراد تحوتمس الثانى أثناء حياته أن يعلن لابنه تحوتمس الثالث حتى تولى العرش من بعده ، فدبر لذلك موضوع اختياره بوساطة الإله أمون رع فى أحد أيام الأعياد عندما كان تحوتمس هذا يعيش فى المعبد كأحد كهنته .

٢ - بعد وفاة تحوتمس الثانى ، تزوج تحوتمس الثالث من حتشبسوت الملكة الشرعية وصاحبة الحق فى الوراثة ليكون جلوسه على العرش شرعياً ، ومنذ اللحظة الأولى لم تكن زوجة فقط بل كانت شريكة فى الملك .

٣ - كانت حتشبسوت امرأة طموحة كما أسلفنا ، وكانت صاحبة رأى طيلة أيام تحوتمس الثانى فأصبحت لها السلطة الكاملة فى بدء حكم تحوتمس الثالث الذى كان أصغر سناً ودونها فى المرتبة الاجتماعية ؛ لأن أمه لم تكن إلا زوجة ثانوية . ولكن آراء إدجرتون أصبحت بدورها فى حاجة إلى تعديل والمأخوذ به الآن حسب آخر الأبحاث هو (١) .

١ - تحوتمس الثالث ابن لتحوتمس الثانى وليس إلا أخا له .

٢ - تزوج تحوتمس الثالث من أميرة اسمها حتشبسوت صارت زوجته الأولى ، وهى ليست حتشبسوت الكبرى وإنما هى ابنة لها .

وإن فى اعتبار تحوتمس الثالث ابناً لتحوتمس الثانى ليس إلا رجوعاً إلى رأى زيته أما عن زواجه بابنة حتشبسوت التى سميت بإسم أمها فهو أمر ثانوى والحجة عليه ضعيفة ولا تغير فى صلب الموضوع شيئاً ذا أهمية . فقد كانت حتشبسوت الكبرى صاحبة الأمر فى البلاد منذ أواخر أيام أبيها تحوتمس الأول حتى موتها ، وربما اضطرتها التقاليد إلى الزواج من ابن زوجها وابن أخيها عندما مات أبوه وأشركته فى العرش ، ثم تزوج بعد موتها من ابنتها ، مريت رع حتشبسوت ، .

ومنذ البداية أخذت حتشبسوت مقاليد الأمور كلها فى يدها وجعلت من ابن أخيها الصغير الجالس على العرش شبه خيال أمام الناس ، وكانت تكتب اسمه مع اسمها فى البداية ولكن لم تمض سنوات حتى أصبح لها الأمر المطلق ولم يعد لتحوتمس الثالث أى ذكر فى الحكم . كما بدأت حتشبسوت ترسم نفسها فى المعابد وهى ترتدى زى الرجال وتستخدم ضمير المذكر فى النصوص ، وكان هذا كله لكى

(١) JOHN WILLSON The Burden of Egypt. (1951) p. 174. وفى الترجمة العربية لكتابه

، الحضارة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

توهم الناس أن التقاليد المتبعة لم يدخل عليها أى تغيير بوجود امرأة على العرش .  
 واصطفت حتشبسوت بعض الموظفين ، وكان أكثرهم حظوة لديها المهندس  
 سنموت الذى قام ببناء معبد الدير البحرى لها ، وكان يشرف على تربية ابنتها الأميرة  
 نفرو - رع ، التى أعلنتها خليفة لها فى الملك ، ولكنها ماتت وهى صغيرة .  
 ونرى على جدران معبد الدير البحرى وفى مباني معبد الكرنك قصة حياة هذه  
 المرأة الجبارة ، فقد إدعت أنها ليست من صلب أبيها وإنما هى ابنة للإله أمون رع  
 الذى اختار أمها الملكة أحمس لتكون أمّاً لابنة له تحكم مصر . ورسمت مناظر هذه  
 القصة على أحد الجدران فى المعبد ، وقصت على جدار آخر قصة طويلة تتلخص فى  
 أن أباهما تحوتمس الأول بايعها بالملك فى حياته عندما كانت فتاة شابة ، وأن الكهنة ،  
 وكبار رجال الدولة وافقوا على ذلك ، أى أن كل من تحوتمس الثانى والثالث كانا  
 مغتصبين لحقها . ومن أجمل وأهم نقوش هذا المعبد العظيم ذى الموقع الممتاز مناظر  
 الرحلة البحرية التى أرسلتها إلى بلاد بونت لتجلب البخور وغيره من خيرات البلاد  
 إلى مصر ولتنقل بعض أشجاره لزرعها فى حديقة معبدها . ولنقوش الدير البحرى  
 أهمية كبرى لدراسة موضوع بلاد بونت التى بدأت تظهر فى كتابات المصريين منذ  
 أيام الأسرة الخامسة ، وكان لها مركز خاص فى ديانتهم ، ومكانها حول بوغاز باب  
 المندب على الناحيتين أى تشمل الصومال وجنوبى بلاد العرب كما ذكرنا من قبل ،  
 أما أعمال حتشبسوت فى الكرنك فكثيرة وأهمها المسلتان العظيمتان والصالة التى  
 كانت خلفهما ، ومعبد من الجرانيت عثر على أكثر أحجاره فى صرح الملك أمنحوتب  
 الثالث بعد أن هدمه تحوتمس الثالث . ولم تقم حتشبسوت بأى حملات حربية اللهم إلا  
 فى الجنوب (١) . واعتنت ببناء ما كان مخرباً من اثار البلاد وبخاصة ما هدمه  
 الهكسوس ، كما نقرأ على واجهة هيكلها المسمى اصطبل عنتر فى بنى حسن .

ولا جدال فى أنها كانت سيدة قديرة حكمت مصر بحزم ، ولكن موقفها من  
 زوجها ثم من ابن زوجها جعل من الشاب الصغير عدواً لها فلما اشتد ساعده ، ووجد  
 من الأعوان من يساعده على تحقيق أمنيته ضرب ضربته واستعاد حقه . ولسنا نعرف  
 حتى الآن كيف انتهت حياة حتشبسوت ، ولكننا لا يخامرنا أى شك فى أنها كانت  
 نهاية محزنة فإنه لم يعثر على جثتها فى مقبرة من مقبرتها فى طيبة ، ولا فى  
 خبيطة الدير البحرى ، كما نعلم أيضاً أن تحوتمس الثالث أزال اسمها من كل أثر .

(١) انظر ما كتبه أخيراً لبيب حبشى :

LABIB HABACHI, Two Graffiti at Seché from the reign of Queen Hatshepsut.  
 Journal of Near Eastern Studies Vol. XVI, April 1957, p. 88 ff.

وحطم مقابر أصفيائها وأسمائهم ، وعلى الأخص سنموت الذى بنى لنفسه قبراً فى علوة الشيخ عبد القرنة ثم قبراً آخر على مقربة من الدير البحرى ، ولكن حتشبسوت غضبت عليه قبل موتها . وصب تحوتمس الثالث جام غضبه على كل ما أقامته فحطم تماثيلها وكان العمال يوقدون النار حول تلك التماثيل ويصبون عليها الماء فتتناثر أجزاؤها إلى آلاف القطع الصغيرة ، ثم رموها كلها فى محجر قديم أمام الدير البحرى حيث عثرت عليها بعثة متحف المتروبوليتان وأمكن جمع قطع هذه التماثيل وترميمها ، ويوجد بعض هذه التماثيل الآن فى متحف القاهرة والبعض الآخر فى متحف المتروبوليتان بنيويورك .

وهكذا انتهى حكم حتشبسوت بتلك الفاجعة بعد أن حكمت وحدها ثمانية عشر عاماً . فقد مات تحوتمس الثانى فى عام ١٤٩٠ وحكم تحوتمس الثالث بالإشتراك مع حتشبسوت مدى أربع سنوات ، ثم قبضت حتشبسوت على السلطة فى عام ١٤٨٦ واستمرت حتى عام ١٤٦٨ ، ولكن تحوتمس الثالث لم يعترف بهذا وظل بعد القضاء عليها يؤرخ أيام حكمه منذ كان صبيّاً بعد وفاة أبيه فى عام ١٤٩٠ . وطالت سنوات جلوسه على العرش ، حتى مات بعد أن حكم ٥٤ سنة فى عام ١٤٣٦ .

ولسنا نعرف إذا كان وجود امرأة على عرش مصر كان السبب فى انتفاض الجنوب وبدء الثورة فى سورية على حكم مصر ، أو أن ما عساه أن يكون قد قام من حرب أهلية وانقسام البلاد كان هو السبب فى ذلك . على أى حال فإن الموقف فى كل من السودان وسورية وجد فى الملك الشاب خير كفاء له ولم يكد تحوتمس ينفرد بالحكم حتى سار بنفسه لتوطيد ملكه .

#### تحوتمس الثالث : ( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ) (١)

لم يكد تحوتمس ينتهى من القضاء على عمته حتشبسوت ومن كان يواليتها ، حتى بدأ يجهز نفسه لتوطيد ملكه فى آسيا ؛ لأن النفوذ المصرى كان قد بدأ يتدهور فى سورية ، وبدأ بعض الزعماء فى الاستقلال بولايتهم عندما رأوا بأعينهم الانقسام الداخلى فى مصر .

ونحن نعرف تفاصيل الحملة الأولى مما جاء على جدران معبد الكرنك ؛ لأن تحوتمس الثالث كان يصطحب معه فى حملاته كتاباً يؤرخون كل ما يحدث ، ونرى فى ذلك أول اتجاه ، أو بعبارة أخرى أول تقليد ، لعمل تقارير حربية مفصلة نستطيع

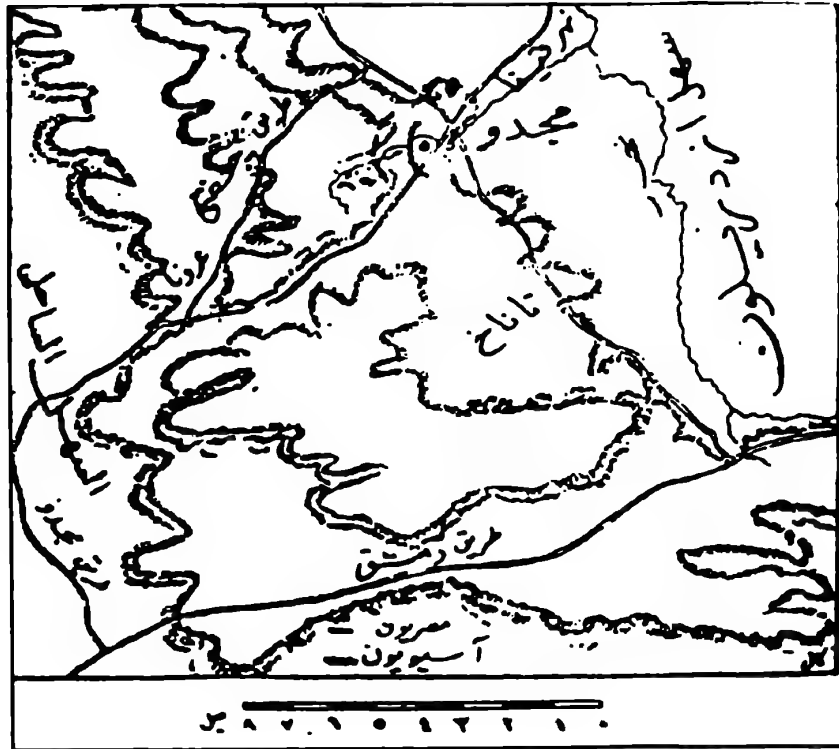
---

(١) فى رأى إدوارد ماير ومن تبعه من العلماء تقع أعوام حكم تحوتمس الثالث بين ١٥٠٢ - ١٤٨٨ ولكن جعل بداية حكمه فى ١٤٩٠ أقرب إلى الصواب .

أن نقارنها بتقارير المعارك الحربية الحديثة ، وكان الأصل مكتوباً على ملفات البردى ونقلوا بعض مقتطفات منها على جدران الكرنك .

ونقرأ فى أخبار هذه الحملة أنها كانت فى العام الثانى والعشرين من حكمه أى فى السنة الأولى من إنفراده بالحكم ، وأنه غادر حصن ثارو ( على مقربة من القنطرة ) فى طريقه إلى فلسطين فوصل إلى غزة بعد تسعة أيام ، وهذا سير سريع لجيش يقطع الصحراء ولم تكن لديه وسائل النقل الميكانيكية ، إذ أن هذه المسافة تزيد على ٢٨٠ كيلو متراً . ولم يضع تحوتس وقته ؛ لأنه كان يعلم أن الذين شقوا عصا الطاعة جمعوا جموعهم عند مدينة مجدو ( تل المتسلم - على الحافة الجنوبية لسهل جزريل الذى ذكرته التوراة تحت اسم Jezreel - Esdraelon وهو مرج ابن عامر فى الناحية الشرقية الشمالية من جبال الكرمل ) وكان هذا الإتحاد تحت رئاسة أمير قادش ، فلما تقدمت الجموع إلى مجدو اعتبر تحوتس الثالث أن هذا إعتداء عليه وعلى حدوده ولهذا هب للدفاع عنها .

ترك الجيش غزة ووصل بعد ذلك بسلام إلى بلد يقال له ، يحم Ychem ، بعد مسيرة أحد عشر يوماً لم يلق فيها الجيش أى جموعهم فى مجدو ، وكانت هذه الجموع



مجدو ، والطرق الموصلة إليها.

مؤلفة من رجال ثلاثمائة وثلاثين زعيماً من زعماء سورية وفلسطين . وكان أمام تحوتمس ثلاث طرق إثنان منها يدوران حول سفح جبال الكرمل والثالث طريق مباشر صعب المرتقى ولكنه يوصل رأساً إلى مجدو . عقد القائد الشاب مجلسه الحربى فكانت نصيحة قواده له أنه ليس من الحكمة أن يخاطر بسلامة الجيش وحذروه من إتخاذ طريق الجبال الذى يبدأ من مكان يسمى « عرونا » وقالوا له بأنه لا يأمن أحد على سلامة الجيش فى ممر ضيق لا يتسع إلا لمسير عربية واحدة ، ولكن تحوتمس صمم على رأيه ، وقال إنه لابد من مفاجأة العدو من هذا الطريق وأصدر أمره إلى الجيش ليستعد للتحرك فى فجر اليوم التالى حيث وصلوا فى آخر اليوم إلى مدخل الممر . وفى صباح اليوم التالى أقسم تحوتمس أن يكون فى طليعة جيشه وأن يسير على قدميه ، فلما إنتهى من اجتيازه أراد الزحف مباشرة إلى مجدو ، ولكن ضباطه ألحوا فى الرجاء أن ينتظر هناك حتى يتم تجمع الجيش ، وقد تم ذلك بعد سبع ساعات . وعسكر المصريون عند مدخل « وادى قينا Kina » وفى فجر اليوم التالى هجم الجيش المصرى على شكل نصف دائرة على مجدو ، ولم يلبث المدافعون عنها أن ولوا عند بدء الهجوم تاركين معسكرهم بما فيه وكان كل منهم أن يدخلوا المدينة المحصنة ، ولكن الذين كانوا داخلها أغلقوا الأبواب وأخذوا يساعدون رجالهم بجذبهم إلى أعلى الأسوار وذلك بعمل حبال من ملابسهم . ويذكر لنا النص المصرى بأنه لولا أن الجنود المصريين شغلوا أنفسهم بنهب المعسكر لأمكنهم الإستيلاء على المدينة ، وقد كلفتهم هذه الغلطة أنهم ظلوا سبعة شهور فى حصارها حتى استسلمت استسلاماً تاماً ، وقدم جميع من كان فيها من الزعماء ولاءهم وخضوعهم . ولكن زعيم قادش كان قد فر بعد المعركة . وبعد الاستيلاء على مجدو إتجه تحوتمس شمالاً مستولياً على البلاد كلها بغير عناء ولم يذكر إلا أسماء ثلاثة من المدن ربما حاولت ألا تفعل ما فعلته الأخرى فاضطر لتأديبها (١) .

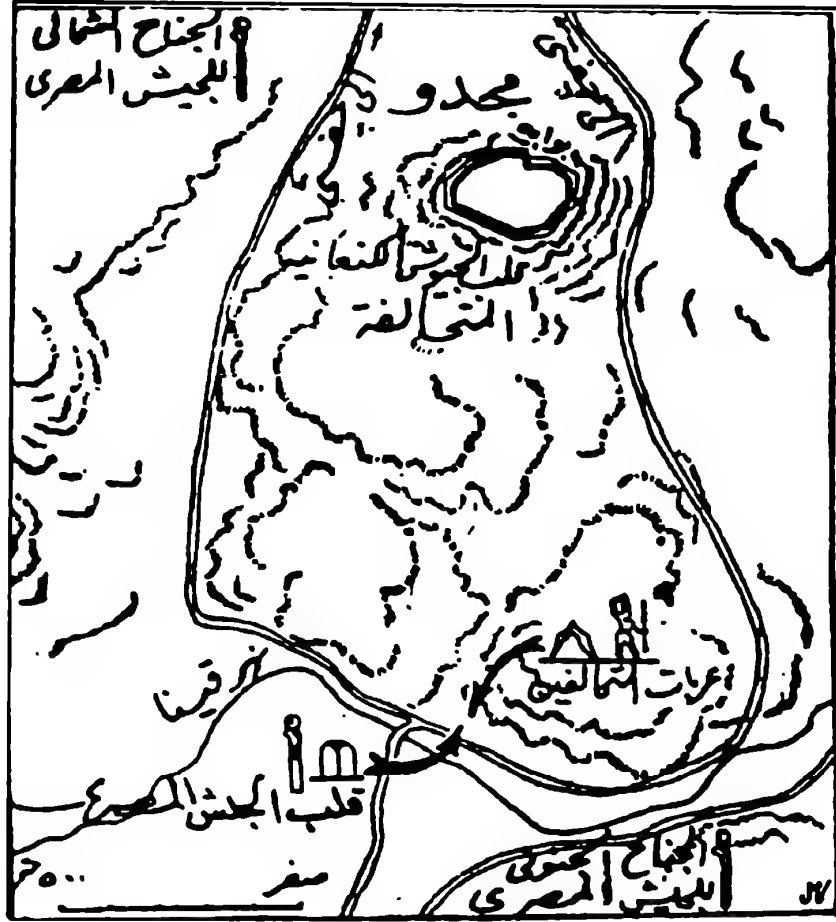
وإذا نظرنا إلى بيان الغنائم التى وقعت فى أيدي المصريين لهالنا ثراء تلك البلاد . فكثيراً ما جاء ذكر العربات الحربية المصفحة بالذهب والفضة وكذلك الأواني الذهبية والأسلحة ، وقد ذكر تحوتمس أيضاً سبعة قضبان من نوع ثمين من الخشب إسمه « مرو » كانت مصفحة بالفضة لتحمل سرادقات بعض الأمراء .

كانت حملته على « مجدو » فاتحة لحملات أخرى بلغ عددها ست عشرة

---

(١) هذه المدن الثلاث هى « ينعم » ( وتقع على بعد ٩ كيلو مترات من طبرية ) و « نجاسا » ( وهى مدينة نوحاشش وكانت قريبة من حلب ) أما الثالثة فإسمها « حرتكر » لم يعرف مكانها على وجه الدقة .





معركة مجدو

حملة ، كان يقوم بها عند إقبال الصيف ويرجع إلى مصر في أوائل الشتاء فيقضى وقته في إصلاح حالة البلاد أو الإشراف على تنفيذ ما كان يأمر به من معابد أو مبان . وقد رأى تحوتمس في حملاته التي تلت الحملة الأولى ضرورة إعداد بعض الموانئ السورية لتكون قواعداً للأسطول المصري ، إذ أنه في الحملات الخمس الأولى كان يتقدم ويستولى في كل حملة على بعض بقاع جديدة ولكن كان دون وصوله إلى بلاد الفرات عقبة كؤود وهي الاستيلاء على مدينة ، قادش ، الحصينة التي كانت مركز المقاومة للنفوذ المصري ، والتي كان يتزعمها ويتزعم غيرها من المدن أميرها الذي كان على رأس المتحالفين في أولى حملات تحوتمس . فلما انتهى تحوتمس من إعداد كل شيء وضمن تعاون الأسطول مع الجيش البري سواء في النقل أو في التموين هاجم قادش واستولى عليها في حملته السادسة التي كانت في العام الحادي والثلاثين من حكمه . وفي حملته الثامنة وصل إلى الفرات واستولى على مدينة قرقميش ، وقد أقام



على ضفة الفرات إلى جانب لوحة جده لوحة أخرى ، وقد فقدت كلاهما ولم يعثر عليهما حتى الآن .

ونعرف من سياق قصة حربه أنه كان قد أعد لعبور الفرات سفناً حملت أجزائها على عربات . صنعت هذه السفن في ، جبيل ، ونقلت إلى ، قرقيش ، وأدى استخدامها إلى فتح أقاليم الفرات أمام الجيش المصري . وبدأت مملكة ، ميتاني ، تحس بحاجتها إلى صداقة مصر فقدمت ولاءها وهداياها ، وكذلك فعلت مملكة أخرى آرية وهي مملكة ، خيتا ، في آسيا الصغرى التي بدأت منذ أيام تحوتمس الثالث تظهر في صفحات التاريخ ، وكان أول هذا الظهور هو تقديمها الهدايا الثمينة مع رسول خاص لطلب صداقة ملك مصر . وكذلك فعلت ممالك آشور وبابل وأصبحت مصر منذ هذه الحملة صاحبة النفوذ في غربي آسيا ، كما أصبحت جميع ثغور فلسطين وسورية ، وجزر البحر الأبيض المتوسط داخلية تحت نفوذ مصر بفضل أسطولها القوي .

واستمرت حملات تحوتمس بعد ذلك إلى أن كانت الحملة السادسة عشرة في العام الثاني والأربعين من حكمه ، وكانت مدينة قادش أعلنت العصيان مرة أخرى يؤازرها ملك ميتاني ، وانضمت إليها مدينة ، تونيب ، التي كانت غير بعيدة من مدينة ، حماة ، الحالية . وسقوط مدينة ، قادش ، وتحطيمها للمرة الثانية قضى على كل أثر لمعارضة النفوذ المصري في تلك الأصقاع .

قضى تحوتمس الثالث بعد هذه الحملة إثني عشر عاماً على العرش لم يحدث خلالها ما يجعله يسير إلى آسيا . فإن البلاد كلها دانت له ، وكانت ترسل هداياها وما قرره عليها من جزية كل عام إلى طيبة ، وكان الحكام المصريون في جميع هذه البلاد ينفذون أمر الجالس على عرش طيبة الذي امتدت رقعة ملكه من الفرات في الشمال إلى ، نبتا ، في الجنوب أي كان طول إمبراطوريته نحو ٣٢٠٠ كيلو متر .

### شخصية تحوتمس الثالث :

اشتهر اسم تحوتمس الثالث كقائد حربي من الطراز الأول . رأيناه يضع الخطط وينفذها ويلجأ إلى أساليب جديدة في فن القتال ، كما رأيناه أيضاً يتحلى بشجاعة نادرة ، ولم يكن يتطلب من أحد جنوده أن يفعل أمراً لا يستطيع هو بنفسه أن يفعله ، ويكفي موقفه يوم عقد مجلسه الحربي في ، يحم ، ويوم تقدم الجيش على قدميه في ممر ، عرونا ، لنعرف أنه كان جندياً ممتاز الصفات في كل شيء .

ولكننا نعرف من الوثائق الأخرى أن ميزاته الحربية لم تكن إلا إحدى نواحي عظمتة . فقد حكم إمبراطوريته الواسعة بالحزم واللين وكان يعرف كل ما يحدث في

أرجائها ، كما قال عنه وزيره «رخ - مى - رع» ، كالصقر يرى كل شيء .

أدرك تحوتمس الثالث أنه لن يستطيع الإبقاء على إمبراطوريته إذا لم تقم على أساس المودة . ولهذا لم ينتقم من الأمراء الذين حاربوه بل قربهم وثبتهم فى وظائفهم ، وقبل منهم الولاء بعد أن أقسموا له يمين الطاعة . ولكنه رأى أن يأخذ معه بعض أبنائهم ليتعلموا فى مصر مع أبنائه ومع أبناء كبار الرجال ، ليشبوا مؤمنين بصداقة مصر لهم ولبلادهم ولكى يرتبطوا منذ طفولتهم وشبابهم بروابط الصداقة مع الأمراء المصريين ومع أبناء كبار الموظفين .

وكانت رحلات تحوتمس الثالث إلى بلاد سورية غير مطبوعة بالطابع الحربى فقط بل إنها كانت «مطبوعة» أيضاً بطابع آخر . فقد أصدر تحوتمس أمره إلى رجاله بأن يدخلوا إلى مصر كل ما يجدونه صالحاً من حيوان أو فواكه أو زراعات ، ونرى صوراً لكثير من الطيور والحيوانات والنباتات على جدران إحدى القاعات التى بناها فى معبد الكرنك ، صوروها على جدرانها كل ما أمر بإحضاره إلى مصر ، ونعرف أنه كان ضمن ما أدخلوه إلى مصر فى ذلك الحين الدجاج والرمان .

وليس من المستغرب بعد ذلك أن نرى أن بعض مظاهر الفن والحضارة السورية والعراقية بدأت تظهر فى البلاد ، وبدأ كثير من الأسويين يستقرون فى وادى النيل ، وكان لهم الحرية التامة فى أن يعيشوا كما كانوا يعيشون فى بلادهم ويعبدوا آلهتهم الأسبوية ما يحلو لهم . وكان تحوتمس الثالث يقدر شجاعة رجاله فيغدق على من يميز نفسه على أقرانه جميع أنواع الترفقيات والهدايا . فنرى مثلاً فى تاريخ حياة أحد ضباطه ، «أمون - إم - حب» ، الذى دونه على جدران مقبرته فى طيبة كيف كان الملك يكافله فى كل مرة يظهر فيها الشجاعة مثل اليوم الذى أنقذ فيه حياة الملك عندما هاجمه أحد الفيلة أثناء صيدها فى سهول الفرات ، ويوم أسعفه ذكاؤه فهجم على الفرس التى أطلقها زعيم قادش فى الحملة السادسة عشرة لتحدث الإضطراب بين الصفوف فى العربات التى كان يجرها الذكور من الخيل ، ولكن «أمون إم حب» هجم على الفرس وقتلها .

وليس هناك ما هو أوقع فى النفس مما فعله لتخليد ذكرى الملك سنوسرت الثالث فى بلاد النوبة والسودان ، فإن سنوسرت الثالث اهتم كثيراً بهذه المنطقة وحصنها ووضع لوحات عند حدودها ، وأصلح كثيراً فى إدارتها ، فلما نزل تحوتمس إلى تلك البلاد ورأى بعينه أعمال جده الذى حكم قبله بأكثر من أربعمئة سنة لم يسعه إلا أن يأمر بتأليهه وتشديد المعابد بإسمه ، وأمر بأن يرسمه الفنانون وهو يقدم القرابين له باعتباره إلهاً حامياً للنوبة .

أما نظرة هذا الفرعون إلى الحكم وكيف يجب أن يعامل الناس فإننا نقرأها على جدران مقبرة الوزير ، رخ مى رع ، ، وهى وصايا هذا الملك لوزيره يوم أسند إليه منصب الوزارة ورسم له الطريق الذى يجب أن يسير عليه ، وهى وصايا لم تكن دستوراً صالحاً للماضى فقط ، بل صالحة لكل زمان ومكان وفيها تحليل نفسى للشعب ، والصلة التى يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم .

### كبار رجال ذلك العهد :

كانت أكثر أعوام تحوتمس الثالث سنوات حرب فلهذا كنا نتوقع أن يصبح لقواده العسكريين الذين كانوا دائماً حوله فى حروبه المركز الأول فى البلاد ، وأن تصبح لهم الكلمة الأولى فيها . ولكننا إذا درسنا حياة رجاله الذين خلفوا آثاراً وراءهم نرى أن بعد نظر هذا الحاكم جعله يضعهم فى مكان لا يعدونه حتى لا يفلت الزمام من يده . ونحن نعرف كثيراً من أسماء ضباطه الذين أبلوا بلاءً حسناً فى الحروب والذين حظوا بإنعامه وعطفه ، ولكن لا نرى واحداً منهم وصل إلى مركز رئيسى كبير بل أن إدارة البلاد المالية والقضائية والدينية بقيت بعيدة عن رجال الجيش ليتفرغوا لبناء الإمبراطورية ويحافظوا عليها .

كانت طيبة فى أيام تحوتمس الثالث عاصمة العالم القديم ، وكانت تتدفق عليها خيرات إفريقيا وآسيا وجزر البحر الأبيض ، وكان يفد إليها كل عام رسل جميع البلاد يحملون خير ما استطاعت بلادهم تقديمه من ذهب وفضة ، ومعادن أخرى وأحجار كريمة ، ومصنوعات مختلفة . وكان موظفو الخزانة هم المسئولون عن تسلم هذه الهدايا وأنواع الجزية ، كما كان الوزير يستقبلهم بحكم منصبه ليقدمهم إلى فرعون . وكثيراً ما سجل كبار موظفى ذلك العهد هذه المناظر على جدران مقابرهم فأصبحت مقابر طيبة سجلاً جامعاً لحضارات بلاد الشرق القديم فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد ، إذ سجل الفنانون المصريون ما رأوه فرسموا وفود هذه البلاد بملابسهم الوطنية ، وما كانوا يحملونه من مصنوعات بلادهم ومحاصيلها . وقد زال أثر تلك الحضارات من كثير من بلاد آسيا وجزر البحر الأبيض والسودان ، وأصبحنا نعتمد على مقابر طيبة وحدها كالمصدر الأول لدراسة حضارات تلك البلاد والشعوب . وأهم المقابر فى طيبة لدراسة الحالة الاجتماعية فى مصر فى ذلك العهد ودراسة حضارات الشعوب الأخرى هى مقابر الوزراء أمثال ، أوسر ، و ، رخ مى رع ، ، وبعض كبار الكهنة مثل مقبرة ، منخپر رع سنب ، (١) الذى كان الكاهن الأكبر لأمون

(١) كان لهذا الكاهن مقبرتان هما رقم ٨٦ ، ١١٢ فى طيبة - ومقبرته الهامة منشورة فى كتاب

DAVIES, The Tomb of menkheperasonb, Amenmose and Another.

وبعض كبار رجال الدولة أمثال ، بومرع ، (١) و ، أمنمحات بن تحوتمس ، (٢) .  
و ، أنتف ، (٣) و ، إمونزح ، (٤) وبعض القواد أمثال ، أمون إم حب ، (٥)  
و ، أمون مس ، (٦) ولكن أهم الشخصيات جميعاً كانت شخصية الوزير ، رخ مى رع ،  
ونقوش مقبرته أهم مصدر لدراسة الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر (٧) .

### السنوات الأخيرة من حياة تحوتمس الثالث :

كانت خيرات العالم القديم تتدفق على خزائن فرعون ، وسرعان ما دبّت فى  
مصر وفى جميع بلاد الشرق حياة جديدة ، كما أخذ شأن ، طيبة ، يزداد من يوم إلى  
يوم . ولم يدخر تحوتمس الثالث جهداً فى تزيينها لتصبح جديدة بأن تكون عاصمة  
العالم المعزوف ، فبنى فيها المعابد والهيكل وأقام المسلات ولم يقتصر نشاطه على  
الكرنك أو الأقصر أو جبانة طيبة بل نرى هذا النشاط شاملاً لجميع أرجاء الوادى .  
ففى جبل برقل فى دنقلة أقام المعابد وكذلك على طول النيل فى بلاد النوبة ، وفى  
جميع البلاد الهامة فى الصعيد وفى الدلتا ، كما نعرف أيضاً أن المعابد المصرية بنيت  
فى كثير من بلاد آسيا وأصبح الإله أمون - رع معبوداً فى كافة أنحاء الإمبراطورية .

ولم يذهب تحوتمس الثالث إلى آسيا بعد الحملة السادسة عشرة التى ظل بعدها  
على العرش إثنى عشر عاماً ، ولم يكن ذلك راجعاً إلى فتور همته أو ضعف صحته  
لتقدمه فى السن ، وإنما كان مرجعه إلى استتباب الأمن والنظام فى كل مكان ، إذ  
نعرف مثلاً أنه لم يتردد فى القيام بحملة إلى السودان فى العام الخمسين من حكمه ،  
وقد قضى هناك أكثر من سبعة شهور ، فلو كان ممن يحبون الدعة أو الراحة لما سافر

(١) صاحب مقبرة رقم ٣٩ من مقابر طيبة وكانت أهم وظائفه الإشراف على الأعمال الإنشائية وقد  
نشر المرحوم ديفز مقبرته بما فيها من رسوم .

(٢) كان أمنمحات مدير بيت الوزير أوسر وكان المدير لجميع أعماله وبخاصة المالية منها ومقبرته  
رقمها ٨٩ DAVIES & GARDINER, The Tomb of Amenemhat .

(٣) مقبرته رقم ١٥٥ ولوحته فى اللوفر . كان أنتف يشغل وظيفة رئيس التشريفات وكان حاكماً  
لإقليم أبيدوس والواحات .

(٤) كان إمونزح من بين حكام الأقاليم ، وكانت دندرة ضمن اختصاصه ولكنه إلى جانب ذلك كان  
من كبار رجال القضاء .

(٥) مقبرة هذا القائد فى طيبة ورقمها ٨٥ وفيها تاريخ حياته وأعماله التى قرّبت إلى تحوتمس  
الثالث .

(٦) مقبرته رقم ٤٢ وهى فى حالة سيئة الآن وكان ، أمون - مس ، رئيساً للرماة ومقبرته منشورة  
فى كتاب ديفز عن مقابر منخبر رع سنبل وأمون - مس وغيره .

(٧) خير مرجع لدراسة هذه المقبرة هو كتاب ديفز  
DAVIES , The Tomb of Rekh-mi-at Thebes.

بنفسه لإخماد فتنة قامت هناك . لقد ذهب بنفسه ولم يكل ذلك إلى فرد آخر من قواده بالرغم من أنه كان قد قارب السبعين من عمره .

ومن المحتمل أن يكون تحوتمس الثالث قد بدأ حياته الزوجية غير الموفقة مع حتشبسوت كما ذكرنا ، ولكنه تزوج أيضاً من أميرة أخرى اسمها ، سات - إمح ، فلما كبرت ، مريت - رع - حتشبسوت ، ابنة الملكة حتشبسوت وأصبحت في سن الزواج إتخذها زوجة ؛ لأنها كانت الوريثة الشرعية ، وأنجب منها ابنه ، أمنحوتب ، الذي خلفه على العرش . ومات تحوتمس الثالث بعد أن ملأ سمع الدنيا وبصرها وكان ابنه أمنحوتب قد جاوز عامه الثامن عشر ، وكان مشهوراً بالفروسية والشجاعة وممارسته أنواعاً عدة من الرياضة البدنية ، وكان رجاله الذين ولد أكثرهم في عهده ، ساهرين على أحوال الإمبراطورية ، فلا عجب إذا كان قد مات وهو مطمئن على مستقبل إمبراطوريته .

مات تحوتمس بعد حكم دام أربعة وخمسين عاماً في اليوم الثلاثين من الشهر الثالث من فصل الشتاء وكما ذكر القائد ، أمون - إم - حب ، في مقبرته ، صعد إلى السماء واتحد مع الإله رع واندمجت أعضاؤه الطاهرة مع الذي خلقها . فلما جاء اليوم الثاني وأشرقت الشمس وأضاءت السماء ، جلس على عرش أبيه الملك ، عاخبرو - رع ، ( أمنحوتب الثاني ) واتخذ لنفسه الألقاب الملكية . . ودفنت مصر في مقبرته في وادي الملوك ملكاً من أعظم الملوك الذين حكموا في الأرض ثم إلتفت حول ابنه الشاب وهي واثقة أنه خير من يحمل العبء ويستمر في تحقيق رسالة أبيه .

### أمنحوتب الثاني : ( ١٤٣٦ - ١٤١١ ق.م. )

تفتحت عينا الأمير أمنحوتب ليرى مصر وبلاد الشرق القديم تحنى رأسها لأبيه ، فلما شب عن دور الطفولة لم يكن ليسمع إلا دقات طبول الحرب . ولا شك أنه متع ناظريه وأذنيه وهو يرى والده العظيم يقود جنوده عاماً بعد عام ليعود بعد شهور قليلة وقد حمل جنوده ما قدمته البلاد الآسيوية من جزية أو من هدايا ، وليرى أيضاً الأمراء العصاة يمشون مكبلين بالأغلال في مواكب النصر .

كانت مصر في ماضى أيامها تعيش آمنة في بلادها لا تهتم إلا بأمورها وتأمين طرق تجارتها مع غيرها من البلاد ، وإذا كانت قد إهتمت بتوطيد أقدامها في مكان خارج حدودها فإنها لم تهتم إلا بالجنوب كما حدث في الأسرة الثانية عشرة . ولكن تعرضها للمذلة أثناء غزو الهكسوس جعلها تفكر في الانتقام لكرامتها ، وأرادت

أن تبعد الخطر عن حدودها الشرقية وتستأصل كل مكان من الشر حتى تطمئن على نفسها ، وكان أول من نفذ هذه السياسة على نطاق واسع هو تحوتمس الأول .

ولكن حتشبسوت كانت على غير رأى أبيها فلم تهتم على الإطلاق بآسيا بل أرادت أن تحيى السياسة القديمة وهى الإقتصار على العلاقات التجارية وبخاصة مع الجنوب ، فأرسلت حملتها الشهيرة إلى بلاد بونت ، واهتمت بإصلاح حال البلاد وترميم ما تهدم من معابدها وبخاصة أثناء حكم الهكسوس ، وأقامت المباني الفخمة فى طيبة وضنت بموارد البلاد أن تذهب فى حروب فى آسيا لم تكن تؤمن بها أو بنتائجها .

ولكن هذا الإتجاه السلمى نحو إحياء التجارة ، والإتجاه نحو الجنوب والاهتمام بالإتصال بإفريقيا بدلا من الإتصال بآسيا ، بدأ يحدث رد فعل جديد ، وأخذت بعض الولايات الآسيوية تتخلص من النفوذ المصرى ، ورأى بعض المصريين ومنهم الكهنة ، الذين كانوا يشجعون الحرب للإستفادة من المغانم ، أن الخطر بدأ يظهر مرة أخرى ، ثم جاءت الضربة التى ضربها الحزب المناوئ لحتشبسوت وتولى تحوتمس الثالث عرش البلاد .

فلما جاء اليوم الذى تولى فيه أمنحوتب الثانى عرش أبيه لم يتردد فى إتباع خطواته ولم يظهر ميلاً نحو الدعة أو المسالمة ، بل أسرع ليظهر بطولته ، وهكذا ماتت سياسة السلم وترك آسيا وشأنها بموت حتشبسوت ، ولم يقدر لها أن تظهر من جديد ، ولو فى صورة أخرى ولأسباب أخرى ، إلا فى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة فى عهد إخناتون .

ولندع الآن الحديث عن ذلك ونعاود سرد قصتنا عندما بدأ أمنحوتب الثانى حكمه وهو فى ميعة الشباب ، فوضع التاج المزدوج فوق رأسه وقبلته البلاد ملكاً مؤلها ، تدين له إمبراطورية من أكبر الإمبراطوريات التى عرفها العالم القديم .

كانت الأيام كلها أيام فتوح وحرب وكان حديث الشعب كله هو ما يرويه الجنود العائدون من القتال من قصص وأخبار ، وكلهم يريد أن يضيفى على نفسه هالة من البطولة ، صادقة كانت أو كاذبة . وكان الشعب يحب ذلك كله إذ كان يرى أثر هذه الحروب فى الرخاء الذى أخذ يغمر البلاد ، وفى النهضة التى شملت كل مرافقها . وأدرك تحوتمس الثالث أنه لا بقاء لهذا الملك الواسع العريض إلا إذا خلفه على العرش ملك قوى الشكيمة محب للحرب ولهذا أسلم ابنه منذ صغره إلى أحد ضباطه ليشراف على تربيته التربية العسكرية اللازمة . ونحن نرى الأمير الصغير الذى لم يكن قد بلغ



الحلم مرسوماً فى قبر مرييه فى طيبة وقد أخذ يتلقى عنه درساً فى الرماية (١) .  
ويستمع إلى معلمه وهو يقول :

« شد القوس حتى أذنك مستعملاً كل ما فى ذراعيك من قوة وثبت السهم .. يا  
أمير أمنحوتب » .

وأنشأ تحوتمس الثالث مدرسة فى قصره فى طيبة ليتعلم فيها ولى عهده .  
ومعه كثيرون من أبناء ضباطه وكبار رجال البلاد وأبناء أمراء آسيا الذين يقاربونه فى  
السن ، ليشبوا جميعاً وقد إرتبطوا برباط الصداقة معه لكى يخدموه فى مستقبل أيامه  
خدمة الصديق للصديق وهى خير وأجدى من خدمة العبد للسيد .

ولسنا نشك فى أن تحوتمس الثالث ، وكان قد أصبح شيخاً متقدماً فى السن ،  
كان راضى النفس وهو يرى ولى عهده يشب صحيح الجسم مغرماً إلى أبعد حد بجميع  
أنواع الرياضة من رمى بالسهم ، إلى براعة فائقة فى التجديف ، وفى الجرى ،  
ونعرف من لوحته التى عثر عليها فى عام ١٩٣٦ بجوار « أبو الهول » فى الجيزة  
وتصف حبه للرياضة والفروسية أنه عندما أبلغوا أباه غرامه بالجياد وأظهروا للملك  
شفقتهم على الأمير من شرستها سر الملك سروراً كبيراً من ذلك ، لأن الإله  
وضع فى قلبه حب الفروسية وأنساه شهوة الجسد ، لأن الإله قد أراد أن يكون حامياً  
لمصر (٢) .

وعاش تحوتمس الثالث حتى أتم إبنه العام الثامن عشر من حياته ، فلما تربع  
على العرش وجد حوله رجال أبيه الذين ساعدوه فى إنشاء وإدارة الإمبراطورية كما  
وجد الخزائن ملاءى ، والبلاد آمنة ، ولكن لم يلبث حتى وصل إلى سمعه أن بعض  
الولايات السورية الشمالية إنتهزت فرصة موت تحوتمس الثالث وأرادت التخلص من  
الحكم المصرى فعز ذلك على الملك الشاب وعده استخفافاً به . واندفع نحو سورية  
على رأس جيشه بكل ما فى الشباب اليافع من إندفاع ، فهزم كل من لم يقدم له  
الولاء ، وكان انتقامه شديداً وأتى بما لم يأت به أحد من أجداده من قبل ، إذ مال إلى  
التنكيل بأعدائه ، وأحضر معه سبعة من أمراء المدن السورية إلى طيبة وقتل ستة

---

(١) قبر ، مين ، رقم ١٠٩ فى طيبة وهو أحد الضباط الذين حاربوا مع تحوتمس فى صدر أيامه  
وأصبح بعد ذلك حاكماً لمدينة « ثنى » على مقربة من أبيدوس .

(٢) إكتشفها سليم حسن فى عام ١٩٣٦ ونشرها فى مجلة Annales du Service XXXVII. p. 129-134  
وقد ترجمها بعد ذلك كل من الأثريين فارى وفان دى وال على حدة كما ترجمها  
الأستاذ حسن مرة أخرى إلى اللغة العربية فى كتابه مصر القديمة ج ٤ - ص ٦٤٦ - ٤٨  
(القاهرة ١٩٤٨) .



منهم أمام الإله أمون فى طيبة ، أما السابع فقد أرسله إلى ، نبتا ، ليشنق هناك أمام أمون سيد جبل برقل .

وكان لهذا العمل أثره ، فسرعان ما عرفت آسيا أن الجالس على عرش مصر قادر على الإحتفاظ بهيبته ، ولهذا أخذت جميع المدن ترسل هداياها وتبعث بخيرات بلادها وكان فى مقدمة هذه البلاد مملكة ميتانى نفسها التى شجعت العصيان ، ومدينة قادش التى لعبت دوراً رئيسياً فيه .

كانت هذه الحملة أولى حملاته على آسيا ، وقد أتبعها بحملة أخرى فى السنة التاسعة . ولكنها كانت حملة تفتيشية أكثر منها حملة حربية ؛ لأن الثورة التى قبل عنها إنها قامت فى فلسطين لم تكن إلا فتنة صغيرة محلية فى إحدى المدن . ويقص أمنحوتب الثانى أخبار هاتين الحملتين على لوحتيه الشهيرتين وإحدهما فى الكرنك منذ وقت طويل ، وعثر على الثانية فى عام ١٩٤١ فى منف (١) ، إذ أمر الملك بإذاعة إنتصاراته على هاتين اللوحتين فى أكبر معابد مصر وهما معبد پتاح فى منف ومعبد أمون رع فى طيبة (٢) ، وقص فيهما الكثير من حوادث بطولته الشخصية وجرأته وقوته البدنية . وآثاره غير القليلة ، فقد زاد كثيراً فى معبد الكرنك وفى منف ، وكذلك فى كثير من بلاد النوبة والسودان ، ومن بين هذه الآثار تمثال راعع وفى يديه إناءان كان فى معبد له فى جهة النجعة على مقربة من شندى على مسافة تقل عن سبعين ميلاً شمالى الخرطوم : أن أن أمنحوتب زاد فى الإتجاه نحو الجنوب ومن المحتمل أن يكون قد وصل النفوذ المصرى إلى أبعد من ذلك ، ولكن ليس لدينا حتى الآن آثاراً من هذه الأسرة عثر عليها جنوبى الخرطوم .

وقد أحاط أمنحوتب الثانى نفسه برجال جدد بل يكاد يكون من المؤكد أنه لم يرض عن كثيرين ممن كانوا فى خدمة أبيه ، وقرب إليه شباناً وبخاصة ممن كانوا رفقاءه فى طفولته . وفى جبانة طيبة نرى مقابر هؤلاء الموظفين ومن أهمها مقبرة ، قن أمون ، الذى كان يتمتع بنفوذ كبير ، ورسمت على جدرانها الهدايا التى كانت

(١) اللوحة الأولى عثر عليها فى الكرنك منذ وقت بعيد وقد نشرها

LEGRAIN. Annales du Service, IV (1904); p. 126 ff

أما الثانية فقد نشرها مكتشفها أحمد بدوى

AHMAD BADAWI. Annales du Service XXII, p. 1 . ff .

أنظر أيضاً كتابه فى موكب الشمس الجزء الثانى صفحة ٥١٨ وما تلاها .

(٢) أمر أمنحوتب لاثانى بتحديد ملكه فى الشمال والجنوب وأوفد أحد رجاله فى السنة الرابعة من حكمه فوضع لوحة على الضفة اليمنى للفرات بجوار لوحات أبيه وجده الأكبر ووضع الثانية فى الجنوب فى معبد نبتا .

قدمت للملك فى عيد السنة الجديدة ، ومقبرة ، وسرحات ، ومقبرة ، باسر ، وغيرها ، وكذلك مقبرة ، أمون إم أبت ، الذى حل محل الوزير ، رخ مى رع ، ، وجدران هذه المقابر مغطاة بمناظر تكمل مناظر مقابر عهد تحوتمس الثالث فى دراسة الحياة الإجتماعية لبلاد آسيا وغيرها ، إذ ظل تمثيل تقديم الهدايا والجزية كما كان فى عهد أبيه وزاد عليها الميل لتصوير مناظر الصناعات المختلفة والحفلات المنزلية بما فيه من بذخ وتوفير السرور .

وهناك شىء من الخلاف بين الأثريين فيما كانت زوجته الملكية وأكبر الظن أنها كانت أخته من أبيه الملكة ، ناعا ، التى أصبحت فيما بعد أما للملك تحوتمس الرابع الذى خلفه على العرش .

وكان للفرعون أمنحوتب الثانى خمسة أولاد من الذكور ، أسلمهم إلى مرب اسمه ، حقر نح ، رسمهم جالسين على ركبتيه من قبره فى طيبة ولكن أسماءهم - ما عدا إسم الأمير تحوتمس - قد محيت عمداً فيما بعد بسبب الخلاف الذى دب فى العائلة بعد موت والدهم ، بعد أن قضى خمسة وعشرين عاماً فى الملك ودفن فى قبره الذى أعده فى وادى الملوك .

#### تحوتمس الرابع : ( ١٤١١ - ١٣٩٧ ق.م. )

لم يكن تحوتمس الرابع ولى العهد الذى كان يجب أن يؤول إليه العرش بعد وفاة أبيه بل كان من بين إخوته من الذكور من هو أقرب إلى الملك منه ، وإنما تولى العرش عقب نزاع بينه وبين غيره من إخوته ، وإذا كانت آثار هذا الملك لا تتحدث صراحة عن ذلك فإن اللوحة الشهيرة باسم ، لوحة الحلم ، ، وهى التى أقامها بين ذراعى ، أبو الهول ، فى الجيزة ، تحمل فى ثناياها أنه لم يكن هو الأمير صاحب الحق فى الملك . فإن تحوتمس الرابع أقام هذه اللوحة فى العام الأول من حكمه ويقص علينا فيها أنه كان يصطاد يوماً من الأيام فى صحراء الأهرام عندما كان أميراً ، وجلس فى ظل تمثال ، حور أم أخت ، ( تمثال أبو الهول ) وغلبه النعاس فرأى بوضوح أباه الإله يبشره بأنه سيصبح ملكاً فى المستقبل وسيضع التاج على جبينه ، ويطلب منه إذا تحقق ذلك أن يرفع الرمال التى جمعت حوله ؛ لأنها تكاد تخنقه ولا يستطيع التنفس . ويقول تحوتمس إن هذه النبوءة الإلهية تحققت وأنه أمر برفع الرمال .

ولو أمعنا النظر فى هذه القصة لرأينا فيها محاولة لتبرير وجوده على العرش إذ لو كان الأمير الشرعى لما كان هناك داع لهذه القصة المخترعة . كما أننا نعرف فى الوقت ذاته من مقبرة المشرف على تربيته أن نزاعاً ما حدث بين الأمراء فمحيت

أسماءهم ما عدا تحوتمس الذى أصبح فيما بعد ملكاً على البلاد . وربما كانت مؤامرتة لإبعاد أخيه صاحب الحق قد أغضب كهنة آمون الذين لم يقرروه على ما فعله فحدثت بينه وبينهم جفوة جعلته يتجه نحو كهنة الشمس ويبذل كل ما إستطاع لإحياء عبادة رع ، بل إننا نجد أيضاً نه شجع عبادة قرص الشمس ، أتون ، وكان أول من أمر برسمه وهو يعطى الحياة ، كما نرى ذلك فيما بعد فى عهد حفيده إخناتون .

ومهما كان الأمر فإن تحوتمس الرابع أثبت جدارته ، فما كاد يجلس على العرش فأعاد النظام ، ورجع محملاً بالغنائم ، وأحضر معه أسرى كثيرين بنى لهم حياً خاصاً فى طيبة . وكذلك فعل عندما نزل إلى السودان لإطفاء نار ثورة شبت هناك فنزل إليها بنفسه أيضاً . وقد إستن تحوتمس الرابع سنة جديدة عندما زين مقدمة عربته الحربية بمناظر تمثل ساحة القتال ، فإن هذه المناظر التى أصبحت فيما بعد تملأ واجهات المعابد بدأت كما رأينا على مقدمة عربة هذا الملك ، وهذا المنظر وإن صغرت مساحته فإن الفنان الذى رسمه راعى فيها جميع التفاصيل ، وحشر فيه مناظر متعددة روعيت فيها الدقة التامة (١) .

كان تحوتمس الرابع آخر ملوك مصر المحاربين الذين قامت الإمبراطورية على سواعدهم ، وهو أيضاً آخر ملوك هذه العائلة الذين ذهبوا على رأس الجيش إلى آسيا ، وجعل هيبة مصر تحتل المكانة الأسمى فى سورية وفى العراق وفى آسيا الصغرى . كانت هناك ممالك ميثانى وبابل وأشور وخيتا فى آسيا ، وكانت تتنافس فيما بينها ، وأهمها جميعاً إذ ذاك مملكة ، ميثانى ، التى بدأت تحس بخطر مملكة ، خيتا ، الناشئة وأخذت تخطب ود مصر ، فشجع تحوتمس هذا التقارب بل أراد أن يوثق أواصر المودة بزواجه من ابنة الملك ، إرتا تاما ، ملك ميثانى فأرسل إليه ستة رسل يطلب يدها وأخيراً قبل أن يرسلها مع الرسول السابع .

وهذه الأميرة الميثانية هى التى سميت بعد ذلك بالإسم المصرى ، موت إم أويا ، وأصبحت أم ، أمنحوتب الثالث ، الذى تولى العرش بعد وفاة أبيه .

ويرى بعض المؤرخين (٢) أن اختلاط دم الفراعنة بالدم الآرى كان سبباً مباشراً لإدخال الطراوة وحب الملذات فى دم أمنحوتب الثالث ولكن ليس فى تاريخ الجنس

(١) وجدت هذه العربة فى مقبرته فى وادى الملوك وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى ، ويلوح أن رسم المناظر الحربية على مساحة صغيرة كان هو أيضاً السبب فى رسم مثل هذه المناظر على جانبي الصندوق الشهير الذى عثر عليه فى مقبرة الملك ، توت عنخ آمون ، .

(٢) أنظر كتاب ، مصر ، تأليف دريوتون وفاندييه ، الترجمة العربية - القاهرة ١٩٥٠ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

الآرى بوجه عام ما يجعلنا نقبل مثل هذا الرأى على علته ، فإنهم جنس محارب شديد المراس ، وإذاك أن أمنحوتب الثالث غير مبال بطبيعته إلى الحروب فهذا أمر آخر وربما كان راجعاً إلى عوامل أخرى .

وبالرغم من أن تحوتمس الرابع تربع على العرش وهو فى سن العشرين فإنه مات فى ريعان شبابه إذ لم يحكم أكثر من أربعة عشر عاماً فقط ولكن نشاطه الذى رأيناه فى الحرب لازمه أيضاً فى إدارة البلاد فنرى آثاره فى كثير من أرجاء مصر<sup>(١)</sup> . ونرى فى طيبة كثيراً من مقابر رجاله الذين رافقوه فى حروبه وعاونوه فى إدارة ملكه الواسع ، وقد إمتازت مقابر هذه الفترة برسم المناظر الحربية وعرض الجنوب ، وبخاصة فى مقابر نب أمون ، و ثاننى ، و ثنونا ،<sup>(٢)</sup> وقد تزوج تحوتمس الرابع أكثر من واحدة وولد له بضع ذكور وعدد غير قليل من الإناث .

ودفن فى مقبرة وادى الملوك ، وقد سرق هذا القبر فى أيام الرعامسة وعثر فيه فى أوائل هذا القرن على كثير مما تركه اللصوص . ويموت هذا الملك بدأت مصر فترة جديدة فى تاريخها .

---

(١) كان آخر عمل قام به هذا الملك هو إقامة مسلة للملك تحوتمس الثالث ظلت ملقاة فى مكانها بالكرنك خمسة وثلاثين عاماً ولم يؤد أمنحوتب الثانى واجبه فى إقامتها .

(٢) DAVIES. The Tombs of Two Officials of Thothmes IV. مقبرة نب أمون رقم ٧٥ أما مقبرة ثاننى فهي رقم ٧٤ وفيها مناظر هامة لعرض الجنود ، وقبر ثنونا رقم ٦٧ ، وكان من المقربين جداً من الملك

## الأسرة الثامنة عشرة القسم الثانى - أيام السلم

\*\*\*\*\*

أمنحوتب الثالث يتولى الملك : ( ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م. )

قضت مصر قرناً كاملاً وهى تؤسس إمبراطوريتها . فمنذ أن تولى تحوتمس الأول عرش البلاد وتطلع بعينه نحو آسيا لم يتراخ هو أو واحد من خلفائه فى توطيد هذا الملك ، بل أن مصر لم تحس بسلامتها وتؤمن أنها قد تخلصت إلى الأبد من خطر فلول أعدائها الهكسوس إلا بعد أن رأت تحوتمس الثالث يدك أسوار قادش ، ويقود زعماءها فى مركب نصره ، وقضى عليهم وعلى كل من كان يناصرهم من زعماء المدن الأخرى .

ومنذ اليوم الذى اتصلت فيه مصر بتلك البلاد ، بدأ أسرى الأسويين يستوطنون أرض النيل ، وكان جنود مصر يذهبون إلى آسيا ، ويأتى الكثيرون من سكان بلاد الشرق القديم إلى طيبة ، فأصبحت هذه المدينة أولى بلاد العالم وكعبة القصاد . وفى مثل هذا الظروف كان أمراً طبيعياً أن تتغير الحياة الاجتماعية فى مصر وأن يتسع أفق المصريين ويخرجوا من عزلتهم الهائلة ، ويخففوا من غلواء تقاليدهم الدينية والاجتماعية بعد أن اتصلوا بالشعوب الأخرى ، وبدأت تتسرب إليهم آراء وتقاليدهم لم يكن لهم بها عهد من قبل .

ونحن نحس ونرى هذا التغيير فى حياة المصريين كما صوروه فى جبانة طيبة ، وكما عرفناه من آدابهم ولغتهم كما وصل إلينا من أخبار ملوكهم . وليس أدل على هذا التغيير من أن مصر لم تعد تبعاً كثيراً بالتقاليد القديمة القاسية ، ولم نجد أى غضاضة فى أن ترى تحوتمس الرابع يتزوج من أميرة من ميثانى أو أن ترى ابنه من هذه الأميرة ، وهو الذى تبع أباه فى حكم البلاد يجلس على العرش ، بل بلغ من تغير الحياة الاجتماعية أن هذا الأمير نفسه لم يجد ما يدعو له لأن يتزوج أميرة من أميرات البيت المالك ويجعل منها الزوجة الأولى بل فضل عليهن فتاة من الشعب وهى التى أصبحت فيما بعد ملكة البلاد وأم ولى عهدها .

ونرى أثر هذا التغيير الاجتماعى أيضاً فى معاملة أمنحوتب الثالث لزوجته «تى» . فللمرة الأولى فى تاريخ فراعنة الدولة الحديثة نرى الملكات تقام لهن التماثيل الكبيرة جالسات إلى جوار الملوك ، أو يذكرن معه دائماً على آثاره ، حتى على

الجعارين التذكارية التي كان يأمر هذا الملك بتوزيعها من آن لآخر .

دخلت مصر منذ تولى أمنحوتب الثالث في فترة جديدة من حياتها فقد كان حاكمها الجديد غير ميال إلى الحرب بطبيعته ، وكانت الأمور قد استتبت في آسيا ، ولم يعد هناك من تحدته نفسه بالخروج على حكم مصر أو منازعتها . وكانت خزائن فرعون تفيض بأكداس الذهب والفضة ، وجميع ما في العالم من ثروة وفن ، يأتون به إليه هدية أو جزية من جميع أنحاء ملكه . وكان الملك الشاب ميالاً إلى الفن وميالاً إلى المتعة والجمال ، فطبع البلاد بطابعه وأخذت مصر تبني المعابد الفخمة الجميلة والقصور الباذخة وأخذ بنوها يميلون للترف والتمتع بما في دنياهم من رفاهية وملاذ ، ولم يقصر المعمار يون المصريون أو رجال الفن وأصحاب الحرف عن السير في ركاب الاتجاه الجديد ، فإذا بنا نرى تغيراً في شتى النواحي ، وبدأت الفنون تحتل المكانة الأولى ، وبدأت مصر تتجمل وتبنى ثمار جهادها الطويل الشاق .

ويكفي أن يقف الزائر في معبد الأقصر ويمتدع ناظره بجمال نقوشه ، ويتأمل نسب أبهائه وأعمدته ليحس بأن فن العمارة خطا خطوات واسعة كبيرة ، فإذا ذهبنا إلى البر الغربي وزرنا مقابر الأشخاص الذين عاشوا في أيامه مثل : رع - موسى ، (راموزه) و - خرو - إف ، و - خع ام حات ، و - سررو ، وغيرها أو تأملنا بقايا معبده الجنازى خلف تمثالي ممنون للذين يمثلانه . أو قرأنا ما ذكره هذا الملك على لوحته الشهيرة التي يصف فيها ذلك المعبد فإننا نحس بأنفسنا وقد إنتقلنا إلى ماض بعيد ، كله عظمة وثروة وجمال ، ومن ذا الذي يملك نفسه من الإعجاب عندما يقرأ في وصف المعبد :

« كان لا يسر قلب جلالته شيء مثل إقامة المباني العظيمة التي لم يبن مثلها منذ خلق العالم . وقد أقام جلالته لأبيه أمون معبداً فخماً في الجهة الغربية من طيبة فجعل منه حصناً خالداً . بناه بأجود أنواع الحجر الجيري من كتل ذات حجم كبير ، وزين جميع أجزائه بالذهب وحلى أرضيته بالفضة وكانت أبوابه مغطاة بصفائح من الذهب . لقد زاد جلالته من حجمه وأكثر من أبهائه وأتمه ليبقى إلى الأبد ، ووضع فيه الكثير من التماثيل الملكية من جرانيت أسوان ، ومن الحجر الرملي الصلد ومن جميع أنواع الأحجار الجيدة ، وكانت صناعتها تامة وستبقى إلى الأبد . وكانت أحجامها الكبيرة تضيء الوجود أكثر من السماء ، وكان إنعكاس أشعتها في وجوه الناس مثل الشمس عندما تضيء في مطلع النهار . »

ولم يكن أمون وغيره من الآلهة هم وحدهم الذين استفادوا من حب هذا الملك للبناء ، فإنه لم يترك وسيلة دون إرضاء ذوقه الفنى وذوق زوجته فبنى لها قصراً على الضفة الغربية من النيل على مقربة من معبد الجنازى ، جعل منه ومن أبهائه معرضاً للذوق الفنى الرفيع ، وكان يقضى فيه أوقات سروره هو والمقربون من أصدقائه ورجال حاشيته وجواريه . وكانت زوجته ، تى ، تحب النزهة وأرادت أن يكون لها بحيرة على مقربة من القصر فتم لها ما أرادت بعد أسبوعين فقط وكانت تخرج فى زورقها هى والملك وبعض الوصيفات ليتمتعوا جميعاً بالهواء الطلق .

وكان أمنحوتب فى صدر شبابه قد أظهر بعض الرغبة فى ممارسة الصيد ، ونعرف من آثاره أنه خرج أكثر من مرة لصيد البقر الوحشى وغيره ، بل أنه أغرم فى وقت من الأوقات بصيد الأسود . ولكن هذا الحب للرياضة والفروسية لم يكن أصيلاً فيه بل كان نزوة شباب عارضة ، أو تقليداً من تقاليد البلاط ، وسرعان ما سئم الملك هذا النوع من النشاط وترك نفسه على سجيته يستمتع بالحياة الباذخة بين قصوره وزوجاته والمئات من جواريه . ولم يفكر مرة واحدة فى زيارة أجزاء ملكه الواسعة ويعطى سكان آسيا فرصة واحدة لرؤية فرعون واقفاً فى عربته الحربية المصفحة بالذهب وخلفه جحافل جنوده ، بل ترك كل هذا وراءه ولم يعطه من عنايته أكثر من الإبقاء على صلات المودة بينه وبين الأمراء الآسيويين بقبول هداياهم والرد على تحياتهم .

والناس على دين ملوكهم . فلم تلبث الحياة الاجتماعية فى مصر كلها أن اتجهت نحو الدعة والاستمتاع بالحياة ، وكانت أسيرات الحرب خير معوان على ذلك ، فلم تقتصر حفلات الطرب والرقص على القصور أو منازل كبار الموظفين بل شمل ذلك جميع الطبقات . ونشأت فى طيبة مشارب الجعة وفيها المغنيات والراقصات المحترفات ، وكان يرتادها العمال وغيرهم من طبقات الشعب ، ولا نستغرب بعد ذلك أن يعم خطر هذه المشارب فنقرأ فى بردية من البرديات تحذير مدرس لتلميذه من إرتيادها واصفاً له ما يجرى فيها من أعمال تنافى الخلق الكريم .

ركن أمنحوتب الثالث إلى حياة الإستمتاع بين زوجاته وجواريه ، وطلب من ملك ميتانى وكان اسمه ، سوتارنا ، Soutarna ، وهو ابن خال أمنحوتب أن يزوجه إحدى بناته فأرسل إليه الأميرة ، كيلو جيبا Kilougepa ، لتأييد المودة بين

(١) كان زواجه من كيلوجيبا فى السنة العاشرة من حكمه وقد جاءت معها ٣١٧ من وصيفاتها الميتانيات تزوجن على الأرجح من موظفى البلاد وضباط الجيش ومن كانوا مقربين إلى الملك .



البلدين<sup>(١)</sup> . وكأن هذا أصبح تقليداً جديداً إذ بعد أن مات سوتارنا تولى الملك بعده ابنه ، توسراتا Tusratta ، فأرسل إليه أميرة صغيرة السن وهى ، تادوجيها Tadoughepa ، فى الوقت الذى كان فيه أمنحوتب مريضاً متهدماً طاعناً فى السن .

ولم تقتصر مصاهراته على بنات مصر وبنات ميثانى بل تزوج من أميرات بابلات وأشوريات ، وكان يرسل إليه حكام المدن السورية كل عام عشرات من الفتيات الجميلات اللاتي كن يرسلن إليه مع الجزية وكان يلح فى طلبهن ، وهكذا انقلبت حياة هذا الملك إلى حفلات يقيمها فى قصره ، وأغرق نفسه إغراقاً فى نوع من الحياة لم يعرفها أحد ممن سبقوه .

### أمنحوتب الثالث بين الدين والسياسة :

لسنا نعرف ما الذى حدث تماماً بين تحوتمس الرابع وبين كهنة آمون حتى بدأ ينظر إليهم بشيء من القلق ، وأراد حفظ التوازن بتشجيع كهنة رع وعبادة رع فكان عصره بداية الحركة التى آتت ثمارها فيما بعد . ولم يقتصر التجديد فى عهد تحوتمس الرابع على إحياء عبادة الشمس والتجديد فيها ، بل مشى إلى جانبها نوع آخر من التجديد فى الفن ، وبدأنا نحس فى فن الأسرة الثامنة عشرة باتجاهات لم يكن لنا بها عهد من قبل ، وهى اتجاهات تعطى للفنان الحرية فى التعبير عما يحسه وإبراز عبقريته الشخصية بدلاً من إتباع أساليب معروفة لا يحيد عنها .

وجاء ابنه أمنحوتب الثالث فلم يرجع عن السياستين ، بل نعلم أكثر من ذلك بأنه جعل من أكبر أبنائه وولى عهده الأمير ، تحوتمس ، كبيراً لكنه يتاح<sup>(١)</sup> وكانت إقامته فى منف . وأخذت الاتجاهات الفنية التى بدأت فى الظهور فى عهد تحوتمس تتقدم وتظهر أكثر وضوحاً ، وبدأنا نرى حياة ملوك الفراعنة تمثل كحياة سائر البشر وأصبح للفنان حرية رسم الملك كما كان يراه ، وليس كما يجب أن يكون .

كان هذا التطور فى الأفكار الدينية والاتجاهات الفنية متمشياً مع تغير الحياة الاجتماعية فى مصر ، ولا يخالجننا الشك فى أن مثل هذه التغيرات فى حياة الشعب لم ترض المتزمتين من رجال الدين ومن المحافظين ، أو أبناء العائلات القديمة ، بينما وجدت قبولاً وتشجيعاً من الطبقات الأخرى - وبخاصة بين الموظفين والصناع - تلك الطبقات التى بدأت تغير حياتها وتحتل مركزاً اجتماعياً لم يكن لها من قبل . وليس

---

(١) كان تحوتمس ولياً للعهد ولكنه مات فى حياة أبيه ودفن فى سقارة . وبهذا أصبح أخوه أمنحوتب هو صاحب الحق فى ولاية العهد . أنظر : أحمد بدوى - فى مركب الشمس ج ٢ ص ٥٦١ - ٥٦٢ وأنظر أيضاً كتابه Memphis . ص ٥٩ وما بعدها .

هناك من شك أيضاً في أن حياة أمنحوتب الثالث لم يرض عنها الكثيرون من أهل عصره ، وبالرغم مما بناه من معابد باسم أمون رع فإن كهنة أمون رع لم ينظروا بعين الرضى إلى إحياء عبادة الشمس ولم ينظروا أيضاً بعين الرضا إلى تحلل الحياة الاجتماعية تقليداً لفرعون الذى استخف بكل التقاليد . كما أصبح للكثيرين من غير المصريين أو الذين لم يكونوا من دم مصرى خالص رأى مسموع فى البلاد الذى إبتعد عنه بعض أبناء كبار الموظفين القدماء فكان ذلك أيضاً سبباً من أسباب الجفاء .

أما فى السياسة فلم تكن الحالة خالية من الشوائب ، فقد أصبح اعتماد أمنحوتب الثالث فى حكم إمبراطوريته على صلته بملوك هذه البلاد . وكان يعتقد أن تبادل رسائل المودة بينه وبينهم كان لحفظ الإمبراطورية ، أو أن زواجه من بنات الملوك أو الأمراء كفيل بجعل هذه الدول والمدن راضية بالحكم المصرى إلى الأبد . وفات أمنحوتب والذين كانوا حوله من مستشارين أو ناصحين أن سياسة السلم وتبادل رسائل المودة والهدايا لم تكن إلا معبرة ، سواء بالحق أو بالباطل ، عن شعور الحكام فقط ، أما شعور الشعوب نفسها أو شعور الدول الأخرى المعادية فهذا أمر لم يحسبوا له حساباً ، بينما كان فى الحقيقة عاملاً هاماً فى سير الحوادث . لقد قضى أمنحوتب الثالث ستة وثلاثين عاماً على العرش ، لم يرسل خلالها إلى آسيا حملة واحدة فنسى أكثر الناس جيش فرعون وقوته ، وبدأوا يحكمون على مصر بما كان يقترفه حكامها أو جنودها وموظفوها فى تلك البلاد من خير أو شر أو ما يسمعون من أخبار ممن كانوا يعودون من مصر .

وكان أمنحوتب الثالث فى أواخر أيامه شخصاً مهتماً محطماً الصحة بالرغم من أنه كان دون الخمسين ، لأنه أفرط فى ملذاته ، وكانت السلطة مركزة فى يدى زوجته ، تى ، والقليل من الموظفين الذين كانوا طوع إرادتها . ورأى هذا الملك بعد وفاة إبنة تحوتمس أن يشرك معه فى حكم البلاد إبنة الثانى منحوتب الرابع الذى كان قد تزوج من أميرة تسمى ، نفرتيتى ، وبدأ أمنحوتب يحكم فى عهد أبيه ، وأقام فى طيبة مقر عبادة الإله أمون رع والعاصمة الأولى للبلاد . ولا شك فى أن نفرتيتى أميرة مصرية ، وأكبر الظن أنها إبنة لأمنحوتب الرابع ولم تكن من أصل ميثانى أو من أى شعب من شعوب آسيا كما أراد أن يذهب إلى ذلك بعض المشتغلين بالتاريخ المصرى فى وقت من الأوقات .

كان كل شىء فى مصر فى حاجة إلى الإصلاح بل إلى التغيير ، وكان العرش فى حاجة ملحة إلى ملك نشيط محارب مثل تحوتمس الثالث أو على الأقل مثل

تحتومس الرابع ليحاول عمل شيء لخدعيم البناء الذي بدأ يتصدع ، ولكن أمنحوتب الرابع كان شاباً حالماً ذا إحساس ديني عميق ونفس شاعرة ، فلم يكن الرجل الذي يستطيع مواجهة الموقف الذي كانت فيه البلاد ، ولهذا لم يكن بد من حدوث الصدام ولم يكن بد من أن تسير الأمور من سيء إلى أسوأ ،

#### أمنحوتب الرابع : ( ١٣٧٠ - ١٣٤٩ )

تولى أمنحوتب الرابع الملك شريكاً لأبيه وأقام معه في طيبة ولكن منذ أن أصبح له شيء من الزمر بدأ يفكر في الدعوة إلى عبادة الشمس ، واختار أحد مظاهرها وهو ، أتون ، الذي عبر به عن القوة الكامنة في قرص الشمس إلهاً له وأقام له معبداً على مقربة من معبد الكرنك .

وتدل جميع الشواهد على أن أمنحوتب الرابع لم يشتط في أول دعوته ولم يبادىء كهنة أمون بالعدوان ، بل أن كل ما فعله هو دعوته إلى عبادة أتون وجعل منه إلهه المفضل ، وتبعه دون شك بعض رجال البلاد وكثير من عامة الناس ، وبدأ كهنة أمون يحسون بالخطر الجديد الذي أخذ يهددهم فبدأوا يخلقون المصاعب أمام الملك الجديد .

وإذا درسنا آثار هذه الفترة نرى أن أمنحوتب الرابع قد احترم في بداية حكمه جميع الآلهة ، وبخاصة ما كان منها متصلاً بعبادة الشمس مثل رع وحورختي وغيرهما . وإذا كان قد نادى بعبادة أتون فإن أتون لم يكن إلهاً أجنبياً عن مصر فإن اسمه معروف منذ الدولة القديمة وورد في نصوص الأهرام ، أى قبل أن يولد أمنحوتب الرابع بألف عام ، كما أن إحياء عبادة الشمس وشكل قرص الشمس وهو يمد شعاعه بالحياة كانا أمرين معروفين في أيام تحتومس الرابع ، إذ نعرف أنه في عهد هذا الملك بالذات بدأ الفن المصري يتحرر من قيوده القديمة ، ويتجه نحو أساليب واقعية تمثل الحياة كما هي ، وتظهر ما في الطبيعة من جمال ، فكانت أكثر زخارف القصور بل وأدوات الزينة والأثاث ، تميل إلى الإعتماد على رسم الزهور ومختلف النباتات والحيوان والطيور والأسماك .

واستمر تطور الفن في عهد أمنحوتب الثالث ونشأت في أيامه المدرسة الفنية التي مهدت لظهور مدرسة العمارة فيما بعد .

ولم يمض زمن طويل على أمنحوتب الرابع في طيبة حتى بدأ يشتد تعصبه لدينه الجديد ووقف في وجه كهنة أمون وغير اسمه من أمنحوتب الرابع إلى اسم جديد لتأكيد صلته بمعبودة فاختار اسم ، أخ - إن - أتون ( إخناتون ) ، وترجمتها ، المفيد

لأتون ، ، وانقسم الناس وبدأت المتاعب أمامه واضحة ، وربما كان أمنحوتب الثالث والده غير راض عن هذه الحركة الجيدة التي زادت من متاعبه ، وخصوصاً وأن ملك مصر في آسيا بدأ ينهار وخسرت مصر جزءاً كبيراً من ولايات سورية المالية وانفض عنها كثير من خلفائها ، وانقطع ما كان يأتي من جزية من بعض تلك البلاد .

كان أمنحوتب الثالث في ذلك العهد شخصاً محطماً جنت عليه حياة البذخ والإفراط في الملذات كما سبق القول . ومن كان في مثل هذه الحالة وفي مثل هذا السن لا يمكن أن يرضى عن إنقسام أو عن حرب أهلية وعلى الأخص إذا تناول ذلك إلهه أمون الذي تفتحت عيناه على عبادته وقضى حياته يقيم له المعابد ، ليس في طيبة فقط بل في جميع البلاد سواء في الشمال ، وبخاصة في منف ، أو في النوبة أو في السودان . وربما كان عدم رضا الأب وزوجته تى عن عمل إبنهما من بين الأسباب التي دعت به إلى ترك طيبة فاختر مكاناً بين طيبة ومنف ، في محافظة أسيوط ، وجعل منه عاصمة جديدة للبلاد .

كان ذلك في السنة الرابعة من حكمه ، فذهب إلى هذه المدينة الجديدة التي سماها ، أخت أتون ، أي ، مشرق أتون ، ووضع لوحات حدودها على جانبي النيل في سفح الهضبتين الشرقية والغربية ، وبنى معبده وقصوره ومدينته الجديدة في الناحية الشرقية من النيل ومكانها الآن على مقربة من قرية تل العمارنة .

واستمر العمل في إنشاء المدينة الجديدة عامين كاملين ، إنتقل بعدهما ، إخناتون ، ومعه عائلته ورجال قصره ومن تبعه من خاصته إلى تلك العاصمة الجديدة فاستقر هناك ، وأقسم يميناً سجلها على اللوحات التي أقامها بأنه لن يغادر حدودها طالما كان حياً ، وفي هذه الجملة بالذات ما يجعلنا نحس بالمرارة التي كان يعانيها من كهنة أمون ، ومن المحافظين من رجال الدولة الذين لم تعجبهم هذه الحركة الجديدة . لم يترك إخناتون طيبة إلا بعد أن أعلنها حرباً لا هوادة فيها على أمون وعلى غيره من الآلهة ، ومن بينها أوزيريس ، وكان إسم أمون بالذات موضع حقه فأمراً بمحوه أينما كان حتى ولو كان في إسمه أو إسم أبيه . وانصرف إخناتون بعد ذلك إلى عبادة إلهه في ، أخت أتون ، صاماً أذنيه عن سماع أى شيء تاركاً الحبل على الغارب ، وغير مهتم بما كان يجرى في داخل مصر أو خارجها .

وفي مثل هذه الظروف كان من الضروري أن يحدث تغير في إدارة البلاد . فأقصى إخناتون من لم يتبعه في دينه الجديد ، وقرب الذين استطاعوا الحصول على

ثقتهم بما كانوا يبذلونه من حماس صادق أو مصطنع ، فأصبحت وظائف الدولة أو أكثرها في أيدي فئة حديثة العهد بفن الحكم في وقت كانت البلاد في أشد الحاجة إلى خبرة الموظفين الأكفاء ، خصوصاً وأن الحالة في آسيا ازدادت سوءاً على سوء وأصبحت مملكة خيتا تغيّر على أطراف سورية وتضمها ولاية بعد أخرى إلى ممتلكاتها ، كما أخذت مدن عديدة في فينيقيا وفلسطين تستقل بأمورها أو تغيّر إحداهما على الأخرى . وزاد الطين بلة أن جماعات من بدو الصحراء أخذت بدورها تحدث اضطراباً في الأمن وهذه القبائل المعروفة بإسم الـ خابيرو ، وأخذ أمراء بعض تلك المدن يستخدمونها عند حروبهم مع منافسيهم .

لم يترك الحكام المصريون أو الأمراء أو الزعماء الآسيويون المخلصون لمصر وسيلة من الوسائل إلا لتجأوا إليها . فأرسلوا الكتب وأرسلوا الرسل إلى طيبة ، وإلى إخناتون . كان إخناتون لا يهتم بهم فالتجأوا إلى الملكة ، تي ، في طيبة فأخذت بدورها تنبه ابنها . وازدادت النصيحة وازداد التحذير حتى أصبح ذلك في أذني إخناتون ضجيجاً فصم أذنيه عامداً ورفض أن يفعل شيئاً غير عبادة إلهه أتون ، ووضع الأناشيد في مدحه والذهاب إلى المعبد ومكافأة المنافقين من مادحيه .

وبدأت المؤامرات على حياة الملك ، وكاد المتآمرون مرة من المرات أن يصلوا إلى غرضهم لولا يقظة رئيس حراسه الذي أسرع للقبض عليهم عندما علا صراخ الحراس (١) . وخشى إخناتون على حياته فانزوى في قصره وقرب إليه المتملقين المداهنين ، وعلى الأخص شخص غير مصري الأصل إسمه ، توتو ، دخل في خدمته خادماً في القصر ولم يلبث أن صار صاحب الأمر والنهي فيه . وكثيراً ما ورد إسمه في رسائل الأمراء الآسيويين الذين كانوا يستعينون بنفوذ هذا الشخص للوصول إلى مآربهم ، وإخفاء حقيقة الحالة عن الملك (٢) .

ولنترك الآن إخناتون ورجاله ، ونترك إمبراطورية مصر تتفكك وتنهار ولنتحدث قليلاً عن ديانة إخناتون .

---

(١) نعرف تفاصيل هذه الحادثة من مقبرة «محو» ، رئيس شرطة مدينة أخت - أتون أنظر

DAVIES, The Rock Tombs of El-Amarna الجزء الرابع لوحة ٢١ وما بعدها .

(٢) كان يسمى «دود» ، في المكاتبات وله مقبرة في تل العمارنة - أنظر الجزء السادس م مؤلف

ديفز عن مقابر العمارنة لوحات ١٧ - ٢٢ .

## ديانة أتون :

إن مصادرنا الرئيسية لدراسة الحركة الدينية التى قام بها إخناتون هى ما خلفه لنا على لوحات الحدود التى أقامها لتحديد مدينته الجديدة ، وما بقى على جدران مقابر تل العمارنة وما وصل إلينا من بقايا معابده فى الكرنك وغيرها من البلاد ؛ لأن إخناتون أقام إلى جانب أهم المعابد فى البلاد معابد أو هياكل للإله أتون لكى يتعبد فيها الناس .

وبالرغم أن إخناتون فشل فى حركته وبالغ أعداؤه ، وفى مقدمتهم كهنة آمون ، فى القضاء على آثاره ، وعلى ذكره ، وإعتبروه ملحداً خارجاً على الدين ، وأسقطوا إسمه واسم عائلته من أثبات أسماء الملوك فإن ما وصل إلى يد العلماء وبخاصة بعد حفائر البعثتين الألمانية والإنجليزية فى تل العمارنة كاف لإعطائنا صورة عن هذه الحركة الدينية وما فيها من آراء .

وقد كتب كثير من الباحثين فى هذا الموضوع لعلاقته الوثيقة بموضوع هام وهو نشأة التوحيد ، ونظر كل باحث إليه من زاوية مختلفة فجاءت آراؤهم متباينة . ولسنا هنا فى معرض تحليل هذه الديانة أو إعطاء تلخيص للآراء المتباينة فيها بل يكفى أن نذكر النقاط الآتية للإجابة بأهم مبادئها :

أولاً - كانت ، ماعت ، ( ويمكن ترجمة معناها ، الحقيقة ، أو ، العدل ، أو ، الأصول ، بمعناها المتعارف عليه أى القواعد التى يجب أن تتبع ) هى الأساس الذى إرتكزت عليه ديانة أتون . فقد طلبت من الناس أن يجعلوها نصب أعينهم وأن يسموا الأشياء بأسمائهم ولا يلتجئوا إلى النفاق والمداينة . وكان أثر هذا المبدأ كبيراً على الفن فتحرك الفنانون من القواعد القديمة ، وأخذوا يرسمون الملك وزوجته وأولاده فى مواقف لم يحلم برؤيتها أحد من قبل ، نراها مرسومة على جدران المعابد أو المقابر مثل مداعبة فرعون لزوجته أمام الناس فى الطريق أو تقبيل أولاده ، أو تصويره وهو يأكل بشرهة على إحدى موائد الطعام .

ثانياً- كره إخناتون تصوير إلهه على صورة من الصور سواء أكانت إنسانية أو حيوانية ، وجعله فقط قرص الشمس الذى تعطى أشعته الحياة للناس أجمعين .

ثالثاً- كان أتون هو الإله الواحد الذى لا شريك له ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد غير قليل من الآلهة ومنها آمون ، ولهذا لم يكن جديداً على الديانة المصرية ، ولكن الجديد هو تحريم عبادة آلهة أخرى فى الوقت نفسه .

رابعاً - ومن أهم النقط في هذه الديانة أن ، إخناتون ، كان هو وحده ابن أتون ، وهو الذى كان مكلفاً بعبادته ، أما الناس فكانوا يعرفون أتون بعبادتهم لإبنه ورسوله إخناتون ، وهذه النقطة بالذات هى التى وقفت حائلاً بين الناس وبين الإستمرار فى هذه الديانة بعد موت إخناتون .

خامساً - لم تكن ديانة أتون لمصر وحدها بل كانت للعالم كله ، فبسبب هذا الإله عاشت الأسماك فى البحار والوحوش فى الأدغال والزواحف فى أحجارها والنبات فى الحقول . وبالرغم من أننا نعرف الكثير عن العبادات فى هذا الدين فإنه يلوح أنه لم يتعرض للمعاملات بين الناس ولم يدخل عليها أى تعديل .

سادساً - لم يكن هناك معنى لبناء معابد مغلقة ذات حجرات وأبهاء تنتهى بهيكل قليل الضوء ، وإنما كان المعبد مكوناً من بهو كبير يتوسطه مذبح ليتمكن كل شخص من الاستمتاع بضوء الشمس والتطلع إليها . ولكن هذا لم يمنع إخناتون من إتقائه لحرارة الشمس ، إذ نراه فى منظر من المناظر يسير تحت مظلة لإتقاء وطأتها .

سابعاً - كان إخناتون هو الرسول والوساطة بين أتون والناس ، ولكن لم يمنع ذلك وجود كهنة لأتون سواء فى العمارنة أو فى البلاد الأخرى التى نشأت فيها معابد لهذا الإله .

ثامناً - إذا دققنا فى فحص ديانة أتون لوجدنا أنها أول محاولة للإتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة فى وقت واحد . ولكنها لم تصل إلى الكمال الذى وصلت إليه الديانات السماوية فيما بعد .

تاسعاً - ليس هناك شك فى أن أناشيد إخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير ، وأن المزمور ١٠٤ يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير وليس من قبيل توارد الخواطر . أما كيفية وصول هذا النشيد إلى العبرانيين ، فمن المحتمل أن يكون قد حفظ فى آسيا وبقى فى آدابها تتناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون بكتابة التوراة فى القرن الثامن قبل الميلاد .

عاشراً - لم يتخذ أتون زوجة له ، ولم يكن للنساء شأن به أو حتى فى كهنوته . وبالرغم من أننا نعرف أن نفرتيتى كانت القوة الكامنة وراء الحركة كلها



فإن اسمها لم يقرن بأى وظيفة فى معبد أتون ولم يكن لها بهذا الدين  
أى شأن خاص .  
وخير ما نفعله الآن هو تقديم ترجمة حرفية للنشيد كما جاء فى إحدى مقابر  
العمارنة (١) .

محرران  
www.ibtesama.com  
منتديات مجلة الإنسامة

---

(١) DAVIES, The Rock Tombs of El Amarnah, VI p. 29 ff. أنظر أيضاً

ERMAN, The Literature of the Ancient Egyptians, p. 288-291  
وأحدث ترجمة باللغة الإنجليزية هى ترجمة ولسون (J.A. Wilson) فى كتاب  
PRITCHARD, Ancient Near Eastern Texts (1950), p. 369-371 .

### نشيد إخناتون

أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء ،  
يا أتون الحى ، ( يا ) بداية الحياة .  
عندما تبرزغ فى الأفق الشرقى ،  
تملأ كل البلاد بجمالك ،  
أنت جميل ، عظيم ، متألئى ، وعال فوق كل بلد .  
وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ،  
لأنك أنت ، رع ، وتصل إلى نهايتها ،  
وتخضعها لابنك المحبوب .  
وبالرغم من أنك بعيد فإن أشعتك على الأرض ،  
وبالرغم من أنك أمام أعينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك .

\*\*\*\*\*

وعندما تغرب فى الأفق الغربى ،  
تصبح الأرض سوداء كما لو كان حل بها الموت .  
ينام ( الناس ) فى حجرة وقد لفوا رؤوسهم ،  
فلا ترى عين عينا أخرى ،  
ويمكن أن تسرق أمتعتهم التى يضعونها تحت رؤوسهم ،  
فلا يدركون ذلك .  
ويخرج كل أسد من عرينه .  
وجميع الزواحف ( تخرج ) لتلدغ ،  
ويلف الظلام كل شئ ويعم الأرض السكون ،  
لأن الذى خلقهم يرتاح فى أفقه .  
وعندما يصبح الصباح ، وتطلع أنت من الأفق ،  
وعندما تضىء كأتون أثناء النهار ،

تطرد الظلمة وتمنح أشعتك .  
 فالأرضان فى عيد كل يوم .  
 ويستيقظ ( الناس ) ويقفون على الأقدام ،  
 لأنك أنت الذى أيقظتهم .

\*\*\*\*\*

يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ،  
 ويرفعون أذرعهم إبتهاالا عند ظهورك ،  
 والناس جميعا يؤدون أعمالهم .  
 وتقنع كل الحيوانات بمراعيها ،  
 وتزدهر الأشجار والنباتات .  
 والطيور التى تطير من أعشاشها ،  
 ( تمد ) أجنحتها لتمدح قوتك ،  
 وتقف الحيوانات على أرجلها ،  
 وكل ما يطير أو يحط ،  
 إنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم .  
 وتسير السفن نحو الشمال ونحو الجنوب ،  
 لأن الطرق كلها مفتوحة عندما تظهر ،  
 وتمرق الأسماك فى النهر أمامك ،  
 لأن أشعتك تتغلغل فى المحيط .

\*\*\*\*\*

أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء ،  
 إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا .  
 إنك أنت الذى يعنى بالطفل فى بطن أمه ،  
 وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه ،

لأنك تعنى به وهو فى الرحم .  
أنت الذى يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم ،  
عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه ليتنفس ،  
فى اليوم الذى يولد فيه ،  
تفتح فمه ، وتمده بكل ما يحتاج إليه .  
وعندما يصرخ (الكتكوت) وهو داخل البيضة .  
فأنت الذى يمدده بالنفس فى داخلها ليعيش ،  
وعندما تتم خلقه داخل البيضة ، تجعله يكسرها ،  
ويخرج من البيضة وهو يصوصو إذا ما حان موعده ،  
ويمشى على رجليه عندما يخرج منها .

\*\*\*\*\*

ما أعظم (أعمالك) التى عملتها !  
إنها خافية على الناس .  
أيها الإله الأوجد الذى لا شبيه له !  
لقد خلقت الدنيا كما شئت ،  
عندما كنت وحدك ،  
الناس والماشية والوحوش الضارية  
وكل ما على الأرض يسعى على قدميه .  
وكل ما يرتفع ( فى السماء ) يطير بجناحيه .

\*\*\*\*\*

فى بلاد سورية والنوبة وأرض مصر ،  
تضع كل شىء فى مكانه .  
إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه  
ويحصل كل شخص على طعامه ، وسنوات حياته مقدرة له .

يختلف الناس فى لغاتهم ،  
 كما يختلفون أيضاً فى طبائعهم ،  
 ويمتاز لون جلودهم عن بعضهم البعض ،  
 لأنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية .  
 أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ،  
 وأنت الذى يأتى به عندما يشاء ، لتبقى على الناس ،  
 وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك ،  
 وأنت سيدهم جميعاً ، ( سيدهم ) الذى يشغل نفسه من أجلهم ،  
 سيد كل أرض ، الذى يشرق لأجلهم ،  
 أنت أتون ( شمس ) النهار ، عظيم البهاء .

\*\*\*\*\*

أنت الذى يعطى الحياة ( أيضاً ) لكل البلاد الأجنبية البعيدة .  
 لأنك خلقت نيلا فى السماء ،  
 لينزل لأجلهم ويحدث أمواجا فوق الجبال ،  
 مثل ( أمواج ) البحر ،  
 لتروى حقولهم التى فى قراهم ،  
 ما أجمل أعمالك يا رب الأبدية !  
 فالنيل الذى فى السماء ( خلقته ) للأجانب  
 ولكل حيوانات الصحراء التى تسعى على الأقدام ،  
 أما النيل ( الحقيقى ) فإنه ينبع من العالم الآخر لأجل مصر .

\*\*\*\*\*

تغذى أشعتك كل مرج ،  
 وعندما تشرق ، تحيا وتنمو لأجلك ،  
 وجعلت فصول السنة لتغذى كل ما خلقت .

فالشقاء يبرد أجسامهم .  
والحرارة تجعلهم يحسون بك .  
لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها ،  
وحتى ترى كل ما صنعت .  
وذلك عندما كنت وحيدا .  
تشرق في صورتك كأتون الحى .  
لامعا ، مضيئا ، فى جيئتك ورواحك .  
جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها ،  
( وسواء أكانت ) مدنا أو بلادا أو حقولا ، طريقا أو نهرا ،  
فإن كل عين تراك فوقها مشرقا ،  
لأنك أتون ( شمس ) النهار على الأرض .

\*\*\*\*\*

أنت فى قلبى ،  
وليس هناك من يعرفك  
غير إبنك ، نفر - خيرو - رع ، واع - إن - رع ،  
لأنك أنت الذى خلقتة عالما بمقاصدك و ( مدركا ) لقوتك  
أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ،  
وخلقت ( الناس ) كما شئت أن تصورهم .  
فهم يحيون عندما تشرق ،  
ويموتون عندما تغرب ،  
إنك أنت الحياة بعينها .  
ويعيش الإنسان ( فقط ) إذا أردت .  
تتعلق العيون بالجمال حتى تغيب ،  
ويترك الناس أعمالهم عندما تغرب فى الغرب .

ولكن عندما ( تشرق ) ثانية  
يزدهر كل شيء لأجل الملك ...  
لأنك أنت الذى خلقت الأرض ،  
وأنت الذى خلقتهم ( أى الناس ) لأجل إينك .  
الذى ولد من صلبك ،  
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ... إخناتون .  
وزوجة الملك العظيمة ... نفرтитى  
عاشت ممتعة بالشباب ، دائما وإلى الأبد .

\*\*\*\*\*

### عائلة إخناتون :

عندما جاء إخناتون إلى تل العمارنة كانت له ابنة واحدة فقط وهى ، مريت -  
آتون ، ، ولكن بعد عامين إثنين أصبحنا نرى عائلته مكونة منه ومن زوجته ومن  
بنات ثلاث وهن ، مريت آتون ، وثانية إسمها ، ماكت آتون ، وثالثة وهى ، عنخس إن  
با آتون ، . وتوالت بعد ذلك بنات أخريات حتى بلغ عددهن ستا دون أن يولد له ولد  
واحد . وليس يعنينا من بناته غير إثنين الأولى وهى ، مريت - آتون ، والثالثة  
، عنخس إن با آتون ، أما الثانية فقد ماتت صغيرة فى حياة أبويها .

كانت حياة إخناتون ونفرтитى هادئة بين أطفالهما منذ حضورهما إلى العمارنة  
فى العام السادس من حكمه حتى العام الثانى عشر ، لا ينغص حياتهما منغص ؛ لأن  
إخناتون إنصرف عن الدنيا كلها ليتعبد لإلهه ويفسر تعاليمه محيطاً نفسه باتباع  
مخلصين يشاركونه عقيدته أو باتباع منافقين يريدون الإنتفاع من ورائه .

وظل أبوه أمنحوتب الثالث فى طيبة ومات فيها <sup>(١)</sup> أما أمه الملكة ، تىي ، فلم  
تذهب بعد موت زوجها إلى العمارنة وظلت فى طيبة . ولكن فى العام الثانى عشر  
كانت الأمور قد وصلت إلى نهايتها من التحرج ، فرأت ، تىي ، نفسها مضطرة لإتخاذ  
خطوة حاسمة لإصلاح المعوج من الأمور . فسافرت إلى ، أخت آتون ، وقضت فيها

(١) ربما كانت وفاة أمنحوتب الثالث عام ١٣٧٥ ق.م. أى فى العام الخامس من حكم إخناتون  
وهناك بين العلماء من يرى أنه عاش حتى العام العاشر على الأقل ولكن ليس هناك دليل قاطع  
فى هذا الأمر .



وقتها غير قصير ، كانت فيه ضيفة عزيزة على ابنها ولم تجد أي غضاظه في الذهاب إلى معبد آتون وتقديم القرابين له ، كما كانت راضية عن الحياة في المدينة الجديدة ، ولم تمنع في صنع تماثيل لها أثناء وجودها هناك .

ولكن هذا الرضا وهذا الإحتفاء بآتون كانت وراءه أغراض أخرى لأنها توصلت بذلك للحصول على ثقة ابنها ، ثم أخذت رويدا رويدا تفهمه ما وراء إندفاعه من خطر عليه وعلى البلاد .

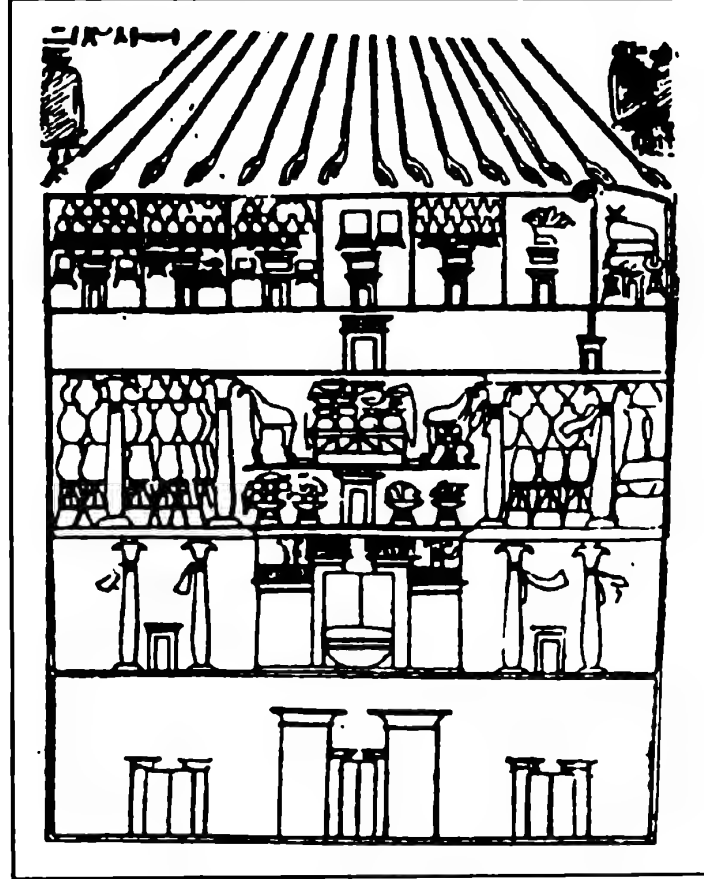
ولسنا نعرف تماماً ما حدث بين إخناتون وأمه ، وإنما الذي نعرفه أن زيارتها لمدينة ، أخت آتون ، كانت بداية الشقاق بين إخناتون ونفرتيتي ، إذ نجحت الأم أو كادت تنجح في تحويل ابنها عن الدين الجديد ، ولكن نفرتيتي ظلت مخلصه لمبادئها وأنكرت على الملكة ، تتي ، تدخلها ومهما كان الأمر فإن ، تتي ، تركت العمارنة وخلفت وراءها صدعا لم تقو الأيام على إصلاحه ، فقد وصلت الفجوة بين إخناتون ونفرتيتي بعد ذلك بقليل إلى أن كلا منهما عاش بعيداً عن الآخر ، فبقى إخناتون في القصر الملكي وعاشت نفرتيتي في بيت جميل في ضاحية في جنوبى المدينة إسمه ، حات - آتون ، أى قصر آتون .

وعاش إخناتون في قصره مع إبنته الكبرى ، مريت آتون ، التى جعل منها السيدة الأولى في القصر ، وأمر بأن تزال أسماء نفرتيتي من جدران السراى وأن توضع أسماء إبنتها في مكانها ، أما نفرتيتي فأبقت كل شىء على ما كان عليه وظلت أسماء زوجها في مكانها على الجدران ، وظلت تعيش مع باقى بناتها في تلك الضاحية .

ومن المرجح أنه كان لإخناتون أخوة صغار من أبيه أو أبناء إخوته ، ولا نعرف إن كانوا قد جاءوا مع ، تتي ، أو كانوا في العمارنة من قبل زيارتها ويعنيها من هؤلاء الأمراء إثنان أحدهما إسمه ، سمنخ - كا - رع ، الذى كان عزيزاً على إخناتون ومقرباً منه فزوجه من إبنته ، مريت آتون ، وأشركه معه في الملك ، أما الآخر فكان أصغر منه وكان إسمه ، توت - عنخ - آتون ، فأقام مع نفرتيتي .

كان تزويج ، سمنخ - كا - رع ، من ، مريت آتون ، وإعلانه شريكا في الملك ضد رغبة نفرتيتي ، خصوصاً وأن ذلك كان تنفيذاً لسياسة خاصة وهى محاولة تقريب وجهات النظر بين إخناتون وكهنة آمون . ولسنا نعرف من الذى كان يدبر هذه المؤامرات كلها فإذا أردنا أن نحصر الظنون فإننا لا نجد فى هذه الفترة غير ثلاثة أشخاص وهم الملكة تى وقائد الجيش الذى ظهر على مسرح الحوادث بعد قليل وهو

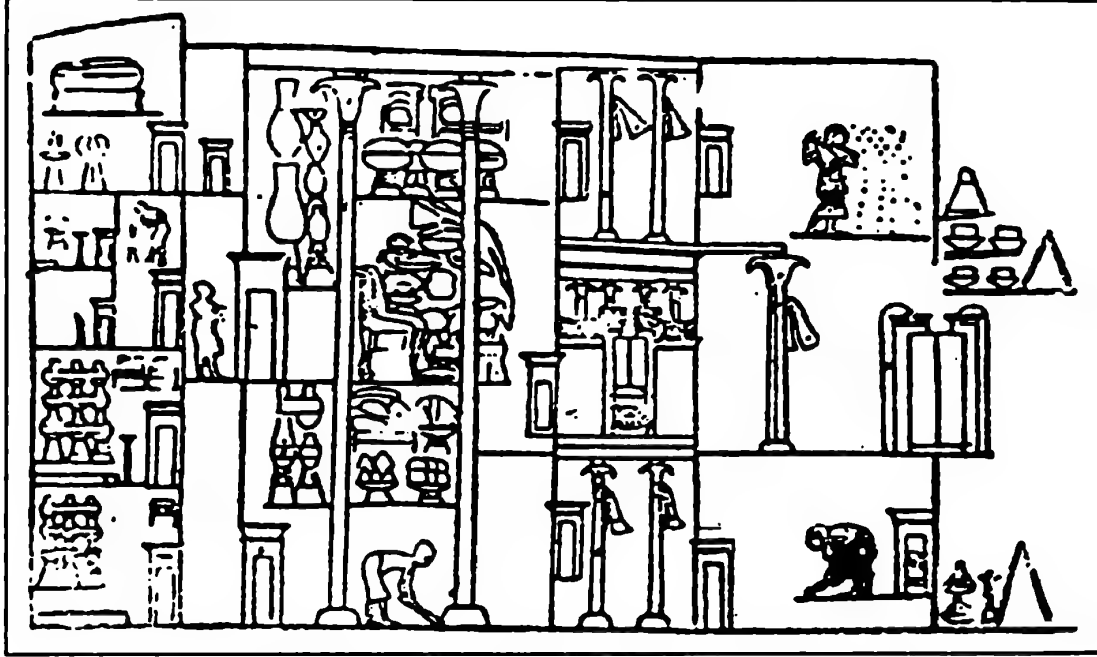
« حور محب » ، ورجل آخر بدأ حياته فى الجيش ثم أصبح من كبار رجال القصر وحصل على رتب كهنوتية كبيرة ، وكان السبب الأكبر فى تقربه من إخناتون وتقدمه فى البلاد راجعا إلى زوجته التى كانت مربية لنفرتيتى .



أحد قصور إخناتون فى تل العمارنة ، ونرى مدخله الكبير وأبهاءه واحداً بعد الآخر ، وقد امتلأت الحجرات الداخلية بالمآكل وبأوانى الجعة .

وليس لدينا دليل قاطع على تدبير « تى » ، لسفر سمنخ كارع إلى طيبة مع زوجته وربما كان الرجلان الآخران أو أحدهما ، هما اللذان أرادا ذلك . وعلى أى حال فإن رحلة « سمنخ - كا - رع » وإقامته الطويلة فى طيبة لم تغير من جوهر الأمر شيئاً فإن إخناتون ظل فى مدينته ولم يعلن سمنخ كارع أو يعلن إخناتون تراجعهما عن عبادة آتون ، ولكن بعد سنوات ثلاث أى فى العام التاسع عشر من حكم إخناتون تلاحقت حوادث غامضة . فمات سمنخ كارع واختفى اسم زوجته ، وكان موته أو اغتياله فى طيبة ، فقد وجدت موميأوه هناك فى القبر الذى كان قد أعد للملكة « تى » فى وادى الملوك . وتلاه إخناتون بعد أقل من عامين ودفن فى قبره

فى العمارنة وتولى بعده ، توت عنخ آتون ، الذى كان قد تزوج - أو أعلن زواجه عند توليه العرش - من الإبنة الثالثة لإخناتون ، وظل فى ، أخت آتون .



القصر نفسه مرسوما بطريقة أخرى حسب المنظور المصرى .

ويلوح أن إخناتون حاول فى أواخر أيام حياته أن يكون له وريث بعد أن وصلته الأخبار السيئة من طيبة عن موت أو قتل سمنخ كارع وزوجته ، فتزوج إبنته الثالثة ، عنخس إن با آتون ، التى لم يزد عمرها إذ ذاك عن إثنى عشر عاما على الأكثر ولكنها لم تلد له إبناً كما كان يريد بل ولدت إبنة سموها ، عنخس إن با آتون الصغرى ، كما ثبت من نقش على حجر عثرت عليه البعثة الألمانية فى الأشمونيين (١) .

فلما لم يتحقق ظن إخناتون فى إنجاب وريث للعرش زوج هذه الأبنة من أمير صغير وهو توت عنخ آتون الذى كان لا يزيد عمره عن تسع سنوات ، وأعلنه خليفة له ، ولكن لم يطل به العمر كثيراً فمات إخناتون فى العام الحادى والعشرين من حكمه على الأرجح (٢) . ويريد بعض علماء الدراسات المصرية القديمة أن يلقى بعض الشك

(١) BRUNNER, "Eine neue Amarna-Prinzessin" , ZAS, LXXIV (1938), 104-108.

(٢) K C. SEELE, King Ay and the Amarna Age, City of Akhenaten, part 1 كتاب حيث يوجد نقش باللغة الهيروغليفية يذكر العام الحادى والعشرين

فى أنه دفن فى القبر الذى أعده لنفسه فى أحد الوديان خلف مدينة العمارنة ، ولكن وجود صندوق الأحشاء فيها يجعلنا متأكدين من دفنه هناك إذ عثر منذ وقت طويل على أجزاء هذا الصندوق المصنوع من المرمر بين رديم تلك المقبرة وظل طويلاً فى المتحف المصرى حتى تم ترميمه منذ بضع سنوات .

كان توت عنخ آتون مقيماً قبل زواجه مع الملكة نفرتيتى ، ولهذا ربما كانت راضية عن سير الأمور فى هذه الفترة . على أى حال فإننا لم نعد نسمع شيئاً عن هذه الملكة ولم يعثر لها على قبر . وبالرغم من أن الملك الصغير بدأ حكمه فى العمارنة مخلصاً لديانة آتون ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً .

### رسائل العمارنة :

جاء ذكر رسائل العمارنة عند حديثنا على إهمال إخناتون لشلون ملكه وسد أذنيه عن سماع الشكاوى التى كان يرسلها بعض الحكام المصريين من آسيا ، وبعض الأمراء الآسيويين الموالين لمصر . وقد عثر على هذه الرسائل فى تل العمارنة فى المبنى التى كانت تحفظ فيه المراسلات وهى مكتوبة كلها على ألواح صغيرة من الطين المحروق باللغة الأكديّة الدارجة كتب أغلبها كنعانيون أو مصريون يعرفون تلك اللغة .

عثر عليها إحدى الفلاحات عند أخذ السياح من تلك المنطقة فى عام ١٨٨٧ ، ومن ثم وجدت طريقها إلى تجار الآثار وتفرقت فى كثير من متاحف العالم . ومجموع المعروف منها ٣٣٧ رسالة (١) ، لقيت ما هى جديرة به إهتمام لأنها أهم المصادر التاريخية التى توضح لنا ما كانت عليه الحالة السياسية فى بلاد سورية - فلسطين وبابل وأشور وميتانى وخيتا فى أواخر أيام أمنحوتب الثالث وطيلة أيام إخناتون بل إن منها ما كان قد أرسل إلى سمنخ كارع خليفة إخناتون على العرش .

توضح لنا هذه الرسائل الصلة التى كانت بين مصر وتلك البلاد ، وتوضح لنا الكثير من أساليب المراسلات الدولية فى ذلك العهد ، وما كان يدور بين ولايات سورية وبين غيرها من تطاحن ومؤامرات .

كانت مملكة ميتانى فى شمالى العراق ، وكانت تربطها بمصر صلات من الود والمصاهرة ولكن مملكة خيتا ( فى الأناضول ) الناشئة الطموحة أرادت أن تستولى

(١) ترجم أولبرايت أهمها فى كتاب Ancient Near Eastern Texts ص ٤٨٣ - ٤٩٠ ونير فى مقدمة فصله بيانات بالمؤلفات المختلفة عن هذه الرسائل .

عليها فى عهد سوبيلو ليوما فإستغاث ملك ميتانى بمصر ، فأرسل إليه أمنحوتب الثالث نجدة ساعدته فى صد الخيتيين ، وأدرك ملك خيتا أنه لن يتمكن من تحقيق أطماعه فى آسيا ما دام النفوذ المصرى قوياً ، ولهذا أخذ يؤلب بعض الأمراء الآسيويين ليشقوا عصا الطاعة فاستجاب له أميران طموحان وهما أمير قادش الذى بسط نفوذه على سهل سورية الشمالى وهزم الأمراء المواليين لمصر . ثم عبد أشرتا ملك الأموريين الذى أخذ يهاجم مدن الساحل الفينيقي وتبعه فى ذلك ابنه عزيزو الذى كان يتظاهر دائماً بالولاء لمصر ويرسل الرسائل مؤكداً إخلاصه وينفى ما يقال عنه . وأخذت المدن تستغيث بفرعون مصر ولكنه كان يعيش فى عالم آخر ولم يهتم حتى بمقابلة الرسل الذين آتوا من آسيا لייستوا حقيقة الأمر . كان عزيزو واثقاً من فوضى أمور البلاط فى العمارنة وكان يعتمد على صديقه ، توتو ، أحد سقاة إخناتون المقربين حتى لا تتدخل مصر أو ترسل بعض جنودها . وبعد أن تم لعزيرو ما أراد على الساحل الفينيقي شمالى مدينة جبيل بدأ يهاجم المدن الأخرى على الفرات منضمماً إلى جيوش الخيتيين فسقطت مدينة ، نيبى ، وحاصروا ، تونيب ، فأخذت تستغيث بملك مصر : « إن عبدتك مدينة تونيب تقول من ذا الذى كان يستطيع فيما مضى أن ينهب تونيب دون أن ينتقم لها منخبريا ( تحوتس الثالث ) ويفعل بالناهب ما فعل بها ؟ إن آلهة مولانا الملك وتمائيله ما زالت لدينا وليسأل مولانا فى ذلك المتقدمين فى السن من رجاله ليعرف إذ كنا نقول الحقيقة أو لا نقولها . إذا لم تدركنا مشاة ملك مصر وعرباته قبل فوات الفرصة فإن عزيرو سيصنع معنا مثل ما صنع مع مدينة ، نيبى ، ، وحينئذ لن نبكى وحدنا بل سيبكى معنا ملك مصر ، . وأخذ أهالى تونيب يستغيثون مرة بعد أخرى وهذه آخر رسالة لهم :

« والآن فإن مدينتك تونيب تبكى ودموعها تسيل ولا ناصر لنا . لقد أرسلنا عشرين رسالة إلى مولانا ملك مصر ولم نلق رداً منه ، .

ومن الغريب إن إخناتون كلف أحد موظفيه بعمل تحقيق فما كان من ذلك الموظف إلا أن باع نفسه لعزيرو ووقف إلى جانبه فى محاربة المخلصين لمصر للقضاء عليهم . وتكشف لنا هذه الرسائل عن جود خطر آخر وهو وجود قبائل سامية تسمى قبائل الخابيرو ( وربما كان هو الأسم الذى أطلق على العبرانيين فيما بعد ) ، وكانوا قبائل من البدو المقيمين فى شرقى الأردن يؤجرون أنفسهم للقتال ، فاستعان بهم بعض الأمراء للإستيلاء على حصن مجدو ثم أخذوا يهددون أورشليم فسقطت بدورها ، وهكذا أصيب النفوذ المصرى بضربات قاصمة فى سوريا وفى مدن الساحل الفينيقي وفى أعلى الفرات وفى فلسطين بينما كان إخناتون يقيم فى مدينته مقسماً ألا

يغادرها حتى يموت ، موزعا وقته بين الصلاة لأتون والإستماع إلى رياء وملق رجال بلاطه الفاسدين .

وإستغاث بعض هؤلاء الأمراء بأمه الملكة ، تىي ، وكتبوا إليها ، وأرادت تىي أن تنقذ الموقف ولكن ابنها المسالم أبى أن يفعل شيئا لإنقاذ الموالين له من فتك الخيتيين وقبائل الخابيرو . وأخذت الأمور تزداد سوءاً فى داخل مصر ، وفى إمبراطوريتها ، حتى إنتهت أيام إخناتون وتولى توت عنخ آتون العرش وتيسر للقائد حور محب أن يقوم ببعض المجهود لإستعادة بعض ما فقدته مصر .

### نهاية ديانة آتون :

أحدثت ديانة آتون إنقساماً كبيراً فى البلاد ، ووقف الكهنة وأكثر العائلات القديمة المحافظة ، من إخناتون موقف العداء أو على الأقل موقفا سلبيا إنتظاراً لتطور الحوادث . ولم يكن للملك الفيلسوف من قوة أو نفوذ يقاوم بهما التيار لو لم يكن من ورائه الجيش يدين بالولاء للعرش ، وظل بعيداً عن المنازعات الداخلية . ويرجع الفضل فى ذلك إلى رجل حكيم مصلح وهو القائد حور محب الذى ظل على رأس الجيش طيلة هذه الفترة ، ولم يحارب الدعوة الجديدة ولم يكن من مؤيديها المخلصين المتحمسين ، بل ظل مخلصاً لواجبه فقط .

ويريد بعض الباحثين فى تاريخ هذه العائلة أن يروا أن القبر الذى يوجد فى تل العمارنة باسم ، با - آتون - أم - حب ، والذى لم ينته العمل فيه ، هو قبر كان قد بدأه ، حور محب ، أو أمر إخناتون بعمله له عندما أقام فى تلك المدينة فترة من الوقت ، ولكن هذا رأى لا يخرج عن دائرة الظن أو الإحتمال .

فلما جلس ، توت - عنخ - آتون ، على العرش فى عام ١٣٤٨ ق . م . كان فى مسيس الحاجة إلى رجال مخلصين لإنقاذ البلاد مما كانت فيه ووجد ذلك فى رجلين أحدهما ، آى ، الذى أشرف على إدارة البلاد وحاول أن يصلح ما إستطاع ، والآخر ، حور محب ، الذى ظل فى منف بعيداً عن طيبة وعن تلك العمارنة وبذل كل ما فى وسعه لإصلاح الموقف فى آسيا .

وهناك إحتمال بأن حور محب ذهب مرة حوالى العام الثانى عشر من حكم إخناتون فى حملة إلى سورية ولكن هناك أيضاً ما يكاد يكون حقيقة واقعة وهو أنه فى العام الأول من حكم توت عنخ آتون ذهب على رأس الجيش لإعادة الأمن إلى بعض ولايات فلسطين وفينيقييا . أما فى سورية وفى شمال الفرات فقد كانت الحالة متحرجة إلى أبعد الحدود وكانت خيتا ، بدأت تدخل فى عصرها الذهبى وتوسعت كثيراً على



حساب مصر منذ أواسط حكم أمنحوتب الثالث ، وزادت في أواخر أيامه وطيلة أيام إخناتون .

وليس هناك من شك في أن التحاماً ما حدث بين ومصر وخيتا أو على الأقل بين جيوش مصر والمدن الموازية لخيتا ، وقد إدعت النصوص الخيتية بأن النصر كان لها كما إدعت النصوص المصرية ( مقبرة حور محب في سقارة ومقبرة حوى في طيبة وصندوق توت عنخ آمون ) بأن النصر كان لها أيضاً ، وربما كان كل من طرفي النزاع قد حقق جزءاً مما كان يرمى إليه فادعى النصر الكامل وكان من المستحيل أن تبقى الأمور في مصر على ما كانت عليه . فقد رأينا كيف تراجع إخناتون في أعوامه الأخيرة ، وكيف أرسل « سمنخ كارع » إلى طيبة ولكن هذه المحاولات باءت كلها بالفشل؛ لأن كهنة آمون الأقوياء رفضوا إلا إعادة الأمور إلى ما كانت عليه ورفضوا أى حل وسط .

وقضى « توت عنخ آتون » ثلاث سنوات في العمارنة ولكنه قبل أن يغادرها إلى طيبة رضخ ، أو رضخ مستشاروه ، لمشيلة كهنة آمون وأنصارهم وغير اسمه إلى « توت عنخ آمون » . وقد عثر له ولزوجته في تل العمارنة على آثار بعد تغيير أسمائهما بإدخال آمون فيها ، ثم إنتقل نهائياً إلى طيبة . ولاقت الدعوة إلى عبادة آتون المصير المحتوم ، فقد سلط كهنة آمون أنصارهم . على آثار آتون وآثار إخناتون فحطموها أينما كانت ، وخرّبوا المدينة وخرّبوا القبور وفتكوا بما فيها من موميאות واعتبروا المكان بأكمله مكاناً نجساً . أما موقف توت عنخ آمون من ذلك كله فإننا نراه واضحاً كل الوضوح فيما خلفه من آثار فإن موارد الدولة كلها وثروة البيت المالك خصصت لإصلاح ما فسد وإقامة ما تهدم من المعابد أو أوقف العمل . ورضخ الملك الشاب لجميع إشتراطات الكهنة وإن إدعى في لوحته بأنه فعل ذلك عن طيب خاطر ، كما ذكر فيها (١) .

وها هو يتحدث عن أعماله : « فكر جلالته في عمل مشاريع يحبها قلبه باحثاً عن أى عمل مفيد ليؤدي خدمة لأبيه آمون . وضع له تمثالاً فخماً من الذهب الجيد . بل وفعل له خيراً مما كان قبل ذلك إذ جعل محفة تمثاله على ثلاثة عشر عموداً بينما كانت محفة ذلك التمثال العظيم على أحد عشر عموداً فقط . كان ذلك دون شك ترصية لكهنة آمون إذ صنع تمثالاً من الذهب بدلا من التمثال الذي عسى أن يكون إخناتون قد أخذه من قبل ، كما جعل محفة التمثال الجديد أكبر من سابقتها . ولم يعد

(١) أحدث ترجمة لهذه اللوحة هي ترجمة بنت (J.Bennett) في مجلة ٨٠٥ (1939)، JEA.XXV  
ff.



هناك مجال لأولئك الدخلاء الذين أقحموا أنفسهم على الكهنوت فعاد الأمر من جديد إلى أبناء العائلات فيقول توت عنخ آمون في موضع آخر: « وعين كهنة ومرتلين من بين أبناء وجهاء البلاد وكان كل منهم ابناً لرجل معروف وهو أيضاً رجل ذو إسم معروف » . أما المعابد المصرية الأخرى التى أصابها الخراب فقد نالت التعويض اللازم لإعادة العبادة فيها ، وضوعفت ثروات المعابد بل وكانت أيضاً فى بعض الأحيان ثلاثة وأربعة أمثال ما كان لها من فضة وذهب ولازورد وفيروز . وهكذا عاد الملوك رغم أنفهم إلى حظيرة آمون وانتصر كهنة آمون إنتصاراً كاملاً ، وكان يوم تسليم « توت عنخ آمون » للكهنة بجميع مطالبهم هو بدء تسلط الكهنة على الدولة ولم يسترجع الفراعنة سلطانهم القديم بعد ذلك اليوم .

ولكن إذا كانت هذه النكسة قد أصابت ديانة أتون فإن الفن ظل يتمتع بالكثير من حريته . فنحن نعرف أن المبالغة الكثيرة فى تصوير الأشخاص وصنع التماثيل خفت حدتها ابتداء من السنة الثانية عشرة من حكم إخناتون ، فلما جاء توت عنخ آمون إلى طيبة أخذ الفنانون يعودون إلى الأسلوب القديم ولكنهم لم يتحرروا تماماً من أسلوب العمارنة . فنرى فى محتويات مقبرة توت عنخ آمون ، وفى المقابر الأخرى التى نشأت فى عهده أو فى عهد آى ، وأوائل أيام حور محب كثيراً من الحرية التى اعتدنا أن نراها فى عمل الفنانين منذ أيام أمنحوتب الثالث .

وحكم توت عنخ آمون عشر سنوات عاش السبعة الأخيرة منها فى طيبة ومات دون أن يكون له ولد من بعده ، ولم يتجه الكهنة إلى أمير من أمراء العائلة التى حكمت نحو ٢٢٠ سنة ( ١٥٧٠ - ١٣٥٢ ) بل وصل إلى العرش رجل غريب عن البيت المالكة وهو « آى » الذى لعب دوراً كبيراً أثناء حياة إخناتون ، وكان دون شك المدبر لانتقال توت عنخ آمون إلى طيبة ، وصاحب الرأى الأول فى البلاد وصاحب الصلة الكبيرة بكهنة آمون .

ومن الجائز أن كهنة آمون لم يرضوا بعودة توت عنخ آمون إلى طيبة وجلسه على عرش البلاد إلا بعد حصولهم على ضمانات كافية ألا يتكرر ما حدث من إخناتون ، وربما كان من بين هذه الضمانات ما كان يسعى إليه آى وهو الجلوس على العرش فاشترك مع توت عنخ آمون فى الحكم كما اتضح أخيراً ، إذ عثر على بقايا معبد صغير أقيم أثناء حكمهما المشترك .

عثر على أحجار من هذا المعبد ضمن مبانى الپيلون الثانى فى الكرنك وهو الپيلون الذى أقامه حور محب واستخدم فى مبانيه كثيراً من الأحجار التى كانت مبعثرة فى الكرنك ، ومن بينها أحجار من المعابد التى أقامها إخناتون وخلفاؤه .

ولسنا نجهل عدا حور محب لآى ، ولسنا نجهل عداه فيما بعد لذكرى إخناتون وعائلته ، ولهذا لا يدهشنا أن نراه يحطم اسم توت عنخ آمون وآى التى كانت على جدران ذلك المعبد ثم هدمه ورمى بأحجاره فى صرحه الذى بناه ، حيث ظلت فى مكانها حتى عثر عليها فى أوائل عام ١٩٥٠ (١) .

وهذا يفسر لنا سبب وجود أى مرسوما على جدران مقبرة توت عنخ آمون يقوم بأداء بعض الطقوس الدينية لموميائه وهو يلبس لباس الملك .

### إخناتون بين ناقيديه والمعجبين به :

قلما حظى ملك أو عصر بما حظى به إخناتون وعصره من اهتمام الناس ، ولو أردنا حصر ما كتب عن ثورة العمارنة وديانتهما لزداد عن بضع مئات من المؤلفات والمقالات وذلك بسبب ما جاءت به تلك الثورة من آراء دينية وما نتج عنها من تحرر فى الفن .

وليس من شأن هذا الكتاب أن يقف طويلا عند هذا الموضوع أو يعطى تفصيلا أكثر مما أعطيناه ، ولكن الواجب يحتم علينا أن نشير إلى بعض نقاط مهمة ترددت فى بعض الأبحاث التى كتبها علماء محققون من المشتغلين بدراسة التاريخ .

فقد بلغ الإعجاب ببعض الباحثين فى هذا العصر إلى تمجيد إخناتون تمجيذاً كاد يرفعه إلى درجة الأنبياء ؛ لأن هذا الرجل العظيم استطاع فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية أن يكتب ما كتب ، ويدعو إلى ما يقرب من الوحدةانية ، وكان لأناسيده وآرائه أثر على من جاء بعده من الشعوب بل ذهب بعض المؤرخين وبخاصة ، برستد ، إلى التأكيد أن نشيده هو أصل المزمور ١٠٤ .

ويحمل البعض الآخر على إخناتون حملات منكرة ، ويتهمه بالضعف وتضييع الإمبراطورية ، بل وينكر عليه أن أناشيدته وآراءه كانت مبتكرة ، ويغالى البعض الآخر فيحاول الحط من قيمته بإلقاء ظلال من الشك على خلقه ، ولكننا إذا غفرنا للفريق الأول مغالاته – إذا كانت هناك حقيقة أى مغالاة – فإن الفريق الآخر متحامل دون شك على الرجل وتتصف أعمالهم بحب الطعن وتلمس الأخطاء ، بل وخلقها خلقا .

---

(١) أشار شغرييه إلى هذه الأحجار فى تقريره فى مجلة أخبار مصلحة الآثار عم ١٩٥٢ كما أفاض فى الحديث عنها سيلى فى مقاله فى JNES, XIV (1955) ص ١٧٦ وما تلاها .

وقد أراد سيلى فى مقاله المذكور ( ص ١٧٨ – ١٨ ) أن يثبت أن أى كان جدا لتون عنخ آمون وكان والدا لأبيه أما أمه فكانت إحدى بنات أمنحوتب الثالث ولكن ما قدمه سيلى من أدلة غير كاف لقبول هذا الرأى قبولاً نهائياً .

وربما كان بعضهم يفعل ذلك عن حسن نية تقليداً لغيره ، ولكن البعض الآخر يتبع في ذلك سنة استنتها بعض الكتاب من الأجانب وهي التقليل من أهمية تاريخ الشرق وبخاصة مصر ، وهم مدفوعون إلى ذلك إما بالتعصب الدينى أو بالتعصب الإستعماري .

كان إخناتون فيلسوفاً ومفكراً من خير فلاسفة ومفكرى العالم القديم ، وإذا كانت المرارة قد تملكت نفسه بعد أن رأى الصعاب في نشر دينه الجديد فأهمل شأن الحرب فربما كان لذلك أسبابه ، وربما كان أيضاً عن عقيدة راسخة في المحبة والإخاء بين الناس ، وكراهية منه للقتل والتخريب .

وأراد بعض الباحثين أن يثبت أنه لم يكن لإخناتون أى فضل بل أن الأمور في ذلك العصر كان يجب أن تأخذ الطريق الذى أخذته سواء في الدين أو الفن ، بل ويغالى صاحب ذلك الرأى فيقول إنه لم يكن هناك مناص من حدوث ما حدث ، حتى إذا لم يكن إخناتون سوى غرارة من نشارة الخشب ، (١) ؛ ولكن هذا الرأى لا يمكن أن يثبت أمام النقد الصحيح فإن شخصية إخناتون كانت المحور الذى دارت عليه الحوادث كلها . ورأى البعض الآخر أن الأمر لم يكن أمر دين أو أمر تنافس سياسى بين إخناتون كملك على العرش وبين سلطان كهنة آمون وثروتهم بل كان نزاعاً بين العمال وبين الأغنياء المتملكين لثروة البلاد ، وإن هذه الفتنة لم تنته إلا بعد أن قضى عليها حورمحب (٢) . ويهب أثرى آخر وهو ، هلك ، فيهاجم هذا الرأى مهاجمة شديدة ويفنده ويثبت خطأه ليضع بدله رأياً آخر وهو أن ثورة إخناتون لم تكن إلا نتيجة للصراع بين كبار الموظفين المدنيين وكبار رجال الجيش وأن النصر لأحد الفريقين جاء أيضاً على يدى حورمحب (٣) ، ولكن الأدلة التى ساقها ، هلك ، لم تكن أحسن حظاً من أدلة ، فليجر ، التى هاجمها ، والواقع أن الأمر كان أبسط من ذلك كله ، ولا يمكننا أن ننسج من خيالنا وآرائنا وإحساساتنا الحالية في القرن العشرين صورة لما كانت عليه الحالة في عصر يبعد عنه بأكثر من ثلاثة آلاف سنة ، خصوصاً إذ ندر ، بل إذا انعدم الدليل على ما نقول .

تبقى بعد ذلك نقطة مهمة وهي أثر دعوة إخناتون على ديانة العبرانيين وصلة نشيد إخناتون بالمزمور ١٠٤ بالذات . كان المؤرخ الأمريكى الكبير جيمس هنرى

L.A.WHTE. "Ikhnaton: The Great Man and the Culture Process", in JAOS. (١) LXVIII (1948). 91ff.

K. PELUGER, Haremhab und die Amarnazeit ; p. 76 No. 5 (٢)

HELCK, Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie, p. 73 (٣) ff.

برسيد أكثر المتحمسين لهذا الرأي وقام بعمل المقارنة بين الإثنين وخرج من بحثه ، أو من أبحاثه ، بأن ذلك لا يمكن أن يكون بسبب توارد الخواطر بحال من الأحوال .

ولا شك أن مثل هذا الرأي لا يمكن أن يطيب قبوله لمن امتلأت نفوسهم تعصبا للكتاب المقدس ، فأخذوا يتشككون في ذلك يقولون إن آراء إخناتون لم تكن جديدة على الديانة المصرية بل وأن تعبيراته عن وحدانية إلهه كانت معروفة قبله واستمرت قرونا طويلة بعد موته ، ويقولون أن بدوا جهلاء مثل العبرانيين كانوا يعملون في أشق الأعمال ويزدقون العذاب على أيدي المصريين ، لا يمكن أن يفهموا مثل هذا التشديد أو يعجبوا به أو بغيره (١) . ولكن حجج هذا الفريق غير مقنعة ، ويمكن لأي باحث أن يضع كلا من التشديد والمزمور إلى جوار بعضهما ليتأكد من أن تشيد إخناتون هو دون شك أصل المزمور ، أما كيف ومتى وصل إلى العبرانيين فهذا موضوع آخر . كان إخناتون عظيما من عظماء التاريخ ليس في مصر وحدها وإنما في تاريخ العالم ، وكانت صيحته دعوة جديدة في آذان العالم لم يكن الناس قد تهيأوا لها إذ ذاك ، ومهما قيل عن تفكك الإمبراطورية في عهده فهذا أمر آخر . ولو سألنا أنفسنا الآن عما كان يجنيه تاريخ مصر بوجه عام إذا كان إخناتون ملكا من ملوك المحاريين ، فلا نلبث أن نجيب على أنفسنا بأن نتيجة حروبه كان مآلها دون شك إلى الزوال كما حدث لمن جاءوا بعده ، أما أناشيده وآراؤه وأثر ثورته في الفن فهي باقية وستظل باقية كإحدى مفاخر الحضارة المصرية ، وسيظل اسم إخناتون وثورته الدينية أسماء لامعة في تاريخ الفكر في العالم .

### توت عنخ آمون : ( ١٣٤٨ - ١٣٣٧ ق.م. )

إذا درسنا آثار توت عنخ آمون وعصره فإننا نجد أنه بالرغم من كونه شابا صغير السن ضعيف البنية فإن مصر أخذت تنهض من كبوتها وتستأنف حياتها العادية . فأما عن البناء فقد نشطت حركته كثيرا وإنشغل المهندسون أولا في إصلاح ما تخرّب ثم أخذوا في تشييد معابد في جهات متعددة من مصر شمالها وجنوبها . ولم يقتصر الأمر على طيبة بل تعداها إلى منف وإلى منطقة أهرام الجيزة كما ترك آثاراً أخرى في شمالي السودان .

ولسنا في حاجة إلى تفكير طويل لنذكر أن ما خلفته حركة إخناتون من

(١) أهم ما ظهر في الموضوع هو ما قدمه ولسون في كتابه

J.A. WILSON, The Burden of Egypt (second Impression, 1954) p. 227 ff.

وفي الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم الحضارة المصرية ص - ٣٦٤ وما بعدها .

انقسام وعداوات جعل مهمة تنظيم داخلية البلاد أمراً غير يسير ، وأن الأمر كان محتاجاً إلى شخص قوى حازم يضرب ضربة قوية لإصلاح كل ما فسد . ولكن توت عنخ آمون كان صغير السن وكانت الأمور تتجه نحو كهنة آمون الذين أسكرتهم خمرة النصر ، كما إتجهت الأمور أيضاً إلى تركيز السلطة فى أيدي الذين شملهم اضطهاد إخناتون فبدأوا بدورهم يضطهدون من اضطهدوهم من قبل .

ولكن مع هذا كله ظل الفن على إزدهاره ، ولم يتقلص نفوذ مصر فى النوبة وشمال السودان ، وظل حكام السودان يأتون ومعهم زعماء هذه البلاد إلى مصر ليقدموا ولاءهم وهداياهم ، أما فى آسيا فإننا لم نسمع بأى حملات حربية غير الحملة التى يحتمل أن يكون قد قام بها حور محب كقائد للجيش فى السنة الأولى من حكمه وهى التى نرى إشارات إليها فى تاريخ حياة هذا القائد وكذلك فى مقبرة حوى ( رقم ٤٠ فى طيبة ) وعلى أحد الصناديق التى عثر عليها فى مقبرة توت عنخ آمون .

ومات توت عنخ آمون وهو فى ريعان الشباب إذ لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ودفن فى قبر صغير ربما كان قد أعدوه لغيره وملأوا حجراته الأربع ، وكدسوا فيها الأثاث وما اعتادوا وضعه مع الملوك تكديسا ، ولونوا بعض الجدران على وجه السرعة . ونحن إذ نقف اليوم فى هذا القبر الصغير تستولى علينا الدهشة ونسائل أنفسنا كيف اتسعت هذه المساحة لما نراه فى قاعات المتحف المصرى من آثار كثيرة ، وكيف يتلاءم هذا القبر المتواضع مع ذلك الأثاث الفخم الكثير . ولكن هذا التعجب لا يلبث أن يزول عندما نفكر فى أن الملك توت عنخ آمون لم يكن قد أعد لنفسه قبرا ملائماً فلما مات فى هذه السن المبكرة وضعوا مع بضع الأثاث الجنائزى الشئ الكثير من المتاع الشخصى فى ذلك القبر غير الملائم .

وليس يعنينا هنا أن نصف آثار هذا الملك ، ولكن مهما حاولنا فإنه لا يمكننا أن نغفل الإشارة إلى الصور التى تمثله مع زوجته ، نراهما مرسومين على العرش وعلى غيره ، ونرى الملكة الشابة أمام زوجها تتناوله الزهور مرة وتناوله السهم مرة أخرى فى منظر من مناظر الصيد . لقد كان الزوجان هانئين سعيدين ووجدوا من يحمل عن عاتقهما أعباء الملك ولكن صحة الملك الشاب جعلته يلفظ أنفاسه الأخيرة تاركا زوجته الشابة تحت رحمة الأقدار .

وعندما كشف عن قبر توت عنخ آمون وجدت باقة زهر صغيرة وضعتها الملكة الشابة الحزينة بيدها فوق صندوق المومياء ، فكانت تحية وداع لزوجها ورفيق صباها الذى تركها وأخذ طريقه وحده إلى العالم الآخر .



تقديم جزيه الجرب إلى الملك توت عنخ آمون . من مقبرة حوى بطمية



رأت عنخس إن آمون نفسها وحيدة ووجدت الملك يخرج من بيت أبيها فعز عليها أن تسكت على ذلك ، وقامت بمحاولة جريئة . أرسلت الأرملة الشابة رسولا إلى ملك خيتا ، وصاحب النفوذ الأكبر في آسيا والذي أخذ يقوض إمبراطورية مصر فيها ، ومعه رسالة تقول فيها :

« مات زوجي وليس لي ابن ، ويقولون عنك إن لك أبناء كثيرين . فإذا أرسلت إلى ابنا لك فإنه يستطيع أن يصبح زوجي . ولن أقبل بأى حال من الأحوال أن أتزوج واحداً من رعاياي فإن ذلك شيء أمقته ، ودهش الملك سوبيلو ليوماس لهذا الطلب فأرسل رسولا خاصا إلى بلاط مصر ليتأكد من أنه ليست هناك خدعة وعاد الرسول ومعه رسالة من الملكة قالت فيها : « لماذا تقول ، إنهم يريدون خديعتي ؟ فإذا كان لي ابن فهل كان في وسعي أن أكتب إلى أجنبي كاشفة عن مصيبتى ومصيبة بلادى ؟ إنك أهنتنى بقولك هذا ، إن من كان زوجا لي قد مات وليس لي ابن فهل يتحتم على أن أتزوج من أحد رعاياي ؟ إنى لم أكتب لأحد سواك . الكل يقولون إن لك أبناء كثيرين فأرسل إلى واحدا منهم ليصبح زوجي . »

وأدرك سوبيلوليوماس أن هذه فرصة سانحة ليمد نفوذه فأرسل أحد أبنائه ولكن المؤامرة فشلت ، ونعرف أن الأمير قتل قبل وصوله إلى مصر (١) .

ربما فعلت عنخس إن آمون ذلك بعد وفاة توت عنخ آمون مباشرة ، وقبل أن يتزوجها آى ، إذا كانت قد تزوجته حقا ، فإن ذلك أمر ما زال مشكوكا في صحته . على أى حال فإننا لم نعد نسمع عنها شيئا ، وربما تكون أيضا قد حوكت عندما عرف تأمرها ، ولسنا نعرف عنها خبراً أو قبراً ولم يرد إسمها على جدران مقبرة آى التى أنشأها لنفسه فى الوادى القبلى خلف أبواب الملوك على مقربة من مقبرة أمنحوتب الثالث ، إذ نرى على جدران تلك المقبرة إسم زوجته تى فقط .

ولم يحكم آى أكثر من ثلاث سنوات شيد فيها بعض المباني أهمها هيكله فى جبل أخميم ، وبعد موته تطلعت الأنظار نحو منافسه القوى حور محب إذ لم يكن هناك غيره يصلح لإنقاذ البلاد مما تردت فيه .

(١) كان المعتقد إلى عهد قريب أن نفرتيتى هى التى كتبت الخطاب إلى ملك خيتا وأن حور محب هو الذى أحبط المؤامرة . ولكن الوقت الذى حدثت فيه تلك الحوادث كان بعد موت إخناتون بعشر سنوات على الأقل وبهذا ينحصر الظن فى أرملة توت عنخ آمون .

— أنظر ما كتبه O.R. GURNEY, The Hittites (1952), p. 21-23 النص الكامل لهذه الوثيقة ترجم ترجمة حديثة بمعرفة جوتزه وهو منشور فى كتاب

Ancient Near. Eastern Texts.p. 391 .



### حور محب :

عرفنا ، حور محب ، عندما كان قائداً للجيش وأُشْرنا إلى ولائه لواجبه وعدم تطلعه نحو العرش كما عرفنا فيه يقظته في تأدية واجبه . وبالرغم من أن حور - محب ولد في بلدة تسمى حات نسوت ( مكانها الآن الكوم الأحمر تجاه الشيخ فضل في محافظة المنيا ) <sup>(١)</sup> فإنه لم يبن قبره هناك عندما كان موظفاً كبيراً في عهد توت عنخ آمون ، بل بناه في جبانة منف التي قضى فيها أكثر أيام حياته والتي كانت مركزاً للجيش .

وقد عثر على هذا القبر منذ عهد غير قصير ، وسُرقت أحجاره وبيعت في الأسواق ووصل بعضها منذ أواخر القرن الماضي إلى متاحف أوروبا ووصل البعض الآخر إلى المتحف المصري . وقد تجلت في مناظره حياة حور محب كرجل حرب ، فنرى فيه مناظر الأسرى والإشارة إلى ما قام به في العام الأول من حكم توت عنخ آمون وكذلك ما قام به نحو لاجئي فلسطين وجنوبي سورية عندما بدأت جيوش خيتا مهاجمة تلك البلاد فهربوا إلى مصر بعد أن تفشى بينهم الجوع <sup>(٢)</sup> .

ونعرف أيضاً عن هذا القائد أنه كان مغرمًا منذ صدر شبابه بالأدب وتحصيل العلم ولهذا نرى توقيره الكبير للإله تحوت وإعترافه بما أنعم به عليه . سطر هذا كله على تمثاله الذي وضعه في معبد پتاح في منف وفضل أن يمثله جالساً يكتب بدلاً من تمثيله وهو في مظهر آخر إذ كان هذا أقرب إلى نفسه وإلى طباعه المتواضعة .

---

(١) أوفى الأبحاث عن مكان هذه المدينة أثبتت أنها الاسم الديني لعاصمة الإقليم السابع عشر من أقاليم الوجه القبلي وقد درس هذا الموضوع جيداً الأستاذ كيس

H. KEES, Aegypt. Zeitschr, LVIII, p. 98-99 -

GAUTHIER, Dict. Géogr. T.IV.p. 86

أنظر أيضاً

GARDINER, Onomastica II. p.106 ff.

وأخيراً جاردنر في كتابه

(٢) كتب كورت فليجر رسالة عن حور محب وجمع شتات هذه الأحجار التي بعثرت بين متاحف ليدن وبرلين وفيينا وبولونيا ولندن ليننجراد واللوفر والقاهرة ونشر ذلك في بحثه

K. PFLUGER, Harémhebs Laufbahn bis zur Thronbesteigung, 1936

وقد كتب المؤلف نفسه في عام ١٩٤٦ مقالا عن حور محب وقوانينه في مجلة

Journal of Near Eastern Studies, VOL. V, p. 260-267

ولكن أحدث الأبحاث عن حور محب هو ما كتبه أخيراً جاردنر

GARDINER, The Memphite Tomb of the General Haremhab, in Journal of Egyptian Archaeology, VOL. 39 ( 1953) p. 3 ff.

كما نشر جاردنر أيضاً في العدد نفسه من المجلة مقالا آخر عن تتويج حور محب :

The Coronation of King Haremheb, p. 13 ff.

ويظهر أن موت إخناتون وإعلان توت عنخ آمون العودة للدين القديم لم يقض على ما أصاب البلاد من فوضى واضطراب ، بل أن ذلك فتح الباب أمام الإنتقام والتخريب ، والفقر هو الضحية الأولى دائماً في مثل ذلك الوقت العاصف المضطرب . ومات آى فسعى الملك سعياً إلى حور محب إذ كان الناس جميعاً وبخاصة الفقراء قد سلموا الانقسام والفوضى وعدم الطمأنينة ، فلما خلا العرش سار حور محب إلى طيبة يصحبه إله المدينة التى ولد فيها وهو الإله ، حور ، حيث تمت مراسيم تنويجه هناك وانتقل إليه الملك دون إراقة نقطة دم واحدة ، وتزوج من الأميرة ، موت نزم ، من أميرات البيت المالِك القديم . لقد نشأ حور محب نشأة حربية وقضى صدر شبابه فى الجيش وكان فى وسعه أن يحصل على أمجاد كثيرة إذا سيره نحو الفتح وإحضار الغنائم ولكنه كان رجلاً حصيفاً ، وكانت تجارب الحياة قد صقلته فعرف أن الاستقرار الداخلى أجدى بكثير من إفناء موارد البلاد فى حروب غير مأمونة النتيجة ، خصوصاً وأن البلاد كانت فى حالة تكاد تصل إلى اليأس ، فكان همه الأكبر هو الإصلاح الداخلى وإزالة كل آثار سنوات حكم إخناتون ومن جاء بعده .

وهناك احتمال كبير فى أن حور محب أراد استقرار الأمور فى آسيا فعقد معاهدة بينه وبين مورسيل الثالث ملك خيتا ضمننت له استقرار الأمور على الحدود واندفع بعد ذلك بكل ما أوتى من خبرة وذكاء وهمة نحو الإصلاح الداخلى فسن القوانين العديدة وأمر بإصلاح المعابد وترميمها ما نعرف أيضاً أنه أمر بعمل تفتيش على مقابر الملوك؛ لأنه حدثت بعض الاعتداءات عليها ، وسرق بعضها فى فترة الإضطرابات . وخير ما يعطينا فكرة عن حالة مصر وتدهورها ، وما كان يقع على الفلاح المسكين من ظلم وما تفشى بين الموظفين من الفساد والرشوة ، وهو مرسوم قوانينه الذى أبقى عليه الزمن حتى الآن . وهذا هو ملخص هذا المرسوم الهام كما قسمه فليجر (١) .

يبدأ المرسوم باللقاب حور محب وبعض جمل المديح فيه ، ثم يذكر بأن الملك كان يقضى الليل والنهار فى التفكير فيما يمكن عمله لإصلاح مصر وأنه أخذ قلماً وقرطاساً من البردى وكتب فيها ما يأتى :

١ - التشريع الأول خاص بالعقوبات التى توقع على كل من يعوق السفن التى تحمل

(١) نشر فليجر بحثه باللغة الإنجليزية فى عام ١٩٤٦ ( أنظر الصفحة السابقة ) وقد ترجمه إلى الفرنسية العالم الباجيكي فان دى وال B. VAN DE WALLE. Le Décret d'Horemheb. Chronique d'Égypte. No. 44 ( 1947). p. 230-238 .

الضرائب إلى خزائن الدولة ، وكان عقاب ذلك جدد الأنف والنفي إلى حصن ثارو على مقربة من القنطرة .

٢ - والجزء الثاني يختص بالإجراءات التي تتخذ في حالة سرقة سفن تكون محملة بالضرائب الخاصة بالدولة وتكون مرسلّة إلى الملك .

٣ - وثالث الإجراءات ما يوقع على ما يفعل ذلك أو يحول دون وصول سفن محملة بأشياء مستحقة لزوجة الملك أو إلى المعابد .

٤ - والجزء الرابع يختص بمعاقبة الموظفين الملحقين بمكتب قرابين الملك الذين يذهبون إلى قرية من القرى لأخذ نبات ، كث ، ويجعلون أرقاء بعض الناس يشتغلون فترة من الزمن دون رضا سادتهم .

٥ - والقسم الخامس خاص بالإستيلاء على جلود الحيوانات كجزء من الضريبة ، ومعاقبة الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للاستيلاء على هذه الجلود دون وجه حق .

٦ - والقسم السادس خاص بالإجراءات ضد ما يقع من ظلم على بعض الفلاحين وما يحدث من تلاعب من موظفي الضرائب .

٧ - وسابع هذه الأقسام هو العقاب الذي يوقع على من يأخذ من الفلاحين النبات المسمى ، سم ، والذي كان ضرورياً لعمل الجعة بحجة أنه يؤخذ لأجل ضرائب الملك .

٨ - ثم تأتي بعد ذلك العقوبات التي توقع على من يظلم الفلاحين بأخذ بعض الحبوب أو الخضراوات دون وجه حق باسم الملك .

٩ - وتاسع التشريعات يختص بالعقوبات التي توقع في حالة إقتراف جريمة من الجرائم لم نعرف كنهها بالضبط نظراً لتحطيم النقش في هذا الجزء ، غير أننا نرى فيها اسم مدير البلاد الأجنبية وأنه يعطى ذهب الملك إلى بعض الناس .

١٠ - وعاشر هذه التشريعات خاص بمنع القسوة أو كثرة العمل على الأرقاء .

فإذا ما انتهى هذا الجزء الخاص بالتشريعات والعقوبات فإن المرسوم يبدأ بذكر الإصلاحات الإدارية التي أمر حور محب بعملها ، ويبدأ هذا الجزء بمقدمة يتحدث فيها بأنه سار في جميع أنحاء البلاد وعرف ما يجري هناك ولهذا قام بإصلاح المحاكم ، وكان قضائياتها من بعض الموظفين والكهنة . وبعد أن أصلح شئونهم المادية

اعتبر أن إعتداء أحد أعضائها على العدل وظلمه للناس بسبب الرشوة أو غيرها إنما كانت جريمة كبرى أى جزاؤها القتل .

ونظم أيضاً أمور الجيش ورتب لجميع أفرادہ على اختلاف أسلحتهم ودرجاتهم ما يكفل لهم الطمأنينة ، كما رتب لهم أيام راحة خاصة .

وكان آخر ما ذكره فى هذا المرسوم أنه وضع تنظيماً خاصاً للبروتوكول فى السراى ومراتب الموظفين وأیهم يتقدم على الآخر .

ويقول حور محب فى مرسومه هذا الذى عدد فيه إصلاحاته بأنه إذا طال به العمر سيقیم المعابد للآلهة وأنه سيجدد مولده مثل القمر ثم یختمه قائلاً ، إنكم تستطيعون رؤية هذه المراسیم التى أمر جلالتي بتجديدها عند إصلاح البلاد كلها بعد أن رأى جلالتي أعمال الظلم التى كانت تقترف فى هذه البلاد .

ونحن إذا تتبعنا حالة البلاد فى عهد حور محب فإنه لا يخامرنا أى شك فى أنه نجح فيما أراده ، فعادت لمصر ثققتها فى نفسها وعادت الطمأنينة إلى النفوس فلما مات فى عام ١٣٠٤ ق.م. بعد أن حكم ثلاثين عاماً ترك وراءه بلاداً مطمئنة ، وهكذا ختمت الأسرة الثامنة عشرة أيامها بملك عظیم وهو حور محب كما بدأتها بملك عظیم وهو أحمس الأول .

## الأسرة التاسعة عشرة

(١٣٠٤ - ١١٩٥ ق.م.)

### أسرة جديدة :

حكم حور محب ثلاثين عاماً أعاد فيها إلى البلاد أمنها وسلامتها . وكان الرجل في مستهل حياته غير راغب في الملك ولم يسع بعد ذلك في يوم من الأيام إلى توطيد أركان الحكم لمصلحته الشخصية ، أو مصلحة بلده الذي نشأ فيه في مصر الوسطى ، أو لمصلحة أحد من أهله . ولسنا نعرف إن كان هو الذي إختار قبل موته أحد زملائه في الجيش ليجلس من بعده على العرش أو أنه ترك هذا الاختيار لغيره ، لكننا نعرف أن العرش بعد موت حور محب إنتقل بسهولة ودون أى إعتراض إلى زميل قديم في الجيش يسمى رمسيس ( فى اللغة المصرية رع - مس - سو ) ، وكان شيخاً طاعناً فى السن ، وكان هو ونجلاه سيتى من القواد العسكريين ، وكان كل منهما يشغل مركز الوزير فى الوجه القبلى فى وقت من الأوقات ، وكانا من ذوى النفوذ الكبير فى الجيش ، وفى الإدارة .

وكان رمسيس هذا من الدلتا ومن مدينة صان الحجر بالذات التى كانت مقر عبادة الإله ست منذ عصر الهكسوس ، وكان لهذا الإله منذ الدولة القديمة إحترام خاص فى شرقى الدلتا ، ولهذا لا نستغرب أن رمسيس الأول قد سمي إبنه ، سيتى ، نسبة إليه ولا نستغرب أيضاً إذا كان الملك رمسيس الأول بدأ يفكر تفكيراً جدياً فى الإلتفات إلى تانيس ( صان الحجر ) وجعلها مركزاً مهماً فى إدارة البلاد .

وبالرغم من أن الملك رمسيس الأول قد حكم أقل من عامين فإنه إستمر فى إدارة البلاد بحزم ونجح كل النجاح فى السير على سياسة حور محب . فمنذ إعتلائه العرش أراد أن يشتري تعزيد كهنة آمون فبدأ فى إقامة المبانى العظيمة له فى الكرنك إذ أن رمسيس الأول هو الذى بدأ فى إنشاء بهو الأعمدة الكبيرة ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل أنه فى هذه الفترة القصيرة أنشأ معابد مختلفة فى الشمال وعلى الأخص فى منف ، وفى النوبة وبدأ فى تشييد قبر له فى وادى الملوك لم يكن تم جزء كبير منه يوم موته . وتلاه على العرش ابنه سيتى الأول الذى يعتبر بحق من أهم الملوك الذين جلسوا على عرش مصر .

### الملك سيتى الأول : ( ١٣٠٣ - ١٢٩٠ )

كان سيتى الأول عند موت أبيه فى منتصف الحلقة الخامسة من عمره . وكان له من خبرته وتجاريه ومن ذكائه الفطرى ما أهله للقيام بالدور العظيم الذى كان مقدراً له أن يقوم به .

فقد قضى سنوات شبابه وهو يعمل ضابطاً فى الجيش وبخاصة على حدود مصر الشرقية فى حصن ثارو ، كما تقلد وظائف عدة وكان قائداً للفرسان ، كما أوكل إليه حور محب بعض الوظائف الكبيرة فى الدولة . ولا شك أنه تتبع كل إصلاحات حور محب وكان من منفعيتها كما كان ساعد والده الأيمن خلال العامين اللذين جلسهما على العرش ، فلما آل إليه الملك وجد أن خير ما يفعله هو أن يسير على نمط أبيه ونمط حور محب ، وكان له من نشاطه وخبرته ما جعله يبدأ عصرأ جديداً فى تاريخ البلاد فسمى أولى سنوات جلوسه على العرش أنها بدء عصر البعث ، وهم - مسوت : ترجمتها الحرفية تكرار الولادة .

ولم يكد يجلس على العرش وتنتهى حفلات التتويج حتى أصدر أوامره بإتمام ما لم يتمه أبوه من مبان ، كما أصدر أمره أيضاً بإصلاح ما لم تتسع أيام حور محب لإصلاحه مما تسبب عن ثورة إخناتون الدينية من تخريب فى المعابد ، ولكنه فوجئ بقيام ثورة وراء الحدود الشرقية فأسرع لإخمادها وترك لنا أخبار إنتصاراته على جدران معبد الكرنك . ورسم لنا فيها الحصون التى أعادها إلى حظيرة الطاعة بعد أن هزم بدو سينا وجنوبى فلسطين ، الشاسو ، وهى الحصون التى كانت تمتد من القنطرة حتى رفح (١) . وأراد سيتى أن يعيد لمصر مجدها القديم فتقدم مع جيشه فى فلسطين ، وعلم أن السكان الذين شقوا عصا الطاعة بموازرة وتعزيد مملكة ، خيتا ، تجمعوا فى بيسان وأن بعضاً منهم تجمعوا فى بلد يسمى ، حماه ، ( وهى غير مدينة حماة السورية ) والبعض الآخر فى بلدة ، ينعم ، فلم يمكن سيتى الأول أعداءه من التجمع سوياً فى مكان واحد بل أرسل إلى كل من هؤلاء فرقة من فرق جيشه قضت عليهم بسهولة ، وتم النصر ودانت له فلسطين وفينيقيـا والجزء الجنوبى من سورية وبخاصة البقاع ومدينة قادش .

وكان سيتى الأول يريد متابعة انتصاراته ليؤدب الثائرين الآخرين ويقابل

(١) وكان هذا الطريق يسمى طريق حورس أو الطريق الحربى الكبير وهو أقدم طريق حربى فى العالم . وقد بحث موضوعه جاردنر فى مقاله GARDINER, The military road between Egypt and Palestine, JEA, Vol. VI ( 1920 ), pp. 99 ff.

جيوش خيتا ولكن أنباء ثورة أخرى على حدود مصر الغربية اضطرتّه للعودة مكتفياً بما ناله من غنائم وانتصارات .

كانت الحالة في شمال إفريقيا بدأت تدخل في دور من عدم الاستقرار على إثر الهجرات الهندو - أوروبية التي أخذت تجتاح كل بلاد الشرق القديم في ذلك العهد ، وكان أثر هجرات هذه الشعوب ونزول بعضها على شاطئ شمال إفريقيا أن بعض تلك القبائل نظر بعينه نحو مصر لمهاجرتها والاستقرار فيها ، ولكن سببى الأول هزمهم في موقعتين سجل أخبارهما على معبد الكرنك أيضا إلى جانب أخبار معاركه الأخرى في سينا وفلسطين وسورية .

ولسنا نستطيع أن نحدد تاريخ حربه في ليبيا بالضبط ولكن من المؤكد أن تلك الحملة كانت بعد استيلائه على قادش وقبل أن يعود مرة ثانية إلى آسيا ليحارب ، خيتا ، أى أن التاريخ المرجح لهاتين المعركتين أنهما كانتا في السنة الثانية من حكمه .

كان سببى الأول قد اتخذ حياة وحروب تحوتمس الثالث مثالا يحتذيه ، وكان يعرف أنه طالما كانت ، خيتا ، بعيدة عن متناول يده فإنها لن تتوقف عن الإستمرار في دسائسها لتأليب سورية وفلسطين على مصر خصوصا بعد أن تغلبت على بلاد «ميتاني» في أعالي الفرات . وأصبحت وجهها لوجه أمام مصر ، وتطلعت نحو سورية لتصبح تابعة لها .

ومصادرنا عن حرب سببى مع خيتا هي ما دونه على جدران معبد الكرنك ، وكانت المعركة التي دارت بينه وبين الخيتيين في شمال مدينة قادش ، وعاد منها سببى منتصراً ومعه الأسرى والغنائم . وحفظت المصادر الخيتية أخبار هذه الحرب ونعرف مما كتبوه أن ملك خيتا كان يريد أن يتفادى الحرب مع مصر ويقول إنه لم يكن طالباً لشهرة أو مجد لأنه يمقت الحروب ، ولكنه يزيد على ذلك طبعاً أن جيوشه انتصرت . والرأى الأرجح هو أن تلك المعركة لم تكن حاسمة ولم يستفد منها أحد الطرفين ولم تؤثر بحال من الأحوال على مملكة ، خيتا ، ، وإن كانت قد أثمرت في جعل مملكة خيتا تعرف أن مصر في عهد سببى الأول غيرها في عهد إخناتون ، وأن فرعون لم يسمح لقوة أجنبية أن تتدخل لإشاعة الفوضى على حدود مصر الشرقية . وذهب سببى أيضاً في حملة على بلاد النوبة وهو يذكر ذلك على آثاره كما يذكر أيضا بلاد ، ناهارينا ، ( أعالي الفرات ) و ، خيتا ، و ، آلاسا ، ( قبرص ) وربما كان ذكر هذه الأسماء على آثار سببى إستمراراً للتقليد القديم الباقي من أيام تحوتمس الثالث أو



ربما كانت هذه البلاد أخذت تنتهج سياسة المودة مع مصر وترسل هداياها لتؤكد صداقتها لها .

ومن المحتمل أن تكون حملات سيتى الأول فى آسيا وإفريقيا إقتصرت على السنوات الأولى من حكمه ، ولم تكن هناك حاجة إلى ذهابه إلى تلك البلاد بعد أن استتب له الأمر فيها ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون قد عقد معاهدة مع خيتا ليحترم كل من مصر وخيتا حدود الآخر وبذلك إطمأن على حدوده وانصرف بكل ما أوتى من قوة لتوطيد الأمن فى البلاد ، وإنشاء المباني العظيمة فيها .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تعداد المهم من آثار الملك سيتى ويكفى أن نشير إلى أعماله فى الكرنك وبخاصة بهو الأعمدة العظيم وإلى معبدته فى طيبة ( معبد القرنة ) وإلى قبره فى وادى الملوك الذى يمتاز بأنه أهم المقابر جميعاً ، وكذلك تلك الدرة بين معابد الفراعنة ألا وهى معبدته العظيم أبيدوس .

وإذا درسنا آثار هذا الفرعون فإن أهم ما يستلفت نظرنا هو المستوى العظيم فى جمال النقوش فإننا نرى من نقوش قبره فى طيبة ومعبدته فى أبيدوس أن المدرسة الفنية التى وصلت إلى أوج ازدهارها فى عهد أمنحوتب الثالث ظلت على تقاليدها فأخرجت فى عهد هذا الملك روائعاً فنية من أجمل ما وصل إلى أيدينا من عهد الفراعنة .

وقد إستحدث الفنانون فى عهد سيتى الأول أمراً جديداً وهو رسم المعارك الحربية مفصلة وفى حجم كبير على جدران المعابد إذ أن مصر لم تعرف ذلك من قبل ، وكان أول من إستحدث رسم المعارك هو تحوتس الرابع عندما زين عربته الحربية بمناظر إنتصاراته فى المعارك كما قلنا قبل الآن ، وقد حفظ لنا الزمن أيضاً صندوقاً من عهد توت عنخ آمون رسم على أحد جانبيه معركة حربية فى آسيا وعلى الجانب الآخر معركة حربية فى الجنوب ، ولكن فى عهد سيتى الأول رسمت هذه المعارك على جدران المعابد وهو التقليد الذى إتبعه خلفاؤه من بعده .

واهتم سيتى بالمناجم فأرسل الحملات المختلفة وبخاصة للحصول على الذهب ويرجع إلى أيامه تاريخ بردية مناجم الذهب المحفوظة فى متحف تورين بإيطاليا وهى أقدم وثيقة جغرافية فى التاريخ عنى فيها الرسام بتوضيح الطرق المختلفة وكتب عليها ما يساعد المطلاع عليها لمعرفة الطريقة إلى تلك

المناجم<sup>(١)</sup> . كما حفر كثيراً من الآبار في الصحراء لمساعدة المسافرين إلى مناطق المناجم مثل بئر وادى عباد التى أقام إلى جانبها معبداً صغيراً وهو المعبد المعروف بإسم معبد ، الرديسية .

ولم تقتصر آثار سیتی على مصر والصحراء ، بل وجدت له آثار كثيرة فى بلاد النوبة وشمال السودان وبخاصة فى ، سيسبى ، و ، نورى ، و ، جبل برقل ، كما عثر له على آثار غير قليلة فى مصر وفى لبنان .

وكان سیتی الأول متزوجاً من سيدة تسمى ، توبا ، من المرجح أنها كانت أخت له وولدت له ولدين وبنات . ومات أكبر الولدين فى حياة أبيه فألت ولاية العهد إلى الأمير الثانى وكان إسمه رمسيس الذى إشتراك مع أبيه فى حكم البلاد لتدريبه ، وتزوج من أخته الأميرة ، سات - رع ، وقد خلف هذا الأمير أباه بعد أن حكم ثلاثة عشر عاماً ( ١٣٠٣ - ١٢٩٠ ق.م ) ودفن فى قبره فى طيبة وقد أبقى الزمن على موميائه وهى من أحسن المومياوات المحفوظة فى المتحف المصرى .

#### رمسيس الثانى : ( ١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق.م )

لم يبلغ ملك من ملوك مصر ما بلغه رمسيس الثانى من شهرة فى التاريخ ، فقد استطاع هذا الملك الذى حكم سبعة وستين عاماً أن يفرض إسمه وشخصيته على عصره وعلى العصور التالية وملأ البلاد كلها بآثاره .

ونحن نعرف معرفة اليقين أن رمسيس الثانى لم يكن مدعياً أو موهما أهل عصره عندما ذكر على آثاره أن أباه إختاره ليكون ولياً للعهد أو أنه أشركه معه فى أمور البلاد ، فإن هذا أصبح الآن حقيقة من الحقائق ، ولكننا لا نعرف عمره بالضبط عندما مات أبوه وإن كنا نرجح أنه لم يكن يقل عن الخامسة والعشرين من عمره ، إذ كان أباً لطفلين ذهباً معه إلى الحرب أو لتلقى الجزية فى بلاد النوبة كما نرى ذلك

---

(١) كانت هذه البردية منذ أيام ليسيوس فى عام ١٨٤٢ مدار بحوث كثيرين من علماء الآثار وظن البعض أن مكانها هو وادى العلاقى ولكن أهم الأبحاث عنها هى ما نشره ج . و . مرى فى كتاب JOHN BALL. Egypt in the Classical Geographers (Cairo, 1942), p.180 ff. حيث قال ، مرى ، بأن هذه المنطقة تنطبق على بئر أم الفواخير فى وادى الحمامات فى طريق قنا - القصير وقد نشر بعد ذلك ، جوبون ، مقالا جديداً عن تاريخ هذه البردية وأشار إلى كل ما كتب عنها ووافق على رأى مرى فى أنها واقعة فى وادى الحمامات وذلك فى بحثه :  
OEOGE GOYON, Le Papyrus de Turin, Annales du Service XLIX, p. 337-392

منقوشاً على جدران معبد بيت الوالى (١) .

وإذا رجعنا بالذاكرة إلى عهد الملك سيتى الأول لوجدنا أنه بدأ حكمه بالحرب عندما ذهب لإخضاع بدو الشاسو ، ثم تقدم حتى استولى على قادش والتحم بجيوش خيتا وانتهى الأمر بينه وبين ، خيتا ، بعقد معاهدة صداقة ظلت محترمة حتى مات الملك سيتى الأول ، وكان حد المملكة المصرية الذى يفصلها عن حد مملكة خيتا عند نهر الكلب شمالى بيروت بقليل .

وعندما تولى رمسيس الثانى الملك بعد أبيه لم يبدأ بنقض هذه المعاهدة بل وجه همه قبل كل شىء إلى توطيد حكمه فأمر بإنهاء جميع ما كان قد بدأه أبوه من معابد ولم يطل أجله ليتمه مثل معبد أبيدوس أو معبد القرنة أو مبانيه المختلفة فى الكرنك .

وكانت خطوته التالية هى التفكير فى استغلال مناجم الصحراء متبعاً فى ذلك سياسة أبيه من قبل . فلما انتهى من ذلك حوالى السنة الرابعة من حكمه ذهب فى رحلة لزيارة أطراف ملكه فى آسيا . وليس فى إستطاعتنا أن نعرف الباعث على ذهابه إلى آسيا أو الذى حدث أثناء هذه الرحلة وجعله يصطدم بمملكة خيتا ، ولكن من المحتمل أن مملكة خيتا هى التى بدأت بتحريض بعض الأمراء على الثورة على العصيان ، وأن حملة رمسيس الثانى إلى آسيا كانت لتوطيد النفوذ والإطمئنان على حاميات الموانئ وخطوط المواصلات . ثم عاد مرة ثانية فى السنة الخامسة من حكمه بعد أن عبأ جيوشه وتقدم بها لسحق جيوش خيتا التى كانت قد ألبت الكثير من سكان سورية ضد مصر ، وتجمعت فى قادش لصد جيوش مصر التى كانت فى طريقها إلى هناك .

### معركة قادش :

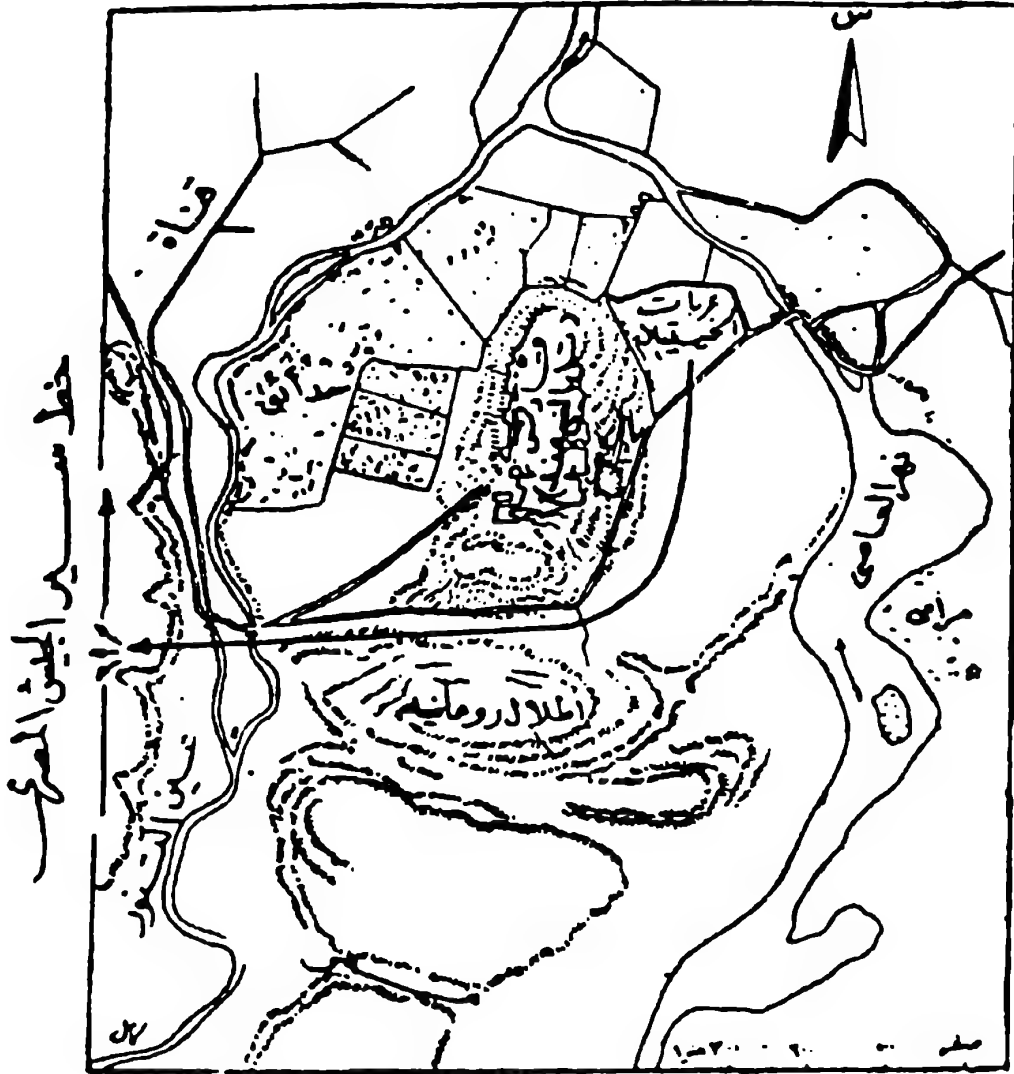
كان ملك خيتا فى ذلك الوقت يسمى ، موتلى ، ولم يترك وسيلة من الوسائل إلا التجأ إليها لجعل من مقابلته لجيش مصر ضربة قاضية تحقق نفوذ مصر وسيادتها فى آسيا . ولهذا لم يكتف بأن يضم إليه ، سواء بالوعد أو بالوعيد ، الساخطين على مصر أو الطامعين فى إرضاء خيتا ، بل إستعان بشعوب أخرى كثيرة وأخذ منها جنوداً

(١) أهم الأبحاث عن إشترك رمسيس الثانى مع أبيه فى الحكم هو ما كتبه كيت سيلى فى بحثه

The Coregency of Ramses II with Sity I and the Date of the Great Hypo-style Hall at Karnak . (Chicago, 1940) .

وقد عثر فى الكرنك على ما يؤيد نظريات سيلى فى موسم ١٩٥٣ - ١٩٥٤ .

مرتزقة وكان من بين هذه الشعوب سكان جزر بحر إيجه ، وإمارات آسيا الصغرى ، وبلاد الفرات إلى جانب جيش بلاده . وتقدم بكل هذه الجموع إلى قادش وهي المدينة المحصنة ذات الموقع الإستراتيجي الهام ، والتي نعرفها منذ أيام تحوتمس الثالث بأنها باب سورية الشمالية وما يليها . وتقدم رمسيس الثاني ومعه أربعة جيوش أحدها ، جيش آمون ، والثاني ، جيش رع ، والثالث ، جيش پتاح ، والرابع ، جيش ست ، وذلك إلى جانب جنود مرتزقة بعضهم من الشردان الذين سبق أن أسره ، والبعض الآخر من الأموريين الذين ربما كان تجنيدهم في فلسطين . اتخذ رمسيس الطريق



موقع مدينة قادش جنوبى حمص وخط سير الجيش المصرى

الحربي القديم ومعه جيش آمون تتبعه الجيوش الأخرى ، ووصل إلى بلاد كنعان واتجه شمالا متقبعا الشاطئ حتى شمال بيروت ، إذ ترك لوحة عند مدخل نهر الكلب مؤرخة في السنة الخامسة أي في هذه الحملة ، ومن هناك توغل إلى الداخل حتى وصل إلى وادي نهر العاصي .

وحدث إذ ذاك أن قبض الجنود المصريون على جاسوسين من بدو فلسطين (الشاسو) كان أرسلهما ، موتلي ، ليعرفا تحركات الجيوش المصرية ، وإذا وقعا في الأسر يقصان قصة متفق عليها ليضللا المصريين . واعترف الجاسوسان بعد ضربيهما ضربا موجعا بمواقع جيوش خيتا ولكنه كان إعترافا متفقا عليه من قبل إذ أنهما قالوا بأن ، موتلي ، تفهق بجيوشه إلى حلب عندما علم بتقدم الجيوش المصرية ، ولكن الحقيقة أن الجيوش كلها كانت مختبئة وراء مدينة قادش منتظرة حضور جيوش مصر لملاقاتها (١) .

وأراد رمسيس أن يسرع خلف عدوه ولم ينتظر حتى تلحق باقي جيوشه به فعبّر نهر العاصي ومعه جيش آمون . وكان أقرب جيوشه إليه بعد ذلك هو جيش رع الذي كان على مسيرة بعيدة ، أما جيشا تاح وست فكانا بعيدين جدا . وكان سير رمسيس خطأ من الناحية الحربية ؛ لأن تجمع القوات أحد الأسس الحربية الهامة وكانت هذه القاعدة متبعة دائما في حروب أجداده ، ولكن تسرعه في التقدم ومعه جيش واحد فقط ، وتصديقه لما قاله الجاسوسان وعدم تنظيمه لإدارة مخابراته كما كان يفعل تحوتمس الثالث كلفه ثمنا كبيرا كما سنرى .

عبر رمسيس الثاني نهر العاصي ( الأورونت ) وعسكر بجيشه في الشمال الغربي من المدينة ولم يكن يعلم أن ملك خيتا وحلفاءه كانوا خلف التلال وأنهم قاموا في الوقت نفسه بحركة إلتفاف وإنسحبوا إلى ما وراء قادش على الشاطئ الآخر من النهر . فلما وصل جيش رع وبدأ في عبور النهر إنتظر المتحالفون حتى وصل بعض

(١) نشر شارل كونتز نصوص ومناظر وترجمة معركة قادش في كتابه

KUENTZ, La Bataille de Qadesch, Le Cairo, 1928 - 1934.

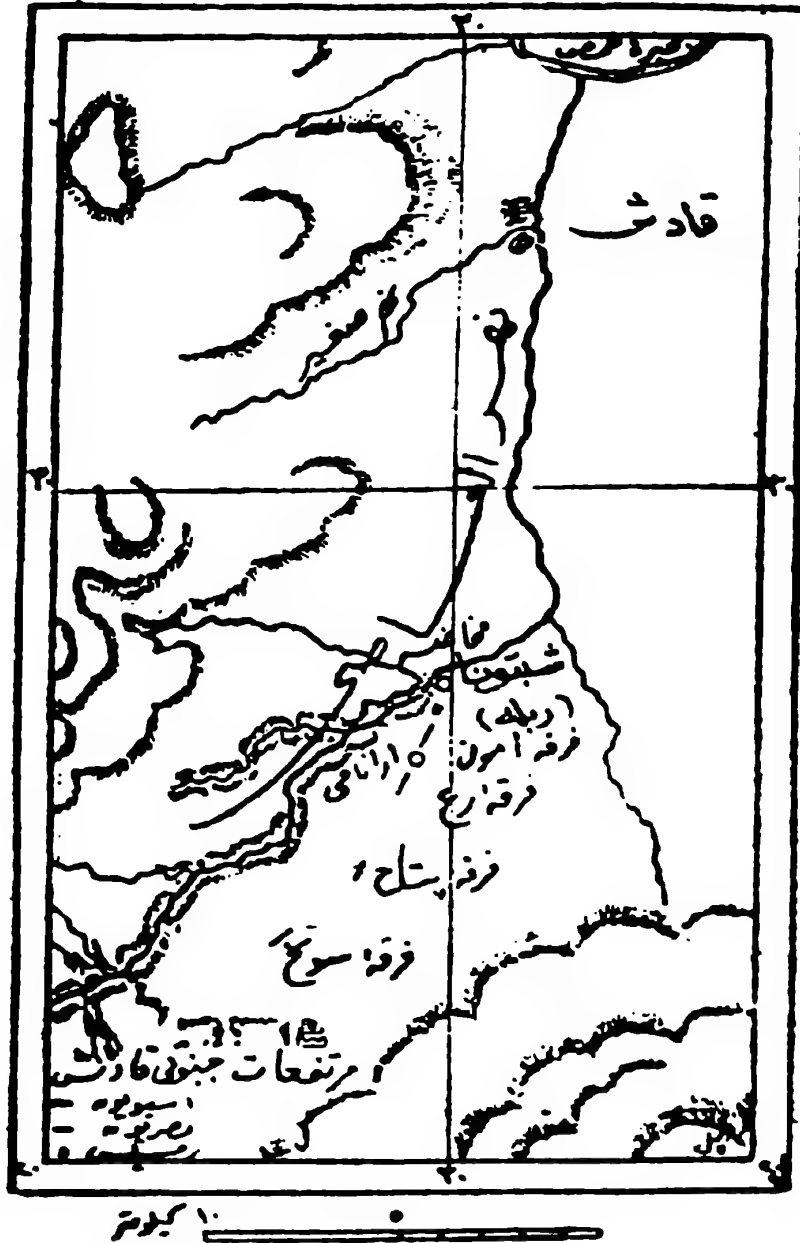
ولكن منذ عام ١٩٠٣ نشر برستد بحثا وافيا عنها في :

BREASTED, The Battle of Kadesh (Decennial publ. of the University of Chicago V (1903), p. 81-126.

BUREN, JEA VII (1921), p. 191-195 وقد عالج هذه المعركة من الناحية الحربية الميجر برن . وأشار إليها مرة أخرى في كتابه The Art War on Land, p. 36-47 .

ولكن أحدث الأبحاث عن مدينة قادش وعن بعض النقاط الغامضة في هذه المعركة نجده في كتاب GARDINER, Onomastico, Vol. I (1947) p. 137 ff.

الجنود إلى الشاطئ الآخر ، وعند ذلك هجموا على جيش رع هجوماً مفاجئاً فلم يستطع أن يلم شمله ويصمد للحرب ، بل ولى الجنود طالبين المعسكر المصري فحدث إضطراب كبير ولم يكن في وسع رمسيس الثانى إلا أن يحاول جمع شتات جنوده



تقدم الجيوش المصرية نحو قاده

ليدافعوا عن أنفسهم . ولكن هذا الهجوم المفاجيء كان قد خلع قلب جيش رع وجيش آمون الذى كان للملك بمثابة الحرس الخاص ، وتخلّى عن رمسيس أكثر رجاله فلم يرى بدا من الاعتماد على نفسه فاندفع بين المهاجمين .

يقص علينا رمسيس الثانى قصة هذه المعركة فى قصيدة شعرية نقشها على جدران عدة معابد ، فى الأقصر وفى الرمسى وفى الكرنك وفى أبيدوس وفى إحدى البرديات ، كما صور لنا أهم مناظر المعركة على واجهات بعض المعابد ، ونعرف منها أنه رغم ترك جنوده له فإنه صمد وحده للقتال ، وكان عمله هذا مثلاً فى الشجاعة لجنوده من جيش آمون وجيش رع فلم يمض غير قليل حتى ثبتت قلوبهم والتحموا مع العدو ، وبذا تفادى رمسيس الثانى ورجاله كارثة محققة ، والفضل فى هذه الحركة الأخيرة يرجع دون شك إلى وصول نجدة لم يكن أحد يتوقع وصولها فى ذلك الوقت ، وهى نجدة من شباب الفلسطينيين المجندين ( ثيارونا - بلغة الكنعانيين معناها الشباب أو الفتيان ) وصلت إلى ميدان المعركة تحت إمرة الضباط المصريين ووجدت حرج مركز رمسيس فمالت على العدو ميلاً واحدة فسببت تغييراً فى سير المعركة وأنقذت رمسيس مما كان فيه ، وربما كان نجاح هذه الفرقة راجعاً إلى إنشغال الجيوش المتحالفة فى نهب معسكر المصريين .

وانتهى اليوم الأول دون أن يكون النصر الحاسم فى جانب رمسيس أو فى جانب أعدائه ، وكانت باقى الجيوش قد وصلت على الأرجح ، كما كان شعور جيشى آمون ورع بالندم حافزاً على إستئناف القتال فى اليوم التالى ، فمالوا جميعاً على العدو حتى كادوا يفنونه ، كما تقول النصوص المصرية ، فطلب المتحالفون من رمسيس العفو ، وقبل رسلهم الأرض بين قدميه وسلموه كتاباً من ملكهم . ويذكر لنا رمسيس أن ملك خيتا قال له ، ليس من المستحسن أن تقتل رعاياك فقد قتلت منهم بالأمس مئات الألوف وها أنت قد يتمت أولادهم ورملت نساءهم ولم تترك لهم وارثاً ، فلا تكن قاسياً معنا فالعفو خير من العقاب فإمنحنا نسيم الحياة ، ونصح ضباط رمسيس سيدهم بأن يقبل خضوع العدو فقبل رمسيس أن يكف عن القتال ، وإتفق الطرفان المتحاربان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر وألا يتدخل فى شئون رعاياه . وعاد رمسيس وجيوشه إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه ، واقتصرت إمبراطورية مصر فى آسيا على فلسطين ولبنان وجزء صغير من سورية وعلى الأخص الموانئ التى كانت على الشاطئ .

ونحن إذ ننظر فى تاريخ هذه المعركة الآن ، ونقرأ ما كتبه عنها المصريون وما



سبطوه على واجهات المعابد فإننا نجد أنفسنا عاجزين عن فهم السبب الذى جعل رمسيس الثانى لا يجنى ثمرة إنتصاره ، إن كان حقيقة قد سحق أعداءه فى اليوم الثانى !! ولكن ربما كان الحق هو أن الحرب لم تكن فاصلة وأن رمسيس كان يحارب فى يومه الثانى ونفسه مملوءة بالألم والحسرة لهرب جنوده من حوله عند إشتداد الخطر عليه ، إذ نراه يكرر هذا الألم فى نصوصه التى يصف فيها المعركة ويتحدث عن فجيعة فى جنوده إذ تركوه وهو إلههم وسيدهم معرضا للموت ، وجروا طلبا للنجاة . وربما كانت حالته النفسية هى السبب فى قبوله الصلح وهو فى إنتصاره ، مادام رجاله لا يستحقون الإعتماد عليهم . يقول رمسيس إن مركبات العدو التى كانت عددها ٢٥٠٠ مركبة ، وفى كل عربة منها ثلاثة رجال ، قد أحاطت به وكانوا مقسمين إلى وحدات ، بينما لم يكن معى قائد أو ضابط مركبة أو ضابط من المشاة ولا حامل درع فقد تركنى مشاتى وفرسانى فريسة أمام العدو ولم يثبت واحد منهم لمحاربتة .

وعاد رمسيس إلى مصر فعلاً البلاد كلها بأنه إنتصر وسحق أعداءه وأن أباه آمون وقف إلى جانبه وأنه أباد عشرات الألوف بسيفه <sup>(١)</sup> ، ولكن مثل هذه الإدعاءات والتشبيهات الشعرية لا تغير من حقيقة الأمر شينا وهى أنه إذا كانت هناك نتيجة هامة واحدة من وراء هذه المعركة فهى بقاء رمسيس على قيد الحياة ، وإحتفاظ مصر ببعض ممتلكاتها فى فلسطين والشاطئ الفينيقي .

وإذا رجعنا إلى المصادر الخيتية وخاصة ما كشفت عنه الحفائر فى الأعوام الأخيرة ، فإننا نقرأ قصة أخرى تختلف عن قصة المصادر المصرية . فقد كان النزاع بين مصر وخيتا يتركز فى السيادة على بلاد الأموريين ( مملكة أمورو Amurru التى كانت مدينة قطنا ، تل المشرقة الآن ، عاصمة لها ) وقد إنضم ملكها ، بنتشينا ، ( Bentesina ) إلى مصر ووقف إلى جانبها ولم يخضع لتهديدات ملك خيتا ومن أزروه . فلما كانت معركة السنة الخامسة من حكم رمسيس الثانى جمع كل من ملكى مصر وخيتا كل قواته وألقاها فى المعركة ، ولكن بينما تتحدث النصوص المصرية عن النصر ، وأن ملك خيتا تقدم بطلب الصلح نرى النصوص الخيتية تصف هزيمة

---

(١) كثيراً ما تساءل المؤرخون فيما بينهم عن عدد جنود جيش رمسيس أو عدد جنود أعدائه المتحالفين ويرى ماسپيرو ( MASPERO, Struggle of Nations, p.212 note 4 ) أن عدد جنود خيتا المتحالفة كان حوالى ٢٠,٠٠٠ على الأكثر منها ٧٥٠٠ من فيلق المركبات والباقي من المشاة بينما كان جموع جيوش رمسيس الأربعة لم يزد على ١٥ إلى ١٨ ألفاً .

المصريين ، وتقول إن جيوش خيتا لاحقتهم حتى دمشق (١) .

ويقف المؤرخون بين هذين القولين ولكن الرأي الأرجح هو تفضيل قصة ملك خيتا؛ لأن مملكة أمورو أصبحت منذ تلك الحرب موالية لخيتا واختفى اسم ملكها ، بنتشينا ، ليحل محله اسم أحد الزعماء واسمه ، ساپيلي ، ( Sapili ) كملك في قطنا ومعترفا بسيادة ملك خيتا (٢) .

### بعد معركة قادش :

وإذا تتبعنا الأحداث كما روتها المصادر المصرية فإننا نجد أنفسنا مضطرين مرة أخرى لتصديق المصادر الخيتية ، إذ لم يمض عامان على معركة قادش حتى كانت فلسطين نفسها قد ثارت بأسرها وامتدت الثورة حتى وصلت إلى حدود مصر إذ كانت عسقلان من بين المدن التي وجد رمسيس الثاني نفسه مضطراً للإستيلاء عليها . ولم يهمل رمسيس ، بل سارع إلى إخماد الفتنة وأعاد كل فلسطين إلى حظيرته وكذلك بعض بلاد الأموريين وبخاصة حصن ، دبور ، التي دارت عنده إحدى المعارك الهامة . وربما كانت هناك حاميات خيتية تغلب عليها رمسيس عند إستيلائه على مدينة ، تونيب ، فأعادت هذه الحملة إلى مصر سيادتها على تلك البلاد كلها ، وعلى الشاطئ الفينيقي وربما بعض جزر البحر الأبيض . ونقرأ على جدران معبد الرمسوم إشارات قليلة إلى هذه البلاد التي وردت فيها أسماء خيتا ونهارينا ورتنو وقطنا وكريت وقبرص وبابل وأشور مع ذكر خضوعها لمصر ، وربما كان في ذلك شيء من المغالاة والأرجح أن أكثر هذه البلاد أثير السلامة فأرسل وفوده إلى ملك مصر ومعهم الهدايا طالبين مودته والإطمئنان إلى التحالف معه .

ومهما يكن من أمر فإن حملة العام الثامن - وليست حملة قادش في العام الخامس - هي التي كانت سبباً في ذبوع اسمه كأحد الفراعنة المحاربين الذين حافظوا على الإمبراطورية التي ورثها عن تحوتمس الثالث ، وكانت هذه الحملة أيضاً درساً قاسياً لمملكة خيتا أجبرها على إحترام مصر وعدم التدخل في أمر ولاياتها .

(١) وهذا هو النص الذي خلفه لنا خاتوسيليس عن حروب أخيه ضد رمسيس الثاني في معركة قادش : ، في الوقت الذي كان موتلي ( أوموتليس ) يحارب فيه ملك مصر ومملكة أمورو ثم هزم ملك مصر ومملكة أمورو ( موقعها كان على شاطئ البحر الأبيض بين البحر وأعالى نهر العاصي ) عاد بعد ذلك إلى مملكة أبا ( المنطقة حول دمشق ) وهزم أخى موتليس مملكة أبا أيضاً وعاد إلى بلاد خيتا ولكنه تركنى في مملكة أبا ،

Ancient Near Eastern Texts (1950), p. 319 .

(٢) ALEXANDER SCHARFF UND ANTON MOORTGAT, Aegypten und Vorderasien im Altertum, p. 359-360

ومضت على هذه الحرب أعوام طويلة مات فيها الملك موتلى فنشب نزاع عائلى بين ابن الملك وكان يسمى ، أورخى - تيشوب ، ( Urehi - Tesup ) من إحدى المحظيات ، وبين عمه المسمى ، خاتوسيلى ، ( Khattu - Siti ) وقد إنتهى النزاع بتغلب خاتوسيلى على ابن أخيه واستيلائه على العرش ، وكان لهذا النزاع الشديد أثره فى آسيا وبخاصة فى بلاد الفرات وشمالى سورية إذ أن مملكة آشور كانت قد بدأت تدخل فى فترة من فترات قوتها ومد سلطانها على غيرها .

ولم يقف رمسيس الثانى مكتوف اليدين أمام هذا النزاع ، وأخذ يناصر ، أورخى - تيشوب ، . وأراد ، خاتوسيلى ، أن يشتري صداقة مصر حتى يتفرغ لملاقاة آشور ولهذا أراد عقد معاهدة صداقة معه ، ورحب الملك رمسيس الثانى بها ووقعها الطرفان فى العام الحادى والعشرين من حكم رمسيس أى عام ١٢٨٠ قبل الميلاد ، وكان أصلها مكتوباً بالخط المسمارى على لوح من الفضة وقد ترجم الأصل إلى اللغة المصرية وبقي على أثرين أحدهما على جدران الكرنك والآخر فى الرمسيوم ، كما عثر أيضاً لحسن الحظ على الأصل الخيتى فى خرائب بوغازكوى (١) . وليس فى هذه المعاهدة غير تأكيد الصداقة وأن كلا من مصر وخيتا لا يعتدى على الآخر ، ويسلمه المجرمين الفارين إلى بلاده ويشهد كل منهما آلهة بلاده على ما يقول .

وبرك كل من خاوسيلى ورمسيس بوعده ، وأراد ملك خيتا أن يوثق هذه الصلة فجاء زائراً إلى مصر ومعه إبنته ، وكثير من رجاله ، ليزفها زوجة إلى رمسيس . وقد أقام رمسيس إحتفالات كبيرة واستقبل ضيفه خير استقبال ، وأمر بتسجيل هذا الحادث العظيم على لوحات كبيرة وضعت فى المعابد المهمة كما نقشت أيضاً على جدران عدة معابد أخرى ، وكان حضور ملك خيتا إلى مصر فى العام الرابع والثلاثين من حكمه وكان فى مصاهرة هذين البيتين ما كفل الأمن والطمأنينة فى غربى آسيا ، ولو إلى حين .

ولكن هذا السلام لم يدم طويلاً؛ لأن المتاعب بدأت تتوالى على خيتا بعد

---

(١) عثر على أصل المعاهدة على لوحين من الطين المحروق فى حفائر فنكار فى بوغاز كوى فى الأناضول فى عام ١٩٠٦ ولكن النص لم يدرس وتعرف قيمته إلا فى عام ١٩١٦ . وقد نشر لانجدون مع جاردنر ( Gardiner - Longdon ) ترجمة له فى J.E.A. Vol. VI, p. 179 ff. أنظر أيضاً كتاب ديلاورت عن الخيتيين DELAPORTE, Les Hittites, p. 135-70 أما أوفى الترجمات لهذه المعاهدة فهي المنشورة فى كتاب Ancient Near Eastern Texts (1950) وقام بترجمة النص الخيتى ألبرشت جوتزه ص ٢٠١ - ٢٠٣ وترجم النص المصرى جون ويلسون ص ١٩٩ - وقد أضاف كل منهما قراءات جديدة وأعطى بياناً بجميع المراجع الهامة .

موت ، خاتوسيلي ، ، وربما كان جزء من هذه المتاعب راجعاً إلى تنازع عائلي في البيت المالك ، ولكن السبب الأكبر المباشر كان ناشئاً عن هجرات هندو - أوروبية تدفقت على هذا الجزء من الشرق ، ونزلت إليه من أواسط آسيا أقوام كالجراد ومعها نساؤها وأطفالها ، وكانت كل هجرة منها تتبعها أخرى لتستقر في آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه وفي بلاد اليونان وفي شمال إفريقيا . كان بعضهم يصل عن طريق البر والبعض الآخر عن طريق البحر ، وما لبثت مملكة خيتا أن هوت وزالت من أثر هذه الهجرات فكانت أولى ممالك آسيا التي قضى عليها خطر تلك الشعوب . ومن المرجح جداً أن يكون خطر هذه الشعوب بدأ يدق على أبواب مصر من الشرق ( أى من ناحية سورية وفلسطين ) ومن الغرب من ناحية ليبيا ، وربما كان هذا الخطر هو السبب المباشر الذى جعل رمسيس الثانى يبنى سلسلة من الحصون فى الجهة الغربية من مصر مثل حصن الغربانيات ( على مقربة من برج العرب ) <sup>(١)</sup> وحصناً آخر عند العلمين <sup>(٢)</sup> وكان آخر هذه الحصون يقع داخل الحدود الحالية لمصر ، وهو الحصن المكتشف حديثاً عند زاوية أم الرخم إلى الغرب من مرسى مطروح <sup>(٣)</sup> .

ولكن دفع هذا الخطر لم يقع على كاهل رمسيس الذى كان قد أربى على الثمانين بل وقع على كاهل ابنه مر نبتاح ( منفتاح ) كما سنرى .

### عائلة رمسيس الثانى وآثاره :

حكم رمسيس الثانى ٦٧ عاماً وتزوج من كثيرات ، كما أنجب أولاداً كثيرين من محظيات وزوجات ثانويات ، ولهذا لا نعجب إذ كان عدد أولاد وبنات هذا الملك زاد عن ذرية أى ملك مصرى آخر . فنحن نعرف أنه كان متزوجاً من بعض أميرات البيت المالك مثل الملكة ، نفرتارى ، الشهيرة والملكة ، إست نفرت ، كما تزوج أيضاً من ابنة ملك خيتا وهى التى أطلق عليها الإسم المصرى ، ماعت نفرو رع ، وكان لها حق الزوجات الأوليات ، كما نعرف أيضاً أنه تزوج ثلاث من بناته أما عدد أبنائه وبناته فقد كان وفيراً <sup>(٤)</sup> . وكان أولاده الذكور يتقلدون جميعاً وظائف مهمة فى الدولة ،

(١) لم يبق من حصن الغربانيات إلا القليل وكان فى وسطه معبد بإسم رمسيس الثانى بقى منه عمود من الجرانيت نقل أثناء الحرب العالمية الثانية إلى مركز البوليس فى برج العرب .

(٢) عثر على بقايا أحجار من المعبد أثناء عمليات الحرب العالمية الثانية وقام جاسبر برنتن بنشر هذه الأحجار فى مجلة جمعية آثار الأسكندرية وأشار إليها ألن رو فى كتابه ( أنظر ٣ ) .

(٣) ALAN ROWE-A History of Ancient Gyrenaica ( Cahier 12 of Suppl. annales Service. ) 1948 .

(٤) بعض المؤرخين حصر أولاد رمسيس من بنين وبنات ولكن أعدادهم تختلف وذلك لظهور أسماء جديدة من آن لآخر . ونعرف من بينهم أسماء ٥٩ بنتاً على الأقل أما عدد الذكور فقد عد بعضهم ٧٩ ويؤكد أحد المؤرخين أنهم أكثر من ١٠٠ .

وأهم هؤلاء الأولاء ابنه ، خع إم واست ، ( خمواس ) الذى فكر والده فى السنة الثلاثين من حكمه فى جعله وليا للعهد . وكان هذا الأمير مهتما بالآثار القديمة فكان يرمم كل ما يجده فى حاجة إلى ترميم ، ولهذا نرى اسمه على المعابد فى طول البلاد وعرضها كما كان على خبرة عظيمة بالأمور الدينية وتقاليد الدين واشتهر بعد وفاته بأنه كان ساحرا عظيما ، ولكن هذا الأمير توفى فى العام الخامس والخمسين من حكم والده دفن على مقربة من قرية نزلة البطران التى لا تبعد كثيراً عن أهرام الجيزة .

ومات أكثر أبنائه الأوائل فى حياته ولهذا خلفه ابنه الثالث عشر ، مرنبتاح ، من زوجته ، إست نفرت ، على العرش وكان أبوه قد إختاره فى العام الخامس والخمسين من حكمه ليكون وليا للعهد بعد موت أخيه ، خع إم واست ، .

وإذا أردنا الحديث عن آثار الملك رمسيس الثانى فإننا لا نقول أكثر من أنه لا تكاد توجد منطقة أثرية فى مصر لم يرد فيها اسمه ، ويكفى أن نشير إلى معابده العديدة فى الكرنك أو فى الجزء الأمامى من معبد الأقصر ، أو الرمسسيوم أو أبيدوس ، أو معابده المتعددة فى النوبة وبخاصة معبد أبو سمبل لنعرف مدى نشاطه المعماري المنقطع النظير . وكثيرا ما نقرأ أن رمسيس الثانى كان يجرو على أخذ ما يجده من آثار من سبقه من الملوك - حتى والده - وينسبها إلى نفسه ، وهذا صحيح ولكنه لا يغير من الحقيقة وهى أن رمسيس الثانى كان أكثر الفراعنة آثارا فى جميع نواحي المملكة وأكثرهم حبا للعظمة والفخامة .

ولم يكن رمسيس الثانى يقيم دائماً فى طيبة إذ أن أباه بنى قصرأ ومقرأ ملكيا فى شرقى الدلتا . وقد أحب رمسيس الإقامة فى الشمال فنشأت هناك مدينة كبيرة وهى ، بر - رعمسيس ، وقد ظن بعض الأثريين أنها هى مدينة صان الحجر كما يؤكد البعض الآخر أنها كانت فى المكان الذى تشغله الآن بلدة قنتير فى مركز فاقوس حيث عثر الأستاذ محمود حمزة على جزء من قصرله (١) . ومات رمسيس بعد أن شبع من دنياه ، وملأ سمع الدنيا وبصرها فى حياته وترك اسمه يرن فى آذانها حتى الآن ، ودفن فى قبره فى وادى الملوك إلى جوار آبائه وأجداده .

---

(١) لكل من الرايين أنصار ومازلنا فى إنتظار حفر منطقة قنتير نلبت فى هذا الأمر وآخر من تناول هذا الموضوع هو الأستاذ جاردنر فى كتابه Onomastica II p. 172 ff. وقد ترك الأمر دون ترجيح رأى بصفة نهائية ، ولكن الأستاذ لبيب حبشى يعد بحثا جديداً خاصاً بهذه المدينة يؤيد فيه رأى حمزة بأدلة جديدة ونرجو أن يظهر مؤلفه قريباً .

## الملك مرنبتاح ( منفتاح ) : ١٢٢٢ - ١٢١١ ق . م .

شهدت الأعوام الأخيرة من حكم رمسيس الثانى تدهوراً فى الإمبراطورية المصرية بسبب هجرات الشعوب الهندو - أوروبية التى كانت تعيش فساداً فى جميع البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط .

ولم يكن مرنبتاح شاباً صغيراً عندما آل إليه الملك بل كان يقرب من الستين ، وقد بذل كل ما يستطيع لصد هذا التيار . وربما ذهب مرنبتاح إلى آسيا فى السنة الثالثة من حكمه أو يكون قد أرسل جيشاً لإخماد بعض الثورات التى قامت فيها كما ذكر لنا فى لوحته الشهيرة باسم « لوحة إسرائيل » (١) ، ولسنا نستبعد أن يكون ذلك من أثر المتاعب التى سببتها الهجرات . وسواء أصحت واقعة حربه فى آسيا أو أنها كانت فقط للفخر والمباهاة أو أن هذه الحرب لم تكن فى السنة الثالثة بل كانت بعد إنتهائه من حربه الليبية فى السنة الخامسة ، فإن الحرب التى إقترن إسمها باسم مرنبتاح وخلدت الآثار المصرية ذكرها هى إنفاذه للبلاد من الهجوم الذى شنه عليها الليبيون وحلفاؤهم ، وكانوا يرمون من ورائه إلى الإستيطان فى مصر . فقد تمكن أحد رؤساء القبائل التى كانت قد إستقرت على ساحل ليبيا أن يجمع إليه عدة قبائل من الشعوب الهندو - أوروبية وأن يهجموا تحت إمرة زعيم يسمى « مري » على مصر ومعهم نساؤهم وأطفالهم ، فدارت بينهم وبين مرنبتاح معركة عند مكان يسمى « بربر » فى غربى الدلتا . وقد إستمرت هذه المعركة ست ساعات إنتهت بهزيمة ساحقة للمهاجمين ففر منهم من فر ، وقتل من قتل ، ووقع تسعة آلاف من الأسرى فى أيدى المصريين .

ولم يطل حكم مرنبتاح بل مات بعد أحد عشر عاما ودفن فى قبره فى طيبة . وقبل أن نترك أيام حكم هذا الملك يحسن بنا أن نشير إشارة عابرة إلى موضوع كثيراً

(١) لوحة إسرائيل كانت قائمة فى معبد مرنبتاح الجنازى وكانت فى الأصل لوحة فى معهد أمنحوتب الثالث ونقش على ظهرها ذلك النص . وقد ترجمها شبيجلبرج

SPIEGELBERG, A.A A. 34 ( 1896 ) , p. 1-25

BREASTED, A. R. III & 602-617

كما ترجمها أيضاً برستد

وأخيراً نجد ترجمة أحدث لها فى . Ancient Near Eastern Texts, p. 376-8 وفيها أشارت إلى حملته الليبية وإلى إنتصاراته فى آسيا . وجاء ذكر « إسرائيل » للمرة الأولى فى هذه اللوحة : « ينعم أصبحت كأن لم تكن ، وإسرائيل أبيدت لن يكون لها بذرة وأصبحت حورو ( أى فلسطين وما جاورها ) أرملة لمصر » . وهذه هى المرة الوحيدة التى ذكرت فيها كلمة « إسرائيل » على الآثار المصرية .



ما نصادفه مقرونا باسم هذا الفرعون وهو موضوع خروج بنى إسرائيل من مصر . فمنذ العثور على اسم إسرائيل على لوحة إنتصاراته إعتقد الكثيرون أن الخروج حدث فى عهده . ولكن هذا الرأى لم يجد سنداً من التاريخ وظلت الآثار المصرية على صمتها تجاه هذا الأمر .

ولكن تحقيق هذا الموضوع من تاريخ العبرانيين وإحتساب الزمن ، ثم ما جاء من نتائج التنقيبات الأثرية فى فلسطين جعل خروج بنى إسرائيل فى عهد مرنبتاح أمراً يكاد يكون مستحيلاً ، ويجب أن يكون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولهذا نرى كثيراً من أسماء الفراعنة تتردد فى الأبحاث المختلفة فبعض الباحثين يرى أن فرعون الخروج كان تحوتمس الثالث وبعضهم يرى أنه كان إبنه أمنحوتب الثانى كما أن هناك من يقول إنه كان أمنحوتب الثالث ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن خروجهم من مصر كانت على أثر موت إخناتون ، وأراد أن يربط بين خروجهم من مصر وثورة إخناتون الدينية .

بل ظهر أخيراً رأى آخر وهو أن خروج بنى إسرائيل من مصر لم يكن فى عهد مرنبتاح وإنما كان قبله بنحو ٤٠٠ سنة إذ كان فى عهد الهكسوس (١) . وكل ما نستطيع أن نؤكد أنه لم يظهر فى الآثار المصرية أو الآثار الفلسطينية ما يحدد وقت الخروج تحديداً تاماً وسيظل هذا الموضوع مفتوحاً للمناقشة حتى ظهور أدلة جديدة (٢) .

### نهاية الأسرة التاسعة عشر :

وجاء بعد مرنبتاح مغتصب للملك يدعى ، آمون مس ، ولا ندرى كيف استولى على العرش ، وفى ذلك دليل على إضطراب الأمور فى البلاد؛ لأن ، آمون مس ، لم يلبث حتى خلعه مغتصب آخر اسمه ، مرنبتاح ساپتاح ، فانتقم منه وخرّب قبره فى وادى الملوك . وقد حكم ساپتاح ست سنوات تمكن خلالها من عمل قبر عظيم له ، ثم خلعه عن العرش الملك ، سيتى الثانى ، الذى حكم هو الآخر ست سنوات مات بعدها ميتة طبيعية . ويلوح أن سيتى كان ذا صلة بالبيت المالك القديم وربما كان أيضاً نائباً

(١) J. VON BECKERATH. Tanis and Theben. p. 67 ff.

(٢) هناك أبحاث لا حصر لها عن موضوع التوفيق بين معلوماتنا التاريخية والأثرية وبين ما ورد عن بعض الأنبياء فى التوراة ، وأكتفى بذكر أحد المؤلفات الحديثة التى يجد فيها القارىء مراجعاً مختلفة إذ أراد البحث .

UNGER, M.F. Archaeology and the Old Testament, Michigan, 1954 .





شكل رقم ١٦ : صورة بارزة على الحجر الجيري لأحد الضيوف في مأدبة مصورة على جدران قبر الوزير «رع - موسى» الذي عاصر أيام الملك أمنحوتب الثالث وامتد به العمر إلى عهد إخناتون .



شكل رقم ١٧ : بعض  
سكان سورية القدماء  
يقدمون الأواني الذهبية  
التي أتو بها من بلادهم  
هدية لملك مصر .



شكل رقم ١٨ : قد  
وصلت صناعة تلك  
الأواني في سورية  
في القرن الخامس  
عشر قبل الميلاد إلى  
أوج تقدمها . وترى  
في هذه الصورة  
أحد الزعماء وقد  
اصطحب معه ابنه  
الصغير . وهذان  
الرسمان من إحدى  
مقابر طيبة .



شكل رقم ١٩ : بعض الأتباع يحملون الأثاث لوضعه في القبر . صورة ملونة على أحد جدران مقبرة «رع موسى» من أواخر أيام الأسرة الثامنة عشرة .



شكل رقم ٢٠ : النانحات من أهل «رع موسى» عند قبره ، وقد اشتد بهن الحزن عند رؤيتهن لتابوته قبل دفنه في القبر .

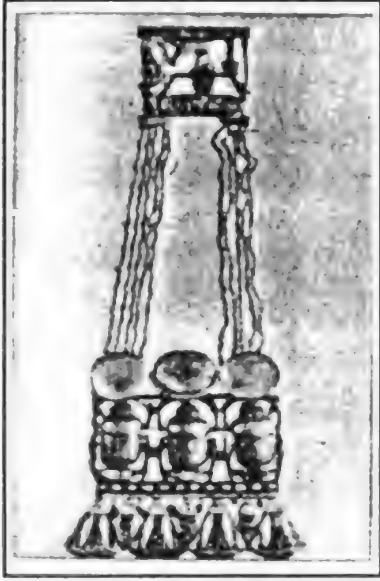


شكل رقم ٢١ : الجزء  
الأعلى من تمثال الملك  
إخناتون ، ذلك الملك  
الفيلسوف الذي دعا إلى  
عقيدة «آتون» وحارب  
تعدد الآلهة ، وكتب  
أجمل الأناشيد .

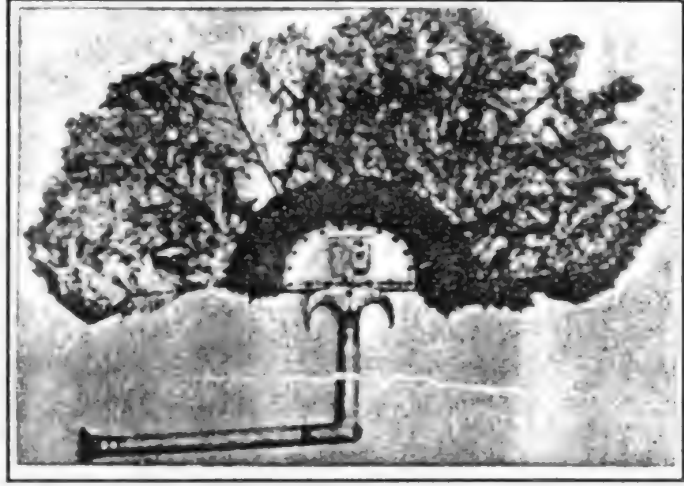
شكل رقم ٢٢ : رأس تمثال  
الملكة نفرتيتي ، ويتجلى في  
هذين التمثالين ( ١٩ ، ٢٠ )  
فن العمارة وما يمتاز به من  
الحساسية وصدق التعبير .



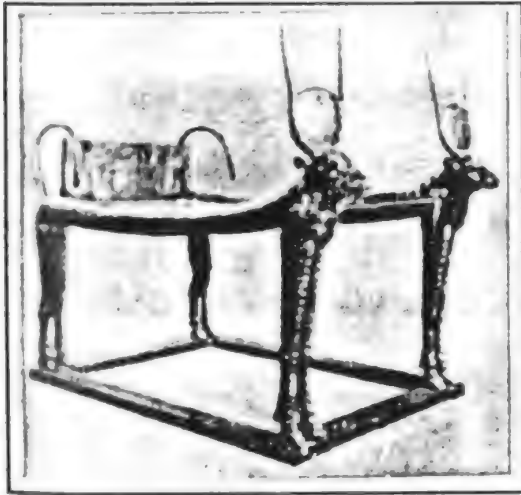




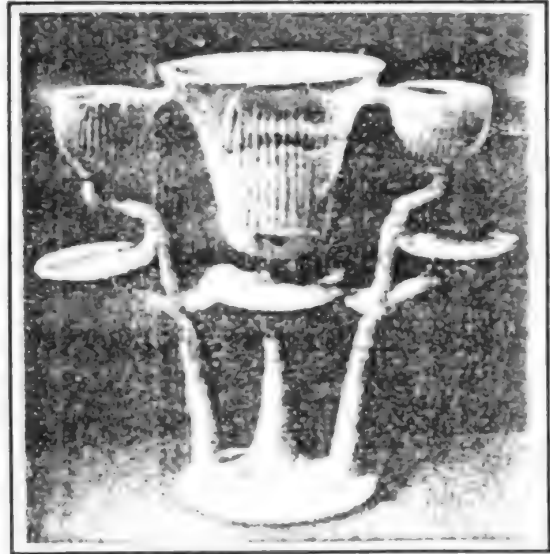
شكل رقم ٢٤ : عقد كبير  
من الذهب يحلى كلا من  
الصدر والظهر.



شكل رقم ٢٣ : مروحة من ريش النعام  
ويدها من العاج .

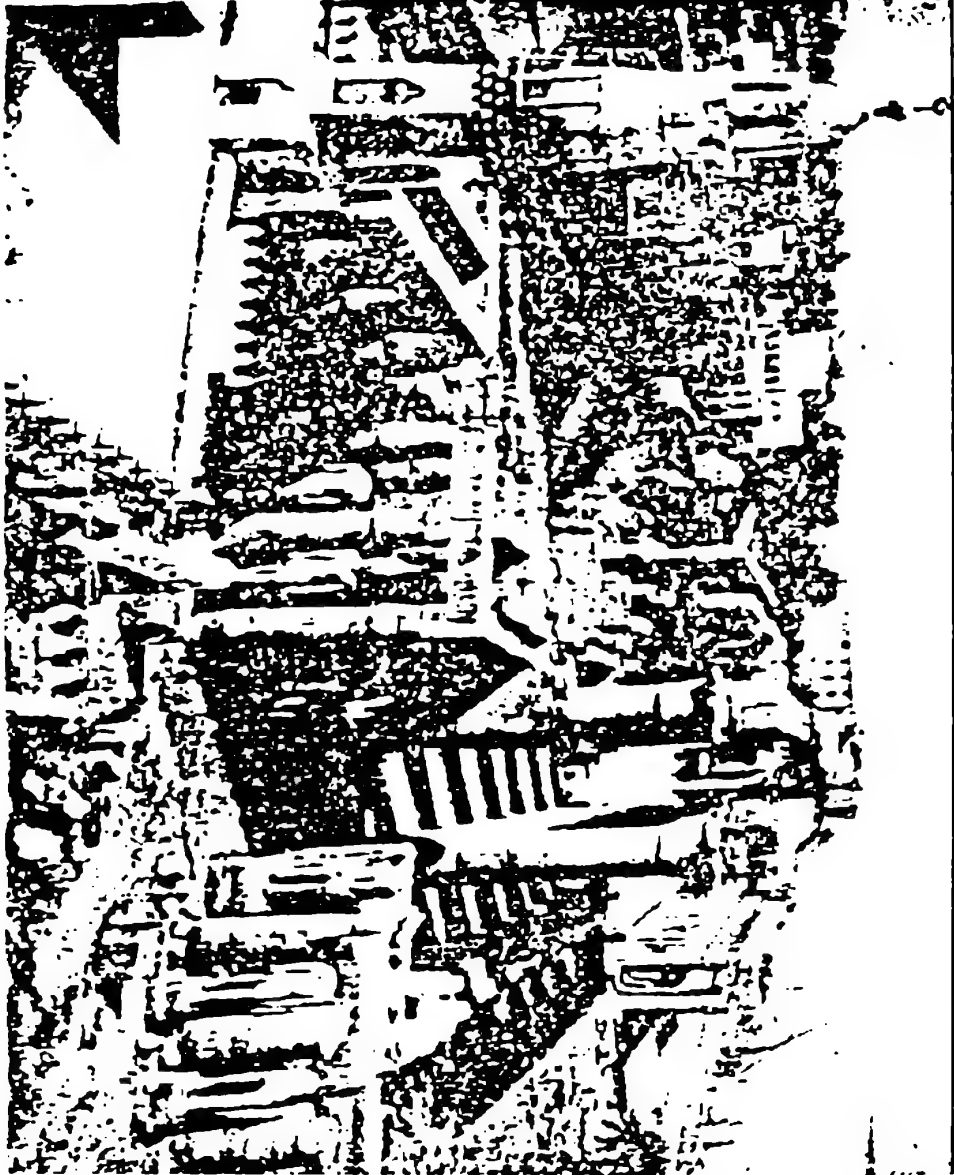


شكل ٢٦ : سرير من الخشب المذهب.



شكل رقم ٢٥ : إناء من المرمر

هذه كلها من مقبرة توت عنخ آمون من أواخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهي  
الآن مع غيرها من كنوز تلك المقبرة ، فى المتحف المصرى بالقاهرة .

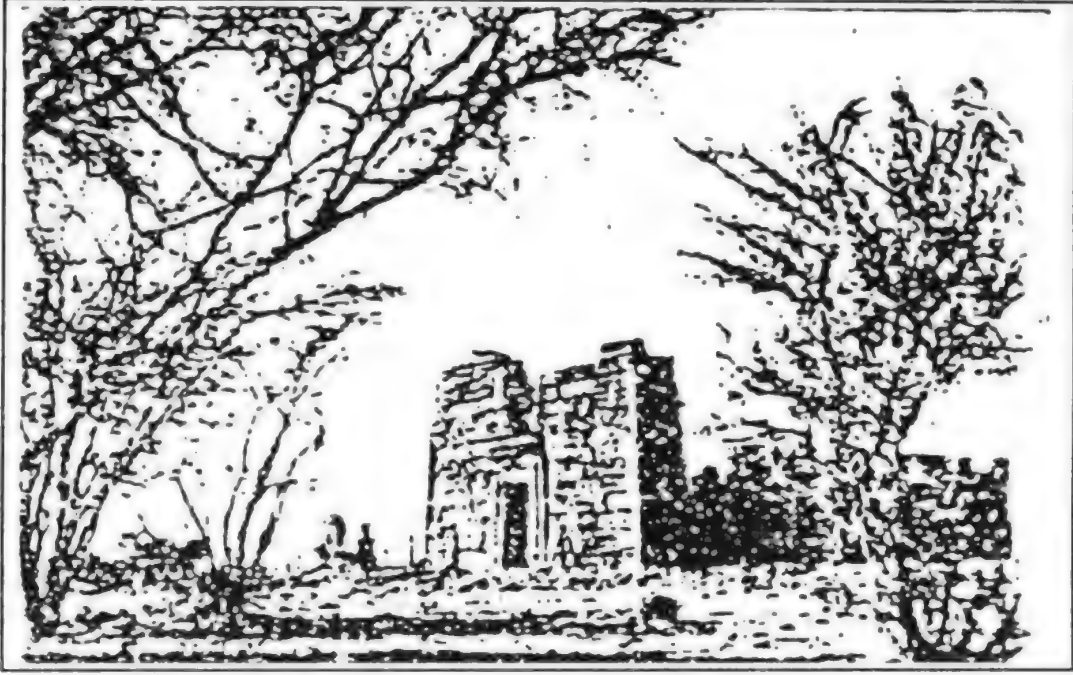


شكل رقم ٢٧ : معبد الأقصر . شيدته الملك أمنحوتب الثالث وأضاف إليه رمسيس الثاني البهو الكبير الذي يظهر في مقدمة الصورة وكذلك البيلون الأمامي للمعبد . ويحتاز معبد الأقصر بجمال نسبه واستقامة خطوطه وتوازن أعمدته . وعلى يسار الصورة مسجد «أبو الحجاج» الذي شيد قبل أكثر من سبعة مائة سنة .

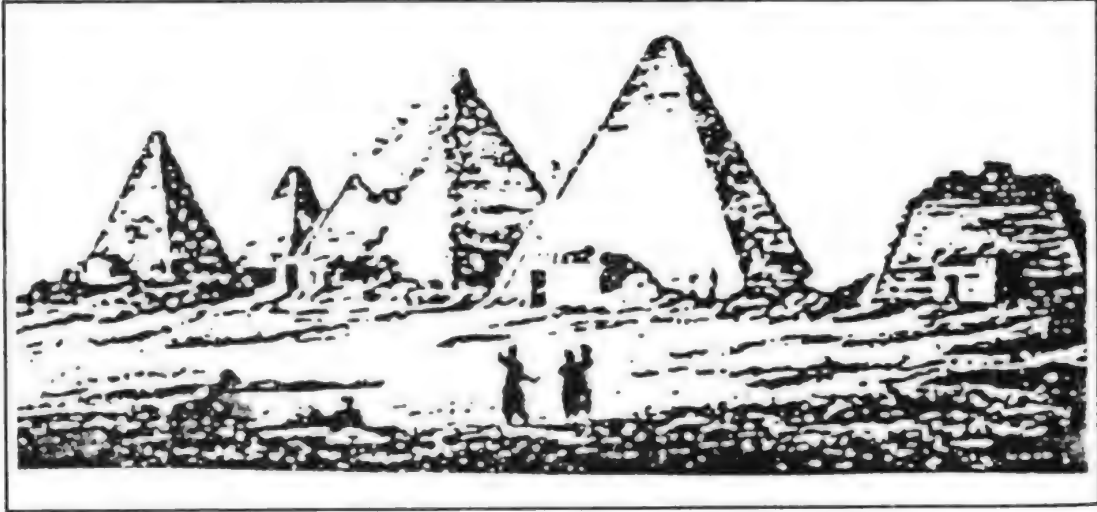


شكل رقم ٢٨ : خراب مبد آمن فف راحة سيرة بالصحرء الغربفة  
وبرجع تاريخه إلى أيام الأسرة الثلاثفن .





شكل رقم ٢٩ : معبد النجعة على مقربة من شندى فى شمالى السودان .  
وهو من آثار العصر المروى .



شكل رقم ٣٠ : أهرام مروى بالسودان ، كما كانت فى عام ١٨٢٠ .

للملك فى السودان أثناء حكم سلفه . وبالرغم من ضعفه والجو المضطرب الذى عاش فيه فقد تمكن من تشييد بعض آثار فى مختلف أرجاء مصر ، كما شيد لنفسه قبراً فى طيبة بعد أن اغتصب لنفسه فى مبدأ الأمر قبر ، ساپتاح ، و ، تا - وسرت . ورغم كل ذلك فقد بقى لمصر نفوذها فى النوبة وفلسطين وظلت جزية البلدين تأتى سنوياً إلى مصر .

لقد بدأت مظاهر التدهور تشمل البلاد منذ أواخر أيام رمسيس الثانى أى فى أعوام شيخوخته ، وزاد الطين بلة أن من خلفه على العرش كان شيخاً مسناً وكان له إخوة وأخوات وأبناء وإخوة وأخوات كثيرون ، وكان هؤلاء جميعاً ومعهم الحاشية وحكام البلاد والكهنة ذوى مطامع وأغراض ، ولم يجدوا من يستطيع أن يوقف كل واحد منهم عند حده ، ولهذا لا يدهشنا أن نرى هذا التغيير والتبديل فى الوصول إلى العرش ، فربما كان كل هؤلاء الذين وصلوا إلى الملك أو الذين كانوا يعاونونهم ويدفعونهم إلى الأمام من نسل الملك رمسيس الثانى .

ولنترك ذلك الآن لنرى ما حدث عند وفاة الملك ، سبتى الثانى . لقد خلفه على العرش وريثه الشرعى واسمه ، رمسيس سى پتاح ، ولكن لم يكن فى إستطاعته أن يعمل شيئاً ، ولهذا ظل بضع سنوات ثم إختفى من العرش وتمزقت البلاد شراً ممزق وأخذ الحكام يحاربون بعضهم البعض ، وأعلن كثيرون من كبار حكام الأقاليم إستقلالهم ، وفى تلك الأيام المضطربة العصيبة تمكن شخص من أصل سورى اسمه ، إرسو ، من الوصول إلى العرش .

ونحن نعرف قصة تنصيبه لنفسه ملكاً من بردية هاريس (١) عندما وصف رمسيس الثالث حالة البلاد المحزنة التى أنقذها منها أبوه ، ست - نخت ، فقد قال إن مصر غزيت من الخارج وظل الناس عدة سنوات دون حاكم عليهم ومرت سنوات إضمحلال كان الرجل فيها يذبح جاره ، ، فتمكن هذا السورى من تنصيب نفسه ملكاً على مصر ، ونهب ممتلكات الناس وأهمل المعابد فغضبت عليه الآلهة وسلطت عليه رجلاً إختارته وكان هذا الرجل هو ، ست - نخت . وهكذا نشأت عائلة جديدة وهى الأسرة العشرون التى وقع على أكتافها عبء كبير وهو إنقاذ البلاد مما هى فيه بعد أن وصل التفكك فى مصر إلى أسوأ الحالات .

Harris Papyrus 1. PL - 75 .

(١)

## الأسرة العشرون ( ١١٩٥ - ١٠٨٠ ق.م )

### رمسيس الثالث : ( ١١٩٢ - ١١٦٠ ق.م )

جاء إنقاذ مصر من ورطتها على يدى الملك ، ست نخت ، الذى لم يجلس على العرش أكثر من ثلاثة أعوام بين ١١٩٥ ، ١١٩٢ ق . م . وقد ترك منذ البداية لإبنه المسمى رمسيس إدارة البلاد . ولهذا فمن الجائز أن يكون ، ست نخت ، هذا هو أحد الأمراء المتقدمين فى السن من البيت المالك القديم جمع حوله الناس وأراد تخليص البلاد مما آلت إليه ، وكان إبنه رمسيس هو الرأس المدبر والمنفذ لجميع الإصلاحات فى الوقت الذى كانت فيه مصر فى أشد الحاجة إلى من كان مثله .

وحكم رمسيس الثالث إثنين وثلاثين عاما كانت فى الواقع فترة صحو بين عهدين فاسدين ، وسنرى أن جميع جهوده أثمرت فى البداية ولكنه عندما تقدمت به السن بدأت عوامل الانحلال مرة أخرى تظهر من جديد .

أشرنا عند الحديث عن نهاية الأسرة التاسعة عشرة إلى ما ورد فى بردية هاريس خاصا بالسورى ، إرسو ، والإشارة إلى غزو أجنبي لمصر ، وليس المقصود من هذا أن إرسو جاء على رأس جيش من سورية لإحتلال مصر وإنما كان ذلك ناتجا عن أحد أمرين أولهما احتمال حدوثه بسبب هجرة من هجرات الشعوب التى كانت تعيش فى الناحية الشرقية من مصر وفى غربها ، والتى كانت منذ عهد رمسيس الأول توافد إلى الإستيطان فى وادى النيل ، فكانت هذه الهجرة سببا فى إضطراب الأمور فوق ما كانت عليه من إضطراب ، أما الفرض الثانى فهو أنه ربما كان إرسو من زعماء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى الجيش ، جمع حوله رجاله وحاول الإستيلاء على السلطة لمصلحته فمئذ أيام تل العمارنة ، بل وقبل ذلك ، نعرف أن الآسيويين بدأوا يفتدون إلى مصر ويستقرون فيها وكان منهم فى عهد إخناتون ورجال ذوو نفوذ فى البلاط ، وتبعهم منذ أيام الفتوحات وإحضار الأسرى عدد آخر ، وكذلك عندما إستعان بهم ملوك الأسرة التاسعة عشرة وبخاصة رمسيس الثانى فى الجيش .

كان الشرق القديم مسرحاً للمتعاب فى ذلك العهد ، وقد رأينا ما سببته هجرات الشعوب الهندو - أوروبية من نكبات ، ورأينا أيضا أن بعضها جاء وإستقر فى آسيا وقضى على مملكة ، خيتا ، فى النهاية ، والبعض الآخر إستقر فى ليبيا ، وتمكنت

، خيتا ، بتحالفها مع مصر إيقاف الكارثة إلى حين ، ولكن السيل كان أقوى مما تتحمله جدرانها فلم تلبث أن إنهارت مقاومتها . أما مصر فقد ظل لها حتى عهد رمسيس الثالث نفوذها في فلسطين وفينيقيها وإن كان لم يبق لها نفوذ ذو شأن في سورية أو غيرها من البلاد .

وكان من حسن حظ مصر أن الدرس القاسى الذى لقنه مرنيتاح لهذه الشعوب نجح فى إيقاف محاولاتها للإستيلاء على مصر من ليبيا لوقت غير قصير ، ولهذا لم تحاول الاستفادة من الموقف بعد وفاته أو حتى فى السنوات الأولى من حكم رمسيس الثالث ، فلما إستأنفت هذه الشعوب مهاجمتها لمصر من ليبيا كان رمسيس الثالث قد أعاد تنظيم أمور بلاده وأصبحت البلاد بفضل إصلاحاته قوية متماسكة .

ولكن قبل هذه الحملة الليبية التى كانت فى السنة الخامسة من حكمه وجد رمسيس الثالث نفسه مضطراً لإخماد ثورة فى بلاد ، أمورو ، كما تشير إلى ذلك نقوش معبد مدينة هابو التى تتحدث عن زعيم أمورو الذى ، أصبح لا شىء وانقطعت ذريته . .

#### حروبه :

فى السنة الخامسة من حكمه هجم جيش كبير من الليبيين وحلفائهم من ، السيد ، و ، والماشوش ، من الشعوب الهندو - أوروبية على مصر . أما السبب فى هذا الهجوم فربما كان راجعاً إلى تدخل رمسيس الثالث فى شئونهم الداخلية ومساعدته لأحد الليبيين الذين كانوا يعيشون فى مصر ليكون حاكماً عليهم . وسواء أكان ذلك هو السبب الرئيسى أو أن غزوهم كان تكراراً للمحاولات السابقة منذ عهد سيتى الأول ، فإن الليبيين وحلفاءهم من ، شعوب البحر ، هزموا شر هزيمة على حدود الدلتا الغربية عندما كانوا فى طريقهم إلى منف . ولو تتبعنا دروب الصحراء لوجدنا أن هذه المعركة إما أن تكون قد حدثت على مقربة من الفرع الكانوبى أى فى نهاية الطريق الساحلى ، أو عند ، كوم أبو بللو ، وهى إحدى المدن المصرية المهمة فى ذلك العهد وأمام الدرب الموصل من الصحراء إلى الدلتا عن طريق وادى النطرون . وقد ذكرت لنا نصوص معبد مدينة هابو أن جثثهم أصبحت أكواما وأن رمسيس الثالث أخذ من بينهم أسرى كثيرين وزعهم على الحصون المختلفة ليعملوا فيها .

#### حملة السنة الثامنة :

ثم حدثت بعد ذلك معركة أخرى مهمة كانت دون شك أهم أعماله الحربية وأبعدها أثراً فى حياة مصر . فقد إجتاحت الشعوب الهندو - أوروبية ( شعوب البحر )

بلاد خيتا وبلاد قدى ( بين آسيا الصغرى وشمال سورية ) وإحتلت كيكيا وقبرص واستولت على مدينة قرقميش على الفرات ، وكانت هذه الشعوب فى تلك الهجرة العظيمة مؤلفة من : الفلسطينيين ، و : الثكرات ، و : الشاكاشا ، و : الداينونا ، و : الوشاش ، وكلها شعوب هندو - أوروبية جاءت فى موجة من موجات الهجرة ، وجاء بعضهم بطريق البر ، ومعهم نساؤهم وأطفالهم على عربات تجرها الثيران ، والبعض الآخر على سفن حربية . ولم يهمل رمسيس الثالث فى دفع هذا الخطر فاستعد له وجمع أسطولاً كبيراً كما جمع جيشاً برياً وسار لملاقاة أعدائه الذين كانوا فى طريقهم إلى مصر من ناحية الشرق . وقد حفظت لنا جدران معبد مدينة هابو صوراً مفصلة لهذه المعارك من برية وبحرية وهى تمثل لنا صوراً من أول صدام بين مصر والشعوب الأوروبية . نرى فيها الصراع الميت بين المتحاربين ، ونرى كيف نجح المصريون فى القضاء على أسطول هذه الشعوب كما نجحوا أيضاً فى تمزيق الجيش البرى الكبير . وكانت أولى نتائج هذا الانتصار دحر هذه الشعوب وإنقاذ مصر من خطر مؤكد لم يكن يقل عن الخطر الذى تعرضت له عند غزو الهكسوس إن لم يزد عنه ، ولم تنقذ مصر نفسها فقط بل أنقذت غربى آسيا معها ، إذ أن فلول الأساطيل المتحالفة لم تقم لها بعد ذلك قائمة ولم يصبح لمن بقى حياً من جيوشهم أى كيان تاريخى .

### حملة العام الحادى عشر :

وإذا كان رمسيس الثالث قد تمكن فى حملة العام الثامن من القضاء نهائياً على قوة شعوب البحر فى آسيا فإن قوة هذه الشعوب وحلفائهم الليبيين ظلت بعد حملة السنة الثامنة على تماسكها ، وها هم مرة أخرى يعيدون تنظيم أنفسهم وخاصة شعب : الماشوش ، ويهاجمون مصر تحت إمرة ابن زعيم ليبيا المسمى : مششر ، فى العام الحادى عشر من حكمه . فوقفت جيوش مصر تصد هذا الغزو فأوقعت بالقادمين هزيمة كبرى على حدود الدلتا وارتدوا إلى الصحراء فتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلو متراً وأفنت منهم عدداً كبيراً ، وأسرت كثيرين كان من بينهم : مششر ، نفسه ، وبهذا تخلص رمسيس الثالث من أعدائه فى الغرب كما تخلص من أعدائه فى الشرق واستطاع أن يقضى بعد ذلك وقتاً هانئاً يعيد فيه تنظيم أمور البلاد .

### حملة أسيوية أخرى :

ولم يغب عن ذهن رمسيس بعد إطمئنانه على حدوده الغربية أنه من الضرورى أن يعيد لمصر أملاكها فى آسيا ، وأن يؤمن حدوده ويطهر سورية وفلسطين



من بقايا شعوب البحر الذين عساهم أن يكونوا قد استقروا هناك . وقد ذكر أخبار حملته هذه على جدران معبده فى مدينة هابو ونعرف منها أنه حاصر خمس مدن حصينة ، ربما كانت قادش واحدة منها ، وإذا لم تكن النصوص المصرية وقوائم أسماء البلاد المقهورة فيها شىء من المبالغة أو أنها منقولة عن قوائم أخرى من الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة فإن رمسيس الثالث يكون قد وصل إلى الفرات وهو حد كانت مصر قد فقدته منذ عهد طويل .

أما شعوب البحر ، فقد تفرقت ، واستقر بعضها كسكان مسالمين فى كثير من نواحي البحر الأبيض المتوسط وأصبحت أسماء بعض هذه الشعوب علما على البلاد حتى الآن ، ومنهم الفلسطينيين مثل الذين أصبح اسمهم يطلق على فلسطين منذ ذلك العهد ، والشردان الذين أصبحت جزيرة سردينيا ، تسمى باسمهم ، و ، ثكر ، الذين من المحتمل أن يكونوا أعطوا اسمهم لجزيرة صقلية وغيرهم . وإذا كانت هذه الشعوب قد فشلت فى مصر فإنها نجحت فى أمكنة أخرى مثل بعض بلاد الساحل فى آسيا الصغرى وعلى ساحل فينيقيا حيث أمكنهم التغلب على طروادة وعلى إسرائيل .

ولا شك أن هذه الحروب المتتالية كانت عبئاً على خزينة مصر ، ولكن البلاد استطاعت أن تصمد للتجربة وأمکنها بعد ذلك أن تعوض جزءا مما فقدت وتملأ خزائنها من ممتلكاتها الآسيوية ومما وقع فى أيديها من مغانم أثناء الحروب ، ومما أخذ يتدفق على هذه الخزائن من مناجم الذهب والمعادن الأخرى التى أعيد العمل فيها ، ولكن هذا كله لم يسد ما فتحه إسراف الملك ولهوه من ثغرات فأخذت الحالة الإقتصادية تتدهور فى النصف الثانى من حكمه .

### نظرة عامة :

بنى رمسيس الثالث معبده فى مدينة هابو وبنى أمامه مدخلا على شكل قلعة آسيوية ، وبنى إلى جواره قصرأ لسكناه . وأغدق عليه وعلى جميع معابد مصر الهبات من أوقاف وأراض ومال . ونحن إذ نقرأ تفاصيل هذه الهبات فى بردية هاريس ، ونعرف مدى ثراء كهنة المعابد وسلطانهم وما كان لديهم من أرقاء يعملون فى الأراضى الخاصة بالمعابد ، فإننا لا نملك منع أنفسنا من التفكير فى مدى أثر هذا الثراء على نظام الدولة من ناحية ، وعلى الدخل القومى من ناحية أخرى . فقد كان للإله آمون - رع وحده ثروة طائلة ، إذ كان مجموع أراضيه نحو ١٠ ٪ من أراضى البلاد المزروعة ( جميع الآلهة الأخرى كانوا يملكون ٥ ٪ أخرى ) وكان لآمون ٨٦,٥٠٠ من الأرقاء الذين يعملون فى أراضيه ، وكان له خمسة قطعان من الماشية

لا يقل مجموعها عن ٤٢١,٠٠٠ رأس كما كانت له حدائق فى طول البلاد وعرضها ، وكثير منها فى الواحات ، كما كانت له مناجم الذهب فى النوبة . وكانت له تسع مدن فى سورية تأتية محاصيل أراضيها وضرائبها بانتظام ، وغير ذلك من الموارد ، وأهمها ما يقدمه أفراد الشعب وما يقدمه الملوك ، فلا عجب إذا أصبح كهنة آمون هم القوة المسيطرة على شئون البلاد .

ولم يكن رمسيس الثالث وحده هو المسئول عن إغداق هذه الثروة على الكهنة ولكنها كانت ، فى الحقيقة ، ثروة تكدست على المعابد منذ أجيال ولم يكن فى وسع أحد من الفراعنة أن ينتقص شيئاً منها بل كان كل منهم يبذل جهده لإرضاء الكهنة فيزيد عليها حتى يضمن مؤازرتهم وعدم تأمرهم عليه .

لم تكن هذه المسألة هى الحالة الوحيدة الشاذة فى البلاد ، بل كانت هناك حالات أخرى لا تقل عنها أثراً ، ومنها ابتداء تولى الأجانب وظائف الدولة العامة وبخاصة فى البلاط . ونعرف على سبيل المثال أنه كان حول رمسيس الثالث فى قصره أمناء أجانب عديدون لهم السلطان الأكبر عليه ، كما ملأوا قصره فى آخر أيامه بالفتيات الجميلات سواء من أسرى شعوب البحر أو من الأسويات أو المصريات . وكان يقضى أوقاته بينهن كما نرى ذلك فى الصرح الأمامى المشيد أمام معبد مدينة هابو ، إذ نرى على جدرانه فى الطابق العلوى رسوما تمثل رمسيس الثالث وهو يداعب فتياته أو يلاعبهن لعبة الداما وغير ذلك من ألعاب التسلية .

وهكذا انصرف رمسيس الثالث عن تقوية ملكه واستمع إلى نصيحة من أحاطوا به من الأجانب والمتملقين حتى صار من بين الأحد عشر أمينا فى القصر الملكى خمسة غير مصريين ، أحب الاستماع إلى نصيحتهم له فى الإكثار من الإستعانة بالجنود المرتزقة الأجانب ليكونوا عوناً له ضد المصريين الذين أخذوا يفتنون من الحالة ، وبخاصة من الأزمة الاقتصادية التى سببت ارتفاعاً كبيراً فى أسعار الجنوب بصورة لم يكن للشعب عهد بها من قبل . ساءت الحالة الاقتصادية حتى اضطّر عمال الجبانة فى طيبة إلى الاضراب عن العمل ؛ لأن مقرراتهم لم تصرف لهم لمدة شهرين من العام التاسع والعشرين من حكم الملك . توقف العمال عن عملهم وحاولوا أن يلفتوا نظر رؤسائهم إلى حالتهم دون جدوى . وفى اليوم التالى تجمعوا وهاجموا مخازن معبد الرمسيوم وهم يصيحون بأنهم جائعون ، وعند ذلك اضطّر كبار الموظفين إلى محاولة تهدئتهم . وتكرر الإضراب بعد ذلك مرات حتى اضطّر الوزير أن يتدخل لإعطائهم ما يستحقونه . وتعطينا هذه الوثيقة فكرة عما آلت إليه حالة البلاد من



فوضى كما تعطينا أيضاً فكرة عن مدى رحمة كهنة المعابد بالفقراء من الناس الذين كانوا على وشك الموت جوعاً بينما تكدست الحبوب وأكوام الذهب فى مخازن آمون . كان الكهنة أول من يسمع صياحهم دون أن تتحرك فيهم ذرة من عطف ، بل إننا نعرف من هذه الوثيقة نفسها أن رجال الدين كانوا سوط عذاب على الفقراء . ففى أحد أيام الإضطراب تجمع المتظاهرون خلف معبد مرنبتاح وأخذوا يصيحون ، نحن جائعون ، ، وتصادف أن مر عمدة المدينة فوعدهم بالمساعدة وأرسل إليهم خمسين غرارة من الحبوب من مخازن معبد الرمسيوم ليسعفوا بها أنفسهم حتى يأمر الملك بصرف استحقاقاتهم لهم ، ولكن بعد أيام قليلة وصلت شكوى ضد هذا العمدة من كبير كهنة آمون بأنه قد أخذ دون وجه حق من ممتلكات معبد رمسيس الثانى ليطعم المضربين ، ووصف كبير الكهنة عمله ، أن ما فعله جريمة كبرى، (١) وهكذا كانت تسير الأمور ، فالكهنة يكдسون الأموال ويظلمون الشعب ، والموظفون يستغلون كل موارد الدولة لمصلحتهم ، والملك سادر فى ملذاته ، والأجانب يتحكمون فى شأن الدولة ، ولهذا لا ندهش إذا قام أحد وزراء رمسيس الثالث بثورة ضده فى الدلتا كان مركزها فى ، أتريب ، ( بنها ) ولكن الثورة لم تنجح . وبالرغم من أنها كانت إنذاراً له فإنه لم يتعظ وبدأ أهله أنفسهم يحسون أن حياته أصبحت خطراً على البلاد أو أنه أصبح لا قيمة له فدبروا مقتله .

وقد عرفنا تفاصيل هذه المؤامرة من بردية هاريس . لقد دبرتها إحدى زوجاته لأنها أحسب أن الملك لا يريد أن يجعل من ابنها ، پنتاؤور ، ولياً للعهد ، ولهذا صممت على قتل الملك العجوز وإعلان ابنها ملكاً ، وكان يعاونها فى تدبيرها إثنان من كبار موظفى القصر كانت مهمتهما جمع الأنصار فى البلاد وخارج القصر . ولسنا نعرف مدى نجاح المؤامرة فى الخارج ولكننا نعرف أنه بعد قتل الملك قبض على المتآمرين وكان مع الملكة ( تنى ؟ ) وپنتاؤور الموظفين الكبار فى البلاد عشرة آخرون من الموظفين وكذلك ست نساء كن واسطة بين الملكة وشركائها فى الخارج .

ومن أوراق التحقيق فى هذه القضية نعرف أنه كان من بين الأربعة عشر موظفاً الذين تكونت منهم المحكمة أربعة من الأجانب . وظهر أثناء نظر القضية أن

W. SPIEGELBERG. Arbeiter and Arbeiterbewegung unter den Ramessiden (١) (Strassburg 1895) .

وقد نشر جاردنر فى كتابه. (Ramesside Administrative Documents (London 1984) وفى عام ١٩٥١ ظهرت ترجمة حديثة لها وهى ترجمة أدجرتون

W.F. EDGERTON, Jnes. VOL. X NO. 3 (JULY 1958) . P. 137-145 .

ثلاثة من القضاة قضوا سهرة تناولوا فيها الخمر ومعهم ضابطان من الشرطة فى منزل أحد المتهمين حيث اجتمع هناك نساء بعض المتآمرين ، وكانت نتيجة هذه السهرة أن إنتقل القضاة الثلاثة من كراسى القضاء إلى قفص الإتهام . أما الأحكام التى صدرت عليهم فإن الأمير پنتاؤور وثلاثة من المتآمرين حكم عليهم بالإعدام ، وكانوا يتركون وحدهم فى غرفة المحاكمة لينهوا حياتهم بأيديهم ، ويرى أحد القضاة أما القاضيان الآخريان وضابطا الشرطة فحكم عليهم بجذع الأنف وصلم الأذنين فانتحر أحد القضاة عندما سمع الحكم عليه ، أما المتآمرون الآخرون ومنهم الملكة ، تتى ؟ ، فلا نعرف العقاب الذى وقع عليهم .

وهكذا انتهت حياة رمسيس الثالث بكارثة ، ولكن إنصافا للرجل يجب ألا ننسى أنه كان فى صدر أيامه آخر الملوك العظام الذين حاربوا ولم يفرطوا فى الإمبراطورية ، وكان أيضاً آخر البنائين الذين تركوا أثراً خالداً على الدهر ، فإن معبد مدينة هابو من خير ما شيده ملوك الدولة الحديثة .

لقد أنقذ رمسيس الثالث البلاد من فوضى كانت غارقة فيها ، وكانت الخمسة وعشرون عاما الأولى من حكمه أيام مجد نسبى فى حياة مصر . ولن ينسى له التاريخ أنه أنقذ بلاد الشرق القديم ، وليس مصر فقط ، من خطر داهم كان كفيلا بالقضاء على جميع المدنات ، مثل ما حدث فى خيتا وفى الهند ولكنه انتصر ودون إنتصاره ، فكانت مناظر حروبه ومناظر المعركة البحرية وهى أول معركة بحرية كبرى مسجلة فى العالم وأول معركة بين مصر وأوروبا ( ١١٨٤ ق.م )

ومات رمسيس الثالث عام ١١٦٠ ق.م . ونفسه مملوءة بالحسرة على جحود الناس وتلاه على عرش مصر ابنه رمسيس الرابع .

### خلفاء رمسيس الثالث :

كانت وفاة رمسيس الثالث فى عام ١١٦٠ وكانت نهاية الأسرة العشرين فى عام ١٠٨٠ أى أن خلفاء رمسيس الثالث وهم من رمسيس الرابع حتى رمسيس الحادى عشر حكموا ثمانين عاما . لقد رأينا مبادئ الانهيار فى الجزء الأخير من حكم رمسيس الثالث فلا عجب بعد ذلك أن تسير الأمور من سىء إلى أسوء ، وأن يظل سلطان الملوك يتضاءل شيئا فشيئا حتى أصبحوا ألعوبة فى يد الكهنة . وأخيراً حدث ما لا بد من حدوثه وهو إستيلاء الكهنة على العرش وتأسيسهم للأسرة الحادية والعشرين ، وإعلان كبير كهنة أمون ، وكان إسمه ، حريحور ، ملكا على مصر .

كان هؤلاء الملوك الرعامسة متشابهين فى ضعفهم وفى خضوعهم لسلطان

الكهنة وفي عجزهم عن التغلب على الأزمة الاقتصادية التي بدأت تطحن البلاد ، ومتشابهين أيضاً في عدم استطاعتهم إيقاف الفوضى والانحلال في جميع مرافق الدولة وظلم الموظفين للطبقات الفقيرة .

كان هؤلاء الملوك يعيشون في قصورهم في شرقي الدلتا تاركين إدارة شمال البلاد للوزير في منف ، وكان هناك وزير آخر في طيبة ولكن السلطة الحقيقية كانت في يد كهنة آمون . أما عن نفوذ مصر خارج حدودها فإننا نستطيع أن نقول إنه أخذ يقل تدريجياً في آسيا حتى اقتصر على فلسطين ، ثم أخذ يتضاءل أيضاً حتى زالت هي الأخرى كبلد تابع لمصر ، ولكن ظل نفوذ مصر في بلاد النوبة كما كان عليه من قبل ولم يتأثر بما كان حادثاً في البلاد . ورغم إقامة الملوك في الدلتا فإنهم ظلوا على عادتهم في إتباع التقليد القديم وهو الدفن في طيبة ، وظلت مدينة العمال في دير المدينة على عمرانها ، وقد عثر فيها على كثير من الوثائق سواء من الملفات البردية أو الأوستراكا وقد أمدتنا بالقبس الذي نعرف عن هذا العصر المظلم (١) .

ولم يكن الرعامسة الثمانية من رجال الحرب أو رجال الإصلاح ولهذا قلما نسمع عن أحد منهم خبراً اللهم إلا إشارات عابرة مثلما تحدثت به بردية هاريس أو بردية مالت عن أعمال رمسيس الرابع وما قام به من إصلاحات وإنشاءات في المعابد ، أو تصميم مقبرته في إحدى برديات متحف تورين أو العمل في محاجر الصحراء . ولكن أهم ما جاء من عهده هي البرديات التي تفيض بأنباء الفوضى والانحلال في البلاد ، والسرققات والرشاوى في إيرادات الدولة على السواء . وتلاه رمسيس الخامس فلم يكن خيراً من سابقه وأهم ما وصل إلينا من عصره بردية ولبور الشهيرة التي نعتبرها مصدراً مهماً لدراسة الضرائب وتقسيم الأراضي في ذلك العهد بوجه خاص ، وفي عصر الدولة الحديثة بوجه عام (٢) .

(١) إن البرديات والأوستراكا التي عثر عليها في دير المدينة لهي على أكبر جانب من الأهمية وهي أهم مصادرنا عن دراسة الحياة الاجتماعية في مصر في ذلك العهد . وقد سبقت الإشارة إلى بردية الإضراب ، وهناك بردية أخرى موهي التقارير عن حالة العمل في الجبانة :

G. BOITI AND T.E. PEET, IL Giornale Della Necropoli di Tebe (Turin, 1928) .

وكذلك بردية سرقة المقابر T.E. PEET, The great Tomb-robberies of the twentieth Dynasty, Oxford, 1930.

وهناك عدة مقالات مثل مقال شرني J. CERNY, Fluctuations in Grain Prices during the Twentieth Egyptian Dynasly, in Archiv Orientalni, VI (1933) p. 173 ff.

(٢) عثر على هذه البردية في الأقصر حوالي عام ١٩٢٩ في جهة الخوخة عند تنظيف قامت به مصلحة الآثار لبعض المقابر وقد بيعت هذه البردية بعد رفض المتحف المصري لشرائها إلى متحف بروكلين بأمريكا - وقد نشرها

ALAN GARDINER, The Wilbour Papyrus (3 Vols. ) Oxford, 1948.

وتلاه رمسيس السادس وأهم آثاره قبره فى أبواب الملوك ومقبرة ، بن نوت ، فى عنيبة ببلاد النوبة ، وقد حكم هذا الملك أربع سنوات فقط ولكنه ترك اسمه فى كثير من بلاد مصر وشمالى السودان ، وتلاه كل من رمسيس السابع ثم الثامن ثم التاسع وكانت أيامهم جميعاً أياماً سوداء فى تاريخ مصر وإن كان رمسيس التاسع قد إشتهر فى التاريخ فإن ذلك بسبب برديات سرقات مقابر الملوك فى عهده ، وكان ذلك نهاية ما يمكن أن يصل إليه إضطراب الأمور . ولكن قبل أن نتحدث عن قضية سرقة المقابر يحسن بنا أن نلقى نظرة عامة على الحياة الاقتصادية والروح المعنوية فى البلاد لنعرف الأسباب التى أدت إلى هذه الحالة .

لقد رأينا بدء الأزمة الاقتصادية فى السنين الأخيرة من حكم رمسيس الثالث وكيف كان إرتفاع أثمان الحاجيات ، وبخاصة القمح ، سبباً فى إضراب العمال إذ أن السعر العادى لغرارة القمح كان يعادل ، دبن ، من النحاس ولكن الأسعار إرتفعت فى ذلك العهد قليلاً فكان هذا دليلاً على إضطراب الحالة الاقتصادية فى بلد زراعى . وظل إرتفاع السعر بتلك النسبة القليلة حتى منتصف أيام رمسيس السادس ولكن منذ هذا العهد أخذت الأسعار ترتفع إرتفاعاً جنونياً فأصبح ثمن غرارة القمح ٢ دبن بعد أن كان ثمنها ١,٥ دبن ، ثم إرتفعت مع مرور الوقت إلى ٤ دبن وكذلك إرتفع ثمن الشعير فأصبح ثمن الغرارة الواحدة منه ٨ دبن فى عهد رمسيس السابع ولكن القمح عاد مرة ثانية إلى ٥ دبن فى عهد رمسيس التاسع . أى أصبحت البلاد فى حالة إفلاس وأضحى صغار موظفى الحكومة وعمالها فى حالة ضنك شديد لا يجدون ما يسد رمقهم ، فلم يبق أمامهم إلا السرقة والرشوة اللتين أصبحتا القاعدة فى كل شىء ، خصوصاً وأن المحاكم أصبحت لا قيمة لها إذا كانت الكلمة العليا فى كل شكوى هى ما يحكم به الإله . فإذا إتهم أحد الناس شخصاً آخر بسرقة فإن المتشاكيين يذهبون إلى المعبد ويضعان ورقة أمام تمثال الإله ويطلب الكاهن من ذلك التمثال أن يحكم بينهما . ويبلغ الكاهن المتقاضين بعد ذلك بما حكم به الإله وهو حكم نهائى لا رجعة فيه ، ولا يعتمد إلا على شىء واحد وهو الحصول على إقناع كهنة المعبد قبل التقدم بالشكوى أو عند عرضها . وكانت وسيلة ذلك واحدة لا تتغير فالإله يحكم لمن يستطيع أن يثبت أنه شخص تقى وذلك بتقديم ما يستطيع تقديمه للكهنة . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، أى أن القضايا التى كان يفصل فيها الكاهن هى الشكايات أو المنازعات بين الأهالى ، بل وصل الأمر بهم أن تعيين الموظفين فى وظائفهم ومحاكمة المذنبين منهم ترجع أخيراً إلى وحى آلهة المعابد وحكمهم ، وبعبارة أخرى لم يكن هناك ضمان للعدل فى وقت مضطرب كره ، وكان فى استطاعة المرتشين السارقين أن

يستمرروا فى ذلك طالما كانوا مطمئنين إلى حسن صلتهم بكهنة المعبد أو المسيطرين عليه ، وكانوا يؤكدون صداقتهم من آن لآخر بما يقدمونه لهم من هدايا وغيرهم .  
ولذلك لا يدهشنا أن نرى أثر هذا الانحلال يتسرب إلى جميع مرافق الدولة ، وكان من الصعب على العمال الجائعين الناقمين أن يناموا على الطوى بينما كان على مقربة منهم كنوز مكدسة من الذهب والفضة وغيرها من النفائس ، فى مقابر الأفراد ومقابر الملوك والملكات .

بدأت سرقات المقابر منذ عهد غير قصير ولكنها زادت جداً فى عهد الرعامسة ، وكانت فى البداية فى مقابر الأفراد ثم تعدتها إلى مقابر الملوك . ولم يكن ما حدث فى البر الغربى سرّاً بل كان يحدث علناً؛ لأن السارقين كانوا مطمئنين إلى أن المسئولين سيغفون أعينهم طالما أنهم يأخذون ثمن إغصانهم وسكوتهم ، إلى أن لعب الحسد دوره بين حاكم شرقى طيبة وبين حاكم غربى طيبة الذى كان مسئولا عن الأمن وصيانة المعابد والمقابر . كان كل من الرجلين يريد الحظوة لدى الوزير ولهذا لم يتردد ، پاسر ، حاكم الشرق فى التقدم بتقرير ينبئه بالحالة السيئة التى وصلت إليها الجبانة التى يشرف عليها زميله ، پاورعا ، . وكانت هناك تحقيقات أولية ، وعوينت المقابر فوجدت اللجنة أن ما قاله پاسر غير حقيقى ، لأن تسع مقابر من مقابر الملكات الأربع سليمة وإعترف التقرير بأن محتويات مقابر الأشخاص كانت مبعثرة وملقاة على وجه الأرض . وتركزت نتيجة التحقيق فى أن پاسر شخص كاذب ، واعتبر ، پاورعا ، أن هذه النتيجة تبرئة له ولرجالاه فاحتفلوا بذلك إحتفالاً كبيراً وعبروا النيل إلى البر الشرقى وهتفوا هتافات عدائية أمام بيت پاسر وحدثت مشادة كلامية قدم على أثرها ، پاورعا ، تقريراً للوزير ضد ، پاسر ، وفتح التحقيق من جديد فاكشف المحققون هذه المرة أشياء خطيرة وإعترف بعض المتهمين تحت تأثير تعذيبهم بالحقيقة ، كما ذكر الشهود ما سمعوه وما رأوه وقد دون كل ذلك فى تلك البردية . ومن هذه البردية المعروفة باسم بردية ، أبوت ، نقف على كثير من تدهور الحياة الإجتماعية فى ذلك العهد ونظام التحقيق والقضاء ، ولكن أهميتها الكبرى فيما يمكن أن نقف عليه من معلومات عن المقابر التى سرقها اللصوص وموقعها فى الجبانة بالنسبة إلى بعضها البعض وإلى المعابد الكبيرة ، وهى معلومات ساعدت وستساعد رجال الآثار فى أبحاثهم وحفائهم فى هذه الجبانة المهمة .

وأهم شخصية فى تحقيقات سرقة المقابر كانت شخصية كبيرة كهنة آمون أمنحوتب الذى كان له النفوذ الأكبر فى طيبة ، وهو كبير الكهنة الذى نرى إسمه

ظاهراً واضحاً في معبد الكرنك والذي بدأ بتقليد جديد إذ نرى كبير الكهنة مرسوماً على قدم المساواة مع الملك ، ولم يكن في ذلك ما ينافي الحق في شيء بل أن الملك كان بكل تأكيد أقل نفوذاً وجاهاً ومالاً من كبير كهنة آمون ، ولكن التقاليد كانت حتى ذلك الحين تجعل الملك مقدماً على كل من يحيط به ، وإليه ينسب كل فضل وإذا رسم على معبد أو على حائط قبر فهو مارد يتسامى في طوله ، وكل من حوله يرسمون في حجم صغير .

ولكن ، أمنحوتب ، الذي كان يجمع إلى عمله ككبير للكهنة في جميع المعابد المصرية أعمالاً هامة أخرى مثل إشرافه على خزانة فرعون ووظيفة حامل خاتم الملك لم يكن في حاجة إلى هذا التملق ، فحصل لنفسه من رمسيس التاسع على حق جباية أموال آمون وضرائب بوساطة كتبة المعابد وليس بوساطة موظفي الدولة ، وكانت هذه الإيرادات تدخل رأساً إلى خزانة المعابد ولا تمر بخزانة الدولة ، وهكذا وضع ، أمنحوتب ، الأساس للسياسة التي انتهت بإستيلاء الكهنة على العرش (١) .

وخلف رمسيس التاسع ، بعد حكم طال ثمانية عشر عاماً رمسيس آخر وهو رمسيس العاشر ، ثم تلاه رمسيس الحادي عشر الذي طالت مدة حكمه حتى وصلت إلى الثلاثين عاماً .

ووقعت في تلك السنين بعض أحداث هامة وظهرت في البلاد فكرة لتطهير الدولة من أدرانها وسميت هذه الفترة بعصر النهضة ، حرفياً : تجديد الولادة ، وقد بدأ ذلك العصر في السنة التاسعة عشرة من حكم هذا الملك (٢) ، وربما كان الموحى بهذه الفكرة هم كهنة آمون الذين أرادوا لمصر أن تبدأ عهداً جديداً أساسه الحكم الديني وكان التاريخان يكتبان جنباً إلى جنب . فنرى أن العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادي عشر يوافق العام الأول ، وفي وثيقة أخرى ( نقش على الجدار الخارجي الشمالي من قاعة العيد في معبد أمنحوتب الثاني بالكرنك بين البيولوتين التاسع والعاشر ) أن السنة الخامسة والعشرين من حكم الملك نفسه توافق العام السابع من

(١) نعرف من الأقوال التي جاءت على السنة الشهود في قضية سرقة المقابر أنهم كانوا يؤرخون بعض الحوادث في سنة ، حرب أمنحوتب كبير الكهنة ، مما يحملنا على الاعتقاد بأنه كانت هناك ثورة قام منحوتب بالقضاء عليها : وكان القائمون بهذه الثورة من الأجانب وربما كانوا من الجنود المرتزقة في الجيش .

CERNY, JEA, Vol. XV, p. 194 ff.

(٢) كتب شرنى عن هذا الموضوع بحثاً في  
كما ظهر بحث آخر في مجلة

Journal of Near Eastern Studies, Vol. VII, July 1948 p. 157 ff.



عصر النهضة ولكن هذا العصر لم يدم أكثر من تسع سنوات لأننا نرى فى ختام ذلك الوقت أن كبير الكهنة ، حريحور ، أصبح ملكاً على مصر .

كان حريحور من رجال الجيش ، ومن المرجح أنه كان من نسل الكهنة ، وفى الوقت ذاته ممن كانوا يتصلون بنسبهم إلى البيت المالك القديم ، وكان فى وقت من الأوقات حاكماً للسودان ، وأخيراً وصل إلى الملك . وليس من المستغرب أن يكون الكهنة قد وصلوا إلى الملك ولكن الأمر المستغرب أن يظل الكهنة فترة طويلة منذ عهد رمسيس التاسع حتى نهاية عصر رمسيس الحادى عشر دون إتخاذ هذه الخطوة .

ظلت الأسرة العشرون نحو خمس عشرة ومائة سنة على العرش فقدت فيها مصر أملاكها فى آسيا ، ولكن نفوذها فى بلاد النوبة ظل كما كان من قبل ، لأن مناجم الذهب كانت ملكاً لأمون ، وكانت خيراتها تأتى إلى معابده . وكان كبار كهنته يحسنون إختيار الحكام ويمدونهم بكل ما يكفل لهم السلطة فى أقاليمهم وإشتهر من بينهم فى هذه الفترة العصبية أكثر من فرد واحد مثل پانحسى الذى إستدعاه الملك مرة لإخماد فتنة فى الشمال ، ومثل حريحور الذى أصبح مؤسس أسرة الكهنة فيما بعد (١) .

وفى معبد خونسو بالكرنك نستطيع أن نرى بوضوح كيف تطور الأمر . فمنذ تعيين حريحور كبيراً للكهنة جمع إلى سلطته كمدير الخزانة وقائد الجيش جميع عناصر القوة فى البلاد . فنراه فى مبدأ الأمر يذكر إسم الملك بإحترام على النقوش ثم نراه يضع إسمه إلى جانب إسم مولاة وبعد ذلك نراه يقدم إسمه على إسم الملك نفسه ، وينتهى الأمر بأن نراه وحده يحمل تاج الوجهين القبلى والبحرى فوق جبينه ويتسمى بألقاب الفراعنة . وهكذا إنتهت الدولة الحديثة بإنتهاء الأسرة العشرين ودخلت مصر بحق فى فترة اضمحلال وهى الفترة التى بدأت فى الواقع منذ أواخر أيام رمسيس الثالث .

---

(١) إقرا عن هذه الفترة H. KEES, Herihor und die Aufrichtung des Gottesstaates (Göttingen. 1936) .



### \*\*\* الفصل الثامن \*\*\*

#### العصر المتأخر

أيام الاضمحلال ( ١٠٨٠ - ١٥ ق.م )

xxxxx

الأسرات الواحدة والعشرون حتى نهاية الرابعة والعشرين

الأسرة الحادية والعشرون ( ١٠٨٠ - ٩٥٠ )

#### حريحور وعائلته :

أعلن حريحور نفسه ملكا وحكم في طيبة ، ولكنه كان إذ ذاك شيخا طاعنا في السن ولم يعمر طويلا ، ولسنا نعرف عن أيام حكمه إلا القليل مما خلفه في طيبة وبخاصة بدؤه بالعناية بالمقابر الملكية التي اعتدى عليها اللصوص ، فقد أمر بإعادة دفن بعض الملوك الذين جردهم اللصوص من أكفانهم . ولكن في الوقت الذي كان يحكم فيه حريحور في طيبة كان هناك ملك آخر في الشمال يحكم في مدينة ، تانيس - صان الحجر . في شرقى الدلتا وكان لهذا الأخير ، واسمه ، نسو با نب دد ، وهو المعروف بإسم ، سمندس ، الكلمة العليا على الدلتا وعلى مصر الوسطى حتى أسيوط على الأرجح .

ولسنا نعرف حتى الآن شيئا عن أصل سمندس أو صلته بالبيت المالك القديم اللهم إلا أن زوجته ، تانت آمون ، كانت من العائلة المالكة ، وأصبح لزوجها حق تولى العرش بعد زواجه منها كالمعتاد وليس هناك دليل على حدوث إحتكاك بين البيتين المالكين في الشمال والجنوب بل نكاد نجزم بأن سمندس ، وهو الذي كان أقوى وأكثر نفوذا ، لم ينظر إلى عمل حريحور كأنه عمل عدائى .

ولم تمض إلا سنوات قلائل حتى مات حريحور وخلفه في طيبة ابنه ، بعنخى ، الذى كان فى وقت من الأوقات حاكما للسودان الشمالى وكان قائدا للجيش ، فلم يدع الملك كأبيه وإنما إحتفظ لنفسه فقط بمنصب كبير كهنة آمون وإعترف بأحقية البيت المالك فى تانيس فى الجلوس على العرش .

ومضت الأيام وازدادت الصلة بين ملوك تانيس وكهنة آمون ، وكان سمندس

قد مات وخلفه على العرش الملك بسوسينس الأول ، بأسبا أن خع نوت ، فوثق البيتان الصلة بينهما بأن تزوج بينزم أكبر أولاد بعنخى من ( ماعت كارع ) بنت بسوسينس . فما جاء اليوم الذى مات فيه بسوسينس الأول أعلن نفسه ملكا كما فعل حريحور من قبل ، وعند ذلك ترك لإبنه ، ماساهرتا ، وظيفة كبير الكهنة . ولكن هذا الإبن لم يلبث إلا فترة قصيرة مات بعدها فتولى أخوه ، منخبير رع ، مكانه ، وكان ذلك فى عهد الملك ، أمن إم أويت ، الذى كان يحكم فى تانيس وكان ذلك بين العام السادس عشر والعام الخامس والعشرين من حكم هذا الملك .

وكان كبير الكهنة ، منخبير رع ذا شخصية قوية عرف بدهائه كيف يخضع ثورة قامت بها طيبة ونفى بسببها كثيرون من أهلها إلى الواحات الخارجية ، فأراد مصالحة الأهالى وقبل أن يعودوا إلى وطنهم بناء عن وحى إلهى طبعاً - كما أصدر أمره بأن رغبة الإله آمون هى ألا ينفى أحد مرة أخرى . وجاء الوقت الذى أعلن فيه ، منخبير رع ، نفسه ملكا ويرى بعض المؤرخين أنه تسمى بإسم بسوسينس الثانى ، وهكذا استمر الحال بين تانيس وطيبة إلى أن انتهت أيام الأسرة الحادية والعشرين ، فقد كان يقيم الملك فى شرقى الدلتا ويحكم كبير الكهنة فى طيبة ، ولا شك أن مثل هذه الحالة المرتبكة لم تساعد على استقرار الأمور أو تنقذ مصر مما كانت تعانيه . والوثائق التى تحت أيدينا عن هذا العصر قليلة ، ويحتار المؤرخ فى التوفيق بين ما يقرؤه فيها . وبدأت حفائر تانيس منذ عام ١٩٣٩ تلقى بشيء من الضوء على هذا العصر ، وساعدتنا على حل بعض النقاط ولكن مازالت هناك نقاط غيرها تنتظر ما عسى أن يظهر فى تلك المنطقة أو غيرها من معلومات .

وفى تلك الفترة المضطربة نجد أمامنا ثلاثة موضوعات مهمة فى التاريخ لا بد من الإشارة إليها ولو بشيء من الإيجاز .

### رحلة الكاهن ، ون - آمون ، إلى لبنان : (١)

ليس هناك ما هو أدل على إنهيار نفوذ مصر فى آسيا مما حدث لهذا الكاهن فى رحلته إلى لبنان ليحصل على شيء من خشب الأرز اللازم لتجديد سفينة الإله آمون فى طيبة . فقد إنتهى الوقت الذى كان يسجد فيه أمراء غربى آسيا أمام ملك مصر ويمرغون جباههم فى التراب طالبين منه أن يمنحهم نسيم الحياة ، وإنتهت أيضا تلك

(١) عثر على هذه البردية فى بلدة الحيبة فى مديرية المنيا عام ١٨٩١ واشتراها العالم الروسى جوليتشف وهى الآن فى موسكو وقد ترجمها صاحبها ثم ترجمها برستد أما الترجمة التى يعتمد عليها الجميع الآن فهى ترجمة إرمان إلها فى كتابه عن الأدب المصرى القديم .

الأيام التي كان فيها سكان تلك البلاد يبادرون لتلبية أى إشارة تأتي من مصر ، فقد كان آخر عهد فلسطين وفينيقيًا بالنفوذ المصري أيام أن كانت جيوش رمسيس الثالث تجوس خلال تلك البلاد وتحميها من إذلال ، شعوب البحر ، وحبهم للنهب وسفك الدماء . وها نحن الآن فى عصر الملك سمندس وأيام أن كان حريحور فى طيبة أى لم يكد يمر سبعون عاما على موت رمسيس الثالث حتى نرى مبعوث مصر عرضة للسخرية بل وللسرقة منه ، فإذا ما أشار إلى حق مصر وحق آمون لم يجد إلا إبتسامة الإستهزاء من حاكم جبيل الذى رفض مساعدته بعد أن نهبه اللصوص ، وأخذوا الأشياء التي كانت معه والتي جاء بها ليقدمها ثمناً للأخشاب التي كان يود الحصول عليها . سافر الكاهن ، ونأمون ، من طيبة إلى تانيس حيث حصل على معونة الملك ، نسوبانبدد - سمندس ، وأقلع فى سفينة تجارية يملكها بحار سورى . وسرق ما معه جماعة من شعب ال ، ثكل ، ومن بينها الأوانى الفضية التي كان يريد أن يقدمها هدية إلى أمير جبيل . وأثناء سفره بالبحر من صور إلى جبيل وجد معه جماعة من ال ، ثكل ، ورأى إحدى غرائرهم وكانت تحتوى على فضة وزنها ٣٠ دبناً . ولما كان بعض أفراد من هذا الشعب هم الذين سرقوا منه ٣١ دبناً فإنه أخذ هذه الغرارة رهينة عنده . وعندما وصل الجميع إلى جبيل تقدم بالشكوى إلى أميرها ، زكر بعل ، طالباً حمايته واسترداد حقه . ووجد هذا الأمير أن ذلك معناه حدوث متاعب له مع الآخرين الذين كانوا قراصنة فى البحر الأبيض المتوسط وكانت لهم قوة ، وفى الوقت ذاته كانوا جيرانا له . ورفض أمير جبيل أن يستقبله وطلب منه مغادرة بلده . وأقام الكاهن المسكين تسعة عشر يوماً فى الميناء وفى كل يوم يسمع ما يسيئه ويأمرونه بالرحيل والعودة إلى مصر . وكان ونأمون قد أحضر معه تمثالاً للإله آمون معتقداً أن وجود هذا التمثال معه سيذل الصعاب ولكن تقديره قد خاب فلم يعتن أحد بأمون أو يأبه له من بين الرجال الرسميين . ولكن يلوح أن ما أصاب الكاهن حرك الشعور الدينى عند بعض الناس فأصابته أحد الشبان نوبة . وأخذ يتحدث وهو فى نوبته العصبية طالباً إحسان معاملة آمون ورسوله وأن يقدموا الإحترام لتمثال آمون فاتح الطريق . وقبل زكر بعل، أن يقابل ونأمون وإتفق معه على أن يرسل الكاهن خطاباً إلى سمندس طالباً أن يرسل له شيئاً من المال . فلما عاد الرسول أمر أمير جبيل بإرسال ٣٠٠ من رجاله معهم ٣٠٠ ثور لقطع الأخشاب وإحضارها . فلما جاء وقت رحيله كان أعداؤه القدماء من شعب الثكل واقفين له بالمرصاد لينتقموا منه عندما يغادر الميناء فأخذ ونأمون يبكى ويندب حظه . وأراد أمير جبيل أن يرفه عنه فأرسل إليه طعاماً ومعه مغنية مصرية لتسرى عنه بأغاني وموسيقى بلده . وفى اليوم التالى تمكن الأمير من

إقناع أهالى الثكل بأن يتركوه وشأنه حتى يغادر الميناء . وسواء أكانت نجاته بحيلة بارعة من ذلك الأمير أو لم تكن ، فإنه إستطاع أن يهرب من أعدائه ولكن ربحاً مضادة إضطرتة للإلتجاء إلى جزيرة قبرص وهناك كاد يقتله أهلها . ووجد أخيراً من إستطاع أن يتفاهم معه باللغة المصرية كما إستطاع أن يترجم بينه وبين ملكة قبرص التى عطففت عليه عندما عرفت قصته . وإلى هذا الحد من القصة يقف النص المحفوظ الذى وصل إلينا ، ولسنا نعرف بعد ذلك كيف وصل ونأمون إلى مصر ، ولكننا ندرك من القصة ما وصلت إليه هيبة مصر فى فينيقيا وفى غيرها . وهذه القصة مثل من خير الأمثلة لسهولة القصة المصرية وحسن تصويرها ، وما يتخللها من مواقف الدعابة وتعطينا صورة عن أدب هذا العصر إلى جانب الصورة التى توضحها لنا عن حالة مصر المحزنة إذ ذاك .

### خبينة الدير البحرى :

وإن كان لملوك الأسرة الحادية والعشرين حسنة من الحسنات فهذه الحسنة هى عنايتهم بإصلاح ما حدث من إعتداءات على مومياوات الملوك السابقين فى فترات الضعف والانحلال منذ عهد الملك رمسيس التاسع . وبالرغم من أن بعض الباحثين حاول أن يلصق بالكهنة تهمة تشجيع سرقة المقابر للحصول على الذهب فإنه لا يمكننا قبول هذا الإتهام بسهولة فإننا نعرف أن هؤلاء الكهنة بذلوا كل ما فى وسعهم لإعادة دفن الملوك ، وأخذوا ينقلون مومياواتهم من مكان إلى مكان حتى جمعوها أخيراً فى مكان واحد فى إحدى المقابر القديمة على مقربة من الدير البحرى . وكان الكاهن الأكبر الذى نفذ هذا المشروع العظيم هو بينزىم الذى جعل من هذا المكان مستقراً لمومياوات أسلافه وما بقى من رفاتهم الأصلية ، وكذلك مومياوات أجداده الأقربين كهنة وكاهنات آمون . واقتفى من جاءوا بعده أثره فى تكديس المومياوات فى هذا المكان . واحتفظ الزمن بهذه الوديعة الغالية مذ الأسرة الواحدة والعشرين حتى عام ١٨٧١ عندما تمكن بعض لصوص الآثار من عائلة عبد الرسول فى قرية القرنة من معرفة هذا المكان وإستطاعوا أن يضللوا جميع الناس إذ ظل الأمر سرا بين ثلاثة إخوة كانوا يذهبون فى أوقات متباعدة دون أن يشعر بهم أحد لنقل جزء مما هناك يعيشون منه حتى يذهبوا مرة أخرى ، فلم يدخلوا المكان إلا ثلاث مرات فى عشر سنوات . وأخذت آثار ملكية بين تماثيل وأوراق بردية ، تظهر فى أسواق أوربا ومصر ، وأجمعت التحريات على أن مصدرها جميعاً هو أحد أفراد عائلة عبد الرسول وشخص آخر هو وكيل قنصل إنجلترا فى الأقصر الذى كانت تحميه الإمتيازات الأجنبية . ولم ينجح التحقيق أو التهديد فى حمل عبد الرسول على الإعتراف أو حمل أهل القرنة أو

التجار الآخرين على تقديم أى دليل يساعد المحققين ، فإضطر المحققون للإفراج عنه مؤقتاً .

وهنا حدثت المعجزة . فقد خرج هذا الشخص مزهواً وطالب بأن يكون له النصف جزاء ما لاقاه من سجن وتعذيب . وإختلف الإخوة فيما بينهم وتشاجروا فأبلغ أحدهم وهو محمد عبد الرسول مدير قنا بأنه مستعد للاعتراف ، وأرشد عن المكان .

وجاء رجال مصلحة الآثار ، ولم يكن أحد فى العالم يحلم بما كان هناك . ففى هذا المكان الموحش استقرت مومياوات الفراعنة العظام أمثال سقنترع وأحمس وتحوتمس الثالث وسيلى الأول ورمسيس الثانى وغيرهم وغيرهم ، آلاف السنين ، وهذه هى المومياوات الملكية التى توجد الآن فى المتحف المصرى ، أما البرديات وغيرها من الآثار التى تعد بالآلاف فقد كانت جزءاً من محتوياته .

وبعد ذلك بسنوات قليلة أرشد محمد عبد الرسول نفسه عن مكان بكر فى داخل حدود معبد الدير البحرى وهناك عثروا على مقبرة كبيرة مملوءة بتوابيت الكهنة والكاهنات وهى المجموعة العظيمة الموجودة فى المتحف المصرى الآن ويرجع تاريخها إلى ذلك العهد . وفى عام ١٩٣٤ كشفت أعمال مصلحة الآثار عن مكان آخر فيه توابيت إحدى عائلات الكهنة من الأسرة الواحدة والعشرين أيضاً ، ومن بينها مومياوات وتوابيت ، نسيپاقاشوتى ، وعائلته .

### اكتشاف مقابر صان الحجر :

وكان الحظ أبى إلا أن يحالف هذه الفترة من تاريخ مصر ، فكما إحتفظت الأيام بسر الكهنة وبقية خبيطة الدير البحرى إلى عصرنا الحاضر حيث أمكن إنقاذ الجزء الأكبر منها ، فإن هذه الأيام كانت كريمة أيضاً وذلك بإحتفاظها بمقابر بعض ملوك الأسرة الواحدة والعشرين حتى عام ١٩٣٩ ، عندما عثر عليها أعضاء بعثة الحفرة الفرنسية التى كانت تعمل فى صان الحجر ( تانىس ) مقر ملوك هذه الأسرة .

وكان من ضمن المقابر التى وجدت سليمة لم تمسها يد مقابر الملك بسوسينس الأول ومقبرة الملكة ، موت نرمت ، زوجته كما وجد إلى جانب قبر هذا الملك قبر كبير الكهنة ورئيس الرماة فى عهده واسمه ، أونديباد ندد ، وعثر كذلك على مدفن الملك ، أمنمأويت ، وغيره من الأمراء .

وبالرغم من أنه معروف لنا أن هذا العصر كان وقت إنحلال وتدهور فإن الأشياء التى عثر عليها وبخاصة الحلى الذهبية قد أثبتت أن الذوق الفنى والمهارة فى صناعة الحلى لم تتدهور فى مصر . كما أن كميات الذهب والفضة التى دفنت مع هؤلاء الملوك تثبت غناهم الكبير ، ويكفى لزائر المتحف المصرى أن يدخل قاعة تانيس ويرى ما عثر عليه فى هذه المقابر ليقف على الكثير مما يذهله ويأخذ بتفكيره .

وقبل أن نترك تاريخ هذه الأسرة ونحدث عن نشأة الأسرة الثانية والعشرين يجدر بنا أن نضع فى ذهننا أن ترتيب ملوك هذه الأسرة من الأمور التى لم يتفق عليها علماء الآثار إتفاقا كاملا حتى الآن ، وربما كان حظنا فى معرفة ترتيب كبار كهنة آمون فى طيبة خيرا من حظنا من معرفة تتابع ملوك تانيس بالرغم من حفائر صان الحجر الأخيرة ومحاولات المسيو مونتيه لترتيبهم .

وليس أمامنا من سبيل غير الاكتفاء بما لدينا من معلومات عن هذا العصر المضطرب حتى يحين الوقت لظهور وثائق جديدة تزيد من معلوماتنا عن ترتيب هؤلاء الملوك وبخاصة فى أواخر أيام الأسرة .

## الأسرة الثانية والعشرون ( ٩٥٠ - ٧٣٠ ق.م. )

### أصل ملوك الأسرة :

منذ فجر التاريخ المصرى كان غربى الدلتا هدفا لهجرات أفراد أو جماعات من سكان ليبيا ، ونعرف منذ أيام الملك ، نعرمر ، مؤسس الأسرة الأولى أنه حاربهم وانتصر عليهم . واستمرت هذه المحاولات والغزوات الصغيرة طيلة التاريخ المصرى ولكنها لم تأخذ صورة عنيفة إلا فى عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة عندما هدفت هجرات بعض الشعوب الهندو - أوروبية إلى محاولة الاستقرار فى الدلتا بعد غزوها ، وقد وقع عبء صد غزوات هذه الشعوب على عاتق الملكين مرنبتاح ثم رمسيس الثالث كما أسلفنا .

ولكن قبل أن يتولى الملك مرنبتاح الحكم كان بعض هؤلاء الشعوب ، الذين كانوا إستقروا فى ليبيا وفى غيرها من البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، قد أخذوا طريقهم إلى الجيش المصرى كجنود مأجورين ، ثم أخذ عدد هؤلاء الجنود المأجورين فى الإزدياد واتخذ بعض الملوك من بينهم رجال حرسه وبعض موظفى بلاطه ، ثم مهد هؤلاء الطريق لأبناء جلدتهم وخصوصا من شعب ، الماشوش ، للحضور والإقامة فى مصر فى حاميات فى طول البلاد وعرضها . وهكذا حصلت هذه الشعوب التى كانت فى ليبيا بطريق السلم على ما لم تنله بطريق الحرب ، وأصبح للكثير من زعمائهم مكان مرموق .

ويعنينا من أمر هؤلاء الزعماء أو رؤساء ، ما ، العظام ( إختصار لكلمة ماشوش ) شخص واحد إسمه ، شاشانق ، عرفنا إسمه من حادث إرتبط به ، فى أواخر أيام رئيس الكهنة ، بينزمر ، . فقد كان شاشانق يعيش فى ذلك الوقت فى بلدة ، إهناسيا ، كزعيم لعائلة قوية هناك ، وقد مات ابن له يسمى ، نمرود ، فدفنه فى أبيدوس . وحدث إعتداء على قبره فذهب ، شاشانق ، شاكياً إلى الملك فى تانيس فإهتم بالأمر وسافر بنفسه إلى طيبة ومعه الشاكى ليستمعوا إلى حكم الإله آمون فى ذلك الأمر ، فحكم وحى الإله بإدانة الجناة وأرسل الملك ، ترصية للشاكى ، تمثالا بإسم ابنه ليوضع فى معبد أوزيريس فى أبيدوس .

وليس هناك شك فى أن هذا الحادث يوضح لنا أمرين مهمين : أولهما قوة بعض العائلات التى من أصل لىبى ومحاذرة الملك وكبير الكهنة من إغضابهم ،



والأمر الثانى أن هؤلاء الليبيين كانوا قد تمصروا تمصيرا تاما واعتنقوا ديانة المصريين وأصبحوا كغيرهم من سكان البلاد .

ولكن يحق لنا أن نتساءل مرة أخرى عن « شاشانق » ، هذا وعن أصله والجواب يأتينا عن طريق لوحة أقامها كاهن من إهناسيا ووضعها فى السراپيوم ، (١) وفيها نسبه الذى ينتمى إلى هذه العائلة ومنها نعرف أن شاشانق والد نمرود كان من أسرة ليبية إستقرت وقتا ما فى إحدى واحات الصحراء الغربية ( على الأرجح الواحات البحرية ) ثم نزلت إلى إهناسيا واستقرت فيها منذ ستة أجيال ، وهى تنحدر من شخص يسمى « يويوواوا » الذى كان يعاصر أواخر أيام الرعامسة . وكانت هذه العائلة قد بدأت تمصرها فى الواحات ولهذا لم يمض غير قليل حتى أصبح « موسن بين يويوواوا » أحد كهنة الإله « حرى شف » رب مدينة إهناسيا ، وقد بقى هذا المنصف الكهنوتى فى العائلة التى أخذت تثرى ويزداد نفوذها . ونجح شاشانق الذى تحدثنا عنه فى حصوله على مركز رئيس الحامية الحربية الليبية فى المنطقة ، وبذلك جمع فى يده السلطتين الدينية والحربية . ولم يطل عمر « نمرود » ابن « شاشانق » ليؤدى عملا هاما ولكن ابنه وكان يسمى « شاشانق » مثل جده ، وكان طموحا فمد سلطانه حتى الدلتا وأصبحت تل بسطة ( پرياستت - الزقازيق ) مركزاً له ، وهذا هو السبب الذى حدا بمانيتون إلى القول بأن هذه الأسرة أصلها من تل بسطة . ولكن شاشانق هذا لم يقم بثورة لخلع الملك « پسوسينس » الثانى بل إنتظر حتى مات ميتة طبيعية فتقدم يعاونه غيره فإستولى على العرش فى تانىس ولم يظهر أى عداء للبيت المالك بل إنه كرم ذكرى سلفه وأتم ما لم يتم من أعماله ، وزوج ولى عهده وكان يسمى « أوسركون » من إبنة پسوسينس وكانت تسمى « ماعت - كا - رع » ليجعل مركز العائلة شرعياً من جميع الوجوه .

ومن هذا نرى أنه بالرغم من أن أجداد هذه العائلة كانوا غريبين عن البلاد إلا أنه كان قد مضى عليهم ستة أجيال بعد تمصيرهم واعتناقهم الديانة المصرية . ولم يكن لهؤلاء الملوك وطن آخر يعرفونه ، أو يعتمدون فى حكمهم للبلاد على قوة أخرى ، أو ينقلون خيراتها أو يفرضون جزية لبلاد آخر على الشعب . ولهذا فإنه من التجنى على التاريخ أن يسمى وجود أفراد هذه الأسرة على عرش البلاد أنه إستعمار لىبى أو أن مصر فقدت إستقلالها وأصبحت محكومة بغير أبنائها . ففى كثير من بلاد

(١) MARIETTE, Le Serapeum de Memphis 1857. III pl. 3 ; Breasted, A. R. IV. & 785 - 792 .

الأرض فى الأزمان الغابرة وفى وقتنا الحاضر عائلات ملكية من أصل أجنبى ، ولكن لم يقل أحد أن إنجلترا محكومة بالألمان أو أن اليونان وبلجيكا وهولندا وغيرها مستعمرات ألمانية أو أنها فاقدة لإستقلالها؛ لأن ملوكها الحاليين من أصل ألمانى غير وطنى .

### الملك شاشانق الأول : ( ٩٥٠ - ٩٢٩ ق.م. )

لم يجد شاشانق الأول صعوبة فى إستيلائه على الملك فى الشمال ولكن كهنة آمون فى طيبة لم يرحبوا بهذا التعبير الذى رأوا فيه ما يهدد مركزهم وثروتهم . ولم تكن هناك مندوحة من حدوث صدام بينهم وبين أى شخص يريد الحد من سلطانهم ، ولهذا لم يعترفوا لشاشانق فى بداية حكمه بملك مصر بل أنه كان فى نظرهم ، رئيس ، ما ، العظيم : شاشانق ، كما كتبوه على لوحة مؤرخة فى السنة الثانية من حكمه إذ ورد إسمه كما ذكرنا دون الألقاب الملكية . ولكن لم يمض غير قليل حتى حدث التصادم وفر كثير من هؤلاء الكهنة إلى السودان واستقروا فى مدينة نبتا ولم يطل بهم الزمن حتى أسسوا أسرة ملكية هناك ، كما نفى بعض منهم إلى الواحات الخارجة .

ولنترك شاشانق يوطد من سلطته ويصلح ما إستطاع من الإصلاح لتوحيد البلاد وتنقية إدارتها من نفوذ كهنة آمون ، ونلقى بنظرنا نحو الشرق لنعرف ماذا كان يحدث على حدود مصر ، وصلة مصر بما كان يجرى هناك من أحداث . لقد رأينا أثر هجرات الشعوب الهندو - أوروبية على غربى آسيا ، ورأينا كيف إستطاع رمسيس الثالث أن ينقذ مصر من شرورها وينقذ ممتلكاتها ، ولكن خلفاءه الضعاف لم يستطيعوا السيطرة على هذه الممتلكات فسرعان ما تفككت إلى دويلات صغيرة وأخذت بعض الشعوب الهندو - أوروبية مثل الفلسة ( الفلسطينين ) يستقرون على الشاطىء ، كما بدأت شعوب أخرى تستولى على الموانىء ، وفى الوقت ذاته أخذت قبيلة إسرائيل تغير على البلاد وتوطد لها ملكا جديدا فى فلسطين . ونحن نعتمد فى دراسة هذه الفترة من تاريخ غربى آسيا على رواية التوراة وعلى القليل من الآثار ومنها نعلم أن مصر لم تقطع علاقاتها نهائياً بتلك البلاد بل أن تجارتها إستمرت مع الموانىء فى أيام الأسرة الواحدة والعشرين ، كما نعرف أيضاً أنه فى أواخر أيام هذه الأسرة لم تقف مصر بعيدة عن الأحداث التى كانت تجرى على حدودها .

ظهر الملك داوود فوحد الأسباط وكون مملكة إسرائيل ، وكان لابد له من شن الحرب على من قاوم سلطانه ، وأرسل قائده اليهودى ، يوب ، ليؤدب إدوم ففر أميرها وإسمه ، هدد ، ملتجئاً إلى مصر ، ومعه عدد من رجاله ليفر من المذبحة ، فوجد كل

ترحاب من ملك مصر الذى كان على الأرجح بسوسينس فأنزله فى قصر خاص ورتب له المرتبات وأقطعه ورجاله أرضا ليعيشوا من خيراتها ، بل زاد ملك مصر على ذلك بأن زوجه من أميرة مصرية كانت أختا لزوجته .

وبناء على رواية التوراة أيضا نعرف أن ملك مصر لم يكن على علاقة سيئة بملوك إسرائيل فإن سليمان ابن داود خلف أباه على العرش وكانت علاقته بالبلاط المصرى على خير حالة ، وكانت تجارته آمنة بفضل مصاهرتة لملك مصر الذى أعطاه إحدى بناته زوجة له . ومن قصة التوراة أيضا نعرف أن الملك المصرى ( على الأرجح بسوسينس ) هاجم جنوبى فلسطين ( كنعان ) واستولى على مدينة جزر ، وأحرقها ثم أعطاه هدية أو مهراً لابنته عند زواجها .

وحكم سليمان وقتا طويلا على عرش إسرائيل ومكنته صلته بمصر ومصاهرتة لبيتها المالك من الحصول على المهندسين والفنانين الذين إشتراكوا مع الفينيقيين فى بناء هيكله الشهير فى أورشليم ، وجمع سليمان ثروة عظيمة من التجارة ، وبخاصة تجارة الخيول ، وظل طيلة حياته على صلته الودية كما كانت ، ولكن هذه الصلة لم تمنع ملك مصر من النظر إلى مصلحتهم الخاصة إذ أننا نعرف أيضا أن صلة سليمان بملك مصر لم تمنع الأخير ، وكان شاشانق الأول ، من أن يرحب بعود سليمان وهو « يربعام » الذى كان يرى نفسه أحق بمملكة إسرائيل منه ؛ لأن يربعام كان من سبط إفرايم ، فلما مات سليمان عاد يربعام إلى فلسطين وحدث إنشقاق كبير فلم يتبع « رجبعام » بن سليمان إلا سبطان من الأسباط الإثني عشر وتبع يربعام عشرة منها .

وليس هناك شك فى أن نجاح يربعام كان بسبب تأييد مصر ومناصرتها له ، ولهذا لا نعجب إذا ظل يربعام مواليا لها ، ولا نعجب أيضا إذا كان رجبعام يعتقد أن مصائبه كلها أتت من مصر . وبقي رجبعام يحكم على جزء من البلاد وكانت أورشليم هى عاصمته التى كدس فيها كل ما جمعه داود وسليمان من ذهب وفضة وذخائر أخرى . ولسنا نعرف السبب الذى جعل شاشانق يغضب على إسرائيل فإن المصادر المصرية لم تحتفظ لنا بشيء عن هذه الحملة إلا القليل المسطر على واجهة البابليون الثانى بالكرنك ، ولكنه لا يعدو أن يكون سجلا بأسماء بعض البلاد التى دانت لشاشانق بالطاعة فى فلسطين . ولكن التوراة تذكر لنا أنه « فى السنة الخامسة من حكم رجبعام حنق » شيشاق « ملك مصر على أورشليم واستولى على كنوز بيت الرب وكنوز الملك وأخذ كل شيء » . وتزيد رواية التوراة ( الملوك الأول ١٤ : ٢٥ - ٢٦ ) فتقول بأنه

أخذ كل التروس الذهب التي صنعها سليمان وكان عددها مئتي ترس من ذهب مطرق وثلاثمائة مجن من ذهب مطرق ( الملوك الأول ١٠ : ١٦ - ١٨ ) .

كان لهذه الحملة الحربية أثر عظيم في فلسطين ولبنان ، وتوطيد مركز مصر هناك ، وأخذ ولاية فينيقيا يتسابقون للحصول على رضا مصر فكانوا يضعون في معابدهم تماثيل ولوحات باسم ملك مصر . وظلت هذه الصلة الطيبة وقتاً طويلاً بعد شاشانق ، وعادت لمصر بعض سمعتها ومكانتها في تلك البلاد . أما الثروة العظيمة التي حصل عليها هذا الملك من غزواته الفلسطينية فقد مكنته من إقامة مبان كثيرة أهمها جميعاً قاعته العظيمة في الكرنك والپيلون الذي بناه أمام هذه القاعة وهو أعظم پيلون في مصر على الإطلاق ، وقد مات صاحبه دون أن ينقش جدرانه فظلت حتى الآن كما تركها .

#### خلفاء الملك شاشانق الأول :

لم يهمل شاشانق الأول أمر وظيفة رئيس كهنة آمون فعين فيها ابنه ، يوأبت ، فكان كاهناً أعظم وفي الوقت ذاته كان يحمل لقب ، الرئيس العظيم لما ، أو رئيس الجيوش الكبير ، . وظل يوأبت في هذا المنصب طيلة أيام حكم أبيه فلما مات شاشانق بعد أن حكم واحداً وعشرين عاماً خلفه على العرش ابنه واساركون ، أوسركون ، ، فكان من أوائل أعماله أنه وضع ابنه وكان اسمه شاشانق في هذا المنصب ؛ لأنه خاف من أخيه لئلا يترتب على وجوده ووجود أبنائه على عرش كهنة طيبة أسرة أخرى كهنوتية تنافسه في حكم البلاد .

كان الكاهن الأكبر شاشانق قوى الشخصية فحصل من والده على الإذن له بوضع اسمه في خانات ملكية ، كما نراه أيضاً قد ورث منصبه بعد وفاته إلى ابنه ، حور - سا - إيسى ، الذي إتبع تقليد أبيه في وضع اسمه داخل خانة ملكية ، وكان معاصراً للأيام الأخيرة من حكم جده واساركون ، كما كان أيضاً في وظيفته في أيام الملك ، تكلوت الأول ، الذي خلف واساركون على العرش . وعندما توفي الملك ، تكلوت الأول ، خلفه على العرش الملك ، واساركون الثاني ، وقد أراد هذا الأخير أن يحصل على ثروة كهنة آمون فوضع ابنه المسمى ، نمرود ، كبيراً لكهنة طيبة وكان قبل ذلك كبيراً لكهنة إهناسيا ، وأصبح ، نمرود ، بذلك سيداً لطيبة وللصعيد ، وزوج ابنته المسماة ، كارو - معم ، إلى أخيه ، تكلوت ، الذي أصبح ملكاً في الشمال وتسمى بإسم ، تكلوت الثاني ، . ومن ثمرة هذا الزواج ولد ابن اسمه ، واساركون ، أصبح فيما بعد كبيراً لكهنة طيبة في العام الحادى عشر من حكم والده ، تكلوت الثاني ، .

لم يكن تولى « واساركون » لوظيفة كبير الكهنة إلا تنفيذا لسياسة خاصة . فقد كان طفلاً صغيراً عندما أسند إليه هذا المنصب ، ولم يكن من السهل على الفرع الآخر من العائلة أن يترك السلطة والمال طواعية واختياراً فحدثت فتن وثورات في طيبة جعلته يفر منها ويلتجئ إلى الجنوب . ولكن حزيه تمكن بعد ذلك من إعادة طيبة إلى هدوئها وعاد واساركون في العام الخامس والعشرين من حكم تكلوت الثانى إلى عرشه الكهنوتى . وعلى أحد جدران معبد الكرنك نرى فى أحد النقوش كيف إستقبله أهل طيبة بحماس عظيم ، وربما كان فراره من طيبة فى العام الخامس عشر من حكمه ، وإستمر بعيداً عنها عشر سنوات . ولكن لم تلبث الثورات أن قامت مرة أخرى ، ووصل إلى عرش كهانة آمون شخص آخر وهو « حور - سا - إيسى » ، الذى نعرف أنه كان فى هذه الوظيفة فى العام السادس من حكم شاشانق الثالث ( شاشانق الثانى أعلن أبوه تكلوت الثانى أن شريكه فى الملك ولكنه مات فى حياة أبيه ولم يحكم بمفرده ) وربما كان « حور - سا - إيسى » هذا هو الذى تزعم الثورة ضد واساركون .

ولكن لم يمض غير عام واحد حتى عاد واساركون مرة أخرى وظل بعد ذلك فترة طويلة فى منصبه إلى أن مات فى العام ٣٩ من حكم شاشانق الثالث . وقد تخللت هذه الفترات ثورات متعددة كانت إحداها فى العام الأخير من حياته وقد سببت هذه الثورات إضطراباً كبيراً ليس فى أمور طيبة فقط بل فى مصر كلها ، وبعد موت واساركون خلفه فى عرش كهنة طيبة « حور - سا - إيسى الثانى » الذى كان فى هذا المنصب نفسه عند نفى واساركون .

وفى بداية تولى « حور - سا - إيسى » لمنصبه الكهنوتى فى طيبة بدأت الأمور تأخذ صورة جديدة نتيجة لعدم الإستقرار والتنازع ، إذ أن الآثار التى أقيمت فى الكرنك لم تعد تؤرخ بحكم شاشانق الثالث أو خلفائه بل بإسم ملك آخر إسمه « پا - دى - باستا » الذى يعتبره مانيتون مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين .

### الأسرة الثالثة والعشرون : ( ٨١٧ - ٧٣٠ ق.م. )

انقسمت مصر على نفسها من أثر هذه الثورات المتتالية ، وضعفت سلطة الملوك وقويت سلطة أمراء الأقاليم إذ أخذ كل منهم يقوى نفسه خشية من سطوة جاره ، أو طمعا فى توسيع رقعة ملكه ، ولهذا لم يجد « پا - دى - باستا » كثيراً من المقاومة عندما أراد خلق عائلة مالكة جديدة حكمت فى الشمال فى تل بسطة ، بينما كان هناك ملك آخر فى « صان الحجر » . ويظهر أن « پادى باستا » حكم جزءاً كبيراً من غربى الدلتا ( صا الحجر ) وحصل على معونة كهنة طيبة بينما ظل كهنة منف

على ولائهم للبيت المالك القديم الذين ظل لهم النفوذ على شرقي الدلتا ومصر الوسطى .

ومهما كان الحال فإننا نعرف تماماً أن الأسرة الثانية والعشرين ظلت على العرش لمدة سبعة وأربعين عاماً بعد ظهور ، يا - دى - باست ، ويظهر أن البيتين المالكين تقاتلا في البداية ثم إصطلحا فيما بينهما ، وقبل كل منهما الأمر الواقع وصار في مصر أسرتان ملكيتان تحكمان في وقت واحد . ولكن لم يكن لواحد من هذين البيتين حكم كامل على البلاد التي يحكمها أمراؤها ، إذ أن هؤلاء الأمراء كانوا يعيشون شبه مستقلين وكان لكل منهم جيشه الخاص وبلاطه .

وإذا رجعنا إلى عرش كهنة طيبة فإننا نرى أن الكاهن الأكبر ، حور - سا - إيسى ، أصبح له الحق هو الآخر في كتابة إسمه داخل خانة ملكية . وقبل أن ينتهي حكم ، يا - دى - باست ش إنتهت أيام ، حور - سا - إيسى ، في طيبة وخلفه في العرش الكهنوتي شخص آخر يسمى ، تكلوت ، الذي أرخ بعض آثاره في السنة السادسة من حكم الملك ، شاشانق الرابع ، الذي يلوح بأنه جاء بعد الملك ، يا - دى - إيسى ، . ثم جاء بعد ذلك ، واساركون الثالث ، وغيرهما . وفي الواقع إن توالى الحوادث في هذه الفترة من تاريخ مصر غامض ومرتبك ، وبالرغم من حفائر صان الحجر فإنه ما زال ينقصنا الكثير من المعلومات لنستطيع تحديد تولى الملوك في كل من الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين أو تحديد الصلة بينهما أو بين أحد هذين الفرعين وكهنة آمون (١) .

وقد ترك ملوك الأسرة الثالثة والعشرين بعض الآثار في الصعيد الأعلى وبخاصة في طيبة ، وإمتاز عصر واساركون الثالث بحادثين مهمين أولهما حدوث فيضان عال جداً في الأقصر حطم الرصيف الأمامي وتدفقت المياه إلى معبد الأقصر وأتلفت كثيراً فيه فأمر الملك بترميم ما تهدم وبناء رصيف آخر . أم ثاني الحادثين الهامين فهو أن الملك واساركون الثالث لم يتبع ما أتبعه آباؤه من قبل بوضع أحد أبنائهم في وظيفة كبير كهنة آمون بل زاد على ذلك بأن وضع إبنته ، شب - ان - أوبت ، في هذه الدولة الكهنوتية بإسم ، زوجة آمون الإلهية ، ولم يمض غير قليل حتى زاد نفوذ الزوجات الإلهيات لآمون وغطى على نفوذ كبار

---

(١) نعرف أنه بعد إنتهاء حكم شاشانق الثالث حكم ملكان آخران وهما ، بامى ، و ، عا - خير - إن - رع - ستب - إن - رع ، ، وهو شاشانق الخامس ، كنا لا نعرف عنهما شيئاً هاماً أو آثاراً ذات أهمية .



الكهنة وكانت ، شب - إن - أوبت ، أولى سلسلة من السيدات استمر نفوذهن لمدة قرنين من الزمان .

### الأسرة الرابعة والعشرون : ( ٧٣٠ - ٧١٥ ق.م. )

وصلت الحالة الداخلية في البلاد إلى الحضيض ، ولم يقتصر الأمر على وجود بيتين مالكين فقط بل إدعى آخرون الملك فلما جاء اليوم الذى مات فيه ، شاشانق الخامس ، إدعى أكثر من أمير من الأمراء أنه أحق بالملك وأعلن إستيلاءه على العرش إلى جانب الفرع القديم فى تل بسطة ، وكان أهم هؤلاء أمير مدينة ، صا الحجر ، فى غربى الدلتا الذى أسس بيتا مالكا جديداً وهو الأسرة الرابعة والعشرون ، وكان هذا الأمير يسمى ، تف - نخت ، الذى وجد أن هناك ملكا آخر ينافسه فى إهناسيا وآخر فى الأشمونين وثالثاً فى تل بسطة ورابعاً فى تانيس .. إلخ ولكن رغم كل هذه المصائب فى الدلتا فإن طيبة بقيت على شىء من الهدوء يحكمها كهنتها .

لم يكن ، تف - نخت ، كغيره من الأمراء بل إمتاز عليهم جميعاً بالكثير من القوة والطموح ، ولهذا أراد أن يكون لقبه الذى وضعه أمام إسمه حقيقة واقعة وصمم على إعادة وحدة البلاد إلى ما كانت عليه وأن تكون مصر بأسرها مملكة واحدة كما كانت فى جميع أدوار عظمتها .

وتيسر لـ ، تف - نخت ، أن يخضع جميع أقاليم غربى الدلتا لحكمه ثم ثنى بشرقى الدلتا وترك كل من إعتترف بسيادته من الأمراء فى مكانه إلى أن تم له إخضاع الدلتا بأكملها . ووجه عنايته بعد ذلك إلى مصر الوسطى ولكن الأمور كانت تسير سيراً آخر ، إذ أن هذه الحالة السيئة التى دفعت بـ ، تف - نخت ، إلى إنقاذ مصر دفعت أيضاً غيره للتقدم لإنقاذها ، ولم يكن هذا المنقذ الآخر إلا الملك ، پعنخى ، الذى أرسل من نباتا فى شمال السودان جيشاً لتخليص البلاد مما وصلت إليه من فوضى ، وهكذا قدر لجيوش پعنخى أن تصطدم بجيوش إبنه ، باك - ان - رنف ، . وانتهى الصراع بانتصار جيوش الجنوب وتأسيس أسرة ملكية جديدة وهى الأسرة الخامسة والعشرون وبدء عصر نهضة جديدة فى مصر ، ولكن قبل أن نسرد تفاصيل هذا الصراع يحسن بنا أن نرجع قليلا إلى الوراء لنعرف أصل مملكة نبتا والأسباب التى جعلت ملوكها يفكرون فى إرسال جيوشهم إلى الشمال .



### \*\*\* الفصل التاسع \*\*\*

#### اليقظة

الأسرتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون

( ٧٥١ - ٦٥٦ ، ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م. )

#### مملكة نبتا وحملة بعنقى :

لم يتأثر جنوبى وادى النيل كثيراً بأحداث الشمال إذ ظلت طيبة المسكن الأبدى لآمون وظل الكرنك مركز عرش كبير كهنته ، وكانت بلاد كوش بما فيها من مناجم للذهب ملكا لآمون . ومنذ أن عظم نفوذ كهنة طيبة فى أواخر أيام الدولة الحديثة حكموا الجنوب حكما يكاد يكون مباشرا ، وبخاصة طيلة عهد الأسرة الحادية والعشرين .

فلما رأى كهنتها أن دولتهم قد آذنت بزوال ، ورفضوا الاعتراف بشاشانق وحدثت ثورات طيبة ، أخذ أكثرهم طريقه نحو الجنوب حيث كان جبل برقل مركزاً هاماً لعبادة الإله ، آمون رع ، منذ الأسرة الثامنة عشرة ، وحيث كانت مدينة نبتا التى تقوم عند سفحه ملأى بالمعابد المهمة والقصور ، وأصبحت مدينة ذات أهمية تجارية .

ولا شك أن الكهنة عند رحيلهم من طيبة أخذوا معهم شيئا غير قليل من ثروة آمون ، ولهذا تيسر لهم أن يعيشوا هناك فى بحبوحة من العيش وأن يستمروا فى سيادتهم ، وفى تحويل أمر القضاء بين الناس إلى الأعيب الوحى وأساليب الكهنة الملتوية . ولم يطل بهم الأمر حتى أعلن هؤلاء الكهنة أنفسهم سادة على الجنوب بعد أن صاهروا أهل البلاد وأنشأوا بيوتا مالكا جديداً إدعى منشئه أنه ليس حاكما على كوش فحسب ، بل إنه حاكم على طيبة أيضاً كما كانت التقاليد من قبل .

ولم يقطع حكام كوش الجديدون صلتهم بطيبة بل ظلوا يقدسون إسم آمون ويتجهون بقلوبهم نحو الشمال . وحدثت فى أيام الأسرة الثالثة والعشرين شىء من التقارب بين طيبة وكوش من الناحية السياسية ولكن لم يستمر ذلك وقتاً طويلاً ، إذ ظل بيت نبتا مستقلا فى إدارته ولكن حكامه لم ينزلوا عن دعواهم بأنهم أصحاب الحق فى عرش مصر .

وأول إسم نعرفه من هذه الأسرة هو إسم ، ألارا ، ( Alara ) الذى خلفه ابنه ، كاشتا ، على العرش . وقد بدأ كاشتا يتجه بقلبه نحو الشمال ولكن تحقيق الأمل لم يأت إلا على يدى ابنه ، بعنخى ، الذى خلفه على العرش (١) .

قضى ، بعنخى ، أكثر من عشرين عاما وهو ملك فى نيتا قانعا بصلته بكهنة طيبة ، ولكنه لم يفكر فى إرسال أى جيوش إلى الشمال إلا عندما وصلتته الأخبار بأن الملك ، تاف - نخت ، بدأ فى زحفه نحو الصعيد . كانت هذه التقارير تصل إليه من طيبة بانتظام ، ولهذا أرسل أمره إلى طيبة بالمقاومة وإرسال جيش ليحاصر الأشمونين التى كانت قد إستسلمت لتاف - نخت ، وأعد فى الوقت ذاته جيشا أرسله إلى مصر وزوده يوم رحيله بتعليمات لإحترام المعابد وتخليص البلاد ممن يعيثون فيها فسادا . لم يرسل بعنخى هذا الجيش غازيا يريد الفتح والنصر ، وإنما أرسله ليؤيد آمون وكهنته وينقذ طيبه ممن حدثتهم أنفسهم بالإعتداء عليها . ولهذا نرى بعنخى بذكر جنوده بأنه لا حول ولا قوة إلا بآمون ويأمرهم عندما يرون أسوار طيبة أن يلقوا بأسلحتهم ويظهروا أنفسهم ويدخلوا مدينة آمون خاشعين . وليست هذه التعبيرات ألفاظ فاتح أجنبى وإنما هى ألفاظ شخص يؤمن بأن البلد بلده وأن آمون إلهه .

ووصل جيش بعنخى إلى طيبة وتقدم بعد ذلك إلى الشمال ، فالتقى بجيش ، تاف - نخت ، الذى كان فى طريقه إلى الجنوب فكان النصر حليف جيش الجنوب الذى إستمر جنوده فى زحفهم نحو الشمال منحدرين مع بحر يوسف ، حيث خاضوا معركة أخرى شتتوا فيها شمل جيش الشمال على مقربة من مدينة إهناسيا .

وكان نمرود ملك مدينة الأشمونين حليف ، تاف - نخت ، فى هذه المعركة قد تمكن من الفرار ليحصن مدينته وينظم الدفاع عنها ، فلما رجع جيش الجنوب إلى هذه المدينة لم يستطع التغلب على حصونها فظل محاصرا لها .

وعلم بعنخى وهو فى نيتا بأنباء هذه المعارك وساءه أن يترك جيشه مطاردة العدو ويمكنه من الفرار ، ولهذا صمم على أن يذهب إلى مصر بنفسه ليقود الجيش ، فجاء إلى طيبة فى وقت الإحتفال بعيد ، أبت ، أكبر أعياد البلاد على رأس قوة أخرى . وبعد أن إنتهت أيام ذلك العيد أقلع بجيشه حتى وصل إلى الأشمونين التى

(١) أحدث الأبحاث عن ترتيب أفراد هذه العائلة هو مقال

Dows Dunham, and M. F. Laming Macadam, Names and Relationships of the Royal Family of Napata, in J. E. A, 53 (1949) p. 139-148.

كانت ما زالت تقاوم المحاصرين . ورأى بعنخى أنه من الصعب أن ينالها بهجوم مفاجيء فالتجأ إلى طريقة أخرى ، وشيد خارج الأسوار جسراً كبيراً بنى فوقه برجاً عالياً وأخذ رماته يمحطون المدينة وابلا من سهامهم . ورأى نمرود أن المجاعة أخذت تفتك بجنوده ، وأن هذا الحصار الطويل أنهك قوى الجميع ، وأنه لا حول له ولا قوة أمام هذه الجيوش الجرارة فقرر الإستسلام وأرسل من يفاوض بعنخى لتسلم المدينة بمن فيها ، وفى الوقت ذاته أرسل زوجته لمقابلة زوجات بعنخى لتدافع عن زوجها وتبرر دفاعه عن مدينته ، فحصلت على وعد بالعفو عنه . وفتحت المدينة بعد ذلك أبوابها ودخل بعنخى إلى قصر نمرود حيث قدم إليه كل ثروته وما لديه من حلى وجواهر . وتقدم بعنخى لزيارة حظائر الخيل فهاله ما وصلت إليه من هزال ، وكان الملك السوداني محباً للخيل فثارت ثائرتة والتفت إلى نمرود قائلاً له إن جريمته فى تجويع الخيل آلمته أكثر من جميع آثامه الأخرى ، واستولى على أموال الملك المهزوم وقسمها بين خزينة أمون وخزينة الخاصة .

واستأنف بعنخى زحفه إلى الشمال دون أن يجد أى مقاومة جدية حتى وصل إلى منف وهناك جاءه أمير إهناسيا وغيره من أمراء البلاد لتقديم هداياهم وولائهم ، ولم يشذ عنهم غير إثنين فقط وهما أمير الفيوم وأمير أطفيح لأنهما لم يكونا فى طريق الفاتح . ولم يضيع بعنخى وقتاً أو مجهوداً لمحاولة إخضاعهما بل تركهما حتى ينتهى من أمر منف . فلما وصل إليها أراد من فيها أن يقاوموا الزحف ولكنهم هزموا فارتدوا متحصنين وراء الأسوار القوية . وحاصرت جيوش بعنخى هذه المدينة ولكن الحصار لم يكن دقيقاً إذ تمكن ، تاف - نخت ، من الوصول إليها ومعه ثمانية آلاف رجل وأخذ ينظم الدفاع عنها ، فأوجد ذلك حماساً كبيراً بين الأهالى ، خصوصاً وأنه كان يوجد فى المدينة مؤن كافية لأوقات طويلة كما أنها تقع على النيل الذى كان يجرى فى الناحية الشرقية من أسوارها . وبعد أن إطمأن ، تاف - نخت ، إلى حسن الدفاع غادر منف ليلاً ليجمع جيشاً من الدلتا ويهاجم به جيوش بعنخى ويخلص المدينة .

تضايق بعنخى من ذلك ، وأراد أن يضع حداً لهذا الموقف ، فجمع مجلسه الحربى فأشار البعض من قواده باستمرار الحصار وحبذ البعض الآخر هجوماً شديداً على الأسوار ، ولكن الملك الكوشى أدرك بثاقب بصيرته وجود نقطة ضعيفة فى تحصينات المدينة تصلح لأن تكون مركزاً للمهاجمة . كان النيل مرتفعاً وكانت السفن الراسية فى النيل أمام الجانب الشرقى من المدينة تثبت نفسها بحبال تربط فى أقرب المنازل إلى السور نظراً لارتفاع مياه الفيضان فى ذلك المكان ، ولهذا قرر أن ينقض

على منف من هذه الناحية خصوصا وأن أهلها كانوا يتوقعون الهجوم من الناحية الغربية التي زادوا في تحصينها .

وبمساعدة أسطوله استطاع پعنخى أن يستولى على السفن الموجودة خارج الأسوار ، واستطاع جنوده أن يتسلقوا بسهولة فدخلوا المدينة وفاجأوا المدافعين عنها ودارت مذبحة كبيرة ، ونهبوا البيوت ولكن المعابد والهيكل لم يصبها أذى ، وأخيرا إستسلمت منف ودخلها پعنخى وتوجه رأسا إلى معبد بتاح حيث استقبله كهنتها وإعترفوا به ملكا .

وما أن ذاع خبر سقوط منف حتى سارع أمراء الدلتا إلى تقديم ولائهم وخضوعهم ، ثم زار پعنخى مدينة إيون ( هليوبوليس ) حيث اعترف به أيضاً كهنة الإله رع ملكا على مصر . ثم تقدم بجيوشه نحو الشمال حيث جعل معسكره عند إتريب ( بنها ) فتلقاه ملكها بترحاب كبير ، ووضع كل أمواله تحت تصرفه . فلما رأى الأمراء والملوك الآخرون ذلك إستأذنوا ليعودوا بهداياهم وعادوا بها إليه ولم يشذ فى تقديم الولاء إلا مدينة واحدة فقط وهى مدينة مسد ، التى ربما كانت مكان قرية مسطاي الحالية على مقربة من قويسنا ، فأرسل پعنخى حملة لتأديبها وأهداها إلى أمير إتريب مكافأة له على ما أبداه من إخلاص .

ورأى ، تاف نخت ، أن الجميع قد تخلوا عنه فالتجأ إلى مستنقعات الدلتا ، وأدرك أنه لا فائدة من المقاومة فأرسل يستغفر پعنخى ويقدم ولاءه فقبل منه پعنخى ذلك ، فاستسلم وأقسم يمين الولاء وحذا حذوه كل من أميرى الفيوم وأطفيح ، وبهذا أصبح پعنخى سيد مصر والسودان دون منازع .

وترك پعنخى كل هؤلاء الأمراء ومنهم تاف - نخت يحكمون بلادهم باسمه ، وكان الواجب عليه أن يظل بجيوشه بعض الوقت فى مصر حتى يطمئن على سير الأمور ولكن حدث العكس إذ أنه بمجرد أن إنتهى من قبول خضوع الأمراء قفل عائدا إلى نيتا فكان هذا الخطأ من جانبه سببا فى تجديد المشاكل بعد سفره ، خصوصا وأنه لم يعين موظفين يمثلونه فى البلاد أو يترك فيها حاميات ، بل إطمأن إلى وعود هؤلاء الأمراء التى قطعوها على أنفسهم .

الملك ، تاف ، - نخت مرة أخرى :

لم يكن تاف - نخت صادقا فى تقديم ولائه ، فإنه لم يكد يطمئن إلى عودة پعنخى وجيوشه إلى نيتا حتى بدأ مرة أخرى يوطد سلطانه واستمر فى تلقيب نفسه

بأنه حاكم القطرين وسيد الدلتا والصعيد (١) . وقد استمر حكمه عشر سنوات على الأقل بعد حملة بعنخى على مصر ثم تلاه بعد موت ابنه ، باك أن رنف ، المعروف لليونانيين باسم ، بوخوريس ، والذي حكم ست سنوات ، واشتهر بين اليونانيين شهرة عظيمة بأنه أحد عظماء المشرعين الستة في مصر .

ويظهر أن همة ، تاف نخت ، لم تقف عند حدود مصر بل وجد نفسه مسئولا عن سلامة حدودها من الشرق عندما أخذ الخطر الأشورى يدق أبواب سورية وفلسطين ، إذ نعرف من التوراة ( الملوك الثانى ١٧ ) أنه بعد فتح الملك تيجلات بلسر الثالث لبعض البلاد السورية فى عام ٧٢٥ ق.م. ورجوعه إلى بلاده ، تحالف هوشع ملك إسرائيل مع ملك مصر .

أما نجله ، باك ان رنف ، فأراد بدوره أن يحمى بلاده من قوة أشور فأخذ يثير بلاد فلسطين ووعد الثوار بالمساعدة ، ولكن جيوش فلسطين المتحالفة هزمت شر هزيمة كما هزم الجيش الذى أرسله ، باك ان رنف ، عند رفح هزيمة شديدة ، وكانت هذه الهزيمة درساً قاسياً لـ ، باك ان رنف ، جعلته لا يعاود التدخل فى شئون فلسطين وسورية . فالتفت إلى إصلاح الدلتا وأخذ فى سن القوانين وكان يجلس للقضاء بين الناس ، وكانت أحكامه تشتهر بالتعمق والحكمة (٢) . وحكم ، بوخوريس ، ستة أعوام لم تنته إلا بحضور الملك ، شاباكو ، خليفة بعنخى لاستعادة مصر ، وإذا صدقنا رواية مانيقون فإن ، بوخوريس ، لم يميت ميتة طبيعية بل أن ، شاباكو ، أسره وأمر بإحراقه عقاباً له .

وهكذا تكون الأسرة الرابعة والعشرون مكونة من ملكين فقط وهما ، تاف نخت ، وابنه .

وإذا نظرنا إلى موضوع الصراع بين ، بعنخى ، و ، تاف - نخت ، نظرة محايدة فإننا نجد أن كلا من الرجلين كان جديراً بالإعجاب ، وكان بطلاً وطنياً هاله ما وصل إليه أمر مصر من خراب وفوضى فتقدم لإنقاذها . كان ، تاف - نخت ، رجلاً شجاعاً طموحاً وصاحب سياسة ، وكان ، بعنخى ، أيضاً شجاعاً وطموحاً ولكن لم يكن له علم بفن الحكم ، ولو أنه كان يمتاز كثيراً على خصمه بقوة جيشه وموارده

(١) نعرف ذلك من لوحة فى متحف أثينا مؤرخة فى السنة الثامنة من حكمه وهى تتعلق بتقديم هبة منه إلى معبد صان الحجر : وقد نشرت هذه اللوحة عدة مرات كان آخرها ما نشره : CAPART, Recueil de monuments egyptiens, 2 eme série, 1905 PL. XCII.

Diodorus I, 65, 70, 94.

(٢)

المالية والتأييد الدينى . لقد دافع كل منهما عما كان يعتقد أنه حق له وفيه مصلحة للبلاد . وربما كان من سوء الطالع أن يصطدم هذان البطلان ولكن مهما كان الأمر فإن حياة كل منهما وأسلوب كفاحه يدل على وعى قومى ويقظة وطنية ، جاء أحدهما من الجنوب وجاء الآخر من الشمال ، وكان هم كل منهما أن ينقذ مصر مما حل بها من تفكك وما آلت إليه من انهيار .

وفى الواقع أن هذه الفترة ، وهى فترة الصراع ، كانت بداية لعصر جديد أخذت تستيقظ فيه مصر من سباتها الذى قصت فيه عدة قرون ، وكانت أيام الأسرة الرابعة والعشرين القصيرة ، ثم ظهور الأسرة الخامسة والعشرين وهى بدء النهضة الكبيرة التى ظهرت فيما بعد .

#### خلفاء بعنخى :

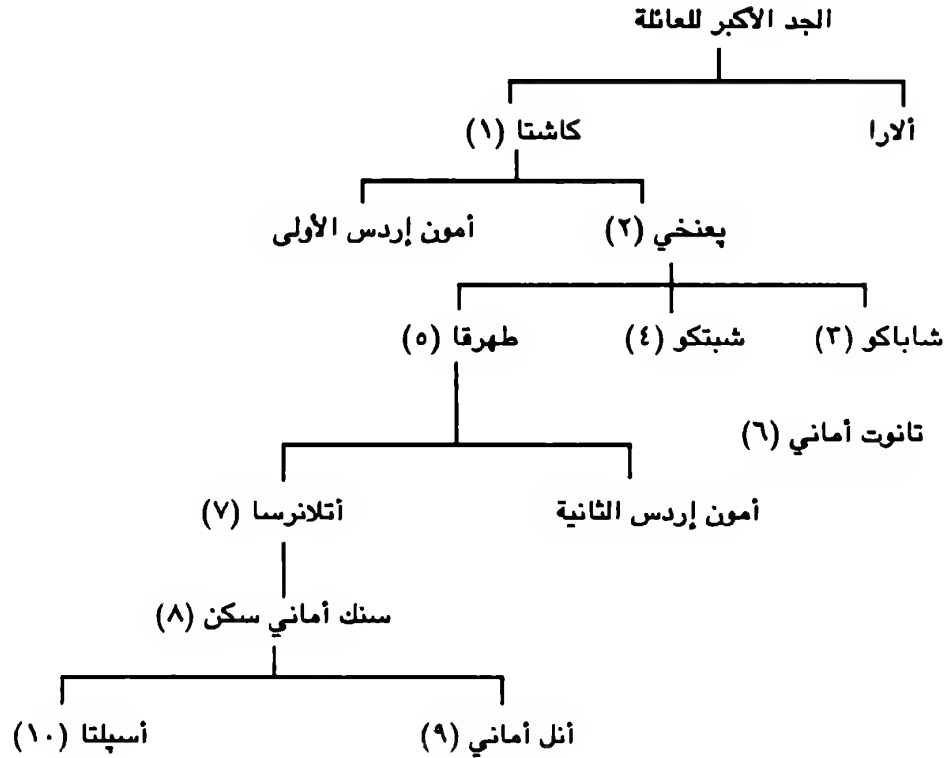
قبل أن يغادر بعنخى مدينة طيبة جعل الأميرة « شب - إن - أويت » ابنه وساركون الثالث ، التى كانت حتى ذلك الوقت الزوجة الإلهية لأمون ، تتبنى أخته « أمندريس » ( أو أمون إردس ) ، وبهذا ضمن لنفسه ولأسرته ثروة أمون .

ولم يظهر بعنخى بعد رحيله عن مصر اهتماماً بأمرها ، وترك « تاف - نخت » و « باك - ان رنف » يفعلان ما يشاءان فى الدلتا دون أن يرسل من يؤدبهما ، وظل قانعا بأن طيبة ، والصعيد بوجه عام ، لم يعتد عليها معتد .

والمتتبع لحياة بعنخى تتولاه الدهشة لهذا المسلك الذى جعله يغادر مصر سريعاً إلى نبتا ولا يحرك ساكناً بعد ذلك . فقد كان كل شىء سائراً فى مجراه العادى فى نبتا على ما نعلم ، ولم تحدث هناك ثورات أو يقوم مطالب أخرى بالملك ولهذا لا يمكن أن يكون تصرفه ناتجاً إلا عن حالة نفسية خاصة لم نعرفها بعد .

وبعد موت بعنخى خلفه ابنه « شاباكو » فعز عليه أن يصل الحال فى شمال الوادى إلى ما وصل إليه . ولهذا أسرع نحو الشمال فأنهى أيام « باك - ان - رنف » كما سبق القول وأقام كثيراً من المباني الدينية ، كما بدأ سياسة المودة نحو دولة أشور فأرسل إلى الملك سرجون الثانى بهدايا ، فلما تلقى من سرجون هدايا أخرى تأكيداً لمودته ، اعتبر شاباكو أن مدلول ذلك أنه أصبح سيد بلاد آسيا ورسمه مصوره على الآثار وهو يمسك بناصية الأسويين الذين أصبحوا عبيداً له .

## الملوك العشرة الأول من عائلة نبتا (١)



وحكم شابابكو نحو ستة عشر عاما ثم تلاه على عرش نبتا أخ له من أبناء بعنخي اسمه ، شبتكو ، . جاء إلى مصر ومعه أخ شاب في العشرين من عمره وهو من طهرقا الذي كان منذ حداثة عمره مغرما بالحرب وكانت فيه صفات أبيه وهمته . كان أمراء الدلتا قد عادوا شيئا ما إلى سلطتهم القديمة ، وكانت بينهم عداوات وحروب ، ولكن طهرقا تمكن من تهدئة الحالة بعض الشيء خصوصا وأن الخطر الآشوري كان قد بدأ يطل برأسه مرة أخرى .

مات سرجون الثاني فخلفه على العرش نينوى ابنه سنحريب ( Sennacherib ) الذي قرر أن يغزو فلسطين فاجتمعت مدنها في حلف لمقاومة المهاجمين ، وأرسلت مصر تآزرهم ووقفت إلى جانبهم . وأرسل ، شبتكو ، جيشاً إلى الحدود تحت قيادة أخيه طهرقا ولكن سنحريب كان يهزأ بمساعدة مصر ، وأراد رجاله أن يحذروا أهل أورشليم أثناء حصارهم من الإتكال على معونة مصر فقالوا لهم جملتهم المأثورة التي احتفظت بها التوراة موجهين الخطاب إلى حزقيا : ، على من



اتكلت حتى عصيت على ؟ هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصة المرضوضة ، على مصر ، التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها . وهكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلمين عليه ، ( الملوك الثاني - الإصحاح ١٨ : ٢٠ - ٢٢ ) . ولكن أورشليم لم تستسلم وسار سنحريب لمهاجمة جيش مصر ، وفي ذلك الوقت حدثت معجزة جعلت سنحريب يفر بفلول جيشه عائداً إلى بلاده إذ تفشى وباء الطاعون في الجيش الآشوري . وتروى التوراة قصة إنقاذ أورشليم وتفسيرها تفسيراً دينياً ، ويرويها هيرودوت ويفسر رجوع الجيش المهاجم وهزيمته تفسيراً روائياً ( Herodotus II, 141 ) وهو أن الجردان إنتشرت في معسكر الآشوريين وقرضت القسي وكنانات السهام وجلد التروس ففر الجنود ؛ لأنهم لم يجدوا ما يحاربون به . ولم يحاول سنحريب مرة أخرى أن يغزو فلسطين ومات مقتولاً بيد أبنائه في عام ٦٨١ ق.م. وخلفه ابنه ، أسرحدون ، الذي لم يكن من بين المتأمرين فتأثر لدمه واستولى على العرش . وفي العام نفسه مات ، شبتكو ، فخلفه على العرش أخوه ، طهرقا ، بن ، بعنخي ، .

#### الملك طهرقا :

وجه طهرقا كل نشاطه إلى الإصلاح الداخلي وبخاصة في إقامة المباني الفخمة في جهات مصر المختلفة ، وكانت طيبة بطبيعة الحال أكثر البلاد استئثاراً باهتمامه . ولم يقيم طهرقا في طيبة بل فضل الإقامة في صان الحجر ليكون قريباً من حدوده الشرقية ؛ لأنه بحكم تجربته الشخصية كان يعلم أنه لا أمان لمصر طالما كانت أشور مستمرة في تطلعها نحو الغرب ، ولهذا ترك إدارة طيبة والصعيد إلى رجل من خيرة رجاله وهو ، منتومحات ، وركز جهوده لدرء الخطر الخارجي الذي كان يتهدهده .

بقى طهرقا في شمال مملكته يرقب الحوادث ويدبر المؤامرات ضد الآشوريين ليقوم الفلسطينيون والفينيقيون بثورات ربما تنتهي بإنسحاب الآشوريين من فلسطين . وكان هو المحرض على ثورة في مدينة صور سببت تعباً كبيراً للآشوريين ، واضطرت ، أسرحدون ، أن يأتي بنفسه على رأس جيش لمحاصرتها ولكنه لم يستطع التغلب على المدينة لمناعتها . وأراد أن يؤدب مصر فترك صور محاصرة وتقدم نحو وادي النيل عن طريق سينا يساعده بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه ، وكانوا أدلاءه في السير حتى وصل إلى وادي الطميلات . ومن وادي الطميلات قصد رأساً إلى منف فقبول بمناوشات مستمرة في طريقه ، ولكنه رغم ذلك

وصلها بعد خمسة عشر يوما فحاصرها واستولى عليها ووقعت في يده ثروتها ، وكذلك عائلة طهرقا ومن بينهم زوجاته وأولاده وبناته . ويفتخر ملك أشور فيما سطره عن هذه الحملة أنه استأصل شأفة الكوشيين وقضى على سلالتهم ، ولكن هذا كان بعيداً عن الحقيقة إذ ظلت لطرهقا قوته ولم يتعد حكم الآشوريين المباشر حدود الدلتا ، ولكن جميع الحكام ومن بينهم ، منتومحات ، . إعترفوا بسيادة ملك أشور ودفعوا له الجزية . وفي هذه الأوقات العصيبة كان أهم اسمين من أسماء حكام البلاد الوطنيين هما ، نكاو ، بن ، باك - ان - رنف ، و ، منتومحات ، وكان أولهما أمير صا الحجر وكان الثاني أمير طيبة . وإعتقد ، أسرحدون ، أن الأمور دانت له وأنه أصبح بانتصاره ملكاً على الدلتا وعلى الصعيد وعلى كوش . وبعد سنوات قليلة عاد طهرقا مرة ثانية ليسترد ما فقده فاستولى على منف وجمع حوله الأمراء وهزم الحامية الآشورية وقام ، أسرحدون ، على رأس جيشه لإخضاع مصر ولكنه مات في الطريق ، ولم يواصل الجيش سيره إلى مصر بل عاد ثانية إلى بلاده . وإذا كانت حملة ، أسرحدون ، لم يكتب لها النجاح ، ونجحت مصر من ويلات الحرب فإن ، أشور بانيبال ، ابن ، أسرحدون ، جمع جيشاً من السوريين والآشوريين وأرسله لمهاجمة مصر فاستولى على منف وفر طهرقا إلى طيبة . وقام بعض أمراء الدلتا بهجومهم على الآشوريين لطردهم وكادوا ينجحون في ذلك لولا أن ، أشور بانيبال ، أسرع بإرسال جيش آخر أخمد الثورة ، ثم إندفع الجيش نحو طيبة . ودافع منتومحات ولكنه لم يستطع رد المهاجمين ووقعت طيبة فريسة للعدو ، ولكن يظهر أن التخريب كان محدوداً فتمكن منتومحات بعد ذلك من إصلاح ما تهدم ، وطهر المعابد والهيكل من رجس الذين دخلوها دون أن يتطهروا . وفي أثناء ذلك قبض الآشوريين على الأمراء الشماليين الذين قاموا بالثورة وعلى رأسهم ، نكاو ، ( نياخو ) وأرسلوهم إلى نينوى . وقد استطاع نكاو أن يحوز على إعجاب ورضاء الملك الآشوري فأعاده إلى مدينة صا الحجر وغمره بالهدايا وزاد على ذلك بأن منح إمارة أتريب إلى ابنه پسمتك .

ومات طهرقا في نيتا ، ولكنه رغم وجوده في الجنوب فإن كهنة طيبة وكهنة منف كانوا يعتبرونه الحاكم الشرعي للبلاد ، كانوا يؤرخون الآثار بإسمه ومدة حكمه ، وذلك بالرغم من أن الأمور كانت قد تغيرت ، وكان هناك في صا الحجر من إدعى الملك ، كما كانت هناك الحاميات الآشورية ومن والاها من أهل البلاد . ومما يستحق الذكر أننا نجد على إحدى لوحات السراپيوم أن أحد العجول قد نفق ، وكان ذلك في العام العشرين من حكم پسمتك الأول ، وأرخه الكهنة في العام السادس والعشرين من حكم طهرقا .

وخلف الملك ، تانوت - أمانى ، عمه طهرقا على عرش نيتا وقد ذكر لنا فى إحدى لوحاته كيف أصبح ملكا وأنه قبل موت عمه رأى حلما فسروه له بأنه سيصبح ملكا على الشمال والجنوب وأنه سيسترد مصر من الآشوريين . وما أن تم تتويجه حتى جمع جيشا وسار إلى الشمال لتحقيق هذه الرؤيا فوصل إلى طيبة ، وكان فيها ، منتومحات ، و ، شب - ان - أويت ، الثانية ، وقول منها ومن جميع الأهالى بإستقبال المنقذ ، ثم سار حتى وصل إلى منف واضطر لخوض معركة مع أمراء الدلتا الذين كانوا موالين للآشوريين فهزمهم . وظل فى منف لىتلقى هدايا وولاء بعض الأمراء الآخرين ولكنه لم يقو على الاستيلاء على أكثر من مدن الدلتا ولم تلبث الأخبار أن جاءت منذرة بوصول جيش من آشور فلم يبق فى الشمال ، وفر عائداً إلى طيبة فتبعته جيوش آشور وسقطت طيبة فى أيديهم ، وذاق أهلها مرارة الأسر والذل وذقت معابدها الأمرين من النهب والتخريب .

وعاد جيش آشور نحو الشمال ، وحاول ، منتومحات ، قدر استطاعته إصلاح ما تخرّب ، وظل على ولائه لنيتا . وهناك أثر مؤرخ فى العالم الثامن من حكم ، تانوت - أمانى ، عثر عليه فى طيبة مع أنه كانت هناك عائلة مالكة أخرى جديدة فى صان الحجر . وقنع ملك نيتا بما حدث ولم يحاول بعد ذلك استعادة طيبة أو طرد الآشوريين من البلاد بل ترك هذا الواجب لأبناء الشمال ، وبخاصة حفيد ، تاف نخت ، ، الذى شاءت الأقدار أن يحقق وحدة البلاد وأن ينهضها من كبوتها وهو الأمر الذى لم يتيسر لجده أن يحققه .

## الأسرة السادسة والعشرون

( ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م . )

### نظرة عامة :

كان القرن السابع قبل الميلاد من أهم الفترات في التاريخ القديم ، ففي هذا القرن من الزمان كانت دول الشرق القديم تتصارع فيما بينها تصارعا مميتا أفنى قواها . فقد رأينا دولة آشور وقد مدت سلطانها على جيرانها ولم تقنع بذلك بل رمت بعينها إلى الغرب فضمت دويلات سورية وفلسطين إليها ، بل إنها ضمت مصر أيضاً . ولكن البيظة التي سرت في بلاد وادي النيل جعلت الشمال والجنوب يفتحان أعينهما على الحقيقة الرهيبة وهي أن دوام تفكك البلاد سيسبب خرابها التام ، فسعى ، تاف - نخت ، من غرب الدلتا و ، بعنخى ، من دنقلة ليعيدوا للبلاد مجدها . وما كانت هذه البيظة لتجعل مصر تصبر على الهوان الجديد . فإذا كان بيت نبتا ترك راية الجهاد يائسا ، فإن أمراء صا الحجر سلالة ، تاف - نخت ، حملوها وتقدموا الصفوف حتى تم لهم النصر والفوز .

ولكننا قبل أن نتحدث عن قصة هذا الصراع يجب أن نلقى نظرنا بعيداً عن وادي النيل لنعرف بعض العوامل الأخرى التي كانت تأخذ دورها في توجيه أحداث هذا القرن الفريد في تاريخ العالم . كانت بلاد اليونان قد اجتازت دور تكوين حضارتها وأخذت شعوبها جزرها ، ومحلاتها التي أنشأتها في آسيا الصغرى ، أو في شمال إفريقيا ، تنشأ نصيبها من الحياة سواء في التجارة أو في ميدان الحروب ، وكانت في ذلك الوقت عاملاً مهماً في حوادث البحر الأبيض المتوسط ، وكان إتصال هذه الشعوب بمصر وشاطئ سورية ذا أثر كبير على الحوادث التي كانت على وشك الظهور . أما الناحية الأخرى من آسيا فقد كانت فيها حركة من نوع مختلف . ففي جبال إيران كان يعيش بعض شعوب من أصل هندو - أوروبي قضت قروناً طويلة بين الجبال تحيا حياة البداوة ولكنها بدأت في العصر بعينه تدخل في دور جديد ، وسرعان ما بدأت تؤثر على بلاد ما بين النهرين ، ولم تلبث أن كان لها الفوز . وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك نحو الشرق لرأينا أيضاً أنه في كل من الصين والهند بدأت الحياة الإجتماعية تدخل في دور جديد ، وفي الهند بالذات كانت الديانة الأصلية للبلاد قد بدأت تمتزج بديانة الشعوب الهندو - أوروبية التي كانت قد غزت الهند من قبل ، ونتج من صلة الهندو بحضارة كل من بلاد ما بين النهرين ومصر آراء دينية جعلت

تتطور مع الزمن حتى وصلت إلى هذا العصر ، ووجدت بين حكماء الهند القدماء من يدعو إلى فلسفة جديدة . كان هذا العصر هو فجر مولد ، الجينية ، التي كانت الأثر المباشر لظهور ، بوذا العظيم ، مؤسس البوذية التي مازالت دينا من أهم أديان العالم حتى اليوم ، والتي كانت منذ نشوئها وانتشارها معينا لكل ما ظهر من ديانات أو فلسفات في العالم القيم . فإذا عدنا إلى مصر مرة ثانية من هذه الجولة السريعة فإننا نراها تترسخ تحت النير الأشوري وتكن من تخريب معابدها ونهب كنوزها ، ولكن هذه الضربة لم تقض على حيويتها فلم تلبث إلا قليلا حتى أفاقت وأخذت ترسم لنفسها طريق الخلاص .

لم تكن مصر وحدها هي التي كانت في مهبط هذه التيارات المختلفة بل كان كل حوض البحر الأبيض في حالة عدم إستقرار ، وبخاصة في فلسطين والشاطئ الفينيقي ، وكان سبب ذلك ظهور الدويلات اليونانية وهي في عنفوانها ووجود جيوش آشور في غربي آسيا .

ومنذ هذا العصر أصبح لدى دارسي التاريخ مصدراً مهماً وهو ما كتبه المؤلفون اليونانيون عن بلاد الشرق . وعن بلادهم وصلتها بغيرها ، ولهذا أصبحت مؤلفاتهم إلى جانب المصادر المصرية من آثار البلاد هي المعين الذي نلتجىء إليه لنشفي غلتنا . وكثيراً ما تتفق كتابات اليونانيين مع ما خلفه المصريون من آثار ولكن هناك اختلافات كثيرة أيضاً ، وعلى المؤرخ أن يوازن بين المصدرين ويتخذ طريقه بينهما ، ولكن هذا الاختلاف على وجه العموم لا يغير شيئاً من الصورة الأصلية ؛ لأنه اختلاف في التفاصيل فقط .

### طرد الآشوريين من مصر :

ليس لدينا مصدر عن طرد الآشوريين من مصر إلا ما سمعه هيرودوت ممن كانوا معاصرين له ( زار هيرودوت مصر حوالي عام ٤٤٥ ق.م. ) أو مما قرأه في كتابات من سبقوه ، وكانت قصته عن الملك الأول صورة للخيال الإغريقي الخصب . فالمرجح أن بسمتك - حاول عن طريقة الكهنة ووحى الآلهة أن تكون له السلطة الكاملة في البلاد وأن يدين له الأمراء ، ولكنه فشل في ذلك وربما اضطر إلى الاختفاء وقتاً من الأوقات في مستنقعات الدلتا . وعاود بسمتك نشاطه ولكن في هذه المرة استعان بجنود مأجورين من الإغريق أمده بهم صديقه ، جيجس ، ( Gyges ) ملك ليديا فكان هذا الجيش عوناً له في إخضاع الأمراء ثم طرد الآشوريين من مصر ، وفر هؤلاء إلى فلسطين وتحصنوا في أسدود<sup>(١)</sup> . ورأى بسمتك - كما رأى أحمر الأول

ERODOTUS II 147 - 157.

(١)

فى حرب الهكسوس قبل أكثر من ٩٩٠ عاما - أنه لا اطمئنان له إلا إذا اجتث الشر من جذوره ، ولهذا تبعهم إلى هناك - وانتهاز الفرصة فأخذ يعيد لمصر شيئا من مركزها الممتاز فى غربى آسيا .

ولكن رواية هيرودوت ليست بهذه البساطة فإنه يقول إن الأمراء كانوا يخشون أن يسعى واحد منهم لينصب نفسه ملكا عليهم . وكان عددهم إثنى عشر فأخذوا الموائيق بينهم وبين بعضهم ألا يتعدى واحد منهم على آخر . وكانت هناك نبوءة بأن الذى سيصبح من بينهم ملكا هو الذى سيصب ماء قربانه فى هيكل پتاح من إناء من البرونز ، ولهذا إتفق هؤلاء الأمراء على ألا يذهب أحد منهم إلى معبد پتاح لتقديم القرابين بمفرده ، بل كانوا يذهبون مجتمعين . وحدث فى يوم من الأيام أنهم كانوا فى المعبد وأرادوا أن يصبوا الماء على القرابين ووقفوا صفا ، وجاء الكاهن بالكؤوس الذهبية فأعطى كل واحد منهم كأساً ليتناول فيه الماء ولكن حدث خطأ فلم يحضر إلا أحد عشر كأساً فقط ، وكان بستمك آخر الأمراء فى الصف فأنقذ الموقف بسرعة بديهته فخلع خوذته البرونزية ومسكها فى يده فصب له الكاهن الأكبر الماء دون أن يلتفت أحد إلى مغزى ذلك . واتضح لهم فيما بعد أن النبوءة تحققت وصار من المحتم أن يصبح بستمك ملكا ، ولكنهم لم يقتلوه لثقتهم فى حسن نيته واكتفوا بنفيه إلى مستنقعات الدلتا فى نفس المكان الذى اختبأ فيه جده فرارا من بعنخى . وذهب بستمك يوما من الأيام إلى معبد بوتو ، ليسأل الوحي عما يخبله له القدر فجاء الوحي بأن الانتقام سيأتى من البحر عندما يصل رجال من البرونز ، ولم يمر إلا وقت قصير حتى نزل إلى شاطئ الدلتا على مقربة من المكان الذى كان يعيش فيه ، بستمك ، قراصنة من اليونانيين والكاريين يلبسون دروعاً وخوذات من البرونز فعرف فيهم الرجال الذين تحدثت عنهم النبوءة ، فأغراهم بالوعد والمال ، وحالفوه وكانوا عوناً فى التغلب على الأمراء الآخرين .

هذه هى رواية هيرودوت ، ولكن الذى نعلمه من المصادر أن القائد المسمى «جيجس» كان صديقاً لبستمك وكان جيجس هذا قد اغتصب عرش مملكة ليديا فأرسل له جنوداً مرتزقة من المدربين على القتال بكامل عدتهم لمعاونته . وبعد أن أصبح بستمك سيدا لمصر كلها طرد الأشوريين أيضاً بمعونة هؤلاء الجند؛ لأن جيجس وبستمك كان كل منهما مهدداً بالأشوريين ولهذا تحالفا على تحطيم جيوشهم فى مصر وفى غرب آسيا .

وما أن تم الأمر لبستمك ودانت له الدلتا كلها وتخلص من جنود آشور حتى بدأ

يفكر فى الصعيد وثروة أمون فى طيبة . وبالرغم من ولاء منتومحات للبيت المالك فى نبتا ووجود الأميرة ، شب - إن - أويت ، الثانية إبنة بعنخى كزوجة إلهية لأمون وإلى جوارها الأميرة ( أمون إردس ) الثانية إبنة طهرقا كابنتها بالتبنى ، فإن كهنة طيبة ومنتومحات لم يجدوا أمامهم مفرأ من الإذعان لبستمك وقبول سيادته ، وقبلت ، شب - إن - أويت ، الثانية أن تعترف بتبنى إبنة بستمك وكانت تسمى ، نت إقرت ، ( نيتوكريس ) لتكون بعدها زوجة إلهية لأمون ، وبذلك يضمن لنفسه هذه الثروة الضخمة . ومن النص الذى يروى لنا احتفالات التبنى نعرف بيان الممتلكات التى آلت إلى نيتوكريس ، وكانت كثيرة وفى أقاليم عدة فى الجنوب والشمال . ولم يذهب بستمك إلى طيبة ليحضر هذه الإحتفالات بل أناب عنه أحد خالصائه المسمى (سماتاوى تاف نخت ) الذى كان حاكما لإقليم إهناسيا وفى هذا الحفل سميت نيتوكريس ( شب - إن - أويت ) وأصبحت ثالث زوجة إلهية لأمون تحمل هذا الاسم .

ولم يطمئن بستمك إلى ولاء كهنة طيبة وخاف من إتصالهم بنبتا ولهذا عين أحد الرجال المخلصين له وهو ( نس ناويار ) فى وظيفة حاكم الجنوب وكان مقره فى إدفو ، وكان الغرض من هذا الإجراء بطبيعة الحال الحد من سلطة منتومحات ؛ لأنه كان من سلطات حاكم الجنوب الجديد أن يكون له الإشراف على الحامية الى كانت فى إلفنتين لتعزيز حراسة الجنوب .

وقام بستمك بإصالحات عديدة ، وأنشأ جيشاً وأسطولا كان قوامهما الجنود المرتزقة من الأجانب وعدد كبير من المصريين ، وقام بإصلاحات كثيرة فى المعابد . وقد طال حكم هذا الملك حتى زاد على الخمسين عام ( ٦٦٣ - ٦٠٩ ق.م. ) ولم يمت إلا بعد أن رأى الإستقرار قد شمل البلاد بدأت تجارتها فى الإزدهار بفضل تشجيعه المستمر للتجار الإغريق الذين كثر توافدهم على مصر لإستيطانها . وإذا كنا نحمد لبستمك الأول جهاده لتحرير البلاد من الآشوريين ونحمد له همته وكفاءته فى القبض على ناصية الأمور ، فإننا لا نحمد له فى إستمراره فى استقدام الجنود اليونانيين إلى مصر وتشجيعه بكل الوسائل للتجار اليونانيين ، إذ أن نتيجة ذلك كانت إبعاد المصريين الوطنيين عن حياة الجندية الصحيحة واعتماد ملوكها على الأجانب لحفظ الأمن ، وفى ذلك دون شك إضعاف للروح القومية ، كما أخذت الثروة تتكدس فى أيدي التجار اليونانيين الذين انتشروا فى طول البلاد وعرضها يحميهم نفوذ الحاميات من أبناء جلدتهم ، فلم يستطع التجار الوطنيون مجاراتهم فى ذلك الوقت . أما فى الفنون فإننا نعرف أن التقاليد الفنية لم تنتشر فى أى وقت من الأوقات ويكفي أن نزر



مقبرة منتومحات فى طيبة وأن نرى تماثيله أو تماثيل غيره من ملوك أو كهنة الأسرة الخامسة والعشرين لندرك أن المدرسة الفنية ، وبخاصة فى طيبة ، لم يصبها الوهن ولم تعدم الابتكار والتجديد مع الوصول إلى المستوى الرفيع ، ولكننا نرى فى الوقت نفسه إتجاهاً جديداً فى الفن والأدب وهو الرجوع لمحاكاة القديم وبخاصة ما كان من الدولة وأحياناً من الأسرة الثانية عشرة . وما هذا التقليد أو المحاكاة إلا صدى للشعور الذى أخذ يحس به الكهنة والفنانون المصريون عندما رأوا اليونانيين يقيمون بين ظهرانيتهم فخشا على تراثهم القديم من الضياع إذا هم تركوا للداعين إلى التجديد ثغرة ينفذون منها . ولهذا جاءت هذه المبالغة التى نحسها فى العودة إلى القديم فى كل شئ . ولكن هذه العودة فى ذاتها دليل على أن الحيوية الكامنة قد بدأت فى الذبول ، إذ أنه ما من شعب فى الأرض ينظر دائماً إلى الوراء ويحاول تقليد آبائه وأجداده ويعيش فى جو كالذى عاشوا فيها رغم مرور الأجيال ، إلا وكان ذلك إيذاناً بتدهوره لأنه مخالف لسنة الحياة .

#### نكاو الثانى : ( ق . م . )

احتفظت مصر أثناء حكم بستمك الأول الذى زاد على الخمسين عاماً باستقلالها واستتب أمورها ، ولكن الأمور فى غرب آسيا كانت قد وصلت إلى درجة الغليان فإن النزاع بين مملكتى بابل وأشور كان يشتد تارة ويضعف تارة أخرى ، حتى تمكنت بابل بعد جهاد طويل من تخليص نفسها من سيادة آشور . أما مملكة الميديين فى إيران فإنها كانت بدورها قد أخذت تظهر على مسرح السياسة فى العالم القديم ، وأخذوا يكيدون بدورهم لمملكة آشور فتحالفوا مع بابل ودمر الحليفان عاصمة الآشوريين ، نينوى ، وقضوا على مملكتهم ، ثم اقتسم الحليفان الجديان الميراث بينهما فكان للميديين جزء كبير من وادى دجلة فى شرقه وفى غربه ، أما بابل فقد آلت إليها سورية .

وأراد نكاو ، أن يستفيد من الظروف وأن يجعل لمصر صوتاً مسموعاً فى سياسة هذا الجزء من العالم فقرر معاونة آشور التى أخذت تحاول الثأر لنفسها ، وجهز جيشاً تقدم به نحو العراق ولكن ، يوشيا ، ملك يهوذا الذى كان حليفاً لبابل تصدى لجيش مصر ، وجهز بمعونة بابل جيشاً وتقابل الجيشان المصرى واليهودى عند مجدو فكان النصر لحليف المصريين وقتل يوشيا ، وخلفه ابنه ، ولكن لم تمض ثلاثة شهور أخرى حتى تمكن جنود نكاو ، من أسره وبعثوا به إلى مصر ، وعين نكاو ، فى مكانه أخاً آخر له وكان اسمه ، اليقيم ، ، وغير اسمه إلى ، يهويقيم ، الذى قبل الخضوع لمصر كما قبل فع تعويض كبير لها ، وتقديم الجزية .

وأتم نكاو إخضاع باقى المدن السورية ووصل إلى الفرات ولكن ، نبو ختنصر ، ( Nabuchodonosor ) ملك بابل جمع جيشاً واعترض المصريين فدارت بين الجيشين معركة كبيرة فى قرقميش ، وكان ذلك حسب رواية التوراة فى العام الرابع من حكم ، يهويعيم ، ( الملوك الثانى : ٢٣ ، ٢٤ وأرميا ٤٦ ) فدارت الدائرة على جيش ، نكاو ، وعاد مهزوماً إلى الدلتا .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق شعور ، نكاو ، بعد هذه الهزيمة فهل صرف نظره عن محاولاته التدخل فى شئون فلسطين وسورية ، والتفت لتشجيع التجارة فأنشأ أسطوله الكبير ، أم أنه أراد أن ينشئ أسطولا قويا ليكون دعامة فى هجومه على سورية كما فعل فراعنة الأسرة الثامنة والتاسعة عشرة من قبل !!

وأنشأ ، نكاو ، أسطولا فى البحر الأبيض المتوسط ، كما نعرف أيضاً من رواية لهيرودوت ( Herodotus, II & 159-9 ) أنه أنشأ أيضاً أسطولا صغيراً فى البحر الأحمر ، وأراد أن يكتشف ساحل إفريقيا فأرسل بعض السفن وفيها ملاحون فينيقيون قضوا ثلاث سنوات فى رحلتهم حول الشاطئ الإفريقى حتى عادوا من بوغاز جبل طارق إلى مصر محملين بجميع خيرات إفريقيا مما حصلوا عليه فى الموانئ التى مروا بها . وكان مما ذكره هؤلاء الملاحون أنهم ساروا دائماً وكانت الشمس تشرق عن يسارهم ولكنهم وصلوا إلى نقطة فإذا بهم يرون أن الشمس تحولت وأخذت تشرق عن يمينهم . ورفض هيرودوت تصديق ذلك بينما أن هذه النقطة بالذات تدل على صدق أنباء الرحلة ؛ لأن ذلك حدث عندما دارت السفن حول رأس الرجاء الصالح .

وكان من أهم الأعمال الإنشائية التى فكر فيها ، نكاو ، أن يحيى من جديد مشروع توصيل البحرين الأبيض والأحمر وذلك بعمل قناة تبدأ من مكان على مقربة من الزقازيق حتى تصل إلى البحيرات فى نقطة قريبة من مكان مدينة الإسماعيلية الحالية ، وهى قناة قديمة أنشئت فى أيام الدولة الحديثة على الأرجح ولكنها كانت تهمل من آن لآخر حتى عفت أثارها . فأراد ، نكاو ، أن يعيد هذا المشروع لتمكين السفن التى فى البحر الأبيض من الملاحة فى النيل حتى منف ثم تأخذ طريقها فى الفرع البويسطى ومنها تخرج إلى هذه الترع فتصل إلى مياه البحر الأحمر . ويقص علينا هيرودوت أن ، نكاو ، تحمس لمشروعه ونفذ الجزء الأكبر منه وهلك فيه مائة وعشرون ألفاً من المصريين ، ولكن نكاو أمر فجأة بترك العمل لأن نبوءة ، بوتو ، جاءت بأن الآلهة تأمره بترك العمل ؛ لأن هذه القناة ليست فى صالح مصر ، وأنه لن

يستفيد منها إلا الأجانب<sup>(١)</sup> . وهذا المشروع هو بعينه الذى أتمه دار الفارسي لمصلحة بلاده ، وهو أيضاً مشروع قناة السويس الذى سبب أكبر النكبات لمصر فى تاريخها الحديث قبل أن تؤمم وتعود أمورها إلى أيدي أبناء البلاد .

### خلفاء نكاو الثانى :

تولى عرش مصر بعد نكاو الثانى ابنه پسمتك الثانى ولم تزد مدة حكمه على سبع سنوات . وإن كان هذا الملك لم يترك وراءه آثاراً كثيرة إلا أننا نعرف أنه ذهب إلى سورية - وربما كانت زيارة فقط وليست حملة حربية - كما نعرف أيضاً أنه ذهب مع جيشه إلى جنوبى مملكته ووصل إلى وادى حلفا . وكان هذا الجيش مؤلفاً من يونانيين ومن مصريين ومن سوريين ومن بعض اليهود ، وقد ترك الجنود الكاريون نقشا يذكرون فيه رحلتهم هذه على ساق أحد تماثيل رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل . ونعرف من أخبار هذا العهد أيضاً أن تجارة اليونانيين وبخاصة المقيمين فى مدينة ، نوكراتيس ، ازدهرت إلى أبعد الحدود كما كثر الجنود الإغريق وأصبحت هناك ثلاث حاميات رئيسية كبيرة واحدة منها ماريا فى غربى مصر على شاطئ البحر المعروفة بإسم مريوط ، وجيش ثان فى شرقى مصر فى ، دفنة ، والحامية الثالثة ، أو الجيش الثالث ، كان فى إلفنتين . ونعرف أيضاً أن هذه المدينة الأخيرة أصبحت مزدهرة وكانت تقيم فيها جالية يونانية تعتمد على التجارة . وكان حكم بستمك الثانى بين عامى ٩٥٤ ، ٥٧٨ ق.م وتلاه على العرش الملك ، واح - إب - رع ، المعروف للمؤرخين بإسمه فى الصيغة اليونانية ( إپريس ) .

• واح - إب - رع ، ( ٥٨٨ - ٢٦٨ ) :

ونحن نعرف تفاصيل حكم هذا الفرعون - كما عرفنا التفاصيل القليلة من حكم سلفه - من هيروودوت ، ومن التوراة ، ومن الآثار القليلة التى أمدتنا بالشىء القليل عن تاريخه .

لم تكن الحالة قد هدأت فى غربى آسيا بل ازدادت سوءاً ، وكان ذلك ناشئاً عن تطاحن الدويلات السورية والفلسطينية فيما بينها والمتاعب التى سببتها أطماع مملكة بابل فى تلك البلاد . وكانت مملكة أورشليم موالية لمصر فقاومت أطماع ، نبو ختنصر ، فاستولت عليها جيوشه ودمرت أورشليم تدميراً كبيراً وأخذت الآلاف من

(١) إهتم بورنز بالعصر الفارسي وكتب أكثر من مرة عن هذه القناة وآخر أبحاثه مقاله

POSENER, Le Canal du Nil à la Mer Rouge, in Chronique d'Égypte No. 26

(1938), p. 259 - 273 .

رجالها القادرين أسرى إلى بابل ( الملوك الثاني ٢٥ ) كما فر كثير من اليهود إلى مصر خوفاً من مذابح البابليين فرحب بهم أپريس وسهل لهم العيش في ربوعها ، وانتشرت جالياتهم في الأماكن المختلفة ، حتى إلفنتين في أقصى الجنوب كانت فيها أيضاً جالية كبيرة منهم .

وإذا كانت فلسطين الداخلية أصبحت تحت رحمة بابل ، فإن مدن الشاطئ كانت تحت رحمة الأسطول المصري . وقد ذكرت لنا المصادر اليونانية أن إپريس قاد جيشاً إلى فلسطين كما هزم أسطول الصيادويين في البحر . وكان ، واح - إب - رع ، ( إپريس ) ميالاً إلى اليونانيين مثل من سبقه من ملوك هذه الأسرة ، ولكن حدث في أيامه رد فعل لهذا الإيثار للأجانب ، وبدأ المصريون يحسون أنه قد آن الأوان لوضع حد لذلك . وجاءت الفرصة عندما إستنجد الليبيون بفرعون مصر ليحميهم من تدفق اليونانيين على بلادهم بعد أن وضعوا أقدامهم هناك بعد إنشاء مدينة قورينة (١) ، وإقتسموا فيما بينهم دون وجه حق مساحات واسعة من أملاك الأهالي ، اغتصبوها ضد إرادتهم .

وكان ، واح - إب - رع ، مضطراً لإرسال جيش لمعاونة الليبيين ولكنه لم يرسل أحداً من اليونانيين؛ لأنه خشى ألا يحاربوا بنى جلدتهم فأرسل جيشاً من المصريين ، فوقع الجيش في كمين بسبب خيانة اليونانيين وكاد يبيده يونانيو ليبيا . وعند ذلك قامت ثورة مصر كما أعلن من نجوا من الجيش عصيانهم فأرسل ، واح - إب - رع ، أحد قواده المصريين لتهدئة الحالة ولكن هذا القائد وكان اسمه ، أحمس ، انتهز الفرصة وقبل مبايعة الجنود له بالملك ، وتقدم نحو مصر التي كانت تلهب بالحماس ضد ، واح - إب - رع ، فلم يجد حوله غير اليونانيين الذين لم يستطيعوا الثبات أمام الجنود المصريين فدارت الدائرة عليهم ، وأخذوا ، واح - إب - رع ، نفسه أسيراً ، فأحسن ، أحمس ، معاملته ، وقبل أن يظل إسمه كملك للبلاد وأن يكون أحمس شريكاً له في الملك . وظل الحال على ذلك نحو ثلاث سنوات إلى أن خان ، واح - إب - رع ، العهد الذي قطعه على نفسه وإستعان بقلول اليونانيين في البلاد ، وقامت حرب بين الملكين فكانت هذه المحاولة سبباً في ازدياد النقمة على اليونانيين خصوصاً وأننا نعلم من النص الوارد على إحدى اللوحات الموجودة في المنحف المصري (٢) أن

(١) تأسست قورينة في عام ٦٣١ ق.م. على يد دوري يسمى Battos أما الثورة فقد حدثت في عام ٥٧٠ عندما تدفقت عليها أفواج جديدة من اليونان .

DARESSY, rec. des Trav. 1900 p. 1-9

(٢)

أحمس أخذ يذكر المصريين بما أصاب مصر من كوارث بسببهم . وقد مات ، واح -  
إب - رع ، فى هذه المعركة ، وأكرم أحمس رفاته واعتنى بدفنها العناية اللازمة .  
أحمس الثانى :

وهكذا أصبح أحمس ( أمريس ) ملكا على مصر وحده ، ويبدأ حكمه فى عام  
٥٦٨ وينتهى فى عام ٥٢٥ وكانت أول صعوبة صادفته هى تهدة ثورة المصريين  
ضد اليونانيين . فقد كان يدرك تمام الإدراك أنه لا يمكن أن يطمئن على سلامة  
البلاد إلا بوجود الجنود اليونانيين ؛ لأن الحالة فى غربى آسيا كانت وصلت إلى أبعد  
حد من السوء ضد مصر ، كما أن قوة اليونانيين بوجه عام ازدادت فى البحر الأبيض  
المتوسط ولم يكن من حسن السياسة إضعاف الجيش وجلب عداوة جميع الدويلات  
اليونانية وشل إقتصاديات مصر إذا تعرض للتجار الأجانب وطردهم من البلاد .

واستطاع أحمس أن يخرج بلباقة من كل هذه المآزق فأرضى شعور الوطنيين  
من رجال الجيش باستدعاء اليونانيين من الحاميات التى على الحدود وأرسل  
المصريين ليحلوا محلهم ، ولكنه لم يسرح اليونانيين بل تركهم يعيشون فى منف  
وأرضى شعور التجار المصريين الذين كانوا يغيرون من ثراء اليونانيين ومنافستهم  
بجمعه التجار اليونانيين فى مكان واحد فى مدينة ، نوكراتيس ، فى غربى اندلتا ،  
وأرضى اليونانيين بأن سمح لهم أن يحيلوها إلى مدينة يونانية بالمعنى الكامل ، وأن  
يقيموا فيها معابدهم وأسواقهم ، وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة وأصبحت مركزا  
رئيسياً للتجارة بين مصر وبلاد اليونان وغيرها .

وكان أحمس رجلا لبقا يحسن مقابلة الناس ، وكان ينصرف إلى عمله أثناء  
النهار فإذا ما انتهى من ذلك ترك لنفسه العنان بين أصدقائه المختارين فى مجالس  
الشراب . وقد أطل هيرودوت فى وصف هذه الناحية من أخلاقه ، فهو سياسى داهية  
ولكنه عرييد لطيف جميل المعاشرة ، وبخاصة مع أصدقائه من كبار القواد أو التجار  
اليونانيين الذين كانوا يأتون إلى مصر .

وعرف أحمس أن الخطر كان كامنا عن يمينه وعن يساره ، فأما عن خطر  
الغرب ، فقد حصن أحمس حدوده وأنشأ حاميات كثيرة على الشاطئ . وفى الواحات ،  
وشجع إقامة الناس فيها ، وبنى المعابد فى سيوة وفى البحرية وفى الخارجة (١) ليجعل

(١) كان ، بسمتك ، و ، واح - إب - رع ، قد فكرا أيضاً فى تعمير الواحات البحرية وأقاما فيها  
المعابد مثل أحمس الثانى فيما بعد .

من الواحات الحصون الأمامية إذا جد خطر وحدثت مهاجمة لمصر من يونانيي ليبيا . أما في الشرق فكان الأمر مختلفا إذ كانت الدولة البابلية تمد بصرها نحو مصر نفسها ، واضطر أحمس لأن يخوض معركة في أوائل سنى حكمه في فلسطين وهزم العدو جنوده الأغريق . ولكن جيوش بابل لم تستمر في هجومها على مصر . ومع ذلك فقد ظل الخطر كامنا واستعد أحمس له باحتلال أسطوله لجزيرة قبرص ، كما عقد محالفة مع ، كرويسوس ، ملك ليديا ، وأنهى نزاعه مع قورينة فصالحهم وتزوج أميرة منها . نجحت سياسة أحمس كل النجاح ، وقضت مصر عهداً مزدهراً في كل ناحية ، وأثرت البلاد إثراء كبيراً من التجارة ، واستقرت فيها الأمور ، ولكن في العام الأخير من حياته أخذت السحب تتجمع ، وكانت العاصفة على وشك الانقضاء على مصر ولكنه مات قبل أن تتعرض مصر لهذا الخطر فكان نصيبه خليفته ، پسمتك الثالث ، التعرض لهذه الكارثة .

#### پسمتك الثالث :

قضى أحمس الثانى ثلاثة وأربعين عاما على العرش ، وكان الخطر في أوائل أيام حكمه آتيا من ناحية مملكة بابل ، ولكن قبل أن يموت أحمس بثلاثين عاما كانت الأمور في غربى آسيا قد بدأت تأخذ طريقا آخر وذلك راجع إلى ظهور ملك جديد للميديين فى إيران اسمه ، قورش ، ( Cyrus ) استطاع فى عام ٥٥٥ أن يصبح الحاكم المطلق للميديين فى بلاد الفرس ثم انقض كالصاعقة يزيل كل من اعترض طريقه فاستولى على ليديا وأسر ، كرويسوس ، كما استولى على مدينة بابل فى عام ٥٣٩ وأصبح سيد غربى آسيا دون منازع ، ولكنه ظل حيث كان ولم يرم ببصره نحو مصر إلى أن مات حوالى عام ٥٣٠ أى قبل موت أحمس بنحو خمس سنوات .

وأخذ خليفته وابنه قمبيز يعد العدة لإتمام ما بدأه أبوه . فأخضع باقى دويلات آسيا الصغرى والجزر اليونانية . وجمع جيشا كبيرا فى آسيا لمهاجمة مصر ، وكان أحد القواد اليونانيين من جيش أحمس قد فر إلى قمبيز وأخذ يغريه بمهاجمة مصر ويرسم له الخطة ويدله على مواطن الضعف فى استحکامات البلاد . ولم تطل حياة أحمس ليرى هذا الهوان إذ مات فى العام الذى قرر فيه قمبيز مهاجمة مصر فسار الجيش تحت قيادة الإغريقى الخائن فكانت أول معركة تقابل فيها جيش الفرس مع جيش مصر عند پلزيوم ( تل الفرما ) . وبالرغم من جيوش استبسال المصريين ومأجورى اليونانيين وحسن دفاعهم تغلبت عليهم جيوش الفرس فارتدوا إلى منف وتحصنوا فيها فتبعتهم جيوش الفرس إلى هناك وأخيراً اضطر المصريون إلى التسليم .

وكان قمبيز مع جيشه فى مصر فأكرم بسمتك الثالث وأحسن معاملته وأطلق سراحه ، ولكن بسمتك حاول مرة أخرى أن يثير الشعور ضد قمبيز فقبض عليه فانتحر. وبعد ذلك سار قمبيز واستولى على طيبة وبعد أن استتب له الأمر أعد جيشين أرسل أحدهما إلى الواحات لكى يحطم معبد آمون فى واحات سيوة أما الآخر قاده بنفسه ليستولى على بلاد كوش ( أثيوبيا ) . وهكذا انتهت أيام الأسرتين الخامسة والسادسة والعشرين وصارت مصر فى عام ٥٢٥ قبل الميلاد محكومة بجيش أجنبى وهو جيش الفرس ، كما رأت أن هذا العدو الجديد أخذ يمد ببصره نحو الجنوب ليقضى على مملكة نپتا ويضم السودان إلى إمبراطوريته الواسعة .



**محرقات**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**

### \*\*\* الفصل العاشر \*\*\*

#### مد وجزر

الفترة بين قمبيز والإسكندر الأكبر

( ٥٢٥ - ٣٣٢ ق.م. )

الأسرات السابعة والعشرون حتى الثلاثين

الأسرة السابعة والعشرون ( ٥٢٥ - ٤١٥ ق.م. )

#### قمبيز في مصر :

لسنا نعرف عن أخبار الفتح الفارسي لمصر من المصادر المصرية إلا قليل ، وبخاصة ما أشار إليه ، وچا - حر - رسنت ، على تمثاله المحفوظ الآن في متحف الفاتيكان (١) من أمر كان مرعى الجانب في بلاط قمبيز وأنه كان أميراً على الأسطول المصرى وأنه استطاع أن يجعل قمبيز ذا عواطف طيبة نحو مصر وآلهتها وبخاصة صان الحجر التى قامت فيها ثورة ( وهو يشير بذلك طبعاً إلى مقاومة المدينة للأجانب عند دخولهم إليها ) لم يكن لها شبيه . ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص ممن انضموا إلى قمبيز ، وتعاون مع الفرس الفاتحين وكان عوناً لهم فى حكم البلاد . أما هيرودوت فيروى رواية أخرى مختلفة فيقول إن الفاتحين عاثوا فى الأرض فساداً وأن قمبيز أساء معاملة الكهنة والآلهة ، بل يعزو إليه أنه قتل العجل أبيس . ولكننا لا نستطيع أن نوفق بين الروایتين فى أن ما ذكره هيرودوت فى إساءة معاملة المصريين وتخريب المعابد كان صحيحاً فى البداية . كما أن رواية ، وچا - حر - رسنت ، صحيحة أيضاً بعد أن هدأت الحالة ؛ لأنه يذكر أن قمبيز أمر بطرد المعتدين من المعابد وإخراجهم منها بعد أن إستقروا فيها ، كما أمر بإصلاحها مما يثبت أن جنوده عسكروا فى هذه المعابد بعد نهبها ، كما أنه يجب ألا يغيب عن ذهننا أن العداء كان مستحكماً بين الفرس واليونان ، ولسنا نتوقع من يونانى أن يكيل المدح لعدوه أو يغمض العين عن مساوئه .

(١) G. POSENER, La Premiere Domination Perse Egypte (Bibl. d'Etudes, XI ) Le Caire 1936. P. 164-171.

هذا الكتاب هو أهم المصادر عن دراسة هذه الفترة من تاريخ مصر وجمع فيه كاتبه بياناً بكل آثار هذا العصر .

أما عن الجيشين اللذين خرجا من طيبة إلى إثيوبيا وإلى الصحراء الغربية فإن قمبيز نفسه كان على رأس أولهما وقد بالغ هيرودوت في قص قصة هذا الجيش وما لقبه من مخاوف ثم جاء استرابون فزاد في الرواية وتفنن فيها . وعلى أى حال فإن هذا الجيش قد ذهب حقيقة إلى الجنوب ووصل إلى مروي (١) ، ولكنه أصيب بهزيمة كبيرة على يدى ملوك نبتا الذين إلتقوا بهذا الجيش بعد أن خارت قواه وأصابه الجوع والخوف والتعب .

أما الجيش الآخر فكان نصيبه أسوأ من نصيب الأول إذ أنه خرج من طيبة فوصل إلى الواحات الخارجة بعد سبعة أيام ومكث هناك بعض الوقت وأخذ معه ما يلزمه من مؤونة وأدلاء ، وذهب فى طريقه إلى واحة سيوة . ولكن هذا الجيش بأكمله هلك فى الصحراء ولم يعد شخص واحد منه إلى الخارجة أو يصل جندى واحد إلى سيوة ، ومازال هذا الجيش مطموراً تحت رمال الصحراء الغربية حتى الآن . والسبب الذى دعا إلى غزو أثيوبيا كان دون شك الطمع فى ثروتها وذهبها وحب الغزو والفتح ، أما سبب إرسال جيش على سيوة فكان له دافع آخر . كان العالم القديم إبتداء من القرن السابع قبل الميلاد يؤمن إيماناً كبيراً بنبوءات الوحي التى تأتى من بعض المعابد واشتهرت فى بلاد اليونان وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط بعض مراكز للنبوءات كان يؤمن بها الناس إيماناً أعمى واشتهرت من بينها شهرة كبيرى نبوءة آمون فى سيوة ، التى كان يحج إليها حكام وقواد بلاد اليونان يسألونها عن المستقبل فتحققت نبوءتها . وسلل كهنة آمون فى سيوة عن قمبيز وغزو الفرس لمصر فجاء الجواب بأن الفرس سيرحلون وأن قمبيز سيلاقى سواء المصير فى القريب العاجل .

وكان التنافس شديدا بين الفرس واليونان ، ولهذا كان رد نبوءة آمون مشدداً للعزائم وداعياً إلى اتحاد الإغريق ، فأراد قمبيز أن يثبت تفاهة هؤلاء الكهنة فأرسل عليهم الجيش لهدم المعبد وقتل كهنته . ويؤكد لنا هيرودوت - الذى كتب تاريخه وزار مصر بعد خمسة وسبعين عاما من هذه الحوادث - أن كهنة آمون فى سيوة سئلوا عن مصير هذا الجيش فقالوا بأنه حدث فى اليوم الرابع بعد أن تركوا واحة الخارجة ، عندما استراحوا فى منتصف النهار ليتناولوا طعامهم ، أرسل عليهم آمون غضبه وانتقامه فقامت زوبعة رملية شديدة ردمتهم تحتها .

وسواء أصح ما ذكره هيرودوت بأن قمبيز أصابه الجنون عندما رأى فشله

(١) أحدث الأبحاث لتأكيد وصول قمبيز إلى مروي ما كتبه

G. A. WAINWRIGHT, The Date of the Rise of Meroe in JEA (38) 1952, p. 75-77.

واقترف فظائع كثيرة ، أو أنه لم يجن ، فإننا نعرف أنه لم يبق في مصر كثيراً بعد فشله في السودان ومات في سورية وهو في طريقه إلى بلاده .

دارا بن قمبيز ( ٥٢٢ - ٤٨٥ ق.م. ) :

ترك قمبيز والياً فارسياً على مصر فجعل مركز حكومته في منف . وما أن جاءت الأخبار بموته حتى قامت ثورة في ليبيا فأرسل الوالى الفارسى واسمه ، أريانوس ، حملة لتأديب العصاة فكان الفشل نصيبها ، وقتل قائدها عند عودته إلى مصر عقاباً له . ورأى داريوس ( وهذا هو النطق اليونانى لإسمه ) أن سياسة أبيه في الإسراف في الشدة كانت قاسية وأراد أن يستأنس برأى ، وچا - حر - رسنت ، فاستدعاه إلى فارس فأشار إليه بعدة أشياء أمر بتنفيذها ، ومنها إعادة النظر في القوانين والغاء ما أصدره قمبيز من قانون يقضى بمصادرة إيرادات أكثر معابد مصر ، كما أمر أيضاً بجمع كل القوانين التى وضعت في مصر حتى نهاية حكم أحمر الثانى؛ لأنه أراد أن تحكم مصر بقوانينها ، وأمر أيضاً بإصلاح ما تهدم من المعابد بقدر الإمكان .. وأنت هذه السياسة الجديدة ببعض النتائج وهذأت الأمور فجاء داريوس إلى مصر عام ٥١٨ وأمر بالاستمرار في الإصلاحات وإتمام معبد الخارجة الكبير الذى كان أحمر الثانى بدأ في تشييده ، كما أصدر أوامره إلى الحكام الفرس بمراعاة شعور الناس وتقديم القرابين للآلهة المصرية وبخاصة العجل أبيس الذى كانت لعبادته في ذلك الوقت الأهمية الكبرى في عاصمة مصر ، وكان لهذا التسامح أثره بين الفرس فبدأ كثيرون منهم يعتنقون الديانة المصرية ويتسمون بأسماء مصرية .

وأراد ، دارا ، أن يضمن للفرس ميادين اقتصادية للتجارة ليخرجها شيئاً فشيئاً من أيدي اليونانيين ، فأمر بإتمام القناة التى لم يتمها ، نكاو الثانى ، فكان لهذا العمل أثر كبير في تجارة العالم القديم .

ولم يكن من السهل أن تطأىء مصر رأسها لهذا العدو الجديد ، ولم تخدع نفسها بالرضوخ للغاصب مقابل بعض إصلاحات أو إقامة بعض المعابد ، ولهذا ظلت شعلة الوطنية ملتهبة في القلوب وكانت مصر تؤيد من قلبها الإغريق الذين بدأت الحروب بينهم وبين الفرس تأخذ شكلاً خطيراً ؛ لأنهم لم يكونوا مهددين بالقضاء على ثروتهم في التجارة فقط ، بل كانوا مهددين أيضاً بغزو بلادهم ، لأن دارا أخذ يعد نفسه لهذه المهمة الكبيرة بإنشاء أسطول ضخم . وجاء عام ٤٩٠ الذى شهد هزيمة الفرس في موقعة ( ماراثون ) وبدأ داريوس يعد عدته للإنتقام . ومن المحتمل أن يكون قد سحب من مصر بعض جيوشه لاستخدامها في المعركة القادمة وكان ذلك

فى العام الرابع بعد ماراثون أى فى عام ٤٨٦ ، وعند ذلك هبت ثورة عاتية فى الدلتا ضد الفرس سببت لهم خسائرا كثيرة وجعلت اليونانيين يظهرين فرحهم الشديد ، فصمم داريوس على سحق المصريين والإغريق معا ولكنه مات فى السنة التالية قبل أن ينفذ وعيده .

### خلفاء دارا وجهاد المصريين ضد الفرس :

ونفذ كسر كسيس رغبة أبيه وسار فى السنة الثانية من حكمه إلى مصر وقضى على الثورة ونشر الإرهاب فى كل مكان . وظلت قبضة الفرس قوية على عنق مصر طيلة حكمه ، ولم يكن يعزى المصريين إلا سماعهم بأخبار هزائمه فى حربه ضد اليونانيين . وكان اليهود فى إلفنتين وغيرها من المدن المصرية أعوانا للفرس ضد المصريين فى نضالهم . وأخيرا مات كسر كسيس غيلة وتولى الملك بعده ابنه ( ارتا كسر كسيس ) Atraxerxes ( ارتا خشاشا ) الأول فى عام ٤٦٤ ق.م. وبعد أربعة أعوام من حكمه قامت فى مصر ثورة شديدة فى عام ٤٦٠ كان على رأسها أميران مصريان استطاعا بما قدماه من مال أن يحصلوا على معونة أثينا ، فأرسلت إليهما أسطولا من السفن ذات الثلاث طبقات وصلت من البحر الأبيض المتوسط حتى منف . وكان لهذه المعونة أثرها فى انتصار المصريين على الجيش الكبير الذى أرسله ارتا كسر كسيس وكان مكونا من ٤٠٠,٠٠٠ جندي ، ففرت بقية هذا الجيش إلى منف حيث تحصنوا فى جزء منها ، وحاصره المصريون مدى ثمانية عشر شهرا حتى وصلت إليهم نجدات أخرى . ولم يتمكن المصريون وحلفاؤهم من الإستمرار فى القتال فتركوا الحصار وعاد الأسطول من مصر فى طريقه إلى بلاده . ولكن الثورة ظلت مستمرة ومات أثناء ذلك أحد الأميرين فظل الآخر وكان اسمه ( أمون - حر ) على رأس رجاله ينازل الفرس ويجالدهم ويثير الشعور القومى . وكثيراً ما كان يعتمد على أثينا ، فتارة كانت تلبى نداءه ، وتارة أخرى تخيب ظنه وتتركه وحده .

وأخيراً جاء عام ٤٤٩ الذى عقد فيه الصلح بين أثينا وفارس ورأى الفرس أن الفرصة سانحة أيضاً لإنهاء الأثر السىء الذى أحدثته قسوتهم فى مصر وأرادوا إرضاء الشعور المصرى بتعيين ابنى زعيمى الثورة فى مكانى أبيهما ولكن الثورات استمرت ، وحتى بعد موت ارتا كسر كسيس فى عام ٤٢٤ واجتهاد ابنه داريوس الثانى فى مراضاة المصريين فإن الحالة لم تهدأ . وأخيرا تخرجت الأمور وأصبحت الثورة عامة فى عام ٤١٠ وهى الثورة الكبرى التى اتخذت شكل حرب مستمرة انتهت بتحريض مصر .

## الأسرة الثامنة والعشرون

( ٤٠٤ - ٣٩٨ ق.م. )

### استقلال مصر :

ولسنا نعرف شيئاً كثيراً لسوء الحظ عن الثورة العامة التي اجتاحت مصر وأخذت تتسع حتى أصبحت نضالاً سافراً عنيفاً بين مصر وبين عدوها . وكل ما نعرفه أنه في عام ٤١٠ وهو عام بدء الثورة أحس المصريون أن موقف اليهود منهم أصبح لا يطاق ، ولهذا كانت الشرارة الأولى موجهة ضد يهود إلفنتين فهدموا معبدهم هناك ، وتفرق كثير منهم ، وانتشرت الحرب بعد ذلك فاستمرت ست سنوات حتى تحررت مصر في عام ٤٠٤ ، وفي عام ٤٠٧ ق.م. كان يهود إلفنتين قد أخذوا يبذلون مساعيهم لإعادة بناء معبدهم الذي هدم وحرق ونهبت محتوياته إنتقاماً منهم ومن مظاهرتهم للفرس ، وأخذوا يكتبون الرسائل إلى جميع زعماء اليهود في الشرق يطلبون مساعدتهم في ذلك ليبذلوا نفوذهم لدى حماتهم الفرس ليسمحوا لهم بإعادة تشييده ، متعهدين ألا يحرقوا فيه أي مأكولات إرضاء لديانة الفرس التي كانت تحرم تنجيس النار إذا وضعت فيها أو لامستها جثث حيوانات ميتة .

وعثر في خرائب إلفنتين ، حيث كانت تقيم تلك الجالية ، على كمية من أوراقها وفيها صور من تلك المراسلات التي تذكر أن حرق معبدهم كان في العام الرابع عشر من حكم داريوس ، وأن الذي أصدر الأمر بحرقه شخص يسمى ، قیدارانج ، وكان زعيم الجالية اليهودية يسمى ، يدونيا بن جمارياه ، وكان يكتب باسم الجالية كلها . ومن بين رسائله واحدة ربما كانت موجهة إلى الحاكم الفارسي يعرض فيها بإسمه واسم جميع الزعماء اليهود أن يدفع له في منزله كمية من المال ( فقد الرقم لسوء الحظ ) وألف أردب من الشعير كرشوة له إذا سمح لهم بإقامة ذلك المعبد في مكانه (١) .

### الملك أمون حر : ٤٠٤ - ٣٩٨

كان قائد الثورة هو ، أمون - حر ، الذي أصبح ملكاً على البلاد كلها بعد طرد الفرس وأصبح المؤسس والملك الوحيد للأسرة الثامنة والعشرين التي كان مقرها في مدينة سا ( سايس - صا الحجر ) .

(١) أهم تلك الرسائل المكتوبة باللغة الآرامية ترجمها حديثاً جنزيرج ترجمة دقيقة وهي منشورة في

كتاب Ancient Near Eastern Texts, p. 491-492 .

اعترفت مصر كلها له بالسيادة واعتبرته منقذها من الطغاة ، وذكره كتاب اليونان ، ولكننا لسوء الحظ لم تصلنا آثاراً مهمة من عهده ، والأثر الوحيد المؤرخ هو إحدى البرديات الآرامية من إلفنتين ، كانت بين أوراق الجالية اليهودية التي عاشت هناك ، وهي مؤرخة في السنة الخامسة من حكمه .

ورفق المصريون بمن بقي من اليهود وتركوهم يعيشون حيث كانوا . ولكن بعد حكم ، آمون - حر ، إنتقل الملك إلى بيت آخر ، وملوكه هم الذين أسماهم مانيتون ملوك الأسرة التاسعة والعشرين .

### الأسرة التاسعة والعشرون : ( ٣٩٨ - ٣٧٨ ق.م. )

كانت الأسرة الجديدة من مدينة مندى ( تل الربع وتمى الأمديد ) ويظهر أنه لم تكن هناك حروب عند انتقال الملك من بيت إلى بيت ، وربما كان ، نايف - عاو - رود ، ويسميه اليونانيون ، نفريتس ، ( Nephertites ) من زملاء ، آمون - حر ، في الجهاد في حرب التحرير ، وقد حكم نفريتس ست سنوات أيضاً ( من ٣٩٨ - ٣٩٢ ) وكان أهم أعماله التي أراد القيام بها هو تحالفه مع الإسبرطيين ضد الفرس إذ أرسل إليهم قمحا ، وكل ما يكفي لإنشاء ١٠٠ سفينة من السفن ذات الثلاث طبقات ، ولكن التنافس المرير بين أثينا وأسپرطة كان سببا في تحطيم هذا الأسطول ، وكان هذا سبباً في اقتصار نفريتس على إصلاح داخلية بلاده وترك فارس وأثينا وإسپرطة تتنازع دون أن يحاول التدخل في شئونها .

### الملك هكر ( أكوريس ) ٣٩٢ - ٣٨٠ ق.م.

ولكن خليفته ، هكر ، <sup>(١)</sup> خرج على هذه القاعدة وزج بنفسه في مخالفات ضد الفرس ووقف إلى جانب أثينا في نضالها . ولم يدخر وسعا في تقديم المال والمؤونة لمعاونتها . ولم يهتم هكر بإصلاح الحالة الداخلية وأنشأ آثارا عدة وأبقى الزمن على اسمه وبخاصة في محاجر طرة والمعصرة كما عثر على بقايا هياكل له في الكرنك وفي مدينة هابو وفي الكاب وغيرها .

ولم تكن الأعوام الأخيرة من حياته هادئة بل ربما مات مقتولا أو أسيراً إذ تلاه الملك ، بى - سا - موت ، ( Pasamouthis ) لمدة عام واحد . ثم خلفه ملك اسمه نفريتس الثانى لمدة أربعة شهور فقط وأخيراً استولى على الملك أمير قوى لعب دوراً كبيراً في أواخر أيام هكر ، ولم يكن غريباً عن الإرتباك الذى حدث ، وهذا الحاكم الجديد هو ، نخت - نيف ، الأول مؤسس الأسرة الثلاثين .

(١) يرجح أنه كان بين نفريتس وأكوريس حكم قصير لمدة لا تزيد عن سنة واحدة لملك يسمى موتيس .. ؟ ، كما يضع بعض المؤرخين بى ساموت قبل هكر .



## الأسرة الثلاثون

( ٣٧٨ - ٣٤١ )

كان إستيلاء ، نخت نبف ، ( نختنبو Necktanebo ) على العرش إيذاًنا بانتصار الحزب المصرى الذى أخذ يضيق ذرعاً باليونانيين الذين أظهروا كثيراً من التلون أثناء نزاع مصر مع الفرس ، وأثبتوا أيام هكر أنهم غير جديرين بالإعتماد عليهم . ومن المحتمل جداً أن يكون ، نخت نبف ، وصل إلى الملك بمعونة الكهنة وبخاصة كهنة صا الحجر الذين كانوا أغنى وأهم كهنة مصر فى ذلك العهد ، ولهذا كان أول عمل قام به أنه خصص لهم عشرات الضرائب المحصلة على تجارة نوكراتيس ( نيوت - كارت ) وصناعتها . وظهرت نتيجة مؤامرة اليونانيين على مصر عندما وجدت نفسها وجها لوجه أمام غزو فارسى جديد كان قوامه جيش جمعه الوالى الفارسى فى سورية وكان عدد رجاله ٢٠٠,٠٠٠ ومعهم فرقة مكونة من ٢٠,٠٠٠ من مرتزقة الإغريق ، وقد تمكن هذا الجيش من الوصول إلى مصر وتوغل فى الدلتا ولم ينقذ مصر من هذا الخطر إلا فيضان النيل فوقع الجيش فى حيرة ، ولم يعرف كيف يتقدم فاضطر للتقهقر ثانية إلى آسيا .

وتمتع ، نخت نبف ، بعد ذلك بشيء من الهدوء وكان نشاطه المعمارى كبيراً فخلف آثاراً كثيرة فى أكثر بلاد مصر فى الدلتا والصعيد .

وفى أواخر سنى حكمه أشرك ابنه ، جد حر ، ( Teos ) معه فى الحكم وكان على غير رأى أبيه فى الإغريق ، فعاود صلته بهم ولم يكذب ينفرده بالحكم فى عام ٣٦١ حتى نراه قد أصبح حليفاً لإسبرطة ، وساعده ذلك على تأليف جيش وأسطول من الإغريق المرتزقة فتكلف مبالغاً طائلة حصل عليها من فرض الضرائب وإلغاء إمتيازات كهنة صا الحجر . وأخيراً إستولى على جميع ما فى المعابد من معادن نفيسة ليسك منها عملة يدفع منها مرتبات المرتزقة من جنوده . وكان غرض ، جد حر ، من ذلك جمع جيش كبير ليسير به إلى آسيا ليسحق الفرس وقد نجح فى جمع جيش كان فيه ٨٠,٠٠٠ جندى مصرى ، ١٠,٠٠٠ من المرتزقة الأثينيين ، ١٠٠٠ من جنود إسبرطة وكان معه أيضاً أسطول يزيد عدد سفنه على مائتى سفينة من ذات الثلاث طبقات ، وتقدم ، جد حر ، على رأس جيشه العظيم واثقاً من النصر بعد أن ترك أخاه نائباً عنه فى الحكم .

وسار الجيش ، وارتعدت فرائص الفرس هناك ، وكانت مصر على وشك أن تعيد ممتلكاتها فى فلسطين وسورية لولا خيانة أخيه إذ تأمر عليه فى غيابه وأرسل سرا

إلى ابن ، جد حر ، وهو نختنبو الثانى ، وكان مع الجيش فى سورية ، يبايعه بالملك ويطلب منه العودة . عاد الأمير الشاب ومعه الجنود الإسبرطيون وجزء كبير من المصريين فلما رأى الأثينيون ذلك عادوا بدورهم إلى بلادهم فيلس ، جد حر ، بعد أن رأى خيانة ابنه وأخيه وجنوده له ، فأتخذ قرارا غريبا والتجأ إلى ملك الفرس .

### نختنبو الثانى ( ٣٥٩ - ٣٤١ ق.م. )

لم يكد نختنبو الثانى يعود إلى مصر حتى واجهته فتنة كبرى إذ أراد أحد سلالة الأسرة التاسعة والعشرين من مندرس أن ينتهز فرصة هذا الشقاق وينتزع الملك ليعيده إلى بيته . وكاد ينجح فيما أراده ولكن نختنبو الثانى استطاع بمساعدة أصدقائه الإسبرطيين من القضاء على الفتنة . وجلس نختنبو الثانى على عرش أبيه . وبدأت مصر فى عهده فترة زاهرة فى حياتها ، وبنى هذا الملك كثيرا من المعابد فى جميع أرجاء البلاد وأظهر المهندس والفنان المصريان أن الجذوة لم تزل متقدة فى النفوس فعاد للفن كثير من جماله وأخرج المثالون قطعاً فنية تثير الإعجاب .

ونعمت مصر بالهدوء والطمأنينة ستة عشر عاما على الأقل ولكن حوالى عام ٣٤٣ أخذت السحب السوداء تتجمع فى سماءها مرة أخرى عندما صمم الملك الفارسى ارتاكسركسيس الثالث الملقب ، أوخوس ، على استرداد مصر . وقد حاول الهجوم على الدلتا عام ٣٥١ ولكنه آب بالفشل ثم عبأ بعد ذلك بعدة سنوات جميع قواه فكان جيشه يزيد عددا على ٣٠٠,٠٠٠ جندى ولديه أسطول من ٣٠٠ سفينة كبرى ، هاجموا مصر من البر والبحر . وكان الجيش الذى استطاع ، نختنبو ، جمعه لا يزيد عن ١٠٠,٠٠٠ من المصريين والإغريق والليبيين فدارت الدائرة على مصر ، واحتل العدو منف وهرب نختنبو الثانى إلى الصعيد حيث استطاع أن يظل هناك كملك مصر عامين آخرين ، إلى أن كان عام ٣٤١ فأرسل الفرس حملة جديدة أتمت فتح مصر ودخلت البلاد مرة أخرى فى فترة قاسية من الخضوع للحكم الأجنبى .

### الفرس للمرة الثانية فى مصر ( ٣٤١ - ٣٣٢ ق.م. )

لم تطأطىء مصر هامتها فى هذه المحنة الجديدة بل تجددت فيها الثورات . ومن المؤكد أن أحد أمراء الدلتا واسمه ، خباشا ، قاد حركة المقاومة الوطنية وأعلن نفسه ملكا على البلاد ، وقد اعترف كهنة منف به وعثر فى السرابيوم على تابوت مؤرخ فى العام الثانى من حكمه .

ونعرف من مصدر آخر ، وهو تمثال من بداية عهد البطالمة معروف بإسم

تمثال الستراپ<sup>(١)</sup> ، بأن المصريين كانوا دائمي الثورة طيلة الأعوام الثمانية التي قضاها الفرس في إحتلالهم الثاني لمصر .

وكان نجم الإسكندر الأكبر قد بدأ يظهر في ذلك الوقت وسار في حملاته الموفقة على آسيا فذهب إليه مصري من مدينة إهناسيا يسمى ، تاف نخت ، وكان معه في معركة إسوس التي هزم فيها دارا الثالث ملك الفرس ، وكان ، تاف نخت ،<sup>(٢)</sup> هذا قد استنجد بالإسكندر لينقذ مصر مما تعانيه من ويلات . وفي نفس العام الذي إنتهت فيه معركة الإسوس سار الإسكندر في مصر فلم يلاق عناء في فتحها ورحب به المصريون واعتبروه منقذا لهم مما كانوا فيه من عناء .

كان الإسكندر قائدا حرييا ممتاز ، وكان في الوقت عينه تلميذا لأرسطو الذي ثقفه وأعدّه للمهمة العظيمة التي كان من نصيبه القيام بها .

وكان الإسكندر يعرف دون ريب الكثير عن أسباب تذمر المصريين من الفرس ، وكان يعرف أيضاً أنه ليس من حسن السياسة إساءة معاملة المصريين ، ولهذا نراه منذ اللحظة التي وضع فيها قدمه على أرض مصر يظهر الإحترام الكامل لعادات البلاد وديانتها ، ويقدم القرابين للآلهة المصرية . وحرص الحرص كله على أن يتم تنويعه ملكا على مصر وفق التقاليد القديمة ، وأغدق على المعابد وأمر بإصلاحها فزادت محبة المصريين له . ولم يمض عليه غير قليل حتى فكر في إنشاء ميناء جديد على ساحل البحر الأبيض المتوسط في مكان كانت تشغله مدينة صغيرة إسمها ، راقودة ، فأنشأ فيها مدينته الجديدة التي سميت بإسمه ، وأصبحت ، وما زالت إلى الآن ، من أهم المدن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط إن لم تكن أهمها . ولم يكتف الإسكندر بتنويعه في منف وهليوبوليس بل زار معبد آمون في سيوة حيث إستقبله كبير كهنتها ورحب به كابن آمون وهي الزيارة التاريخية التي تركت أثراً كبيراً في نفس الإسكندر إلى يوم موته .

دخلت مصر منذ ذلك العهد في دور جديد من أدوار تاريخها خصوصاً بعد تأسيس أسرة البطالمة . ونترك ذلك كله الآن ونقف عند هذا الحد من تاريخ مصر بعد أن رأينا كيف تمتعت مصر بإمبراطوريتها العظيمة في بعض الفترات ورأينا ما أصابها

SETHE, Urkunden II, 11-12 .

Ibidem, 16 - 18 .

SCHAEFER, Aegyptianca, Festschrift für G. Ebers, p. 92 ff. ; Urkunden II. p. ff. (٢)

مكتبة الاسرة ٢٠١١ . ٢٠١٢

(١) عن تمثال الستراپ

أما عن تابوت خباشا فأنظر

من ويلات فى فترات أخرى ، لكنا رأينا أيضاً كيف كانت مصر تخرج من هذه المحن ، وقد أسخنتها الجراح ولكنها كانت لا تلبث حتى تسترد عافيتها وتقوم من كبوتها وتستأنف نشاطها القديم .

وقفت فى سرد قصة ، مصر الفرعونية ، عند زيارة الإسكندر لمصر وتأسيس أسرة البطالمة ، فهل معنى ذلك أن مصر الفرعونية قد إنتهت عند ذلك التاريخ ؟ الجواب بالنفى ، فإن مصر الفرعونية لم تنته بإنهاء الأسرة الثلاثين ، وإنما يرجع ذلك إلى تقسيم تاريخ مصر الطويل إلى فترات محددة . وإذا كان ملوك البطالمة قد انحدروا من جد كان أصله أجنبيا عن مصر ، فإننا نعلم أنهم تمصروا مع مرور الزمن ، ولم يعرفوا لهم وطناً غير وادى النيل ولم يكن لهم ديانة غير ديانة المصريين ، ونعرف أيضاً أن آخر من حكم من هذه الأسرة وهى الملكة كليوباترة الشهيرة التى وضعت حدا لحياتها فى عام ٣٠ ق.م . ، أى عند دخول الرومان إلى مصر ، كانت مصرية صميمة فى سياستها وفى أهدافها ، وفى محاولتها القضاء على نفوذ روما وسلطانها .

وإذا كانت مصر قد آمنت بعد ذلك بالمسيحية ونبذت عنها ديانتها القديمة ، ثم فتحت ذراعيها بعد ذلك لدين الإسلام ولغة العرب فإن ذلك لا يعنى أنها تخلصت من تاريخها أو تقاليدها أو أن روح مصر الفرعونية قد عفا عليها الزمن .

إن تاريخ مصر باق وخالد ؛ لأنه مرتبط بأرضها المباركة ، وسيحافظ عليه المصريون ويقبلون دائماً على دراسته وسيدذكرون فى كل لحظة أولئك الأجداد الذين عاشوا قبلهم فوق أرض هذا الوطن العزيز ، وسيعتززون بتاريخهم ومجدهم وما ساهموا به فى تقدم الجنس البشرى .

## خاتمة

لقد مررنا بتاريخ مصر مروراً سريعاً ووقفنا في سرد قصتها عند بعض الحوادث ، ولم نشر إلى البعض الآخر . وبين الحين والحين تكلمنا بإيجاز عن بعض مظاهر حضارتها وحاولنا أن نشير إشارات عابرة إلى ما توصل إليه المصريون القدماء في بعض نواحي مدنيّتهم ، على قدر ما يسمح به النطاق الضيق لهذا الكتاب .

وتبقى بعد ذلك كله نقطة أخرى وهي فضل الحضارة المصرية على غيرها من الأمم . فما من شك في أن المصريين القدماء قد حققوا الكثير من التقدم في مختلف ميادين الفكر والفن والعلم والأدب والصناعة والزراعة . ولا شك أيضاً في أن ثقافتهم قد وصلت إلى غيرهم من الشعوب ولكن ما هو الدين الذي تدين به الإنسانية لمصر ؟ وما هو الدور الذي قامت به مصر في تقدم الجنس البشري ؟ وما هو أثرها المباشر على الحضارة الغربية بوجه عام ؟ الجواب على هذه الأسئلة يحتاج إلى كتاب كامل بل ولأكثر من كتاب ، ويكفي أن نشير فقط إلى بعض تلك الأفضال . ففي ميدان الكتابة توصل المصريون القدماء إلى اختراعها قبيل الأسرة الأولى أي قبل أكثر من خمسة آلاف سنة ، واستخدموها في حياتهم اليومية وتركوا وراءهم الكثير مما ساعدنا على معرفة الحياة التي يحيونها في ذلك العهد البعيد . فعلى جدران مقابرهم نرى ما كانوا ينتجون من مصنوعات مختلفة ، كما نقرأ في ألقاب رجالهم الكثير الذي يدلنا على تقدم فن الإدارة في البلاد والاهتمام بشكل خاص بنظم الري وحفر القنوات وكل ما من شأنه تقدم الزراعة وأساليبها . وقسموا السنة الشمسية إلى ثلاثة فصول وقسموا هذه الفصول مجتمعة إلى إثني عشر شهراً وقسموا كل يوم إلى أربع وعشرين ساعة ، وكانوا أيضاً أول من اخترع المزاولة والساعة المائية لتقسيم ساعات النهار وساعات الليل . ولكن إلى جانب هذا التقدم في الزراعة وأساليبها وحساب الأيام والسنين ، كانت هناك ميادين أخرى كالطب الذي تقدم فيه المصريون منذ عهد بعيد ، إذ نعرف منذ منتصف الأسرة الرابعة أي منذ أكثر من ٤٥٠٠ سنة أنهم عرفوا التخصص في فروع فكان هناك أطباء مختصون بالعيون وآخرون مختصون بالأمراض الباطنية ، كما استطاع أطباء الأسنان أن يقوموا بإجراء بعض العمليات الدقيقة في الأسنان . وكان لاختراع المصريون لورق البردي واستخدامه في الكتابة أثر كبير في تقدم العلوم إذ حرص المصريون منذ الدولة القديمة على عمل نسخ من المؤلفات

الهامة فى مختلف العلوم والإحتفاظ بها ، فضلا عن إستخدامه فى رسائلهم وأعمالهم الإدارية .

وقد لعب البردى دورا كبيرا فى نشر العلوم والآداب فى العالم القديم ومازال اسمه على لسان كل غربى عندما يشير إلى الورق ، فإن إسمه فى اللغات الغربية مشتق من كلمة ، پاپيروس ، وهو الإسم اليونانى لهذا النوع من النبات ( البردى ) الذى استخدم المصريون أليافه لصنع البرديات . ويعرف كل طالب غربى أن أبجديته التى يستخدمها كل يوم فى كتابة رسائله أو إستذكار كتبه تسمى الحروف اللاتينية . وأنها مأخوذة عن الرومان ويعرف بعضهم أن الرومان قد أخذوها بدورهم من اليونان بل وربما عرف بعضهم أيضاً أن اليونان بدورهم قد أخذوها عن الفينيقيين وهم شعب سامى الأصل كان يقطن الساحل السورى فى جزء من لبنان الحالى . ولكن الذى يتتبع هذا الموضوع أكثر من ذلك يصل إلى نتيجة هامة وهى أن الأبجدية الفينيقية استمدت أصولها من بضع مصادر أهمها الكتابة المصرية .

وقد عثر فى شبه جزيرة سيناء على نقوش عرفنا منها أصول كثير من الحروف الفينيقية وصلتها بالكتابة المصرية . ولما يدرك الغربى الذى يقف معجبا أمام الآثار المصرية ، يتطلع إلى ما عليها من كتابة تصور بعض الأشياء المستخدمة فى الحياة وصور الطيور والحيوانات ، أن بعضها هو الأصل الذى نقلت عنه بعض حروفه التى يستخدمها كل يوم ، والفضل فى هذا إنما يعود إلى ذلك المصرى القديم الذى عاش منذ آلاف السنين على ضفاف النيل .

ويقف الزائر أمام الهرم الأكبر أو غيره من الآثار ، ويتطلع بإعجاب إلى عظمته ودقة بنائه وسيطرة القدماء على نحت الأحجار ونقلها ، ولكنه قلما يذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك . فلو لم يتقدم المصريون القدماء فى فنون الرياضيات والهندسة والفلك واستخدام المعادن منذ أجيال عديدة قبل تشييد الهرم لما تمكن معماريو زوسر وسنفرى وخوفو وخفرع من تشييد أهرامهم . وقد عثر على كثير من البرديات - ولو أنها من عصور متأخرة عن الدولة القديمة - وفيها مسائل رياضية وهندسية مختلفة وحلولها .

آمنت مصر فى بداية حياتها بسياسة العزلة . واطمأنت إلى سلامتها داخل حدودها ، ولكن هذه السياسة لم تستمر طويلا وسرعان ما بدأت مصر تتصل بغيرها وتتعرف على ما يحيط بها من بلاد ، فكان رحالتها أول رحالة يذهبون إلى قلب

إفريقيا ليعرفوا الشعوب التى تعيش إلى الجنوب منهم . وما هى إلا دورة من دورات الزمن حتى أخذت الثقافة المصرية تجد طريقها إلى قلب هذه القارة ، وما زالت آثار تلك الحضارة باقية بين بعض تلك القبائل ومازال أهلها يمارسون كثيراً من العادات والشعائر المصرية القديمة حتى اليوم ، ولكن أثر مصر فى الحضارة العالمية كان أبعد وأعمق عندما إتصلت بالبلاد الواقعة إلى الشرق منها .

ألقت مصر عن كاهلها نير الهكسوس وكأن هذا الإحتلال الذى خنق البلاد وأوردها موارد الذل والهوان ، كان هو الباعث لها على رفض غبار الزمن عن كاهلها وخروجها وهى ممثلة قوة وفتوة لتتأثر لنفسها ، وتبعد الشر والخطر عن حدودها قدر ما تستطيع ، فأسست إمبراطوريتها وإتصلت بجميع مدنات الشرق القديمة وجها لوجه ، فأعطت ما أعطته وأخذت ما أخذته . لقد تركت الديانة المصرية ، والحكم والعادات والفنون المصرية ، أثراً كبيراً فى تلك البلاد وإستمر هذا الأثر قرونا عديدة بعد زوال نفوذ مصر السياسى من تلك الأقطار .

ولمصر فضل آخر لا يمكن إغفاله . فقد أشرنا أكثر من مرة فى صفحات هذا الكتاب إلى مقابر طيبة ومعابدها وإلى ما عليها من مناظر قدوم ممثلى الشعوب المختلفة لتقديم الجزية والهدايا إلى الجالس على عرش مصر . إننا نرى فى تلك المناظر شعوب جزر البحر الأبيض وآسيا الصغرى والشاطيء الفينيقي وبلاد الرافدين وفلسطين وبلاد بونت والسودان ، وبعد ذلك مناظر شعوب البحر من الليبيين وغيرهم من الشعوب التى تحالفت معهم . نرى ممثلى تلك الشعوب يلبسون ملابسهم الوطنية ومعهم صناعات بلادهم المختلفة وأسلحتهم وخير ما كانت تخرجه تلك البلاد من محاصيل ، أو مصادر الثروة المختلفة من المعادن والأحجار الكريمة وغيرها . لقد زالت من كثير من تلك البلاد آثار تلك العصور ، ويعتمد المؤرخون على الآثار المصرية لدراسة تلك الفترة الموهلة فى القدم ، فتمدهم بالكثير من المعلومات .

وكان نفوذ مصر الثقافى والتجارى فى فلسطين والشاطيء الفينيقي ، كبيراً منذ أقدم العصور ، وكان للديانة المصرية والأدب المصرى والغناء والموسيقى أثر مرموق فى جميع الأزمنة ، وقد زاد هذا الأثر فى أيام الإمبراطورية . وعندما قام إخناتون بدعوته الدينية ودعا إلى عبادة إله واحد فقط وهو الإله أتون ، القوة الكامنة فى قرص الشمس ، كانت تلك الدعوة هى الصيحة الأولى المعروفة فى تاريخ البشرية ، التى تقرب من التوحيد الذى جاءت به الكتب السماوية فيما بعد .



ومهما قيل عن إخناتون بأنه كان مهملاً في أمور الإمبراطورية فإن أناشيده التي تغنى بها في مدح أتون ظلت أدبا رفيعاً سامياً تتناقله الأجيال ، ونشيده الكبير هو الأصل الذي نقل عنه الجزء الأكبر من مزمور ١٠٤ ، كما أن بردية ، أمنموي ، كانت أيضاً الأصل الذي نقل عنه جامع سفر الأمثال ، وبعبارة أخرى كان لمصر فضل لا ينكر على العبرانيين في تكوين جانب من ثقافتهم ، عندما بدأوا ، في القرن الثامن قبل الميلاد ، في كتابة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم .

لم يقتصر فضل مصر على نشر الثقافة والعرفان في البلاد المجاورة لها ، بل تعدتها إلى آفاق أبعد ، وقد كان الفينيقيون يذهبون إلى أقاصى بلاد العالم المعروف ، يجوبون بحارة بسفنهم المحملة بالسلع التجارية وأكثرها من المصنوعات المصرية ، والسلع المصرية ، سواء ما كان يصنع منها في مصر نفسها أو ما كان يقوم الفينيقيون بتقليده في بلادهم ، وهذا يفسر لنا العثور على كثير من الآثار المصرية في بلاد كثيرة في أواسط آسيا وفي أوروبا ، كما يفسر لنا أيضاً إنتشار بعض مظاهر وأوضاع الفن المصري في بلاد بعيدة عن مصر مثل الساحل الشرقي من الهند وبعض جزر الملايو ، بل وربما أبعد من ذلك .

ويعتقد المتعلمون في الغرب أنهم مدينون بالشيء الكثير في مدنيتهما الحالية لمصدرين أولهما اليونان والرومان ، والثاني الكتاب المقدس . فأما الكتاب المقدس فهو نفحة من نفحات الشرق الأدنى ، وقد إستمد الكثير من أصوله من بلاد الرافدين ولكنه إستمد أيضاً الكثير من مصر ، لأن ثقافتها كانت منذ آلاف السنين هي العنصر السائد في فلسطين وما جاورها . أما عن اليونان فقد تعلموا الكثير من مصر وإعترف الكثيرون ممن وضعوا أسس تقدمهم في مختلف فروع الحضارة كالقانون والطب والرياضيات والموسيقى أنهم تعلموا ما نشره بين مواطنيهم من الكهنة المصريين عندما أقاموا معهم وتعلموا عليهم في مصر عدة سنوات . ولم يقتصر فضل مصر على ذلك بل أن روما تعلمت من أثينا كما تعلمت من مصر الشيء الكثير . ويكفى أن نذكر أن فضلها معترف به في جميع الميادين ، حتى في ميدان الدين فقد كان للإلهة المصرية ، إيزيس ، معابد عدة في روما وغيرها من المدن الرومانية في القرن الأول الميلادي في أوروبا ، وكان يقوم على خدمة تلك المعابد كهنة من المصريين يساعدهم كهنة من أبناء البلاد ، وكانت مواكب هذه الإلهة وتمثيل قصتها كل عام ذات أثر كبير على أفكار الناس عامة في ذلك العهد ، بل أن التمثيليات التي كانت تقام سنوياً في أعياد الآلهة ، وبخاصة تمثيلية إيزيس وأوزيريس التي كانت تمثل منذ أربع

آلاف سنة وتعتبر أقدم المسرحيات فى تاريخ العالم ، كانت الأصل للتمثيلات الدينية فى العصور الوسطى فى أوروبا ، بل ولبعض المراكب الدينية فى العصر الحاضر .

لقد قام المصريون منذ نشأة حضارتهم بدور هام فى تاريخ البشرية ، فقد إخترعوا الكثير من المخترعات التى ساعدت على تقدم المدنية ، وقاموا بدورهم فى نشر حضارتهم بين من جاورهم من الشعوب . لقد أعطى المصريون لغيرهم كما أخذوا منهم أيضا ، ومرت عليهم أيام عز وسؤدد كما مرت عليهم أيام ضعف وهوان ، ولكن الروح المصرية بقيت دائما سليمة فى جوهرها .

ولكن لكل زمن ملابساته الخاصة به ، وما كان حسنا لمصر قبل ألف سنة أو خمسة آلاف سنة لا يمكن أن يظل حسنا أو صالحا على الدوام . إن الشعوب تبقى والمدنيات تزدهر طالما كانت مرنة وتستطيع أن تلائم نفسها مع غيرها ، وأن تتشكل حسب ما يجد عليها من مؤثرات . وإذا كان المصريون اليوم يحتفون بتاريخ بلادهم بصفة عامة ويعتزون بتاريخ مصر الفرعونية بصفة خاصة ، فما ذلك إلا لإيمانهم بأن أجدادهم القدماء قد حققوا الكثير من معجزات المدنية فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية ، وأنهم ساهموا فى تشييد صرحها ، وهذا مما يدعو إلى الفخر والإعتزاز .

إننا ما زلنا نعيش فوق تلك الأرض المحبوبة التى عاش فوقها آباؤنا ، وليس فى تلك الحقول الخضراء شبر واحد لم يمتزج ثراه بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل منذ آلاف السنين . وهذا النيل المبارك الوهاب ، مازال يسير بين الشاطئين كما فعل منذ عشرات ومئات القرون ، وتلك الآثار المنتشرة فى الوادى ، وتلك الأهرام والمعابد التى غالبت الزمن وظلت ترفع هامتها ، وتطل علينا لتذكرنا بمجد من شيدها ، إنما أصبحت جزءاً متمماً لهذا الوادى السعيد ، ولن يتم حيناً لهذا البلد العزيز إلا إذا درسنا تاريخه القديم ، وسرنا مع القدماء جيلا بعد جيل لنعرف ما مر على هذا الوطن من أحداث .

وكم من أسرات حكمت وزالت ، وكم من غزاة جاءوا وذهبوا ، وكم من عتاة حكموا ثم اختفوا مشيعين باللعنات ، وكم من حكماء وفنانين عاشوا فقراء ولكنهم تركوا ثروات خالدة بعد موتهم . لقد أصبحت المعابد الكبيرة آثاراً يزورها الناس ، ونقلت أكثر تماثيل آلهتها إلى المتاحف المختلفة فى أرجاء العالم ، ولكن بالرغم من هذا كله فإن من يزورها يتعلم الشيء الكثير . لقد سكنت أصوات الكهنة والكاهنات ، وإنقطعت المراكب وموسيقى العازفين ، ولكن صوت التاريخ ما زال يتردد بين أبنائها وحجراتها

يهتف بمجد مصر ، وكل حجر نراه فيها ليس إلا كلمة أو سطراً أو صفحة في ذلك الكتاب الكبير الضخم الذى سطره المصريون بأنفسهم .

إن روح مصر القومية سليمة قوية ، وستظل دائماً وثابة متعطشة للتقدم . لقد استمدت مصر شخصيتها الحقة من شخصية أرضها ونيلها ، وزالت الدولة وزال الغزاة وبقيت مصر وبقي الشعب المخلص لتقاليده منذ آلاف السنين ، وستظل للمصريين تقاليدهم المجيدة طالما بقى النيل جارياً بين شاطئيه يفيض بالخير والبركات ، وهو باق بإذن الله إلى أبد الأبد .

محرقات  
www.ibtesama.com  
منتديات مجلة الإنسامة

## بعض المراجع المهمة

أهم الكتب التى ظهرت عن تاريخ مصر باللغة العربية هى الكتب الآتية مرتبة ترتيباً أبجدياً :

(١) أحمد بدوى - فى موكب الشمس . وقد ظهر منه جزءان حتى الآن ظهر أولهما فى عام ١٩٤٦ والثانى فى عام ١٩٥٠ ، ويقف عند الأسرة العشرين .

(٢) جون ولسون - الحضارة المصرية ( مترجم عن الإنجليزية ، وقد نقله إلى العربية أحمد فخرى ) - ظهرت الطبعة الثانية من الأصل الإنجليزى عام ١٩٥٤ وظهرت الترجمة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٦ .

(٣) دريوتون - فاندييه : مصر ، ( ترجمة عباس بيومى ) - ظهر الأصل الفرنسى فى عام ١٩٣٨ والترجمة العربية للطبعة الثانية ( فى عام ١٩٤٦ ) وظهرت فى عام ١٩٥٠ .

(٤) سليم حسن - مصر القديمة ، ظهر منه حتى الآن إثنى عشر جزءاً ، وقد صدر الجزء الأول فى عام ١٩٤٠ والجزء الثانى عشر فى عام ١٩٥٩ ، ولم ينته مؤلفه من كتابة تاريخ مصر كله .

(٥) شارف ( الكسندر ) - ( ترجمة عبد المنعم أبوبكر ) تاريخ مصر - ظهرت الترجمة العربية عام ١٩٦٠ .

(٦) نجيب ميخائيل - مصر ، الطبعة الثانية يناير ١٩٥٧ .

أما المراجع الهامة عن تاريخ مصر فهى كثيرة ولكنى أختار منها للقارئ السبعة عشر كتاباً الآتية :

(1) BREASTED J. H., Ancient Records - ( = BAR ) , 1906

(2) RERASTED J. H., A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, 2nd edition, 1927 .

(3) DRIOTON, (E) et VANDIER, (J) L'Egypte ("Clio Les peuples de l'orient méditerranéenm, II) 2 nd edition, 1946 .

(4) ERMAN, A., and RANKE, H., Aegypten und Aegyptisches Leben im Altertum, 1923.

- وهو مترجم إلى اللغة العربية : قام بترجمته عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال في عام ١٩٥٣ وظهر تحت عنوان « مصر والحياة المصرية في العصور القديمة » .
- (5) JUNKER; H. Die Aegypter (Die Völker des antiken Orients : Geschichte der Fühenden Völker, III), 1933 .
- (6) KEES, H. Aegpten, Handbuch der Altertumswissenschaft, III, part 1 No. 3 Kulturgeschichte des alten Orients, 1), 1933.
- (7) LUCAS, A. Ancient Egyptian Materials and Industries, 3rd ed 1949.
- (8) MEYER, E. Geschichte des Altertums, I-III 1925 - 1937 .
- (9) OTTO, E. Aegypten, Der Weg des Pharaonenreiches 2dn edition, 1955.
- (10) PETRIE, W. M. F., A History of Egypt.
- (11) PORTER, B. and MOSS, R.L.B. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings 7 Vols, 1927-1949 .
- (12) PRATT, I. A. Ancient Egypt : Sources of Information in the New York Public Library, 2 Vols 1925. 1942 .
- (13) SCHARFF, A and MOORTGAT A., Aegypten und Vorderasien im Altertum, 1950 .
- (14) STEINDORFF. G. in Baedeker, Egypt and the Sudân handbook for Travellers. 8th edition, 1929.
- (15) WEIGALL, A. E. P, A Guide to the Antiquities of Upper Egypt from Abydos to the Sudan Frontier. 1910 .
- (16) WILSON, J. A The Burden of Egypt, 2nd edition, 1954 .
- (17) WRESZINSKI, Atlas zur Aegyptischen Kulturgeschichte I-III 1923-1940 .

المجلات واختصارات أسمائها :

ABH. BERLIN = Abh preuss. Akad. Wiss. Berlin = Abhandlungen der ( königlich.) preussichen Akademic der Wissenschaften (Berlin). Jahrgang ... Philos-phisch-historische Klasse.

AJSLL = The American journal of Semitic languages and Literatures.

AJOS = The American journal of oriental Studies.

ASÂE = Annales du Service = Annales du service des Antiquités de l’Egypte.

BIAFO = Bulletin de l’Institut francais d’archéologie orientale du Caire.

BMFA = Bulletin of the Musum of Fine Arts, Boston.

BMMA = Bulletin of the Metropolitan Museum of Art.

JEA = The Journal of Egyptian Archaeology .

JNES = Journal of Near Eastern Studies .

REC. TRAV = Recueil de Travaux relatifa ‘a la philologie et ‘a l’archeologie égyptienne et assyriennes.

UrK = Urkunden = Urkunden des aegyptischen Altertums .

ZAS = A. Z = Zeitschrift für aegyptische Sprache und Altertums kunde.

Aegypt Zeitschr. =

يجد القارئ في صفحات الكتاب كثيرا من المراجع مذكورة في الهامش عند مناقشة بعض النقط وسأذكر هنا مراجعا أخرى لأجل فائدة القارئ الذي يريد المزيد من الإطلاع ، وسأقتصر على أهمها .

## الفصل الأول

### ”مولد الحضارة ونشأتها“

— عن جيولوجيا القطر المصري :

HUME, W. F., Geology of Egypt ( Survey of Egypt ) 2 vols  
Cairo 1925-1935 .

— عن الجغرافيا بوجه عام :

BALL, J., Contribution to the Geography of Egypt ( Survey and  
Mines Department), Cairo.

- Egypt in the Classical Geographers (Survey of Egypt), Cairo 1942.

KEES, H. Das Alte Aegypten, Eine kleine Landeskunde, Berlin 1955.

PASSARGE, S. Die urlandschaft Aegyptens, Halle, 1940.

— عن التاريخ وحساب الزمن :

PARKER, R. The Calendars of Ancient Egypt, chicago. 1950.

— عن حضارة الفيوم :

CATON - THOMPSON, G., and GARDNER, E. W., The  
Desert Fayoum, 2 vols, London 1934.

— عن حضارة مرمدة :

JUNKER, H., Vorbericht die Grabungen auf des neolithischen  
Siedlung von merimde-Benisalâme, (Anzeiger der philosphich-  
historische Klasse des Akademie des Wissenschaften in Wien 1929,  
1929, 1930, 1932, 1934).

— اقرأ عن حضارة عصر ما قبل الأسرات بصفة عامة الكتب الثلاثة  
الآتية :

BOVIER - LAPIERRE, P., “ L’Egypte Préhistorique”, Précis  
de l’histoire d’Eygpte, T. I. Cairo 1932.



SCHARFF, A., Grundzüge des ägyptischen Vorgeschichte (Morgenland. Darstellungen aus Geschichte und Kultur des alten Orients, No. 12), Leipzig, 1927.

HUZAYYIN, S. A., The place of Egypt in prehistory (Mémoires présentés à l'Institut d'Égypte, XL III), Cairo 1941 .

BAUMGAERTER, E.J. The Cultures of prehistoric **أما كتاب** Egypt Oxford, 1947.

فيجب عدم الأخذ بكل ما ورد فيه من آراء ، فمن بين تلك الآراء ما لا يمكن التسليم به ، وفي الوقت ذاته فقد حوى معلومات كثيرة هامة .

— عن حضارة البدارى :

BRUNTON, G. and CATON - THOMPSON G, The Badarian Civilization and Predynastic Remains near Badari, London. 1928.

— عن حضارة المعادى :

MENGHIN, O. and AMER, M. The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi, 2 vols Cairo 1932, 1936.

وارجع أيضاً إلى ما كتبه الدكتور إبراهيم رزقانة عن المعادى وغيرها من المناطق في مؤلفه عن حضارات عصر ما قبل الأسرات .

— عن أقدم الصلات بين مصر وآسيا :

SCHARFF, A., 'Neues Zur frage des ältesten Aegyptisch - Babylonischen kulturbeziehungen', A. Z., LXXI ( 1935) pp. 89-106.

Die frühkulturen Aegyptens und Mesopotamiens (Der alte Orient, Vol 41) Leipzig 1941.

KANTOR, h.J., "The Early Relations of Egypt with Asia" JENS , 1 (1942), pp. 174-213.

FRANKFORT, H. J., The birth of Civilization in the Near east, 1951.

CHILDE, V. G., new Light on the most Ancient East, 4th edition, 1952

## الفصل الثاني

### ” عصر الأسرات المبكر أو العصر العتيق “

- عن تاريخ وآثار هذه الفترة من تاريخ مصر اقرأ المراجع العامة ،  
والكتب الآتية وقد حوت أسماء كثير من المقالات والأبحاث والكتب  
الأخرى :

SETHE, K., Beitrage zur aeltesten Geschichte Aegyptens (Untersuchungen III), Leipzig, 1905

WEILL, R., La IIe et IIIe dynasties, Paris 1908.

QUIBELL, J.E., Hierakonpolis, 2 Vols 1900, 1902. -----, Archaic Mastabas, Cairo 1947.

SAAD, Z.Y., Royal Excavations at Saqqara and Helwan (1941 - 1945), Cairo. 1947.

أما عن مقابر هذا العصر في أبيدوس وسقارة وطرخان فيمكن الرجوع إلى  
مؤلف بورتر - موس أو مؤلف پرات ( أنظر المراجع العامة ) .

## الفصل الثالث

### ” الدولة القديمة “

- عن آثار زوسر ومجموعة الهرم المدرج :

كتب في ذلك فيرث وكوبيل ، ويكفى أن نذكر هنا مؤلف لاور فقد حوى ما  
سبق أن كتبه من كانوا قبله وقد أشار إلى مؤلفاتهم .

LAUER, J. P. La Pyramide 'a degrés, 3 Vols, Cairo, 1936-1939.

- عن الأهرام بوجه عام ، ويشمل ذلك الهرم المدرج وأهرام الدولة  
القديمة والوسطى ، اقرأ :

EDWARDS, I.E.S., The Pyramids of Egypt (Penguin Books), 1947.

وقد ترجمه إلى العربية مصطفى أحمد عثمان ونشرت الترجمة بعنوان  
أهرام مصر - القاهرة ( مشروع الألف كتاب عام ١٩٥٦ )

LEUER, J.P., La Problème des pyramides d'Eygpte: Paris  
1948.

PETRIE, W.M.F., The Pyramids and Temples of Gizeh, London  
1883.

GRINSELL, L.V., Egyptian Pyramids, 1947.

– عن عمارة الدولة القديمة

RICKE, H. Bemerkungen zur ägyptischen Baukunst des Alten  
Reiches I, II, Zûrich, 1944.

– عن آثار الدولة القديمة بوجه عام :

VANDIER, J. Manuel d'Archéologie Egyptienne, T.I, II (Paris,  
1952-1955) .

– عن فن النحت والرسم :

SMITH, W.S., A History of Egyptian sculpture and Painting in  
the Old kingdom. 2nd edition, Boston 1949.

– عن مقابر الدولة القديمة التي تم الكشف عنها في منطقة الجيزة ،

يرجع إلى مؤلفات ريزنر ( Reisner ) وبونكر ( Junker ) وسليم حسن .

– عن مقابر الدولة القديمة في مناطق مصر المختلفة وبخاصة في سقارة وأبو

صير ودهشور ودشاشة وميدوم والشيخ سعيد والهمامية ونجع الدير ودندرة

والأقصر وأسوان وغيرها ، يمكن معرفة المراجع الخاصة بها من كتاب

پورتر - موس .

– عن نظام الإدارة والقوانين :

PIRENNE, J., Histoire des Institutions et du droit privé de l'an-  
cienne Egypte, 3 Vols, Bruxelles, 1932-1934.

– عن نصوص الأهرام ، مع شرحها وترجمتها :

SETHE, K., Die altaegyptischen Pyramidentexte Leipzig,  
1908-1922.

SETHE, K. Übersetzung und Kommentar Zu den altaegyptischen Pyramidentexten.

– عن حضارة الدولة القديمة بوجه عام ، مع تفسيرات جريئة لبعض المواضيع :

SPIEGEL, J., Das Werden der altaegyptischen Hochkultur Heidelberg, 1953.

### الفصل الرابع

#### ” عصر الفترة الأولى ”

النص الكامل لبرديتي ، إيبور ، و ، نفرتي ( نفر وهو ) ، منشوران  
في أكثر من مؤلف مثل :

ERMAN, A. Die Literatur der Aegypter, Leipzig 1923 ( = The Literature of the ancient Egyptians - translated by A Blackman).

LEFEBVRE, G., Romans et Contes Egyptiens, 1949.

– عن مناقشة هذه النصوص واستخلاص المغزى التاريخي منها :

SCHAREF, A., Der historische abschnitt der Lehre für König merikarê (Sitzungsberichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-historische abteilung, 1936) München, 1936.

– قصة القروي الفصيح منشورة ترجمتها في كتابي إرمان وليففر وغيرهما ولكن المؤلف الرئيسي عنها هو كتاب :

VOGELSANG, F., and GARDINER, A.H. Die Klagen des bauern (Hieratische Papyrus aus den königlichen Museen Zu berlin, IV, Literarische Texte des Mittler en Reiches, I) Leipzig, 1908.

– وهناك قصة أخرى من هذا العصر وهي قصة اليانس من الحياة يجدها القاريء في كتب الأدب السابق ذكرها ، ولكن تحليلها وشرح نقطها كان موضع عناية الأستاذ شارف في بحث خاص .

SCHARFF. A. Der Bericht uber das Streitgesprach eines Lebensmüden mit seiner Seele, Munich 1937.

– عن مقابر هذا العصر ارجع إلى :

PETRIE, W.M.F., and BRUNTON G., Sédment, I, II, 2 Vols London, 1924.

BRUNTON G., Qan Bardari, 2 Vols, London 1927, 1928.

BRUNNER, Die Texte aus den grabern der Herkleopolitenzeit von Sit ( Aegyptolog.forsch., ) 1937.

MONTET, P. "Les Tombeaux de Siout et de Deir Rifeh" kémi, III (1930), pp. 138-155.

NEWBERRY, P.E. Beni hassan , 4 Vols London, 1893.

— عن انتشار عبادة أوزيريس :

SCHARFF, A. Dic Ausbreitung des Osiriskultes in der Frûhzeit und whahrend des Alten "Reiches, Munich," 1947.

— عن حدوث بعض التطورات فى شكل الأشياء وبعض التمانم والأدوات :

JEQUIER, G., Les frises d'objects (Mém. de l'Institut F.A.O.T. 47.

SCHAFER, H., Die Entstehung einigen Mumienamuletten ZAS, XLIII, 66.

BRUNTON, G., Buttons and Design Scarabs, London 1925.

### الفصل الخامس

### " الدولة الوسطى "

— عن تتابع ملوك الأسرة الحادية عشرة فى الحكم :

VANDIER, J., L'ordre de succession des derniers rois de la XI Dynastie, Studia Aegyptiaca I, pp. 36-47, Rome 1938.

WINLOCK, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New york, 1947.

— عن معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى بطيبة :

NAVILLE, E., The XIth Dynasty Temple at Deir el Bahari 3 Vols, London 1907-1913.

WINLOCK, H. E., Excavations at Deir el Bahri, 1911-1931.

مكتبة الأسرة ٢٠١١ - ٢٠١٣

New York, 1942.

— عن تطور مقابر الأسرة الحادية عشرة المقطوعة في الصخر :

BRUNNER, H. Die Anlagen der Aegyptischen Felsgräber bis zum mittleren Reich, 1936.

— عن النقوش التي في تلك المقابر :

GL'ERE, J.J., and VANDIER, J. Textes de la première période intermédiaire et de la XIème dynastie, 1948.

BUNNER, H. Die Texte aus den Gräbern der Herakleopolitenzeit von Siut, 1937.

GRIFFITH, F. LL., The Inscriptions of Siut and Dêr Rifeh 1889.

MONTET, P., "Les Tombeaux de Siout et de Deir Rifeh" kemi, III (1930) pp. 89-111 ; VI (1936), pp. 381-155.

POLOTSKY, H. J. Zu den Inschriften der 11 ten Dynastie (Untersuchungen XI) Leipzig 1929.

— عن نصيحة أمنمحات الأول لابنه سنوسرت :

BUCK, A. De, "The Instruction of Amenemmes," Mélanges maspero I, pp. 874-852, Cairo, 1935.

FAULKNER, R.O., Some Notes on "The Teaching of Amenemmes I to his Son "Studies presented to F.L.L. Griffith, pp. 69-73 London, 1932.

MASPERO, G. Les Enseignements D'Amenemhâter a son fils Sanouasrit, le Caire, 1914.

— عن هيكل سنوسرت الأول بالكرك :

LACAU, P, and CHEVRIER, H., une Chapelle de Sésostri Ler 'a Karnak (Service des Sntiquetés de l'Egypte Cairo, 1956 .

— عن أهرام الأسرة الثانية عشرة ، ارجع إلى كتب الأهرام التي ذكرناها عند ذكر مصادر الدولة القديمة وكذلك كتاب فيرشو عن أهرام هذه الأسرة :

FIRCHOW, O., Studien Zu den pyramidenanlagen der 12, Dynastie Göttingen, 1942,

— عن تطور مقابر الأسرة الثانية عشرة :

MULLER, H. W. Die felsengraeber der fürsten von Elephantine, glückstadt, 1940.

— عن أهم مجموعات الحلى :

BRUNTON, G., Lahun I "The Treasure; London 1920.

WINLOCK, H., The Treasure of El Lahun, New York; 1934.

MORGAN, J. DE, Fouilles 'a Dahchour, 2Vols; 1895; 1903.

— عن موضوع العلاقة بين مصر وغيرها من الأمم ، أقتصر على الأبحاث الآتية :

SAEVE - SODERBERGH, T., Aegypten und Nubien, 1941 .

HOLSCHER, W., Libyer und Aegypter, 1937.

BISSON de la ROQUE, F., Tod (Fouilles de l'Institut Francais, Vol. 17), Cairo 1937.

NONTET, P., Byblos et l'Egypte; 2 Vols; Paris 1928, 1929.

KANTOR, H. J., The Aegean and the Orient in the Second Millenniun B. C., 1947.

## الفصل السادس

### « عصر الفترة الثانية »

المراجع المذكورة في هوامش صفحات هذا الفصل تكاد تكون كافية . وأضيف إليها الأبحاث القليلة الآتية :

ALBRIGHT, W. F. "An Indirect Synchronism between Egypt and mesopotamia, Circa 1730 B. C. Journal of the American Schools of Oriental Research, No. 99 (October, 1945) pp. 9-18.

ENGBERG, R. M., "The Hyksos Reconsidered" Sudies in Ancient Oriental Civilization, 18, Chicago 1939.

SCHARFF, A. "Ein Rechnungsbuch des Könlglichen Hofes aus



der 13-Dynastie (Papyrus Boulaq Nr. 19) ZAR, L VII (1922) , pp . 51-68.

WEILL, R. "Les successeurs de la XIIe Dynastie à Medamoud" Revue de l'Egypte ancienne, II (1929) ; pp. 144-171.

"Compléments pour la Fin du Moyen Empire Egyptien" BIFAO, XxxII (1932); pp. ; 7-52.

EVERS, H. G., Staat aus dem Stein; 2 Vols; 1929.

WIESNER, Fahren und Reiten in Alteuropa und im alten Orient (Alte Orient, Bd. 38, 2-4) Leipzig, 1939.

ALT, A. "Die Herkunft der Hyksos in neuem Licht" Sachs. Ak. Wiss 101, 6 , 1954.

## الفصل السابع

### « الدولة الحديثة »

ذكرت عند مناقشة المواضيع الواردة في هذا الفصل أكثر من ثمانين مرجعا ، خمسون منها عند حديثي عن الأسرة الثامنة عشرة وأكثر من عشرين عند مناقشة أحداث الأسرة التاسعة عشرة وعشرة مراجع للأسرة العشرين ، وهذه المراجع كافية بوجه عام لدراسة هذه الفترة المهمة من تاريخ مصر إلى جانب المراجع العامة المذكورة في أول هذا الباب ، وأزيد عليها الأبحاث القليلة الآتية لتوضيح بعض المواضيع التي أشرت إليها :

- نقوش مقبرة أحمس بن إيانا منشورة في SETHE., Urk . IV, p. 8 ff. ومترجمة في Breasted, A. R. II, & 80 ff. وكذلك نقوش أحمس بن پننخت ومقبرة إيننى فإنها منشورة أيضاً في المؤلفين السابقين الذكر .

- عن موضوع البلاد التي وردت في جداول تحوتمس الثالث ، توجد أبحاث كثيرة أختار منها :

SIMONS, J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical lists, Leiden 1937.

JIRKU, A., "Die Aegyptischen Listen palastinensischer und sy-

rischer Ortsnamen", Klio, 38, Leipzig 1937.

GRAPOW, H. "Studien Zu den Annalen Thutmosis des Dritten", Alhand, d. deutsch, Aked. Wissenschaft Zu Berlin, 1947.

عن تل العمارنة بوجه عام ، ارجع إلى كتاب پورتر - موس ، ففيه أهم المراجع ، أما عن تخطيط المنازل .

RICKE, H., Der Grundriss des Amarna - Wohnhaus, Leipzig; 1932.

وقد ظهر في السنوات القريبة بحث عن الإلهة ، ماعت ، في ديانة إخناتون :

ANTHES, R. ; Die ma'at des Echnaton von Amarna; Supplement to the American Oriental Society 14, Baltimsre, 1952.

- عن وظيفة نائب الملك في النوبة :

REISNER, G., J. E. A., VI (1920); p. 28-55-73-88.

GAUTHIER, H. Rec. Trav., (1921), p. 179-238.

عن حفلة تنصيب الوزير واختصاصاته ونصائح الملك له :

SETHE, UrK, IV; p. 1085 - 1093 ; 1103 - 1161.

وتوجد ترجمتها باللغة الإنجليزية في كتاب :

BREASTED, A. R., II & 665-762.

SETH, K. "Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie; Untersuchungen V, 2, Leipzig; 1902.

The Autobiography of Rekhmeré, ZAS, 60 p. 62 - 76.

عن معبد مدينة هابو ، ارجع إلى مطبوعات المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو ، أما بردية هاريس فاقراً عنها :

SCHAEDEL, H. D., Die Listen des grossen Papyrus Harris Leipzig, 1936.

ERICHSEN, W., Papyrus I, Bibliotheca Aegyptiaca V, 1933.

Breasted, A.R. : وترجمتها باللغة الإنجليزية في :

- عن القصص المختلفة والأغاني والأناشيد التي يرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة ، إرجع إلى كتاب إرمان عن الأدب المصري القديم ، أما عن بردية شستريتي

وبخاصة عن بعض الأغاني الغرامية :

GARDINER, A. The Chester Beatty Papyri No. I, Oxford; 1931  
p. 27-38; pl. 16, 17, 22-26; 29 : 30.

أما عن قصة النزاع بين حورس وست فهي في البردية نفسها من ص ٨ -  
٢٦ ولوحات ١ - ١٦ ، إرجع أيضاً إلى ما كتبه شبيجل :

SPIEGEL J. Die Erzählung vom Streit des Horus und Seth,  
Leipzig (Aegypt. Stud, 9), 1937.

### الفصل الثامن

#### العصر المتأخر - الأسرات ٢١ - ٢٤

- عن نشأة الأسرة :

KEES, H, "Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates" Nachrichten d. Gesell. d. Wissen. Zu Göttingen, 1936.

BECKERATH, J. V. Tanis und Theben.

MEYER, ED. "Gottesstaat, Militärherrschaft und Ständewesen in Aegypten" , Sitzungberichte d. preuss. Akad. d. Wissen, Zu Berlin, 1928, p. 495 ff.

- عن لوحات السراپيوم :

MARIETTE, A., Le Sérapeum de Memphis découvert par Auguste Mariette, Paris 1875.

- عن المومياوات والاهتمام بها بعد سرقة المقابر :

MESPERO, Les Momies royales de Deir-el-Bahari, (Mem, miss. Archéol. Fr. au Caire, I), 1889.

- عن الزوجة الإلهية لأمون :

SANDER - HANSEN, C. E., DAS Gottesweib des Amun; Kopenhagen, 1940.

- عن رحلة « ون أمون » يرجع القارىء إلى الكتب المختلفة عن الأدب المصرى

القديم فهي مترجمة فيها جميعاً .

- عن صان الحجر وحفائر مونتيه والجبانة الملكية ، كتب مونتيه عدة كتب عن حفائره وما عثر عليه فيها ، وهو يعطى فكرة عامة عن تاريخ هذه المدينة وآثارها فى كتابه :

MONTET, P., Tains ; Douze années de fouilles; Paris; 1942.

- عن حكم أمنموبى الشهيرة :

LANGE, H.O., "Das Weisheitsbuch des Amenemope" Kgl. Danske Vidensk. Selskab, Fil-hist. Medd. 11, 2 ; Kopenhagen, 1925.

- عن الأسرة الثانية والعشرين فى الواحات :

AHMED FAKHRY, Bahria, Oasis, Vol. I (Cairo 1942) : p. 19 ff.

GARDINER, A.H. The Dakhleh Stela, J.E.A. 19 ( 1933 ) , p. 19 ff.

### الفصل التاسع

### اليقظة : الأسرتان الخامسة والعشرون

### والسادسة والعشرون

ZEISSL, H. von. Aethiopen und Assyrier in Aegypten, Aegyptische Forsch. 14, 1944.

- عن نصوص لوحة بعنقى ، فإن أفضل نص هو الذى نشره شيفر فى :

SCHAEFER, H., Urkunden III ; p. 1 - 56.

أما عن ترجمتها ودراسة أسماء الأماكن الواردة فيها فاننا ما زلنا نعتمد على ترجمة برستد ( Breasted, Ancient Records : IV, & 796-833 ) .

وهناك ترجمة عربية لها منشورة فى كتاب : سليم حسن - مصر القديمة الجزء ١١ ( القاهرة ١٩٥٦ ) ص ٩ وما بعدها .

- عن الصراع بين مصر وأشور ، يمكن الرجوع إلى ما كتبه إدوارد ماير فى تاريخه ( الجزء الثالث ص ٣ وما بعدها ) ، وإلى كتاب :

LUCKENBILL, Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 Vols, 1926 - 1927.

- انظر أيضاً مقال بيت : PEET, T.E.A. ; XI ( 1925 ) : P. 117.
- عن منتومات : legrain., RECEUIL DES TRAV. 27 ( 1905 ) ; 80 - 81 ,
- عن الأسرة السادسة والعشرين فى تاريخ هيرودوت : MEULENAERE, H. DE, Herodotos Over de 26 ste Dynastie, Bibl. de Muséon 27, Leuven 1951.
- KEES, H., "Zur Innenpolitik der Saitendynastie" Nachr. G.W. Göttingen, 1935.
- عن موضوع عصيان حامية الفنتين : SCHEFER, H. Die Auswanderung der Krieger unter Psammetich I. und der Söldneraufstand in Elephantine unter Apries, Klio IV, 1904; p. 152 ff.
- عن الصلات الخارجية بين ملوك الأسرة السادسة والعشرين وغيرهم من الشعوب : WIEDEMANN, Geschichte Aegyptens von Psammetich I, bis auf Alexander den Grossen.
- عن إهتمام ملوك الأسرة السادسة والعشرين بالواحاحات : FAKHRY, A., Bahria Oasis ; Vol. I ( Cairo ; 1942 ) ; Vol. II (Cairo, 1950) .

## الفصل العاشر

### مد وجزر : الأسرات ٢٧ - ٣٠

- يجد القارئ فى هوامش صفحات هذا الفصل أهم المراجع ، وأضيف إليها هنا بعض المراجع الأخرى :
- عن معبد الواحات الخادجة ، يمكن الرجوع إلى المجلدين اللذين نشرهما متحف المتروبوليتان وأولهما عن العمارة والثانى عن نقوش المعبد التى قام برسمها المرحوم نورمان دى جارىس ديفز وقام بإعدادها للنشر المرحوم لدويل فى عام ١٩٥٢ .

— عن مجموعة الأوراق البردية الآرامية التي عثر عليها في جزيرة إلفنتين :  
MEYER, ED. Der Papyrusfund von Elephantine, Leipzig ; 1912 .

VINCENT, A. La religion des Judéo-Araméens d'Elephantine, Paris 1937.

— عن الصلة بين الإغريق ومصر في هذه الفترة من تاريخها :

MILNE, J.E.A., XXV (1939) ; p. 177-183.

— عن ترتيب تتابع كل من تختنبو الأول وتختنبو الثاني والآثار المنسوبة إلى كل منهما :

CAPART, J. Chronique d'Egypte, 29 ( 1940 ).

— عن هذا العصر بوجه عام :

KEINITZ F. K., Die Politische Geschichte Agptens von 7 bis zum 4 . Jahrhundert vor der Zeitwende (Berlin, 1953),

OTTO, E., Die Endsituation der Aegyptischen Kultur ; Die Welt als Geschichte. 1951.

-----, Die Biographien der Aegyptischen Spätzeit, Problem der Aegyptologie II, Leiden 1954.

— عن زيارة الإسكندر الأكبر لهيكل الوحي في سيوة :

HRY, A., Siwa Oasis (Cairo ; 1944) ; p. 35 - 44 ; p. 96 .

**محرقيان**  
**www.ibtesama.com**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**



## فهارس الكتاب

### ١ - آلهة

أبيس ٢٤٣ .	حور إم أخت ٢٢٩ .
أتون ٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ .	حورس ٤٠ ، ٤١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .
٢٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ .	خنوم ٩٣ ، ١١٨ .
أمون ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٦٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ .	خوفو ١٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١٧٢ .
أمون رع ١٧٣ ، ١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ .	رشب ١٩٦ .
أنوبيس ١٤١ .	رع ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٢٢ .
أوزيريس ٦٥ ، ٨٣ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٣١١ ، ٣٥٤ .	ست ٤٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٧ .
إيزيس ١١٢ ، ٣٥٤ .	سخت ٥٦ .
باست ٢٣ ، ١٢٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ .	سويد ٨١ .
بتاح ٨٤ ، ١٠٠ ، ٢٢٢ .	سوتخ ١٩٦ ، ١٩٩ .
بعل ١٩٦ ، ٣٠٧ .	سوكر ٦٨ ، ٨٢ .
بوحول ٩٧ .	عنچتي ٤٠ .
تحت ٢٠٦ ، ٢٦٣ .	ماعت
تشوب ١٩٦ .	مونتو ١٤٧ .
حاتحور ١٠٣ .	مين ١٢٩ .
حري شف ( حرسافيس ) ١٣٠ ، ٣١٢ .	نخبت ٤١ .
حور أختي ٢٣٧ .	نيت ٤١ ، ٦٥ .
	واچيت ٤١ ، ٦٥ .

## ٢ - أهم الملوك والملكات

أرتحشاشا ٢٤، ٢٥	أبوفيس ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢ .
أري خت نتر ( أنظر زوسر ) ١٤ .	أبيبي ٢٠٢ .
أسر حنون ٣٢٧، ٣٢٧ .	أحمس ١٤٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣ .
أسكندر الأكبر ٣٤٩، ٣٤٩ .	٢١٦، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨ .
أسياس ١٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١٢١ .	أحمس الأول ٢١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢٦٦، ٣٣٠ .
أشور بانيبال ٣٢٧ .	أحمس الثاني ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٤٣ .
إعح حوتب ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١ .	أحمس نفرتاري ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٧ .
أكوريس ٢٥، ٣٤٦ .	أختوي ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، ١٤٧، ١٦١ .
آلارا ٣٢٠ .	أختوي الأول ١٦، ١٣٠ .
أمازيس «انظر أحمس الثاني» ٢٤ .	أختوي الثاني ١٦ .
أمنماويت ٢٣ .	أختوي الثالث ١٦ .
أمنمحات ١٨، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٧ .	أختوي الرابع ١٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٨ .
أمنمحات الأول ١٧، ١١٠، ١٢٤، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١ .	أختوي الخامس ١٧، ١٣٣ .
أمنمحات الثاني ١٨، ١٧٣ .	أخناتون ٢١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٠، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١ .
أمنمحات الثالث ١٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩ .	٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣٥٣، ٣٥٤ .
أمنمحات الرابع ١٨، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥ .	أرتاكسر كسيس ٣٤٥ - ٣٤٦، ٣٤٦ .
أمنحوتب الأول ٢١، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٠٩ - ٢١٠ .	أرتاكسر كسيس الثالث ٢٥، ٣٥٠ .
أمنحوتب الثاني ٢١، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨ .	
٢٢٩، ٢٨٣، ٣٠٣ .	
أمنحوتب الثالث ٢١، ٥٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨ .	

- باك إن رنف ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٧ .  
 ببي الأول ١٥، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨ .  
 ببي الثاني ١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ .  
 بري إب سن ١٣، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣ .  
 بسمتك الأول ٢٤، ٣٢٧ .  
 بسمتك الثاني ٢٤، ٣٣٥ .  
 بسمتك الثالث ٢٤، ٣٣٨، ٣٣٩ .  
 بسوسينس الأول ٣٠٦، ٣٠٩ .  
 بسوسينس الثاني ٢٦، ٣٠٦ .  
 بطليموس الثاني ٥٣ .  
 بعنخي ٢٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦ .  
 ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢ .  
 بوخوريس ٣٢٣ .  
 بينزم ٢٣، ٢٠١، ٣٠٨، ٣١١ .  
 تاعا الأول ٢١ .  
 تاف نخت ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٢٢، ٣٢٩ .  
 تانت أمون ٣٠٥ .  
 تانوت أمانى ٢٤ .  
 نتى شري ٢٠٤ .  
 تحوتمس ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٩ .  
 ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٦ .
- ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦ .  
 ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٣ .  
 أمنحوتب الرابع ٢١، ٢٣٦، ٢٣٧ .  
 أمندريس الأولى ٣٢٤ .  
 أمندريس الثانية ٣٣٢ .  
 أمون حر ٢٥، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦ .  
 أمون مس ٢٢، ٢٢٤، ٢٨٣ .  
 انيوتف ١٧، ١٨، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٦ .  
 انيوتف الأول ١٧، ١٤٦ .  
 انيوتف الثاني ١٧، ١٤٦، ١٤٧ .  
 انيوتف الثالث ١٧، ١٤٨ .  
 أوخوس ٢٥، ٣٤٨ .  
 أوسر كارع ١٥، ١١٤ .  
 أوسر كاف ١٠١، ١٠٣ .  
 أوسركون ٣١٢، ٣١٥ .  
 أوناس ١٥، ١٠٩، ١١٠، ١١١ .  
 أي ٥٧، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٤ .  
 إيمحوتب ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠ .  
 با إف رع ١٤، ٩٣ .  
 با إف حور ٩٣ .  
 با إف خنوم ٩٣ .  
 با إن رع ٢٢ .  
 پادي باست ٣١٦ .  
 پاسبا خع إن نيوت ٢٣ .

حتب حرس ٨٠، ٨٤، ٨٦، ٩٢ .  
 حتب حرس الثانية ٩٢ .  
 حتب سخموي ١٣ ٦٨ .  
 حتشبسوت ٥٥، ١٥١، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٣،  
 ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٥،  
 ٢٢٦،  
 حريحور ٢٢، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦،  
 ٣٠٧،  
 حمورابي ١٨٠، ١٩٢ .  
 حور سا إيس ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧ .  
 حور ددف ١٤، ٩٣ .  
 حور محب ٢١، ٥٥، ١٩٦، ٢٥٠، ٢٥٤،  
 ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠،  
 ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦،  
 ٢٦٧، ٢٦٨ .  
 حوني ١٤، ٧٩، ٨٠ .  
 خاتوسيلي ٢٧٩، ٢٨٠ .  
 خع إم واست ٢٨١  
 خع أوسر رع ٢٠ .  
 خع با ١٤، ٧٩ .  
 خع باوو ١٢٩ .  
 خع سخم ١٣، ٦٨، ٧٠، ١٨٧، ١٨٨ .  
 خع سخموي ١٣، ٦٨، ٧٠، ٧٤ .  
 خفرع ١٤، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧،  
 ٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١٧٢، ٣٥٢ .  
 خنتكاوس ٩٩، ١٠٠، ١٠١ .

تحوتمس الأول ٢١، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠،  
 ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦،  
 ٢٣٥،  
 تحوتمس الثاني ٢١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،  
 ٢١٦، ٢١٧ .  
 تحوتمس الثالث ٢١، ٥٤، ٥٥، ١٤٦، ١٨٢،  
 ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧،  
 ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،  
 ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٢،  
 ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٣،  
 ٣٠٩،  
 تحوتمس الرابع ٢١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،  
 ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٧٠ .  
 تكلوت الأول ٢٣، ٣١٥ .  
 تيتي ١٤٢، ٢٠١ .  
 تيتي ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٢ .  
 توت عنخ آمون ٢١، ٥٥، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧،  
 ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣،  
 ٢٦٤، ٢٧٠ .  
 جد ٦٤، ٦٥ .  
 جد حر ٣٤٧، ٣٤٨ .  
 جدف بتاح ١٤ .  
 جدف رع ١٤، ٩٢ .  
 جد كارع اسيس ١٥ .  
 جد كارع شمائي ١٥ .  
 جر ١٣، ٦٥ .  
 جسر نوب ١٧ .

رمسيس العاشر ٢٢، ٢٠٣ .	خنجر ١٨، ١٩ .
رمسيس الحادي عشر ٢٢، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٤ .	خنوم خوفوي ١٤، ٨٦ .
زكر بعل ٣٠٧ .	خيان ١٩، ١٩٧، ١٩٨ .
زوسر ١٤، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٢، ٣٥ .	خيتي ١٢٨، ١٣٠، ١٤٦، ٢٧٩ .
زوسر الثاني ١٤، ٧٨ .	دارا الأول ٢٤ .
سا أوسر إن رع ١٩، ٢٠ .	دارا الثاني ٢٤ .
سا حورع ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٧ .	دارا الثالث ٢٥، ٣٤٩ .
ساليثيس ١٩٣، ١٩٧ .	داريوس الأول ٢٤ .
سا نخت ١٤، ٧٩ .	داريوس الثاني ٣٤٤ .
ست نخت ٢٢، ٢٩٣ .	دن ١٣، ٦٦، ٦٧ .
سرجون الثاني ٣٢٤ .	رمسيس الأول ٢١، ٥٦، ٢٦٧، ٢٩٣ .
سخم خت ١٤، ٧٨، ٧٩ .	رمسيس الثاني ٢٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١٩٦، ١٩٧، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨ .
سخم كارع ١٧، ١٨، ١٨٧ .	٣٠٩، ٣٣٥ .
سعنخ إب تاوي ١٧، ١٤٨ .	رمسيس الثالث ٢٢، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤ .
سعنخ كارع ١٧، ١٦٥ .	٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩ .
سقننرع ٢١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣ .	٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٣ .
٢٠٤، ٢٠٥، ٣٠٩ .	رمسيس الرابع ٢٢، ٢٩٩، ٣٠٠ .
سليمان بن داود ٣١٤، ٣١٥ .	رمسيس الخامس ٢٢، ٣٠٠ .
سمرخت ١٣، ٦٤، ٦٧، ٧٨، ٧٩ .	رمسيس السادس ٢٢، ٣٠١ .
سمندس ٢٣، ٣٠٥، ٣٠٧ .	رمسيس السابع ٢٢، ٣٠١ .
سمنخ كارع ١٨، ٢١، ٥٥، ١٨٨، ٢٥٠ .	رمسيس الثامن ٢٢ .
٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥ .	رمسيس التاسع ٢٢، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤ .
سنفرو ١٤، ٥٤، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣ .	٣٠٨ .

شاشانق الخامس ٢٣، ٣١٨ .	٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٣،
شب إن أويت ٣١٧، ٣١٨ - ٣٢٤، ٣٢٤، ٣٢٢، ٣٢٢٨	٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٤،
شيتاكو ٢٤ .	١٦٤، ١٨٩، ٣٥٢ .
شيسكارع ١٤، ١٠٤ .	سنوسرت ١٧، ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢،
شيسكاف ١٤، ٩٣، ٩٩، ١٠٠ .	١٧٦ .
طهرقا ٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢ .	سنوسرت الأول ١٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،
عا أوسر رع ١٩، ١٥٩ .	١٨٨ .
عا حوتپ رع ٢٠ .	سنوسرت الثاني ١٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥ .
عا خير إن رع ٢١ .	سنوسرت الثالث ١٨، ٨٩، ١٧٤، ١٧٩،
عا خيرو رع ٢١ .	١٨٢، ٢٢٢ .
عا قن رع ١٩ .	سنوسرت الرابع ١٨ .
عحا ١٣، ٦٥ .	سواچ إن رع ٢٠، ١٨٨ .
عج إپ ١٣، ٦٧ .	سوبك إم ساف ٢٠، ٢٠٣ .
العقرب ( الملك ) ٤٤، ٤٥، ٦١، ٦٢ .	سوبك كارع ١٨، ٥٦ .
عنخس إن پا أتون ٢٤٨، ٢٥١ .	سوبك نفرو ١٨، ٥٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٧ .
قا - ع ١٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨ .	سهرتاي ١٧، ١٤٦ .
قا كا رع ١٦، ١٦٦ .	سيتي الأول ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٢٦٧، ٢٦٨،
قمبیز ٢٤، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣ .	٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٩٤، ٣٠٩ .
كاشتا ٣٢٠ .	سيتي الثاني ٢٨٣، ٢٩٢ .
كامس ٢١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤،	شاباكا ٢٤، ٣٢٥ .
٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧ .	شاشانق ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥،
كسرکسيس ٢٤، ٣٤٤ .	٣١٩ .
کرويسوس ٣٣٨ .	شاشانق الأول ٢٣، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥ .
کليوباتره ٣٥٠ .	شاشانق الثاني ٢٣، ٣١٦ .
	شاشانق الثالث ٢٣، ٣١٦ .
	شاشانق الرابع ٢٣، ٣١٧ .

موتلي ٢٧٢، ٢٧٤ .	ماعت كا رع ٢١، ٣٠٦، ٣١٢ .
موت نزم ٢٦٤ .	مر بي باه ٥٦ .
نايف عاو رود ٢٥، ٣٤٦ .	مرسي عنخ ٨٠ .
نب تاوي رع ١٦٧، ١٦٨ .	مري إپ رع ١٦ .
نب حيت رع ١٧، ١٤٩ .	مري إن حور ١٥ .
نب خپش ٢٠، ١٩٥ .	مري إن رع ١٥، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٣٠ .
نیکا ١٠٢، ١٤١ .	مري إن پتاح ٢٢ .
نب كارع ١٧ .	مري إن رع الثاني ١١٦ .
نب كاوور رع ١٤، ٧٩ .	مریت آتون ٢٢، ٢٤٨، ٢٤٩ .
نبت ماع رع ٢٢ .	مریت رع حتشيسوت ٢١٥، ٢٢٥ .
نبوختنصر ٣٣٤، ٣٣٥ .	مري حاتحور ١٦ .
نختنبو الاول ٣٤٧، ٣٤٨ .	مري كا رع ١٧ .
نختنبو الثاني ٢٥، ٣٤٨ .	منا ١٣، ٣٩، ٤٦، ٥٢، ٦١، ٦٣، ١٤٩ .
نسو بانب دد ٢٣، ٣٠٥، ٣٠٧ .	من خپر رع ٢١ .
نفر إر كارع ١٤، ٥٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤ .	من خپو رع ٢١ .
١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ .	منكاوور رع ١٤، ١٥، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ٩٩ .
نفر إف رع ١٤، ١٦، ١٠٦، ١٠٧ .	١٠٠ .
نفرتاري ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٨٠ .	منكاوور ١٥، ١٠٨ .
نفرتيتي ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢ .	منتوحتپ الاول ١٤٨، ١٥٠ .
نفر حتپ ١٩، ١٨٨ .	منتوحتپ الثاني ٥٧، ١٣٣، ١٤٥، ١٤٨ .
نفر خبرو رع ٢١، ٢٤٧ .	١٤٩، ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، ١٦٥ .
نفر كا حور ١٦ .	١٦٧، ١٧٤ .
نفر كا رع ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٢، ١٢١ .	منتوحتپ الثالث ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧ .
١٢٩، ١٣٢ .	منتوحتپ الرابع ١٦٧، ١٦٨ .
	منتوحتپ الخامس ٢٠ .



نفر كا رع - پي سنب ١٦ .	ني - نتر ١٣، ٦٨ .
نفر كا رع نبي ١٥ .	ني وسر رع ١٤، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨ .
نفر كامين ١٥ .	واچ كا رع ١٦، ١٢٩، ١٣٢، ١٦٦ .
نفر كامين - عنو ١٦ .	واح إپ رع ١٩، ٢٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧ .
نفر تيس الأول ٢٥ .	واح عنخ ١٧، ١٣٣، ١٤٦ .
نفر تيس الثاني ٢٥، ٣٤٦ .	واساركون ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧ .
نعرمر ١٣، ٤٤، ٤٥، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٣١١ .	هكر ٢٥، ٣٤٦، ٣٤٧ .
نكاو ٢٤، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٤ .	هكسوس ١٩، ٢٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ١٧٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١ .
نكاو الثاني ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٤٣ .	١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ .
نمرود ٣١١، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢١ .	١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣ .
نبت إقرتي ١٥، ١١٧ .	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠ .
نبتو كريس ١٥، ١٠٠، ١١٧، ٣٣٢ .	٢١١، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٦ .
	٢٣٢، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٣١، ٣٥٣ .

### ٣ - أشخاص

أحمس بن إبانا ٢٠٨، ٢٠٣ .	أمون إم حب ٢٢٢، ٢٢٤ .
إرتي سن ١٤٩ .	إنيني ٢١٣، ٢١٤ .
أرسطو ٣٤٩ .	إيبي ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥ .
استرابون ٣٤٢ .	إيدي ١٢٩ .
أمنحوتب ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٨ .	إيمحوتب ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٠ .
٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٠٢، ٣٠٣ .	پاسر ٢٢٩، ٢٣٠ .
أممنحات ١٨، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠ .	پانحسي ٣٠٤ .
١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٧ .	پاورعا ٣٠٢ .
٢٢٤ .	

- پاوردد ١٠٨، ١٢١ .
- پيبي نحت ١٢٢ .
- پتاح حوتپ ١٠٨ .
- توتو ٢٣٩، ٢٥٣ .
- تحوتي نحت ١٤١، ١٤١ .
- حرخوف ١٠٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ .
- حقا نخت ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥ .
- حننو ١٦١، ١٦٥، ١٦٦ .
- حماكا ٦٤، ٦٧ .
- حم ايون ٩١ .
- حوي ٢٥٥، ٢٦٠ .
- خروإف ٢٢٣ .
- خوإن أنوب ١٣٩ .
- رخ مي رع ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٩ .
- رع حوتپ ٢٠، ٨٤ .
- رع موسي ٢٢٣ .
- رع ود ١٠٦، ١٠٧ .
- رنس ١٤٠، ١٤١ .
- زازا إم عنخ ٩٣ .
- زاو ١١٦ .
- زفای حعبي ١٨١ .
- سابني ١٢٢، ١٢٣ .
- سنوهي ١٧٠، ١٨٠، ١٩٤ .
- عنخ تيفي ١٣٢ .
- عنخو ١٨٨ .
- مانيتون ١٥، ١٩، ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٨، ٧٠، ٧٦، ٧٨، ٩٣، ١٠٠، ١٠٩، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٢، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٤٦،
- مرسو ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥ .
- مرو ١٤٠، ٢١٩ .
- مكت رع ١٦٦ .
- منتومحات ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٢، ٣٢٣ .
- منخپر رع ٣٠٦ .
- منخپر رع سنب ٢٢٣ .
- ميخو ١٢٢، ١٢٣ .
- نقرت ٨٤، ١٦٤ .
- نقر ماعت ٨٤ .
- ني كا عنخ ١٠٣ .
- هيروبت ٤٩، ٦١، ٨٩، ٩٠، ٩٧، ١٠٠، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢ .
- واش بتاح ١٠٦ .
- وچاخر رسنت ٣٤١، ٣٤٣ .
- ون أمون ٣٠٦ .
- وني ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٢ .
- بوسيببوس ٥٣، ١٣١ .
- بوسيفوس ٥٣ .

٤ - أماكن

٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١،	أبو سمبل ١٧٢، ٢٨١، ٣٣٤ .
٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦٢،	أبو صير ٧٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧،
٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩،	١١٠ .
٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٠،	أبيدوس ٤٥، ٥٤، ٦٥٥، ٦١، ٦٣، ٦٤،
٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٣٠،	٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٣،
٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٧،	٧٨، ١١٥، ١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣،
٣٤٩، ٣٥٤ .	١٤٦، ١٤٨، ١٥١، ١٧٨، ١٧٩،
أسيا الصغرى ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٧٣،	١٨٨، ٢٠٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦،
٢٨٠، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٩، ٣٣٨،	٢٨١، ٣١١ .
٣٥٣،	أتريب ٢٩٨، ٣٢٢، ٣٢٧ .
أسيوط ٢٨، ٣٢، ٣٣، ١٠٣، ١١٨، ١٣٢،	أثينا ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٤ .
١٣٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧،	أثيوبيا ٣٣٩، ٣٤٢ .
١٧٧، ١٨٧، ٢٣٨، ٣٠٥ .	أخت أتون ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١ .
الآشمونيين ١٣٣، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٥١،	أخميم ١٤٣، ٢٦٢ .
٣١٨، ٣٢٠ .	إدفو ٤١، ٦٥، ١٣٢، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٣٢،
أشور ١٩٢، ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٧٨،	إرثت ١١٨، ١٢٢ .
٢٧٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧،	أرمنت ١٣٢، ١٤٥ .
٣٢٩، ٣٣٣ .	أسبرطة ٢٤٧ .
أطفيح ٢٠٢، ٣٢٢ .	إسنا ٢٩، ٧٧ .
أفروديتوبوليس ١٣٣، ١٤٧ .	أسوان ٢٨، ٩٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٢،
أفريقيا ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٤، ١٢٣، ١٩١،	١٤٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٧، ٢١٣،
٢١١، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٦٩، ٢٧٠،	٢٣٣،
٢٨٠، ٢٢٩، ٢٣٤، ٣٥٣ .	أسيا ٢٧، ٤٧، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١،
الأقصر ٧٧، ١٢٢، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٧، ٢١٣،	١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢١٢، ٢١٧،
٢٢٤، ٢٣٣، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠٨،	٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧،
٣١٧،	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣،
إلفنتين ١١٩، ١٢٣، ١٣٢، ١٤٩، ٢٠١،	

- بيت خلاف ٧٤، ٧٣ .  
 بيروت ٨٦، ١٨٦، ٢٧٢، ٢٧٤ .  
 تاسا ٣٢، ٣٩ .  
 تانيس ٢٣، ٢٦٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،  
 ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٨ .  
 تل بسطة ٢٣، ١٦٩، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٨ .  
 تل العمارنة ٩٥، ١٧٢، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤٨،  
 ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٩٣ .  
 تل الفراعين ٤١ .  
 تل المشرفة ٢٧٧ .  
 تمي الأمديد ٣٤٦ .  
 تورين ١٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٧٨، ٩٣، ١٢٧،  
 ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٧٥، ١٧٦،  
 ١٨٧، ١٨٩، ٢٧٠، ٣٠٠ .  
 توماس ١٠٥، ١٢٢ .  
 تونيب ٢٥٣، ٢٧٨ .  
 ثارو ٢١٨، ٢٦٥، ٢٦٨ .  
 ثني ٤٨، ٦٣، ١٣٣، ١٣٦، ٣١٨ .  
 الجبلين ٧٧، ١٥١، ١٦٥ .  
 جبيل ٤٧، ٨٦، ١٨٠، ١٨٦، ٢٢١، ٢٥٣،  
 ٣٠٧ .  
 جرجا ٣٧، ٤٨، ١٤٤ .  
 جرزة ٣١، ٣٩ .  
 الجيزة ٥٨، ٦٦، ٧٩، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦،  
 ٨٧، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٩، ١٠٤، ١٠٦،  
 ١٠٧، ١٦٩، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٥٩،  
 ٢٨١،  
 ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٤٥،  
 ٣٤٦ .  
 أناضول ٤٧، ٢١٠، ٢٥٢ .  
 أواريس ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠،  
 ٢٠٢، ٢٠٣ .  
 أورشليم ١٨٦، ٢٥٣، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٦،  
 ٣٣٥ .  
 إهناسيا ٥٥، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦،  
 ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ٢١٤٤، ١٤٥،  
 ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٥،  
 ٣١١، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٠،  
 ٣٢١، ٣٣٢، ٣٤٩ .  
 إيام ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١ .  
 إيران ٤٧، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٨ .  
 إيون ٧٦، ٩١، ١٠٢، ٣٢٢ .  
 بابل ١٩٢، ٢١٠، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٧٨،  
 ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨ .  
 البداري ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٣٩،  
 ٤٧ .  
 البرشا ١٤٣، ١٤٧، ١٧٧ .  
 برقل ٢١٢، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٧١، ٣١٩ .  
 بني حسن ١٤٣، ١٤٧، ١٧٠، ١٧٧، ١٧٨،  
 ١٩٤، ٢١٩ .  
 بوتو ٤١، ٨٣، ١٠٣، ١٧٨، ٣٣١، ٣٣٤ .  
 بونت ١٠٥، ١٠٨، ١٢١، ١٢٢، ١٦٦، ١٦٧،  
 ٢١٦، ٢٦٦، ٣٥٣ .  
 بيلوس ١٨٦، ١٨٨، ١٩١ .

السرابيوم ٣٤٨ .	حتنوب ١٧٢ ، ٩٥ .
سقارة ١٧ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،	حلب ٢٧٤ .
٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ،	حلوان ٣٨ ، ٣٩ ، ٧١ ، ٨٩ .
٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،	حماه ٢٢١ ، ٢٦٨ .
١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ،	ختاعنة ١٦٩ ، ١٨٩ .
١٤٣ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٥ .	الخرطوم ٣١ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ .
سمنه ١٦٨ ، ١٨٣ ، ١٨٧ .	خيثا ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ،
سوريه ٣١ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،	٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،	٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ،	٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،	٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ .
٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،	دراع أبو النجا ٢٠٨ .
٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٣ ،	دندرة ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ .
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،	دنقلة ١٦٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،	دهشور ٧١ .
٢٩٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،	الدير البحري ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ،
٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ .	٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٠٨ ، ٣٠٩ .
السودان ٣١ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٦٨ ،	دير المدينة ٣٠٠ .
١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ،	بلاد الرافدين ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ١٨٠ ،
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،	١٩١ ، ٢١٠ ، ٢٥٣ ، ٣٥٤ .
٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٥٩ ،	رتنو ٢٠٢ ، ٢٧٨ .
٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ،	رفع ٢٦٨ ، ٣٢٣ .
٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ،	الرمسيوم ١٤٩ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،
٣٥٣	٢٩٧ ، ٢٩٨ .
السويس ٢٨ ، ٢٩ ، ١٣٥ ، ٣٣٥ .	زاوية الاموات ١٤٣ .
سيناء ٢٨ ، ٦٧ ، ١٠٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٣٥٢ .	زاوية العريان ٧٩ .
شاروهين ٢٠٣ ، ٢١١ .	الزقازيق ١٦٩
الشلال الأول ٦٥ ، ١١٨ ، ١٨١ .	سايس ٤١ ، ٣٤٥ .
الشلال الثاني ٢٨ ، ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،	
٢١٤ .	

٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٨،  
٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦،  
٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١،  
٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣٠٠،  
٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٠،  
٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧،  
٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٦،  
٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٩،  
٣٤٢، ٣٥٣ .

عبد القرنة ١٦١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٧٠ .

العراق ١٩٢، ١٩٨، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٥٢،  
٣٣٣

عرونا ٢١٩، ٢٢١ .

عسقلان ١٨٦، ٢٧٨ .

العمرة ٢٢، ٣٩ .

العمري ٣٨، ٣٩ .

غزة ٢٠٣، ٢٠٨ .

فاقوس ١٦٩، ١٨٩، ٢٨١ .

الفرات ٢١١، ٣١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢،  
٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٩،  
٢٩٥، ٢٩٦، ٣٣٤ .

بلاد الفرس ٣٣٨ .

فلسطين ٢٩، ٣١، ١٠٥، ١١٥، ١١٨، ١١٩،  
١٧١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥، ١٩١،  
١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٦،  
٢١٠، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١،  
٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤،  
٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤،  
٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣،  
٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٠،  
٣٠٧، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٣،

الشلال الثالث ١٨١ .

الشلال الرابع ٢١٠، ٢١٢ .

شندي ٢٢٨ .

صا الحجر ٢٤، ٤١، ٦٥، ٣١٦، ٣١٨،  
٣٢٧، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٤٧ .

صان الحجر ١٨٧، ١٩٦، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٠٥،  
٣٠٩، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٦،  
٣٢٨، ٣٤١ .

الصحراء الشرقية ٢٨، ٢٩، ٤٧، ١٢٢،  
٢٠٢

الصحراء الغربية ٢٨، ٢٩، ٣٣، ١٠٥، ١٧٩،  
٣١٢، ٣٤٢ .

صقلية ٥١، ٢٩٦ .

صور ٣٠٧، ٣٢٦ .

الصومال ٣٤، ١٠٥، ٢١٦ .

الصين ٤٩، ٣٢٩ .

الطارف ١٤٦، ١٥٠، ٢٠٣، ٢٠٩ .

طرخان ٦٤، ٧١ .

طرة ٤٥، ٧٤، ٨٨، ١٣٥، ٣٤٦ .

طهنا الجبل ١٠٣ .

طيبة ١٨، ٢٣، ٥٨، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،  
١٣٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧،  
١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦١،  
١٦٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٧،  
١٩٠، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠،  
٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧،  
٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،  
٢١٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣،  
٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩،  
٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤،

- كرمه ١٦٨، ١٨١، ١٨٢، ١٩١ .  
 الكرنك ٥٤، ١٤٦، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٨، ١٨٩،  
 ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٦،  
 ٢٠٨، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦،  
 ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٨،  
 ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٦٨،  
 ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩،  
 ٢٨٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٣١٤، ٣١٥،  
 ٣١٦، ٣١٩، ٣٤٦ .  
 كريت ١٨٠، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١،  
 ٢٧٨ .  
 كنعان ٢٧٤، ٣١٤ .  
 كوش ١٧٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٢، ٢١٣، ٣١٩،  
 ٣٢٧، ٣٣٩ .  
 الكوم الأحمر ٤١، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٢٦٣ .  
 كوم إشقوا ١٣٣، ١٤٧ .  
 كيما فارس ١٦٩، ١٧٥ .  
 اللاهون ١٧٣، ١٧٥ .  
 لبنان ٨١، ١٧١، ١٨٧، ١٩٤، ٢٧١، ٢٧٦،  
 ٣٠٦، ٣١٥، ٣٥٢ .  
 اللشت ١١٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥ .  
 لندن ٥١ .  
 اللوفر ٥٤، ٦٦ .  
 ليبيا ٧٠، ١٧٠، ٢٠٨، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٨٢،  
 ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١١ .  
 ماريا ٣٣٥ .  
 ماضي - مدينة ١٧٥ .  
 مجدو ٢١٨، ٢١٩، ٢٥٣، ٣٣٣ .  
 مرمدة ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩ .
- ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤،  
 ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٧، ٣٥٣،  
 ٣٥٤  
 فينيقيا ١٠٤، ٢١٠، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٦٨،  
 ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٥ .  
 الفيوم ٢٨، ٢٩، ٣١، ٨٨، ١٣٠، ١٦٩،  
 ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٣،  
 ٣٢١، ٣٢٢ .  
 قادش ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨،  
 ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢،  
 ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٩٦ .  
 القاهرة ٢٨، ٢٩، ٣٨، ٤١، ٤٥، ٥١، ٥٢،  
 ٥٥، ٦١، ٧٠، ٨٩، ٩٤، ٩٩، ١٠٣،  
 ١٠٦، ١١٥، ١٤٦، ١٦٠، ١٦٦،  
 ١٧٤، ١٧٩، ٢١٧ .  
 قبرص ١٨٠، ٢١٠، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٩٥،  
 ٣٢٨، ٣٠٨ .  
 قرقيش ٢٢٠، ٢٢١، ٢٩٥، ٣٣٤ .  
 القرنة ١٦١، ٢١٣، ٢١٧، ٢٧٠، ٢٧٢،  
 ٣٠٨  
 قطنا ١٩٢، ٢٧٧، ٢٧٨ .  
 قفط ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٥، ١٨٧ .  
 القلعة البيضاء ٦٣، ٦٨، ٦٩ .  
 قنا ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٦٩، ٧٧، ١١٦، ٣٠٩،  
 القنطرة ٢١١، ٢١٨، ٢٦٥، ٢٦٨ .  
 قورينة ٣٣٦، ٣٣٨ .  
 القوصية ١٠٣، ٢٠١ .  
 الكاب ٤١، ٦٢، ١٨٨، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٤٦ .  
 الكرمل - جبال ١١٨، ٢١٨، ٢١٩ .



- مروي ٣٤٢ .
- المعادي ٢٣٦، ٢٨، ٣١ .
- مندس ٣٤٨، ٣٤٦ .
- منعت خوفو ٨٦ .
- منعت سنفر ٨٦ .
- منف ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٧٥، ٩٤، ١١٤، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٨، ٣٤٩ .
- المنيا ٨٦، ١٠٣، ١٣٥، ٢٦٣ .
- ميتاني ٢١٠، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٥٣ .
- ميدوم ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥ .
- ناهرينا ٢٧٢، ٢٦٩ .
- نبتا ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٨، ٣١٣، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨ .
- ٣٢٩، ٣٣٢ .
- نجع حمادي ١١٥، ١١٦، ١٣٠ .
- نخن ٤١، ٦٣، ٦٥، ١١٧، ١٧٨ .
- نزلة البطران ٦٦، ٢٨١ .
- نقادة ٣٩، ٤٠ .
- نويت ٤٠، ٦٩ .
- النوبة ٣١، ٣٣، ٦٥، ٨١، ١٠٥، ١٠٨، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٥٠، ١٦٧ .
- نوكراتيس ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٧ .
- نينوي ٣٢٧، ٣٣٣ .
- هابو ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٤٦ .
- هليوبوليس ٤١، ١٠٥، ١٧٢، ٣٢٢، ٣٤٩ .
- الهند ٢٩٩، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٥٤ .
- هو ٣٩، ١٢٩ .
- هوار ١٧٥، ١٧٦ .
- هراقليوبوليس ١٣٠، ١٤٩ .
- هيراقلونبوليس ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧١ .
- واحات البحرية ٢٠٢، ٣١٢ .
- واحات الخارجة ١٧٩، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٤٢ .
- واحة سيوة ٣٤٢ .
- وادي حلفا ٦٥، ١٢٠، ٣٣٥ .
- واد حمامات ١٧، ٣٧، ٩٣، ١٠٨، ١٦٥ .
- ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢ .
- واد المغارة ٦٧، ٧٩ .
- واد الملوك ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨١، ٢٨٣ .
- واد النطرون ١٣٩، ١٦٨، ٢٩٤ .
- وادي الهودي ١٦٧، ١٧٢، ١٧٥ .
- واوات ١١٨، ١٢٣، ١٧١ .
- يحم ٢١٨، ٢٢١ .
- يمخد ١٩٢ .
- ينعم ٢٦٨ .
- اليونان ٢٨٠، ٣١٣، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢ .

## ٥ - أسرار

الأسرة الأولى ١٣، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٩، ٩٤، ١١١، ١٤٩، ٣١١، ٣٥١.	الأسرة الثانية عشرة ١٧، ٥٥، ٥٦، ٨٣، ٨٥، ٩٣، ١٤٢، ١٦٨، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٢٥، ٣٣٣.
الأسرة الثانية ١٣، ٥٤، ٥٦، ٦٣، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ١٠٩، ١١٤.	الأسرة الثالثة عشرة ١٨، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٨.
الأسرة الثالثة ١٤، ٥٤، ٥٦، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٩، ١١٤.	الأسرة الرابعة عشرة ١٩، ١٨٩، ١٩٠.
الأسرة الرابعة ١٤، ٥٤، ٥٥، ٧٩، ٨٠، ٩٣، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٦، ٣٥١.	الأسرة الخامسة عشرة ١٩، ١٩٧.
الأسرة الخامسة ١٤، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٧٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٦٩، ١٨١، ٢١٦.	الأسرة السادسة عشرة ٢٠، ١٨٩، ١٩٧، ٢٠٠.
الأسرة السادسة ١٥، ٥١ - ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٧٣، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٩٤، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٢٥، ٣٣٣.	الأسرة السابعة عشرة ٢٠، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.
الأسرة السابعة ١٥، ١٢٧، ١٢٨.	الأسرة الثامنة عشرة ٢١، ٥٢، ٥٥، ١٤٩، ١٥١، ١٧٦، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٦، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٤.
الأسرة الثامنة ١٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١.	الأسرة التاسعة عشرة ٢١، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ١٤٩، ٢٦٧، ٢٨٣، ٢٩٣، ٣١١.
الأسرة التاسعة ١٦، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١.	الأسرة العشرون ٢٢، ١٤٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٤.
الأسرة العاشرة ١٦، ١٣١، ١٣٢، ١٤١.	الأسرة الحادية والعشرون ٢٠١، ٢٠٢، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨.

الأسرة السادسة والعشرون ٢٤، ٢٢٩ .	الأسرة الثانية والعشرون ٢٣، ٥٧، ٣١٠ .
الأسرة السابعة والعشرون ٢٤، ٢٤١ .	٣١١، ٣١٧ .
الأسرة الثامنة والعشرون ٢٥، ٢٤٥ .	الأسرة الثالثة والعشرون ٢٣، ٣١٦، ٣١٧ .
الأسرة التاسعة والعشرون ٢٥، ٢٤٦، ٢٤٨ .	٣١٩ .
الأسرة الثلاثون ٢٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٤٦ .	الأسرة الرابعة والعشرون ٢٤، ٣١٨، ٣٢٣ .
	٣٢٤ .
	الأسرة الخامسة والعشرون ٢٤، ٣١٨ .
	٣٢٣، ٣٢٤ .

## ٦- عصر

العصر العتيق ١٣، ٥٩، ٦١ .	عصر الأسرات ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٦٧ .
العصر الفارسي ٧٦ .	عصر الأسرات المبكر ١٣، ٥٩ .
عصر الفترة الأولى ١٥، ٥٤، ٩٢، ٩٨، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٢، ١٧٧، ١٧٨ .	عصر الأوليجوسين ٢٩ .
١٨٣	عصر الأيوسين ٢٩ .
عصر الفترة الثانية ١٨، ٥٢، ٥٥، ٥٦ .	عصر الباليوليتي ٢٩ .
١٨٩، ١٨٤، ١٧٦ .	العصر البطلمي ٢٥ .
عصر ما قبل الأسرات ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠ .	عصر البليوسين ٢٩ .
٤١ .	العصر البيزنطي ٢٥ .
عصر ما قبل التاريخ ٣٠ .	عصر البعث ٢٦٨ .
العصر المتأخر ٢٣، ٦٥، ٧٧ .	العصر الجيولوجية ٢٩ .
العصر المروي	العصر الحجري المتوسط ٣٠ .
عصر الميوسين ٢٩ .	العصر الحجري القديم ٣٠ .
عصر النهضة ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٨ .	العصر الحجري النحاسي ٣١ .
العصر النيوليتي ٣٠، ٣١ .	العصر الحجري الحديث ٣٠، ٣١ .
عصر الهكسوس ١٧٣، ٢٦٧ .	عصر الرعامسة ١٧، ١٩٩ .
عصر اليونان ١٣٠ .	العصر الروماني ٢٥ .
	عصر العمارة ٥٧ .

٧- عمومي

بردية وستكار ٨٥، ٩٢، ١٠٢ .	أبو الهول ٩٦، ٢٢٧، ٢٢٩ .
بردية ولبور ٢٠٠ .	الأسباط ٣١٣، ٣١٤ .
بلست ٣١٣ .	إسرائيل ٩١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٣ .
تمحو ٩٢، ١١٩، ١٢٠ .	إسطبل عنتر ١٩٤، ٢١٦ .
التوراة ٢١٨، ٢٤١، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٥ .	حجر بالرمو ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٨٠، ١٠٣، ١٠٥ .
خابيرو ٢٣٩، ٢٥٣، ٢٥٤ .	البردي ٣٣، ٤١، ٤٨، ٥٨، ٦٢، ١٠١، ١٧٣، ٢١٨، ٢٦٤، ٣٥٢ .
عيد السد ٦٦، ٦٧، ١٦٧ .	بردية أبوت ٢٠٢، ٣٠٢ .
عيد ثلاثيني ٦٦، ٧٥، ٨٢، ١٠٧، ١٥٠، ١٦٧، ١٧٣ .	بردية أهريس
مصطبة فرعون ٩٩، ١١٥ .	بردية أمنمؤوبي ٣٥٤ .
معبد جنازي ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٨، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١١٠، ١٥٠، ١٥١، ١٦٩، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٤ .	بردية أبيبور ١٢٤، ١٢٧، ١٣٩ .
معبد الوادي ٨٨، ٨٩، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩ .	بردية تودين ١٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٧٨، ٩٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٧٥، ١٨٩، ١٨٧، ١٧٦ .
نصوص الأهرام ٨٩، ١٠٩، ٢٣٧ .	بردية سالييه ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠ .
نحاس ٣٤، ٣٥، ٤٧، ٧٨، ٨١، ٨٤، ٨٦، ١٠٤، ١١٥، ١٧٢، ٢٠٢، ٣٠١ .	بردية سرقة المقابر ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٧ .
هندو - أوروبية ١٨٦، ١٩٤، ٢١٠، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٩ .	بردية القروي الفصيح ١٢٣، ١٣٩ .
ودائع الأساس ١٦٠، ١٦٦، ١٦٩ .	بردية النصائح ١٣٦، ١٧١ .
	بردية هاريس ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠ .

## منافذ بيع مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب

### مكتبة المبتديان

١٣ ش المبتديان - السيدة زينب  
امام دار الهلال - القاهرة

### مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

### مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة  
ت : ٣٥٧٢١٣١١

### مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى  
بالجامعة - الجيزة

### مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة  
مبنى سينما رادوبيس

### مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع  
محطة المساحة - الهرم  
مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

### مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق  
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخل ١٩٤  
٢٥٧٧٥١٠٩

### مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

### مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

### مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة  
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

### مكتبة عربى

٥ ميدان عربى - التوفيقية - القاهرة  
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

### مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة  
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

## مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

## مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل ( ١ ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

## مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

## مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

## مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

## مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

## مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

## مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

## مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما امير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

## مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً - المحلة

## مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

## مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

## مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

## توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠

**\*\* معرفتي \*\***  
**[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)**  
**منتديات مجلة الإبتسامة**





## إنسانيات

مجموعة الحقول المعرفية التي تعنى بدراسة الإنسان وتاريخه وبيئته وواقعه الاجتماعي والثقافي والسياسي، وما ينشغل به البشر من إشكاليات حياتهم ومجتمعهم وأنساق ثقافتهم وقيمهم في علوم مثل: التاريخ والأنثروبولوجيا والاقتصاد والنقد الأدبي.

## مصر الفرعونية

### موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٢٢٢ قبل الميلاد

يعرض الكتاب بعضاً من مظاهر الحضارة الفرعونية عبر إشارات عابرة إلى ما توصل إليه المصريون القدماء في بعض نواحي مدنيّتهم، ويؤكد على فضل الحضارة المصرية القديمة على غيرها من الأمم في شتى ميادين الفكر والفن والعلم والأدب والصناعة والزراعة.

ويستعرض الكتاب عدداً من الموضوعات المهمة التي تتعلق بمصر الفرعونية في الحقبة محل الدراسة بدءاً من مولد الحضارة ونشأتها، ومروراً بعصر الأسرات المبكر (العصر العتيق) والدولة الوسطى، والدولة الحديثة وانتهائها بالعصر المتأخر ورصد تاريخ الأسرات من ٢٥ - ٣٠.

## أحمد فخرى

شيخ الأثريين، وراهب الصحراء، والذي ولد في عام ١٩٠٥ وعمل أستاذاً لتاريخ مصر الفرعونية والشرقية القديمة - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

قام بالعديد من الاكتشافات الأثرية مثل: معابد عين المفتلة، مقبرة هضبة السوبى، منطقة سن العجوز، مقابر المرزوقة .. وغيرها.

ISBN# 9789772071753



6 221149 024014







Exclusive  
For  
[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)

حصريات مجلة الابتسامه